تفسير
القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقى
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخ الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام [العالم][١] الأوحد، البارع الحافظ المتقن، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي، رحمه الله تعالى ورضي عنه :

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال : ﴿ **الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا * قيّمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا حسنًا * ماكثين فيه أبدًا * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا** ﴾ .

وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد [ما][٢] ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار : ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ . ولهذا قال تعالى : ﴿ **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون** ﴾

كما قال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير** ﴾ . فله الحمد في الأولى والآخرة، أي : في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، كما يقول المصلي : « **اللهمّ ربنا ؛ لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد** »(١) ، ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يُلهمون

(١) - **صحيح** وَرَدَ من حديث عبد الله بن أبي أوفى، ومن حديث أبي سعيد، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث البراء، ومن حديث أبي جحيفة - رضي الله عنهم أجمعين .

أما حديث عبد الله بن أبي أوفى : فرواه مسلم في الصلاة برقم (٤٧٦) ، ورواه أبو داود في الصلاة، باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٤٦) ، وهو عند ابن ماجه في إقامة الصلاة، باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٧٨) .

وأما حديث أبي سعيد فرواه مسلم برقم (٤٧٧) ، وأبو داود في الصلاة، باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٤٧) ، والنسائي في التطبيق، باب : ما يقول في قيامه ذلك برقم (١٠٦٨) ، ورواه أحمد، ورواه الدارمي برقم (١٣١٣) .

وأما حديث ابن عباس فرواه مسلم برقم (٤٧٨) ، والنسائي برقم (١٠٦٦ ، ١٠٦٧) ، ورواه أحمد برقم ٢٤٣٦ ، ٢٤٨٥ ، ٢٤٩٤ ، ٢٥٠١ ، ٣٠٧٣ ، ٣٤٨٨ . =

[١] - زيادة من ز . [٢] - سقط من ز .

النفس(٢) ، أي : يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم ، لما يرون من عظيم نعمه عليهم ، وكمال قدرته ، وعظيم سلطانه ، وتوالي مننه ، [ودوام إحسانه إليهم][١] ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللّهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين** ﴾ .

والحمد للّه الذي أرسل[٢] رسله ﴿ **مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل** ﴾ . وختمهم بالنبي الأمي العربي المكي الهادي لأوضح السبل ، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة ، كما قال تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض [لا إله إلا هو][٣] يحي ويميت فآمنوا باللّه ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن باللّه وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ .

فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم ، وأسود وأحمر ، وإنس وجان فهو نذير له ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ . فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنصّ اللّه تعالى ، وكما قال تعالى : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم** ﴾ . وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **بعثت إلى الأحمر والأسود** »(٣) .

= وأما حديث علي بن أبي طالب فرواه مسلم برقم (٧٧١) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء برقم (٧٦٠) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل إذا رفع رأسه من الركوع ، وفي الدعوات برقم (٣٤٢١ ، ٣٤٢٢) ، وهو عند أحمد برقم (٧٣١ ، ٨٠٥) ، ورواه الدارمي برقم (١٣١٤) .

وأما حديث البراء فرواه مسلم في الصلاة برقم (٤٧١) .

وأما حديث أبي جحيفة فرواه ابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع برقم (٨٧٩) .

(٢) - رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - من صحيحه - برقم (٢٨٣٥) من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

(٣) - رواه مسلم من حديث جابر في المساجد - من صحيحه - برقم (٥٢١) ، وكذا رواه أحمد برقم (١٤٣٠٥) . ورواه أحمد من حديث ابن عباس برقم ٢٢٥٦ ، ٢٧٤٢ - (١/٢٥٠ ، ٣٠١) ، ورواه أحمد من حديث أبي موسى برقم ١٩٧٨٩ - (٤/٤١٦) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٦١)=

---

[١] - في ز : إحسانه . [٢] - في خ : أنزل .

[٣] - سقط من : خ

قال مجاهد(٤) : [يعني][١] الإنس والجن . فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين : الإنس والجن ، مبلغًا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي **﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾** ، وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم [فيه][٢] إلى تفهّمه ، فقال تعالى : **﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾** . وقال تعالى : **﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾** . وقال تعالى : **﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾** .

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله ، وتفسير ذلك ، وطلبه من مظانه ، وتعلم ذلك وتعليمه ، كما قال تعالى : **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه[٣] للناس ولا تكتمونه[٤] فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾** . وقال تعالى : **﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾** فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله [إليهم][٥] ، وإقبالهم على الدنيا وجمعها ، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله .

فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به ، وأن نأتمر بما أُمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه ، وتفهمه وتفهيمه ، قال الله تعالى : **﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾** . ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها - تنبيهٌ على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان [والهدىٰ][٦] بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي ، والله المؤمّل المسئول أن يفعل بنا ذلك[٧] إنه جوّاد كريم .

=وقال : رواه أحمد متصلاً ومرسلاً والطبراني ورجاله رجال الصحيح . ورواه أحمد من حديث أبي ذر برقم ٢١٣٧٩ - (١٤٥/٥) وأطرافه (٢١٣٩٤ ، ٢١٥١٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٩/٨) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٤) - أورده أحمد من طريق الأعمش عنه عقب الحديث ٢١٣٧٩ - (١٤٥/٥) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - في ز ، خ : ليبيننه .
[٤] - في ز ، خ : يكتمونه .
[٥] - في ت : المنزل عليهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت : هذا .

فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان ، فإنه قد فُسر في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحةٌ للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد اللّٰه محمد بن إدريس الشافعي رحمه اللّٰه تعالى : كل ما حكم به رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، فهو مما فهمه من القرآن .

قال اللّٰه تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك اللّٰه ولا تكن للخائنين خصيمًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب**[١] **لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ .

ولهذا قال رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم : « **ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه** » .(٥) يعني السنة . والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن . وقد استدل الإمام الشافعي – رحمه اللّٰه تعالى – وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنة ، كما قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « **بم تحكم ؟** » . قال : بكتاب اللّٰه . قال : « **فإن لم تجد ؟** » . قال : بسنة رسول اللّٰه . قال : « **فإن لم تجد**[٢] **؟** » . قال : أجتهد برأيي . قال : فضرب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في صدره وقال : « **الحمد للّٰه الذي وفق [رسول]**[٣] **رسول اللّٰه لما يرضي رسول اللّٰه** »(٦) .

---

(٥) – رواه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة (٤/٢٠٠) حديث (٤٦٠٤) ، من طريق عبدالوهاب بن نجدة ، ثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبي عوف ، عن المقدام بن معدي كرب ، به . ورواه أحمد حديث ١٧٢٢٣ – (٤/١٣٠) من حديث يزيد ابن هارون ، عن حريز ، به ، ورواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٨٩/١) .

(٦) – رواه أبو داود في الأقضية ، باب : اجتهاد الرأي في القضاء برقم (٣٥٩٢) ، والترمذي في الأحكام ، باب : ما جاء في القاضي كيف يقضي برقم (١٣٢٧) ، ورواه أحمد ٢٢١٠٥ ، ٢٢١٩٩ (٥/ ٢٣٠،٢٤٢) ، ورواه الدارمي في المقدمة برقم (١٧٠) ، والدارقطني ، جميعهم من طريق أبي عون محمد بن عبيد اللّٰه الثقفي – ثقة – عن عمرو بن الحارث – مجهول – عن رجال من أصحاب معاذ ، به . وقال الترمذي : هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس إسناده عندي بمتصل . =

---

[١] – في ز ، خ : « القرآن » . [٢] – في ز : تجده .
[٣] – سقط من : خ .

وهذا الحديث في المسانيد[١] والسنن بإسناد جيد كما هو مقرّر في موضعه . وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا[٢] من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، لا سيما [علماؤهم وكبراؤهم][٣] كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين[٤] المهديين ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه .

= وهذا الحديث أورده الجوزقاني في الموضوعات وقال : هذا حديث باطل ، رواه جماعة عن شعبة ، وقد تصفحت عن هذا الحديث في المسانيد الكبار والصغار وسألت من لقيته من أهل العلم بالنقل عنه فلم أجد له طريقا غير هذا . والحارث بن عمرو هذا مجهول ، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفون ، ومثل هذا الإسناد لا يعتمد عليه في أصل من أصول الشريعة . فإن قيل : إن الفقهاء قاطبة أوردوه في كتبهم واعتمدوا عليه . قيل : هذا طريقه والخلف قلد فيه السلف ، فإن أظهروا طريقًا غير هذا مما يثبت عند أهل النقل رجعنا إلى قولهم وهذا مما لا يمكنهم البتة انتهى . وقال الحافظ جمال الدين المزي : الحارث بن عمرو لا يعرف إلا بهذا الحديث . قال البخاري : لا يصح حديثه ولا يعرف . وقال الذهبي في الميزان : تفرد به أبو عون محمد بن عبد الله الثقفي عن الحارث ، وما روى عن الحارث غير أبي عون فهو مجهول .

لكن الحديث له شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وقد أخرجها البيهقي في سننه عقب تخريجه لهذا الحديث تقوية له كذا في مرقاة الصعود .

وقال البخاري في التاريخ الكبير : الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة الثقفي ، عن أصحاب معاذ عن معاذ روى عنه أبو عون ولا يصح ولا يعرف إلا بهذا مرسل .

وقال الحافظ ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين : وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا على اجتهاد رأيه فيما لم يجد فيه نصًا عن الله ورسوله ، فقال شعبة : حدثني أبو عون ، عن الحارث بن عمرو ، عن أناس من أصحاب معاذ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال : « **كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟** » قال : أقضي بما في كتاب الله ، قال : « **فإن لم يكن في كتاب الله ؟** » قال : فبسنة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم . قال : « **فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟** »قال : أجتهد رأيي لا آلو . قال : فضرب رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، صدري ثم قال : « **الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** » . فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث ، وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو ، عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم . وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم ولو سمي ، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى ولا يعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك ، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث ،=

[١] - في ز ، خ : المساند .
[٢] - في ز : شاهدوه .
[٣] - في خ : [علماءهم وكبراءهم]
[٤] - سقط من ز .

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(٧) : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا جابر بن نوح ، حدّثنا الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ؛ قال : قال عبد اللّه - يعني ابن مسعود - : **والذي لا إله غيره ، مانزلت آية من كتاب اللّه إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب اللّه مني تناله المطايا لأتيته .**

وقال الأعمش(٨) أيضًا عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، قال : **كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ .**

وقال أبو عبد الرحمن السلمي(٩) : حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فكانوا[١] إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا[٢] بما فيها من العمل ؛ فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا .

ومنهم الحبر البحر عبد اللّه بن عباس ابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وترجمان القرآن ، ببركة[٣] دعاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم له حيث قال : « **اللّهم ؛ فقهه في الدين ،**

= وقد قال بعض أئمة الحديث : إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدد يديك به .

قال أبو بكر الخطيب : وقد قيل : إن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ، وهذا إسناد متصل ورجاله معروفون بالثقة على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به فوقفنا بذلك على صحته عندهم ، كما وقفنا على صحة قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم « **لا وصيه لوارث** » وقوله في البحر : « **هو الطهور ماؤه والحل ميتته** » وقوله : « **إذا اختلف المتبايعان في الثمن والسلعة قائمة تحالفا وترادا البيع** » وقوله : « **الدية على العاقلة** » وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد ولكن لما نقلها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها ، فكذلك حديث معاذ لما احتجوا به جميعا غنوا عن طلب الإسناد له ، انتهى كلامه .

(٧) - **صحيح** رواه الطبري ٨٣ - (٨٠/١) . وجابر بن نوح : قال ابن معين : ليس بشيء . وقال أبو داود : ما أنكر حديثه . وقال ابن حبان : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوي . إلا أنه توبع ، تابعه حفص ابن غياث بن طلق عند البخاري فقد رواه في فضائل القرآن - من صحيحه - برقم (٥٠٠٢) ولفظه عنده : « **... تبلغه الإبل لركبت إليه** » .

(٨) - **صحيح** رواه الطبري بإسناده إلى الأعمش حديث ٨١ - (٨٠/١) .

(٩) - رواه الطبري - برقم ٨٢ - (٨٠/١) من رواية جرير ، عن عطاء بن السائب ، وعطاء اختلط ، وجرير ممن روى عنه بعد الاختلاط - وأبو عبد الرحمن السلمي اسمه عبد اللّه بن حبيب هو من كبار التابعين .

---

[١] - في خ ، ر : وكانوا .
[٢] - في ز ، خ : « يعلموا » .
[٣] - في ز ، خ : وببركة .

وعلمه التأويل »[١٠] .

وقال ابن جرير[١١] : حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا وكيع، ثنا سفيانُ، عن الأعمش، عن مسلم[١] - قال - قال عبد الله - يعني ابن مسعود - : نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

ثم رواه[١٢] عن يحيىٰ بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيانَ، عن الأعمش، عن مسلم ابن صبيح [ ][٢] أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود؛ أنه قال: نعم الترجمان للقرآن ابن عباس.

ثم رواه[١٣] عن بندار، عن جعفر بن عون، عن الأعمش به كذلك.

فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة.

وقد مات ابن مسعود - رضي الله عنه - في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّرَ بعده عبد الله بن عباس ستًّا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه[٣] من العلوم بعد ابن مسعود رضى الله عنهما. وقال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليٌّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية: سورة النور، ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا[٤] .

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين عبد الله بن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل

(١٠) - صحيح رواه أحمد برقم (٢٣٩٣، ٢٨٧٤). وروى البخاري منه: « **اللَّهم فقهه في الدين** ». في كتاب الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء. وروى مسلم في الفضائل من صحيحه برقم (٢٤٧٧): « **اللَّهم فقهه** ». ورواه الترمذي في المناقب برقم (٣٨٢٤) بلفظ: « **اللَّهم علمه الحكمة** ». ورواه ابن ماجه في المقدمة رقم (١٦٦): « **اللَّهم علمه الحكمة وتأويل القرآن** ».

(١١) - تفسير ابن جرير ١٠٤ - (١/٩٠).

(١٢) - تفسير ابن جرير ١٠٥ - (١/٩٠).

(١٣) - تفسير ابن جرير ١٠٦ - (١/٩٠).

[١] - رسمها في ز، خ: مسلم كذا.
[٢] - في ت، ر: « عن ». وهي زيادة مقحمة في الإسناد.
[٣] - في ز، خ: « كتبه ».
[٤] - في ز، خ: « أسلموا ».

الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النار**» (١٤). رواه البخاري عن عبد الله [بن عمرو][١]؛ ولهذا كان عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - [قد أصاب يوم اليرموك][٢] زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

(أحدها) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد[٣] له بالصدق، فذاك صحيح.

(والثاني) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

(والثالث) ما[٤] هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمرٍ ديني.

ولهذا يختلف[٥] علماء أهل الكتاب في [مثل][٦] هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم[٧]، وعصا موسى من أي الشجر[٨] كانت. وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِبَ به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم.

ولكن نقْل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم * ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب * ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا**﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى حكى[٩] عنهم ثلاثة[١٠] أقوال، ضعّف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته،

(١٤) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١).

[١] - سقط من ز، خ، وأثبتناها من ر.
[٢] - في خ: «يوم اليرموك قد أصاب».
[٣] - في ز: نشهد.
[٤] - في ز: مما.
[٥] - في ز: تختلف.
[٦] - زيادة من ز.
[٧] - في ز: وعدتهم.
[٨] - في ز، خ: شجر.
[٩] - في خ: «أخبر».
[١٠] - في خ: «بثلاثة».

إذ لو كان باطلًا لردّه كما ردّهما[١] ، ثم أرشد على أنّ الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال[٢] في مثل هذا: ﴿قل ربي أعلم بعدّتهم﴾ فإنه ما يعلم ذلك[٣] إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب، فهذا أحسن مايكون في[٤] حكاية الخلاف، أن تستوعب[٥] الأقوال في ذلك المقام، وأن تنبه[٦] على الصحيح منها، وتبطل[٧] الباطل، وتذكر[٨] فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل[٩] به عن الأهم [ ][١٠].

فأمّا من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضًا، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمد الكذب، أو جاهلًا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالًا متعدّدة لفظًا، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب.

فصل

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر[١١] فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: ثنا أبان بن صالح، عن مجاهد؛ قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها(١٥).

وقال ابن جرير(١٦): حدثنا أبو كريب، حدثنا طلق بن غنام، عن عثمان المكي، عن ابن أبي مُليكة؛ قال: رأيت مجاهدًا سأل [ابن عباس][١٢] عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، قال: فيقول له

(١٥) - تفسير ابن جرير رقم ١٠٨ - (١/٩٠).
(١٦) - تفسير ابن جرير رقم ١٠٧ - (١/٩٠).

[١] - في ز، خ: «ردها».
[٢] - في ت، ر: «فقال».
[٣] - في ز: بذلك.
[٤] - في ز: من.
[٥] - في ز: نستوعب.
[٦] - في ز: ننبه.
[٧] - في ز، خ: «وتبطيل».
[٨] - في ز: ونذكر.
[٩] - في ز: فنشتغل.
[١٠] - في ر، ت: فالأهم.
[١١] - في خ: «جبير».
[١٢] - زيادة من ش.

ابن عباس: اكتب. حتى سأله عن التفسير كله؛ ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر[١] أقوالهم في الآية، فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالًا، وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح.

أمّا إذا أجمعوا[٢] على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون [ ][٣] بعضهم حجة على [ ][٤] بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.

فأمّا تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام؛ لما رواه محمد[٥] بن جرير - رحمه الله تعالى - حيث قال(١٧): ثنا محمد بن بشار، ثنا [يحيى][٦] بن سعيد، ثنا سفيان، حدّثني عبد الأعلى - هو ابن عامر الثعلبي - عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم، فليتبوّأ مقعده من النار**».

وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به(١٨).

ورواه أبو داود(١٩) عن مسدّد، عن أبي عوانة، عن عبد الأعلى به مرفوعًا[٧].

(١٧) - **إسناد ضعيف**، تفسير ابن جرير ٧٤ - (١/٧٧). وفي إسناده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي: ضعفه أحمد وأبو زرعة. وقال أحمد بن زهير عن يحيى: ليس بذاك القوي (الميزان ٢/٥٣٠).

(١٨) - **إسناده ضعيف**، رواه الترمذي برقم (٢٩٥١)، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٨٤)، ورواه أحمد برقم ٢٠٦٩، ٢٤٢٩ - (١/٢٣٣، ٢٦٩)، ومداره على عبد الأعلى بن عامر.

(١٩) - كما في تحفة الأشراف (٤/رقم ٥٥٤٣).

[١] - في ز: فنذكر.
[٢] - في ز: اجتمعوا.
[٣] - في ت: قول.
[٤] - في ت: قول.
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - سقط من ز.
[٧] - سقط من ز.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وهكذا رواه ابن جرير أيضًا عن [يحيىٰ بن][١] طلحة اليربوعي، عن شريك، عن عبد الأعلى به مرفوعًا(٢٠).

ولكن رواه(٢١) عن محمد بن حميد[٢]، عن الحكم بن بشير، عن عمرو[٣] بن قيس الملائي، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن ابن عباس [فوقفه. وعن محمد بن حميد، عن جرير، عن ليث، عن بكر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس][٤] من قوله، فالله أعلم.

وقال ابن جرير(٢٢): حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري، ثنا حبّان[٥] بن هلال، ثنا سهيل[٦] أخو حزم، ثنا أبو عمران الجوني، عن جندب؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ**». وقد روىٰ هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث سهيل بن أبي[٧] حزم القطعي(٢٣).

وقال الترمذي: غريب. وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل.

وفي لفظ لهم: «**من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ**»(٢٤). أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه

(٢٠) - تفسير ابن جرير ٧٣ - (٧٧/١).

(٢١) - تفسير ابن جرير ٧٦ - (٧٨/١) ورواه أيضاً موقوفاً ابن أبي شيبة في المصنف (٥١٢/١٠).

(٢٢) - تفسير ابن جرير ٨٠ - (٧٩/١).

(٢٣) - **إسناده ضعيف**، سهيل بن أبي حزم - عبد الله أو مهران - قال ابن معين: صالح. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. وكذا قال البخاري والنسائي. وروى أحمد بن زهير، عن ابن معين: ضعيف. (الميزان ٢٤٤/٢) وفي التقريب: ضعيف. والحديث رواه أبو داود في العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم برقم (٣٦٥٢) والترمذي في التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (٢٩٥٣) والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٨٦).

(٢٤) - هذا لفظ أبي داود المشار له في التعليق السابق.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ.

[٢] - في خ: «حكيم».

[٣] - في ز: عمر.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٥] - في ز: حسان.

[٦] - في ت: «سهل».

[٧] - سقط من: خ.

لم يأت الأمر من بابه ، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر ، لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ ، واللَّه أعلم .

وهكذا سمى اللَّه تعالى القذفة كاذبين فقال : ﴿ **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند اللَّه هم الكاذبون** ﴾ فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنىٰ في نفس الأمر ؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به ، ولو كان أخبر بما يعلم ؛ لأنه[١] تكلف مالا علم له به ، واللَّه أعلم .

ولهذا تحرّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به ، كما روى شعبة ، عن سليمان ، عن عبد اللَّه بن مرّة ، عن أبي معمر[٢] ؛ قال : قال أبو بكر الصدّيق (٢٥) - رضي اللَّه عنه - : **أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، إذا قلت في كتاب اللَّه بما لا[٣] أعلم .**

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٦) : ثنا محمد[٤] بن يزيد ، عن العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي أنّ أبا بكر الصدّيق سئل عن قوله [تعالىٰ : ﴿ **وفاكهة وأبًا** ﴾ فقال : **أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ، إذا[٥] أنا قلت في كتاب اللَّه مالا أعلم** ... منقطع .

وقال أبو عبيد أيضًا (٢٧) : ثنا يزيد ، عن حميد ، عن أنس ؛ أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر][٦] ﴿ **وفاكهة وأبًا** ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إنّ هذا لهو التكلف ياعمر .

وقال [عبد بن حميد (٢٨)][٧] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ؛ قال : كنا عند عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - وفي ظهر قميصه أربع رقاع فقرأ :

---

(٢٥) - رواه الطبري في تفسيره ٧٩ - (٧٨/١) . أبو معمر : هو عبد اللَّه بن سخبرة - تابعي ثقة - أرسل الحديث عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه .

(٢٦) - فضائل القرآن (ص٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥١٣/١٠) عن محمد بن عبيد ، عن العوام بن حوشب ، به .

(٢٧) - فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥١٢/١٠) عن يزيد ، به ، ورواه الحاكم في المستدرك (٥١٤/٢) من طريق يزيد عن حميد ، به ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢٨) - رواه أبو نعيم في مستخرجه من حديث سليمان بن حرب ، به مثله سواء ، ورواه ابن سعد =

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ت : « معمر » .
[٣] - في ز : لم .
[٤] - في خ : « محمود » .
[٥] - في ز : إن .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ر : محمد بن سعد .

﴿**وفاكهة وأبًا**﴾ فقال : **فما**[١] **الأب** ؟ ثم قال : **إن هذا لهو التكلف فما عليك أن لا تدريه ...؟**

وهذا كله محمول على أنهما - رضي اللّٰه عنهما - إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب ، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل ، لقوله[٢] تعالى : ﴿**فأنبتنا فيها حبًّا وعنبًا**﴾ . الآية .

وقال ابن جرير(٢٩) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدّثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ؛ أنّ ابن عباس سئل عن آية -لو سئل عنها بعضكم لقال فيها- فأبىٰ أن يقول فيها . إسناده[٣] صحيح .

وقال أبو عبيد (٣٠) : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ؛ قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ؟ فقال له ابن عباس : فما ﴿**يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ ؟ فقال له[٤] الرجل : إنما سألتك لتحدثني ، فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما اللّٰه تعالى في كتابه ، اللّٰه[٥] أعلم بهما .

فكره أن يقول في كتاب اللّٰه ما لا يعلم .

وقال أيضًا ابن جرير(٣١) : حدّثني يعقوب - يعني : ابن إبراهيم - حدّثنا ابن علية ، عن مهدي بن ميمون ، عن الوليد بن مسلم ؛ قال : جاء طلق بن حبيب إلى جُندب بن عبد اللّٰه ، فسأله عن آية من القرآن .. فقال له [٦] : أحرّج عليك إن كنت مسلمًا ، لما[٧] قمت عني - أو قال : أن تجالسني .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من

= في الطبقات (٣/٣٢٧) ، ورواه البخاري في الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه برقم (٧٢٩٣) عن سليمان بن حرب به مختصرًا ولفظه : « **نهينا عن التكلف** » .

(٢٩) - تفسير ابن جرير ٩٨ - (١/٨٦) .

(٣٠) - فضائل القرآن (ص ٢٢٨) .

(٣١) - تفسير ابن جرير ٩٩ - (١/٨٦) .

[١] - في ز ، خ : ما .

[٢] - في خ : كقوله .

[٣] - في ز : إسناد .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من ت .

[٧] - في ز ، خ : إلا ما ، والمثبت من ر .

القرآن ، قال : إنا لا نقول في القرآن شيئًا (٣٢) .

وقال الليث عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ؛ أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم[١] من القرآن (٣٣) .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة ؛ قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ... فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء - يعني عكرمة(٣٤) .

وقال ابن شوذب : حدثني يزيد بن أبي يزيد ؛ قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن ، سكت كأن لم يسمع (٣٥) .

وقال ابن جرير(٣٦) : حدّثني أحمد بن عبدة الضبي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عبيدالله ابن عمر ؛ قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم : سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

وقال أبو عبيد(٣٧) : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن هشام بن[٢] عروة ؛ قال : ماسمعت أبي يؤول[٣] آية من كتاب الله قَطُّ .

وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائي ، عن محمد بن سيرين : سألت عَبيدة - يعنى[٤] السلماني - عن آية من القرآن ... فقال : [ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن][٥] ، فاتق الله ، وعليك بالسداد (٣٨) .

---

(٣٢) - رواه الطبري في تفسيره ٩٤ - (٨٥/١) من طريق يونس ، عن ابن وهب ، عن مالك ، به .

(٣٣) - رواه الطبري في تفسيره ٩٥ - (٨٦/١) من طريق يونس ، عن ابن وهب ، عن الليث ، به .

(٣٤) - رواه الطبري في تفسيره ١٠١ - (٨٦/١ - ٨٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٥١١/١٠) من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به .

(٣٥) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٠ - (٨٦/١) عن العباس بن الوليد ، عن أبيه ، عن ابن شوذب به .

(٣٦) - تفسير ابن جرير ٩٢ - (٨٥/١) .

(٣٧) - فضائل القرآن (ص ٢٢٩) .

(٣٨) - رواه ابن جرير في تفسيره ٩٧ - (٨٦/١) من طريق يعقوب ، عن ابن علية ، عن أيوب وابن عون به .

---

[١] - في ز : العلوم .
[٢] - في ز : عن .
[٣] - في ز : تأول ، والمثبت من ر .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين مكررة في : خ .

وقال أبو عبيد(٣٩) : حدثنا معاذ ، عن ابن عون ، عن عبدالله[١] بن مسلم بن يسار ، عن أبيه ؛ قال : إذا حدّثت عن الله حديثًا[٢] فقف حتى تنظر ماقبله ومابعده .

حدّثنا(٤٠) هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ؛ قال : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه .

وقال شعبة عن عبد الله بن[٣] أبي السفر ؛ قال : قال الشعبي : والله مامن آية إلا وقد سألت عنها ، ولكنها الرواية عن الله عز وجل(٤١) .

وقال أبو عبيد(٤٢) : حدثنا هشيم ، حدثنا عمر[٤] بن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن مسروق ؛ قال : [**اتقوا**][٥] **التفسير ، فإنما هو الرواية عن الله .**

فهذه الآثار الصحيحة وماشاكلها عن أئمة السلف – محمولةٌ على تحرُّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال[٦] في التفسير ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه .

وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ؛ لقوله تعالى : [**﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾**][٧] ولما جاء في الحديث المروي من طرق : « **من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار** »(٤٣) .

---

(٣٩) – فضائل القرآن (ص ٢٢٩) .

(٤٠) – فضائل القرآن (ص ٢٢٩) ورواه أبو نعيم (٢٢٢/٤) من طريق جرير عن المغيرة ، به .

(٤١) – رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٢ – (٨٧/١) من طريق ابن المثنى ، عن سعيد بن عامر ، عن شعبة ، به .

(٤٢) – فضائل القرآن (ص ٢٢٩) .

(٤٣) – وَرَدَ من حديث أبي هريرة ، ومن حديث أنس ، وأبي سعيد الخدري ، رضي الله عنهم . أما حديث أبي هريرة ، فرواه أحمد في المسند (٢٦٣/٢) ، وأبو داود في كتاب العلم ، باب : كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨) ، والترمذي في العلم برقم (٢٦٤٩) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢٦٦) من طريق علي ابن الحكم – لا بأس به – عن عطاء ، عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : « حديث حسن » .

---

[١] – في ز : « عبيد الله » والمثبت من ر . [٢] – سقط من ز .
[٣] – في ز ، خ : « عن » .
[٤] – في الأصلين : و" ت "، و" ر " : عمرو . والمثبت من الفضائل لأبي عبيد ص ٣٧٧ .
[٥] – في ر : اتقوا الله . [٦] – في ز ، خ : « أقوالا » .
[٧] – في ز، خ : « ليبيننه للناس ولا يكتمونه» .

فأما[١] الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير(٤٤) : حدثنا عباس بن عبد العظيم، حدّثنا محمد بن خالد بن عثمة، حدّثنا جعفر بن محمد[ ][٢] الزبيري، حدّثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ قالت: **ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئًا من القرآن إلا آيًا بعدد[٣] علمهن إياه جبريل عليه السلام.**

ثم رواه (٤٥) عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي[٤]، عن معن بن عيسى، عن جعفر بن خالد، عن هشام به - فإنه حديثٌ منكرٌ غريبٌ، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير ابن العوام القرشي الزبيري، قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث. وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل.

وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث، فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ماتعلمه العرب من لغاتها، ومنه مالا يعذر أحد في جهله[٥]، كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير(٤٦) :

وأما حديث أنس، فرواه ابن ماجة في المقدمة برقم (٢٦٤) من طريق يوسف بن إبراهيم - قال البخاري: هو صاحب عجائب، وقال ابن حبان: روى عن أنس من حديثه ما لا يحل بالرواية. واتفقوا على ضعفه - عن أنس، وقال البوصيري في الزوائد (١١٧/١): «هذا إسناد ضعيف».

وأما حديث أبي سعيد، فرواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٦٥) من طريق محمد بن داب - كذبه أبو زرعة وغيره، ونسب إلى الوضع - عن صفوان بن سليم، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبي سعيد، وقال البوصيري في الزوائد (١١٨/١): «هذا إسناد ضعيف».

(٤٤) - **ضعيف**، والحديث في تفسير ابن جرير ٩٠ - (٨٤/١) ورواه أبو يعلى في مسنده (٢٣/٨) من طريق معن القزاز، عن فلان بن محمد بن خالد، عن هشام بن عروة به، ورواه البزار في مسنده (كشف الأستار رقم ٢١٨٥) عن محمد بن المثنى، عن محمد بن خالد بن عثمة، عن حفص - أظنه ابن عبد الله - عن هشام، عن أبيه به. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٣/٦) وقال: رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه راوٍ لم يتحرر اسمه عند أحدهما. وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤٥) - تفسير ابن جرير ٩١ - (٨٤/١).

(٤٦) - تفسير ابن جرير ٧١ - (٧٥/١).

---

[١] - في ت: «وأما».

[٢] - في ت: بن.

[٣] - في ش: «تعد».

[٤] - في ز: الطرشوشي.

[٥] - في ت: «جهالته».

حدثنا محمد بن بشار ، حدّثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ؛ قال : قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا اللّٰه .

قال ابن جرير: وقد رُوي نحوه في حديث في إسناده نظر : **حدّثني** يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، أنبأنا ابن وهب ؛ قال : سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي ، عن أبي صالح مولى[١] أمّ هانئ ، عن ابن عباس ؛ أن رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **أنزل القرآن على سبعة[٢] أحرف حلال وحرام ، لا يُعذر أحد بالجهالة به ، [وتفسير تفسّره العرب][٣] ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا اللّٰه عز وجل ، ومن ادعى علمه سوى اللّٰه فهو كاذب** »(٤٧) .

والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي ؛ فإنه متروك الحديث ، لكن قد يكون إنما وهم في رفعه ، ولعله من كلام ابن عباس كما تقدّم ، واللّٰه أعلم بالصواب[٤].

---

(٤٧) - تفسير ابن جرير ٧٢ - (٧٦/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « عن » .
[٢] - في ت : « أربعة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .

كتاب فضائل القرآن

قال البخاري ، رحمه الله :

كيف نزول الوحي وأول ما نزل :

قال ابن عباس : المهيمن : الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله .

حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة قال : أخبرتني عائشة وابن عباس ؛ قالا : لبث النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرًا(١) .

ذكر البخاري - رحمه الله - كتاب « فضائل القرآن » بعد كتاب التفسير ؛ لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به ، ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها ليكون ذلك باعثًا على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه ، والله المستعان .

وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (٢) .

قال الإمام أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله : حدثنا المثنى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية ، عن علي - يعني : ابن أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قال : المهيمن : الأمين . قال : القرآن أمين على كل كتاب قبله(٣) .

وفي رواية : شهيدًا عليه(٤) .

وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قال : مؤتمنًا[١] (٥) .

---

(١) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل برقم (٤٩٧٨،٤٩٧٩) . ورواه أيضًا في المغازي ، باب : وفاة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، برقم (٤٤٦٤، ٤٤٦٥) .

(٢) - [المائدة : ٤٨] .

(٣) - تفسير ابن جرير ١٢١١٤ - (١٠/٣٧٩) .

(٤) - تفسير ابن جرير ١٢١٠٤ - (١٠/٣٧٧) .

(٥) - رواه ابن جرير في تفسيره برقم ١٢١٠٧ : ١٢١١٣ - (١٠/٣٧٨) ، والتميمي - وفي بعض الروايات : رجل من تميم - هو أربدة التميمي : راوي التفسير عن ابن عباس ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي وحده ، فيما ذكر غير واحد ، وقد روى السندي بن عبدويه ، عن عمرو بن أبي قيس ، =

---

[١] - في تفسير ابن جرير : مؤتمنًا عليه .

وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف .

وأصل الهيمنة : الحفظ والارتقاب ، يقال إذا رَقَب الرجل الشيء وحفظه وشهده : قد هيمن فلان عليه ، فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن ، وفي أسماء الله تعالى : ﴿ المهيمن ﴾(٦) ، وهو الشهيد على كل شيء ، والرقيب : الحفيظ بكل شيء .

وأما الحديث الذي أسنده البخاري : أنه عليه السلام ، أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرًا ، فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم ، وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن ، عن يحيى وهو ابن أبي كثير ، عن أبي سلمة عنهما(٧) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يزيد ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، ثم قرأ : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾(٨) هذا إسناد صحيح(٩) .

أما إقامته بالمدينة عشرًا فهذا مما لا خلاف فيه ، وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة ؛ لأنه ، عليه الصلاة والسلام ، أوحي إليه وهو ابن أربعين سنة ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح ، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشرة اختصارًا في الكلام ؛ لأن العرب

= عن مطرف بن طريف ، عن المنهال بن عمرو ، عن التميمي ، عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عهد إلى علي سبعين عهدًا ، لم يعهدها إلى غيره ، رواه الطبراني في معجمه عن محمد بن سهل بن الصباح ، عن أحمد بن الفرات ، عن السندي ، وقال : تفرد به السندي ، قلت : قرأت بخط الذهبي : هذا حديث منكر ، وقال ابن معين ، عن أبي أحمد الزبيري : سألت إسرائيل عن اسم التميمي ؛ فقال : أربدة ، وقال العجلي : تابعي كوفي ثقة ، وقال ابن حبان في الثقات : أصله من البصرة ، كان يجالس البراء بن عازب ، وقال ابن البرقي : مجهول ، وذكره البرديجي في أفراد الأسماء ، وذكره أبو العرب الصقلي القيرواني في الضعفاء . اهـ من التهذيب .

(٦) - [الحشر/٢٣] .

(٧) - رواه البخاري برقم (٤٩٧٨ ، ٤٩٢٩) عن عبيد الله بن موسى ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٧٧) . وأحمد (٢٦٩٦) حدثنا حسن بن موسى ، ثنا شيبان ، فذكره .

(٨) - [الإسراء : ١٠٦] .

(٩) - فضائل القرآن (ص ٣٦٧ - ٣٦٨) ، ورواه النسائي ( ) ، وابن أبي شيبة (٥٣٣/١٠) ، والطبري (١١٩/١٥) (١٦٦/٣٠) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٢٢٢/٢) من طرق ، عن داود بن أبي هند ، به ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٠٥/٤) لابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي .

كثيرًا ما يحذفون الكسور في كلامهم ، أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل ، عليه السلام ، به عليه السلام . فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به ، عليه السلام ، ميكائيل في ابتداء الأمر ، يلقي إليه الكلمة والشيء ، ثم قرن به جبريل .

ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن : أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف ، وهو البلد الحرام ، كما أنه كان في زمن شريف وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان ؛ ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان ؛ لأنه ابتدئ نزوله فيه ؛ ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل سنة في شهر رمضان ، فلما كان في السنة التي توفي فيها عارضه به مرتين تأكيدًا وتثبيتًا .

وأيضًا في هذا الحديث بيان أنه من القرآن مَكِّي ومنه مدني ، فالمكي : ما نزل قبل الهجرة ، والمدني : مانزل بعد الهجرة ، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان ، حتى ولو كان بمكة أو عرفة . وقد أجمعوا على سور أنها من المكي وأخر أنها من المدني ، واختلفوا في أخر ، وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر ، ولكن قال بعضهم : كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية إلا البقرة وآل عمران ، كما أن كل سورة فيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا ﴾ فهي مدنية وما فيها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكي . وقد يكون مدنيًا كما في البقرة :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾(١٠) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(١١) .

قال أبو عبيد(١٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم بن علقمة : كل شيء في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فإنه أنزل بمكة .

ثم قال(١٣) : حدثنا علي بن معبد ، عن أبي المَلِيْح ، عن ميمون بن مِهْران ، قال : ما كان في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ و ﴿ يَا بَنِي آدَم ﴾ فإنه مكي ، وما كان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فإنه مدني .

---

(١٠) - [البقرة : ٢٠] . (١١) - [البقرة : ١٦٨] .

(١٢) - فضائل القرآن (ص ٣٦٧) ، ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن أيضًا (٢٦) ، وقد رواه البزار (٣/ ٢١٨٦) من حديث قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ؛ وقال : لا نعلمُ أحدًا أسنده إلا قيس ، وغيره يرسله .

ورواه الحاكم (١٨/٣) من طريق الجراح بن مليح الرؤاسي ، عن الأعمش ، بمثل رواية قيس .

(١٣) - فضائل القرآن (ص ٣٦٧) .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين ، مرة بالمدينة ومرة بمكة ، والله أعلم . ومنهم من يستثني من المكيّ آيات يدعي أنها من المدني ، كما في سورة الحج وغيرها .

والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح ، فالله أعلم .

وقال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ، و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ ، والفجر ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ و ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ و ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ و ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ وسائر ذلك بمكة(١٤) .

وهذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير ، وقد ذكر في المدني سورًا في كونها مدنية نظر ، وفاته الحجرات والمعوذات .

الحديث الثاني :

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا معتمر قال : سمعت أبي ، عن أبي عثمان قال : أنبئت أن جبريل ، عليه السلام ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة ، فجعل يتحدث ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **من هذا ؟** » أو كما قال ، قالت : هذا دحية الكلبي ، فلما قام قالت : والله ما حسبته إلا إياه ، حتى سمعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يُخبر خبَر جبريل . أو كما قال ، قال أبي : فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ فقال : من

---

(١٤) – فضائل القرآن (ص ٣٦٥) ، ورواه ابن الضريس في فضائله ص (٣٣ ، ٣٤) ، وعلي بن أبي طلحة : واسمه سالم بن المخارق الهاشمي ، يكنى أبا الحسن ، وقيل غير ذلك ، أصله من الجزيرة ، وانتقل إلى حمص ، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه ، بينهما مجاهد ، قال الميموني عن أحمد : له أشياء منكرات ، وهو من أهل حمص ، وقال الآجري عن أبي داود : وهو إن شاء الله مستقيم الحديث ، ولكن له رأي سوء ، كان يرى السيف ، وقد رآه حجاج بن محمد ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال دحيم : لم يسمع التفسير من ابن عباس ، وقال صالح بن محمد : روى عنه الكوفيون والشاميون وغيرهم ، وقال يعقوب بن سفيان : ضعيف الحديث منكر ، ليس محمود المذهب ، وقال في موضع آخر : شامي ليس هو بمتروك ولا هو حجة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : روى عن ابن عباس ولم يره ، وذكر الخطيب أن أحمد بن حنبل قال : إن علي بن أبي طلحة الذي روى عنه الثوري والحسن بن صالح ورآه حجاج الأعور ، كوفي ، غير الشامي ، والصواب أنهما واحد ، قال أبو بكر بن عيسى صاحب تاريخ حمص : مات سنة ثلاث وأربعين ومائة ، له عند مسلم حديث واحد ، في ذكر العزل ، وروى له الباقون حديثًا آخر في الفرائض . ونقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه ، عن ابن عباس شيئًا كثيرًا في التراجم وغيرها ، ولكنه لا يسميه ، يقول : قال ابن عباس ، أو يذكر عن ابن عباس ، ووثقه العجلي .

أسامة بن زيد .

وهكذا رواه أيضًا في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسي ، ومسلم في فضائل أم سلمة ، عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به[١٥] .

والغرض من إيراد هذا الحديث هاهنا أن السفير بين الله وبين محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وهو ملك كريم ذو وجاهة وجلالة ومكانة كما قال : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** ﴾[١٦] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾[١٧] الآيات. فمدح الربّ تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمدًا صلى الله عليه وسلم وسنستقصي الكلام على تفسير هذا الكتاب في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة ، رضي الله عنها - كما بينه مسلم رحمه الله - لرؤيتها لهذا الملك العظيم ، وفضيلة أيضًا لدحية بن خليفة الكلبي ، وذلك أن جبريل ، عليه السلام ، كان كثيرًا ما يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية وكان جميل الصورة ، رضي الله عنه ، وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة وهم قبيلة من قضاعة ، وقضاعة قيل : إنهم من عدنان ، وقيل : من قحطان ، وقيل : بطن مستقل بنفسه ، والله أعلم .

الحديث الثالث : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنا سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** »[١٨] .

ورواه أيضًا في كتاب « الاعتصام » عن عبد العزيز بن عبد الله ، ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعًا ، عن الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه - واسمه كيسان المقبري - به .

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء ، وعلى

---

(١٥) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي برقم (٤٩٨٠) ، وفي المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام (٣٦٣٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة برقم ١٠٠ - (٢٤٥١) .

(١٦) - [الشعراء : ١٩٣، ١٩٤] . (١٧) - [التكوير : ١٩-٢٢] .

(١٨) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨١) ، وفي الاعتصام ، باب : قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **بعثت بجوامع الكلم** » (٧٢٧٤) . ورواه مسلم في الإيمان برقم ٢٣٩ - (١٥٢) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (١١١٢٩) .

كل كتاب أنزله ، وذلك أن معنى الحديث : ما من نبي إلا أعطي من المعجزات ما آمن عليه البشر ، أي : ما كان دليلًا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه ، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد صلى اللّٰه عليه وسلم فإنما كان معظم ما آتاه اللّٰه وحيًا منه إليه منقولًا إلى الناس بالتواتر ، ففي كل حين هو كما أنزل ، فلهذا قال : « **فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا** » ، وكذلك وقع ، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة ، واستمرار معجزته ، ولهذا قال اللّٰه تبارك وتعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾[١٩] وقال تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[٢٠] ، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[٢١] ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، فقال : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[٢٢] ، وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية كما ذكرنا وفي المدنية أيضًا كما في سورة البقرة ، حيث يقول تعالى : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[٢٣] فأخبرهم بأنهم عاجزون عن معارضته بمثله ، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضًا ، وهذا وهُم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه ، لكن جاءهم من اللّٰه ما لا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز ، المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة والمحكمة ، كما قال تعالى : ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** ﴾[٢٤] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق قال : ذكر محمد بن كعب القرظي ، عن الحارث بن عبد اللّٰه الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين ، فلأسألنه عما سمعت العشية قال : فجئته بعد العشاء ، فدخلت عليه ، فذكر الحديث .

قال : ثم قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **أتاني جبريل فقال : يامحمد ، أمتك مختلفة بعدك** » . قال : « **فقلت له : فأين المخرج يا جبريل ؟** » قال : فقال : « **كتاب اللّٰه به يقصم اللّٰه كلَّ جبار ، من اعتصم به نجا ، ومن تركه هلك** – مرتين – **قول**

---

(١٩) – [الفرقان : ١] .
(٢٠) – [الإسراء : ٨٨] .
(٢١) – [هود : ١٣] .
(٢٢) – [يونس : ٣٨] .
(٢٣) – [البقرة : ٢٣،٢٤] .
(٢٤) – [الأنعام : ١١٥] .

فَصْل وليس بالهزل ، لا تخلقه الأَلسن ، ولا تفنى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد(٢٥) .

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا حسين بن علي الجعفي ، حدثنا حمزة الزيات ، عن أبي المختار الطائي ، عن ابن أخي الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور ، قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت علَى عليٍّ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : أما إني سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **إنها ستكون فتنة** » فقلت : ما المَخْرج منها يا رسول اللّه ؟ قال : « **كتاب اللّه ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكْمُ ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهَزْلِ ، من تركه من جبار قَصَمه اللّه ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللّه ، هو حبل اللّه المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تَلْتَبِس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَق عن كثرةِ الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذْ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾(٢٦) ، من قال به صَدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عَدَل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم** » . خذها إليك يا أعور . ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات ، وإسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال(٢٧) .

قلت : لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات ، بل قد رواه محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن الحارث الأعور ، فبرئ حمزة من عهدته ، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة والحديث ، مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه ، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده ، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا ، واللّه أعلم ، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي ، رضي اللّه عنه ، وقد وهِمَ بعضهم في رفعه ، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد اللّه بن مسعود عن النبي صلى اللّه عليه وسلم .

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «فضائل القرآن»(٢٨) : حدثنا أبو اليقظان

---

(٢٥) - المسند برقم ٧٠٤ - (٩١/١) وهذا إسناد ضعيف جدًّا من أجل الحارث الأعور ، والظاهر أنه منقطع لقول محمد بن إسحاق - مدلس - : « وذكر محمد بن كعب القرظي » .

(٢٦) - [الجن : ١،٢] .

(٢٧) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، الحارث تقدم قريبًا ، وأبو مختار الطائي ، وابن أبي الحارث : مجهولان ، والحديث في سنن الترمذي ، أبواب ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، برقم (٢٩٠٦) ، ورواه الدارمي (٣١٢/٢ - ٣١٣) ، وابن أبي شيبة (٤٨٢/١٠) ، وابن نصر في قيام الليل ص (٧٥) .

(٢٨) - فضائل القرآن (ص ٥٠) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٥٥/١) من طريق الهجري ، به . =

عمار بن محمد الثوري أو غيره ، عن أبي إسحاق الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، عز وجل ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عِصْمَة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد ، فاتلوه ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول لكم الَم حرف ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر** » .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وقد رواه محمد بن فضيل ، عن أبي إسحاق الهجري ، واسمه إبراهيم بن مسلم ، وهو أحد التابعين ، ولكن تكلموا فيه كثيرًا .

وقال أبو حاتم الرازي : لين ليس بالقوى . وقال أبو الفتح الأزدي : رفَّاع كثير الوهم . قلت : فيحتمل - والله أعلم - أن يكون وهم في رفع هذا الحديث ، وإنما هو من كلام ابن مسعود ، ولكن له شاهد من وجه آخر ، والله أعلم .

وقال أبو عبيد أيضًا : حدثنا حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله(٢٩) .

الحديث الرابع : قال البخاري : حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد .

وهكذا رواه مسلم ، عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وحسن الحلواني وعبد بن حميد ، والنسائي ، عن إسحاق بن منصور الكوسج ، أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد

= والحديث أخرجه ابن أبي شيبة (٤٨٢/١٠ - ٤٨٣) ، وابن الضريس في الفضائل مختصرًا (٥٨) ، وابن حبان في المجروحين (١٠٠/١) ، وابن نصر في قيام الليل (٧٠) ، والبيهقي في الشعب (١٧٨٦) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٧٨/٢) ، والخطيب في الجامع (١٠٧/١) ، وابن الجوزي في الواهيات (١/ ١٠١) ، وقال ابن الجوزي : لا يصح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وردَّه الذهبي بضعف الهجري . وقد ورد موقوفًا على ابن مسعود ؛ رواه الدارمي (٣٠٨/٢ - ٣١٠) ، وعبد الرزاق (٦٠١٧/٣) ، والطبراني (٨٦٤٦/٩) .

(٢٩) - فضائل القرآن (ص ٥١ - ٥٢) ، ورواه الطبراني في الكبير (٨٦٥٧/٩) من طريق شعبة ، عن أبي إسحاق بسنده سواء ولفظه : « **من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم** » . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٧) وقال : رواه الطبراني (٨٦٥٧) ورجاله ثقات .

الزهري ، به[٣٠] .

ومعناه : أن اللّٰه تعالى تابع نزول الوحي على رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم شيئًا بعد شيء كل وقت بما يحتاج إليه ، ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾ [العلق : ١] فإنه استلبث الوحي بعدها حينًا يقال : قريبًا من سنتين أو أكثر ، ثم حمي الوحي وتتابع ، وكان أول شيء نزل بعد تلك الفترة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾[٣١] .

الحديث الخامس : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال : سمعت جندبًا يقول : اشتكى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل اللّٰه تعالى : ﴿ **والضحى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾[٣٢] .

وقد رواه البخاري في غير موضع أيضًا ، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق أخر[٣٣] ، عن سفيان - وهو الثوري - وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدي ، عن جندب بن عبد اللّٰه البجلي ، به . وسيأتي الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى إن شاء اللّٰه تعالى .

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن : أن اللّٰه تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة ، حيث جعل الوحي متتابعًا عليه ولم يقطعه عنه ؛ ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقًا ليكون ذلك أبلغ في العناية والإكرام .

قال البخاري ، رحمه اللّٰه : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، ﴿ **قرآنا عربيًا** ﴾ ﴿ **بلسانٍ عربيٍّ مُّبين** ﴾ ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري : أخبرني أنس بن مالك قال : فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد اللّٰه بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية

---

(٣٠) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب التفسير برقم ٢ - (3016) . والنسائي في فضائل القرآن (٨).

(٣١) - [المدثر : ١،٢] .

(٣٢) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨٣) . والآيات [الضحى : ١-٣] .

(٣٣) - صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب : ترك القيام للمريض برقم (١١٢٥) ، وانظر (٤٩٥٠،٤٩٥١) ، ومسلم في الجهاد والسير برقم ١١٤ - (١٧٩٧) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : سورة الضحى برقم (٣٣٤٥) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٨١) .

القرآن ، فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا[٣٤] .

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتي قريبًا والكلام عليه ، ومقصود البخاري منه ظاهر ، وهو أن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش خلاصة العرب ؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود :

حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ، حدثنا يزيد ، حدثنا شيبان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يمليَنَّ في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد صحيح[٣٥] .

وقال أيضًا [٣٦] : حدثنا إسماعيل بن أسد ، حدثنا هوذة ، حدثنا عوف ، عن عبد الله بن فضالة ، قال : لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرًا من أصحابه وقال : إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مُضر ، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾[٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾[٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ **وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾[٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ** ﴾[٤٠] الآية ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك .

ثم ذكر البخاري ، رحمه الله ، حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول: ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي . فذكر الحديث الذي سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ[٤١] بطيب وعليه جبة ، قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم فجأه الوحي ، فأشار عمر إلى يعلى أي : تعال ، فجاء يعلى ، فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ، ثم سري عنه ، فقال : « **أين الذي سألني عن العمرة آنفًا ؟** » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب .

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة[٤٢] ، والكلام عليه في كتاب الحج ، ولا تظهر

---

(٣٤) – صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن برقم (٤٩٨٤) .

(٣٥) – المصاحف (ص ١١) . وعبد الملك بن عمير : قال الحافظ : ثقة ، فصيح ، عالم تغير حفظه ، وربما دلس ، وقال في التعريف : مشهور بالتدليس ، وصفه به الدارقطني ، وابن حبان وغيرهما . وقال ابن حبان .... وكان مدلسًا . وذكره الذهبي في المدلسين ، والعلائي والمقدسي والحلبي ، وجعله الحافظ في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين .

(٣٦) – المصاحف (ص ١١) .

(٣٧) – [الزمر : ٢٨] .

(٣٨) – [الشعراء : ١٩٢-١٩٥] .

(٣٩) – [النحل : ١٠٣] .

(٤٠) – [فصلت : ٤٤] .

(٤١) – تمضَّخ بالطيب : تلطخ به .

(٤٢) – البخاري في كتاب الحج ، باب : غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ، وكتاب العمرة =

مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ، ولا يكاد ، ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين ، والله أعلم .

= باب : يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج (١٧٨٩) ، وكتاب فضائل القرآن ، باب : نزل القرآن بلسان قريش والعرب برقم (٤٩٨٥) ، وفي جزاء الصيد ، باب : إذا أحرم جاهلًا وعليه قميص برقم (١٨٤٧) ، ومسلم في كتاب الحج برقم (١١٨٠) ، وأبو داود في كتاب الحج ، باب : الرجل يحرم في ثيابه برقم (١٨١٩، ١٨٢٠) ، والترمذي في الحج ، باب : ما جاء في الذي يحرم وعليه قميص أو جبة برقم (٨٣٦) ، وسنن النسائي (١٣٠/٥)

جمع القرآن

قال المؤلف ، رحمه الله : فائدة جليلة حسنة ، ثبت في الصحيحين عن أنس قال : جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة ، كلهم من الأنصار ؛ أبيُّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . فقيل له : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي . وفي لفظ للبخاري عن أنس قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة ؛ أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ونحن ورثناه .

قلت : أبو زيد هذا ليس بمشهور ؛ لأنه مات قديمًا ، وقد ذكروه في أهل بدر ، وسمَّاه بعضهم : سعيد بن عبيد . ومعنى قول أنس : « ولم يجمع القرآن » . يعني من الأنصار سوى هؤلاء ، وإلا فمن المهاجرين جماعة كانوا يجمعون القرآن كالصديق ، وابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم .

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري ، رحمه الله : قد علم بالاضطرار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم أبا بكر في مرض الموت ليصلي بالناس ، وقد ثبت في الخبر المتواتر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ليؤم القوم أقرؤهم** »(٤٣) ، فلو لم يكن الصديق أقرأ القوم لما قدمه عليهم . نقله أبو بكر بن زنجويه في كتاب « فضائل الصديق » عن الأشعري .

وحكى القرطبي في أوائل تفسيره عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنه قال – بعد ذكره حديث أنس بن مالك هذا – : فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان ، وعلي ، وتميم الداري ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقول أنس : « لم يجمعه غير أربعة » يحتمل أنه لم يأخذه تلقيًا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الأربعة ، وأن بعضهم تلقى بعضه عن بعض . قال : وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأجل سبقهم إلى الإسلام ، وإعظام الرسول لهم(٤٤) .

قال القرطبي : لم يذكر القاضي ابن مسعود وسالمًا مولى أبي حذيفة ، وهما ممن جمع القرآن(٤٥) .

---

(٤٣) – رواه مسلم في صحيحه في المساجد ، باب : من أحق بالإمامة برقم (٦٧٣) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : من أحق بالإمامة (٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء من أحق بالإمامة (٢٣٥) ، والنسائي (٢/٧٦ – ٧٧) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، باب : ما جاء من أحق بالإمامة (٩٨٠) من حديث أبي مسعود البدري – عقبة بن عمرو ، رضي الله عنه .

(٤٤) – تفسير القرطبي (١/٥٧) .

(٤٥) – تفسير القرطبي (١/٥٧) .

[نقلتُ هذه من على ظهر الجزء الأول من أجزاء المؤلف]

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب ، عن عبيد بن السباق ، أن زيد بن ثابت قال : أرسل إليَّ أبو بكر - مقتل أهل اليمامة - فإذا عمر ابن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني ، فقال : إن القتل قد استَحَرَّ(٤٦) بقُرَّاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان عليّ أثقل مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب(٤٧) واللِّخاف(٤٨) وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره(٤٩) : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر، رضي الله عنهم(٥٠) .

وقد روى البخاري هذا الحديث في غير موضع من كتابه ، ورواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري ، به(٥١) .

وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق ، رضي الله عنه ، فإنه أقامه الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم مقامًا لا ينبغي لأحد بعده ، قاتل الأعداء من مانعي الزكاة ، والمرتدين ، والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا ، ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله ، وكان هذا

(٤٦) - استحر القتل : أي اشتد ، وكثر ، وهو استفعل من الحَرّ : الشدة .

(٤٧) - العُسب : جريد النخل ، مما لم ينبت عليه الخوص ، والمفرد : عسيب .

(٤٨) - اللخاف : حجارة بيض رقاق ، والمفرد : لخفة .

(٤٩) - قال الحافظ في الفتح (١٥/٩) : يعني مكتوبة .

(٥٠) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن برقم (٤٩٨٦) .

(٥١) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، وفضائل القرآن برقم (٤٦٧٩،٤٩٨٩) ، وأحمد في المسند ٥٧-(١٠/١) ، والترمذي في تفسير القرآن برقم (٣١٠٣) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٥) .

من سر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾ [الحجر : ٩] فجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضي اللّٰه عنه وأرضاه . ولهذا رُوي عن غير واحد من الأئمة منهم وَكِيع وابن مهدي وقبيصة ، عن سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، عن عبد خير ، عن علي بن أبي طالب ، رضي اللّٰه عنه ، أنه قال : أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين(٥٢) . هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا عبدة ، عن هشام ، عن أبيه ، أن أبا بكر هو الذي جمع القرآن بعد النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، يقول : ختمه(٥٣) . صحيح أيضًا .

وكان عمر بن الخطاب ، رضي اللّٰه عنه ، هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أي اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة - يعني يوم اليمامة - يعني : يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه من بني حنيفة بأرض اليمامة في حديقة الموت ، وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف ، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفًا ، فالتقوا معهم ، فانكشف الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب ، فنادى القراء من كبار الصحابة : يا خالد ، يقولون : ميزنا من هؤلاء الأعراب فتميزوا منهم ، وانفردوا ، فكانوا قريبًا من ثلاثة آلاف ، ثم صدقوا الحملة ، وقاتلوا قتالًا شديدًا ، وجعلوا يتنادون ، يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح اللّٰه عليهم وولَّى جيش الكفار فارًّا ، وأتبعتهم السيوف المسلمة في أقفيتهم قتلًا وأسرًا ، وقتل اللّٰه مسيلمة ، وفرق شمل أصحابه ، ثم رجعوا إلى الإسلام ، ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة ، رضي اللّٰه عنهم ، فلهذا أشار عمر على الصدِّيق بأن يجمع القرآن ؛ لئلا يذهب منه شيء بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال ، فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظًا فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته ، فراجعه الصديق قليلًا ليستثبت الأمر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك ثم صار إلى ما رأياه ، رضي اللّٰه عنهم أجمعين ، وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصاري ؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود :

حدثنا عبد اللّٰه بن محمد بن خَلّاد ، حدثنا يزيد ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ؛ أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب اللّٰه فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال : إنا للّٰه ، فأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف(٥٤) .

---

(٥٢) - رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ٥) ، وابن أبي شيبة (١٠/٥٤٤) .

(٥٣) - منقطع ، عروة بن الزبير لم يدرك أبا بكر والحديث في المصاحف (ص ٥) .

(٥٤) - المصاحف (ص ١٠) . والمبارك بن فضالة ضعيف ومدلس .

هذا منقطع ، فإن الحسن لم يدرك عمر ، ومعناه : أنه أشار بجمعه فجمع ؛ ولهذا كان مهيمنًا على حفظه وجمعه كما رواه ابن أبي داود حيث قال :

حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمر بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان[٥٥] .

وذلك عن أمر الصديق له في ذلك ؛ كما قال أبو بكر بن أبي داود :

حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق[٥٦] أبو بكر ، رضي الله عنه ، أن يضيع ، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[٥٧] . منقطع حسن .

ولهذا قال زيد بن ثابت : وجدت آخر سورة التوبة ، يعني قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر الآيتين [٥٨] مع أبي خزيمة الأنصاري ، وفي رواية : مع خزيمة بن ثابت - الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين - لم أجدها مع غيره ، فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين في قصة الفرس التي ابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعرابي ، فأنكر الأعرابي البيع ، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابي .

والحديث رواه أهل السنن[٥٩] وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن أبيّ بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت[٦٠] .

---

(٥٥) - المصاحف (ص ٦) .

(٥٦) - أي : خاف وخشي .

(٥٧) - المصاحف (ص ٦) .

(٥٨) - [التوبة : ١٢٨،١٢٩] .

(٥٩) - رواه أبو داود في الأقضية برقم (٣٦٠٧) ، والنسائي في البيوع (٣٠٢/٧) ، ورواه أحمد (٢١٥/٥ - ٢١٦) ، وابن سعد في الطبقات (٣٧٨/٤ - ٣٧٩) ، وابن أبي عمر كما في المطالب٤٤٥٢ - (٩/ ٣١١) . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠٨٥) ، والطحاوي في الشرح (١٢٦/٤) ، والحاكم (٢/ ١٧) ، والبيهقي (٦٦/٧ ، ١٤٥/١٠ - ١٤٦) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ورجاله باتفاق الشيخين ثقات .

(٦٠) - رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٢١٣٠٦ - (١٣٤/٥) ، من طريق عمر بن شقيق ، عن =

وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب ؛ أن عثمان شهد بذلك أيضًا(٦١) .

وأما قول زيد بن ثابت : « فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال » وفي رواية : « من العُسب والرِّقَاع والأضلاع » ، وفي رواية : « من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال » .

أما العُسُب فجمع عسيب . قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : وهو من السعف فويق الكَرَب لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف .

واللِّخاف : جمع لَخَفَة وهى القطعة من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك ، مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم .

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه ، فكان يحفظه ، فتلقاه زيد بن ثابت من هذا من عسيبه ، ومن هذا من لخافه ، ومن صدر هذا ، أي من حفظه وكانوا أحرص شيء على أداء الأمانات وهذا من أعظم الأمانة ؛ لأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده كما قال اللَّه تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ** ﴾ [المائدة : ٦٧] ، ففعل ، صلوات اللَّه وسلامه عليه ، ما أمر به ؛ ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رءوس الأشهاد والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين ، فقال : « **إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟** » . فقالوا : نشهد أنك قد بَلَّغت وأدَّيت ونصحت ، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء ، وينكبها عليهم ويقول : « **اللَّهم اشهد ، اللَّهم اشهد ، اللَّهم اشهد** » . رواه مسلم عن جابر(٦٢) .

= أبي جعفر به ، وعمر بن شقيق : قال ابن حزم : لا يدرى من هو . وذكره ابن حبان في ثقاته (٨/٤٤٠) ، وقال الذهبي : فيه لين . ذكر له ابن عدي ثلاثة أحاديث وقال : هو قليل الحديث . قلت - الذهبي - : ما رأيت أحدًا ضعفه . ثم ذكر له هذا الحديث وقال : ما تفرد به عمر بن شقيق الجرمي ، فقد رواه عبد اللَّه بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه أيضًا . ا هـ من الميزان (٣/٢٠٥) . وقال الحافظ في التقريب : مقبول - أي عند المتابعة - . وأبو جعفر الرازي : هو عيسى بن عبد اللَّه بن ماهان . قال أحمد : ليس بقوي في الحديث ، وعنه : صالح . وعنه : يكتب حديثه . وقال الفلاس : فيه ضعف وهو من أهل الصدق . وقال النسائي : ليس بالقوي . ووثقه أبو حاتم ، وابن معين في رواية ، وابن المديني وابن سعد . وقال أبو زرعة : شيخ يهم كثيرًا . وقال ابن حجر : صدوق سيء الحفظ . وأخرجه ابن الضريس في الفضائل (٢٧) ، والبيهقي في الدلائل (٧/١٣٨ - ١٣٩) .

(٦١) - رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ١٠ - ١١) .

(٦٢) - رواه مسلم في كتاب الحج - وهو جزء من حديث جابر الطويل في حجة الوداع - برقم ١٤٧ - (١٢١٨) .

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال : « **بلِّغوا عني ولو آية** »[٦٣] يعني : ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه ، فبلَّغوا عنه ما أمرهم به ، فأدوا القرآن قرآنًا ، والسنة سنة ، لم يلبسوا هذا بهذا ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « **من كتب عني سوى القرآن فليمحه** »[٦٤] أي : لئلا يختلط بالقرآن ، وليس معناه : ألا يحفظوا السنة ويرووها ، والله أعلم .

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ، ولله الحمد والمنة ، فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، من أكبر المصالح الدينية وأعظمها ، من حفظهما كتاب الله في الصحف ؛ لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة ، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته وكانت عند أم المؤمنين رضي الله عنها ، حتى أخذها منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال البخاري[٦٥] ، رحمه الله : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، أنَّ أنس بن مالك ، حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة . فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما أنزل بلسانهم . ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف

---

(٦٣) - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١) ، ورواه الترمذي في أبواب العلم ، باب : ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٢٦٦٩) ، من حديث عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما .

(٦٤) - رواه مسلم في صحيحه في الزهد والرقائق برقم ٧٢ - (٣٠٠٤) ، والنسائي في الكبرى - كتاب فضائل القرآن ، باب : كتابة القرآن رقم (٨٠٠٨) - (٥/١٠-١١) . وأحمد (١١٠٩٩، ١١١٠١، ١١١٧٢، ١١٣٦٠، ١١٤٤٠، ١١٥٥٢) - (٣/١٢، ٢١، ٣٩، ٤٦، ٥٦) من طرق عن أبي سعيد به .

(٦٥) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن برقم (٤٩٨٧، ٤٩٨٨) .

إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . قال ابن شهاب الزهري : فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت : سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقرأ بها ، التمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾(٦٦) ، فألحقناها في سورتها في المصحف .

وهذا - أيضًا - من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه ، فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء وهو جمع الناس على قراءة واحدة ؛ لئلا يختلفوا في القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة ، وإنما روى عن عبد اللَّه بن مسعود شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام ، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق حتى قال علي بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا(٦٧) . فاتفق الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي اللَّه عنهم ، على أن ذلك من مصالح الدين ، وهم الخلفاء الذين قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي** »(٦٨) . وكان السبب في هذا حذيفة بن اليمان ، رضي اللَّه عنه فإنه لما كان غازيًا في فتح أرمينية وأذربيجان ، وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافًا كثيرًا وافتراقًا ، فلما رجع إلى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب ، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة ، والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعان أيضًا ، وليس في توراة السامرة حرف الهمزة ولا حرف الياء ، والنصارى - أيضًا - بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة ، وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة : إنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل

---

(٦٦) - [الأحزاب : ٢٣] .

(٦٧) - أخرجه أبو عبيد في الفضائل ، وابن أبي داود في المصاحف (١٢، ٢٣) .

(٦٨) - صحيح ، رواه أحمد في المسند ١٧١٩٢ - (٤/١٢٦) وبرقم (١٧١٩٤ ، ١٧١٩٥ ، ١٧١٩٦) . وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة حديث (٤٦٠٧) من طريق أحمد بن حنبل ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا ثور بن يزيد ، ثنا خالد بن معدان ، ثنا عبد الرحمن به . والترمذي في كتاب العلم ، باب : الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، حديث (٢٦٧٨) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/١٦) حديث (٤٣) ، (٤٤) ، من طريق إسماعيل بن بشر بن منصور ، ثنا عبد الرحمن بن مهدى به . والطبراني في الكبير (١٨/٢٤٦) حديث (٦١٧) - (٦٢١) ، والدارمي (١/ ٤٣ - ٤٤) ، وابن حبان (١٠٢) ، وابن أبي عاصم (١/١٩) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود حديث (٣٨٥١) ، وصحيح ابن ماجة (٤٢) ، (١٤١١) .

متى ، وإنجيل يوحنا ، وهي مختلفة - أيضًا - اختلافًا كثيرًا ، وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط ، ومنها ما هو أكبر من ذلك إما بالنصف أو بالضعف ، ومضمونها سيرة عيسى وأيامه وأحكامه وكلامه وفيه شيء قليل مما يدعون أنه كلام اللّه ، وهي مع هذا مختلفة ، كما قلنا ، وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل ، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة .

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد ، وينفذه إلى الآفاق ، ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه ، ففعلت حفصة وأمر عثمان هؤلاء الأربعة وهم زيد بن ثابت الأنصاري ، أحد كتاب الوحي لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وعبد اللّه بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علمًا وعملا وأصلًا وفضلًا ، وسعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي ، وكان كريمًا جوادًا ممدحًا ، وكان أشبه الناس لهجة برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، فجلس هؤلاء النفر الأربعة يكتبون القرآن نسخًا ، وإذا اختلفوا في وضع الكتابة على أي لغة رجعوا إلى عثمان ، كما اختلفوا في التابوت أيكتبونه بالتاء أو الهاء ، فقال زيد بن ثابت : إنما هو التابوه . وقال الثلاثة القرشيون : إنما هو التابوت فترافعوا إلى عثمان فقال : اكتبوه بلغة قريش ، فإن القرآن نزل بلغتهم(٦٩) .

وكأنَّ عثمان - واللّه أعلم - رتب السور في المصحف ، وقدم السبع الطوال وثنى بالمئين ؛ ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث غير واحد من الأئمة الكبار ، عن عوف الأعرابي ، عن يزيد الفارسي ، عن ابن عباس(٧٠) قال : قلت لعثمان بن عفان : ما

---

(٦٩) - رواه الترمذي (٣١٠٤) ، وعمر بن شبة (٣/١٠٠٠ ، ١٠٠١) ، وابن أبي داود (١٩) ، والبيهقي (٢/٣٨٥) من قول الزهري .

(٧٠) - **ضعيف** ، رواه ابن جرير ٣١٩ - (١/١٠٢) ، وأبو داود برقم (٧٨٦) ، والترمذي برقم (٣٠٨٦) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٠٧) ، وأحمد ٣٩٩ - (١/٥٧) ، وابن أبي داود (٣١ - ٣٢) ، وابن حبان (٤٣ الإحسان) ، والحاكم في المستدرك (٢٢١ ، ٣٣٠) ، والبيهقي في السنن (٢/٤٢) ، وعمر بن شبة (٣/١٠١٥ ، ١٠١٦) . ومدار هذا الحديث على يزيد الفارسي : وقد اختلفوا فيه ، أهو يزيد بن هرمز أم غيره ، قال البخاري في التاريخ (٨/٣٦٧) قال لي علي : قال عبد الرحمن : يزيد الفارسي هو ابن هرمز . قال : فذكرته ليحيى فلم يعرفه ، قال : وكان يكون مع الأمراء ، وذكر البخاري ذلك في الضعفاء ص ١٢٢ . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/٢٩٣) : قال أبو محمد : اختلفوا في يزيد بن هرمز أنه يزيد الفارسي أم لا ، فقال عبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد : يزيد الفارسي هو يزيد بن هرمز ، وأنكر يحيى القطان أن يكونا واحدًا ، وسمعت أبي يقول : يزيد بن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي ، هو سواه . وقال الترمذي عقب الحديث : ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس غير حديث ، ويقال : هو يزيد بن هرمز . وقال الحافظ في التقريب : مقبول - أي عند المتابعة .

حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينها سطر « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ، ووضعتموها في السبع الطوال ؟ ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، فإذا أنزلت عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وحسبت أنها منها فقبض رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر « **بسم اللَّه الرحمن الرحيم** » فوضعتها في السبع الطوال.

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقىً عن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ، وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه ؛ ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبًا آياته ؛ فإن نكسه أخطأ خطأً كبيرًا . وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان ، رضي اللَّه عنه ، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليًا كما قرأ عليه الصلاة والسلام ، في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية ، فإن فرق جاز ، كما صح أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة ، رواه مسلم(٧١) عن أبي واقد ، وفي الصحيحين(٧٢) عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ؛ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة : ﴿ الم ﴾ السجدة ، و﴿ هل أتى على الإنسان﴾ .

وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضًا ، فقد روى حذيفة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران . أخرجه مسلم(٧٣) .

وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف(٧٤) .

ثم إن عثمان رد المصحف إلى حفصة ، فلم يزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت ، فأخذها من عبد اللَّه بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة التي نفذها عثمان إلى الآفاق ، مصحفًا إلى أهل مكة ، ومصحفًا إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة ، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وترك عند أهل المدينة

---

(٧١) - رواه مسلم في صلاة العيدين برقم ١٤ - (٨٩١) .

(٧٢) - البخاري في كتاب الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة برقم (٨٩١) ، ومسلم في كتاب الجمعة برقم ٦٥ - (٨٨٠) .

(٧٣) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٠٣ - (٧٧٢) .

(٧٤) - رواه البخاري (٣٧٠٠) ، وابن حبان (٦٩١٧ إحسان) .

مصحفًا ، رواه أبو بكر بن أبي داود ، عن أبي حاتم السجستاني ، سمعه يقوله[٧٥] .

وصحح القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف . وهذا غريب

وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس في الآفاق ، وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم ، وإنما نقم عليه ذلك أولئك الرهط الذين تمالئوا عليه وقتلوه ، قاتلهم الله ، وفي ذلك جملة ما أنكروا مما لا أصل له ، وأما سادات المسلمين من الصحابة ، ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين ، فكلهم وافقوه .

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغُنْدَر عن شعبة ، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد ، عن رجل ، عن سُوَيْد بن غفلة ، قال عليّ حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته[٧٦] .

وقال أبو بكر بن أبي داود[٧٧] : حدثنا أحمد بن سِنَان ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، قال : أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أو قال : لم ينكر ذلك منهم أحد . وهذا إسناد صحيح .

وقال أيضًا[٧٨] : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ، حدثنا يحيى بن كثير ، حدثنا ثابت ابن عمارة الحنفي ، قال : سمعت غنيم بن قيس المازني قال : قرأت القرآن على الحرفين جميعًا ، والله ما يسرني أن عثمان لم يكتب المصحف ، وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام ، فأصبح له مثل ماله . قال : قلنا له : يا أبا العنبر ، ولم ؟ قال : لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر .

وحدثنا[٧٩] يعقوب بن سفيان ، حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثني عمران بن حدير ، عن أبي مِجْلَز قال : لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرءون الشعر .

وحدثنا[٨٠] أحمد بن سنان قال : سمعت ابن مهدي يقول : خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلومًا ، وجمعه الناس على المصحف .

---

(٧٥) – المصاحف لابن أبي داود (ص ٣٤) .

(٧٦) – رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ١٢) .

(٧٧) – المصاحف (ص ١٢) .

(٧٨) – المصاحف (ص ١٣) ، يحيى بن كثير : ثقة ، وثابت بن عمارة الحنفي : قال في التقريب : صدوق فيه لين .

(٧٩) – المصاحف (ص ١٣) ، وعمران بن حدير : ثقة .

(٨٠) – المصاحف (ص ١٣) .

وأما عبد اللّٰه بن مسعود فقد قال إسرائيل : عن أبي إسحاق ، عن حميد بن مالك قال : لما أمر عثمان بالمصاحف - يعني بتحريقها - ساء ذلك عبد اللّٰه بن مسعود وقال : من استطاع منكم أن يغلَّ مصحفًا فليغلل ، فإنه من غلَّ شيئًا جاء بما غل يوم القيامة .

ثم قال عبد اللّٰه : لقد قرأت القرآن من في رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم سبعين سورة وزيد صبي ، أفأترك ما أخذت من في رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم[٨١] .

وقال أبو بكر[٨٢] : حدثنا عبد اللّٰه بن محمد بن النعمان ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا أبو شهاب ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٨٣] ، غلوا مصاحفكم ، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت ، وقد قرأت القرآن من في رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان ، واللّٰه ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب اللّٰه مني ، وما أنا بخيركم ، ولو أعلم مكانًا تبلغه الإبل أعلم بكتاب اللّٰه مني لأتيته . قال أبو وائل : فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق ، فما أحد ينكر ما قال .

أصل هذا مخرج في الصحيحين[٨٤] وعندهما : ولقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب اللّٰه . وقول أبي وائل : « فما أحد ينكر ما قال » ، يعني : من فضله وعلمه وحفظه ، واللّٰه أعلم .

وأما أمره بغَلّ المصاحف وكتمانها ، فقد أنكره عليه غير واحد .

قال الأعمش[٨٥] عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء ، فقال : كنا نعد عبد اللّٰه جبانًا[٨٦] ، فما باله يواثب الأمراء .

---

(٨١) - رواه أحمد (٣٦٩٧، ٣٨٤٦، ٣٩٠٦ ، ٤٢١٨) (١/٣٨٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٤) ، والطيالسي (٤٠٥) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١/٢٤٧) ، وابن أبي داود في المصاحف (ص ١٥) ، وأبونعيم في الحلية (١/١٢٥) ، والحاكم وصححه (٢/٢٢٨) ، والطبراني في الكبير (٨٤٣٤ ، ٨٤٣٥) ، والدارقطني في المؤتلف (٦٧٢) .

(٨٢) - المصاحف (ص ١٥ - ١٦) .

(٨٣) - [آل عمران : ١٦١] .

(٨٤) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة من صحيحه برقم ١١٤ - (٢٤٦٢) .

(٨٥) - المصاحف (ص ١٨) .

(٨٦) - في المصاحف : « حنانًا » .

وقال أبو بكر بن أبي داود[٨٧] :

باب رضا عبد اللّه بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك :

حدثنا عبد اللّه بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثني الوليد ابن قيس ، عن عثمان بن حسان العامري ، عن فُلفُلة الجعفي قال : فزعت فيمن فزع إلى عبد اللّه في المصاحف ، فدخلنا عليه ، فقال رجل من القوم : إنا لم نأتك زائرين ، ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر ، فقال : إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب ، على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل - من باب واحد على حرف واحد . وهذا الذي استدل به أبو بكر ، رحمه اللّه ، على رجوع ابن مسعود فيه نظر ، من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه ، واللّه أعلم .

وقال أبو بكر أيضًا[٨٨] : حدثنا عمي ، حدثنا أبو رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مصعب بن سعد قال : قام عثمان فخطب الناس فقال : يا أيها الناس ! عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن ، وتقولون : قراءة أبيّ وقراءة عبد اللّه ، يقول الرجل : واللّه ما تقيم قراءتك ، وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب اللّه شيء لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ثم دخل عثمان فدعاهم رجلًا رجلًا فناشدهم : لسمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من أكتبُ الناس ؟ قالوا : كاتب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم زيد بن ثابت . قال : فأي الناس أعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال عثمان : فليمْل سعيد ، وليكتب زيد . فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس ، فسمعت بعض أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقولون : قد أحسن . إسناد صحيح .

وقال أيضًا[٨٩] : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار ، فيهم أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ، قال : فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها ، قال : وكان عثمان يتعاهدهم ، وكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه . قال محمد : فقلت لكثير - وكان فيهم فيمن يكتب - : هل تدرون لم كانوا

---

(٨٧) - المصاحف (ص ١٨) ، والحديث رواه أحمد في العلل (٣٧٢٥) ، وفي المسند (٤٤٥/١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١٨٢/٤) ، وعمر بن شبة (١٠٠٦/٣) .

(٨٨) - المصاحف (ص ٢٣ - ٢٤) .

(٨٩) - المصاحف (ص ٢٥ - ٢٦) ، وأبو بكر هو ابن عياش ، ثقة عابد ؛ إلا أنه لما كبر ساء حفظه ، وكتابه صحيح .

يؤخرونه ؟ قال : لا . قال محمد : فظننت ظنًّا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله . صحيح أيضًا .

قلت : الربعة هي الكتب المجتمعة ، وكانت عند حفصة ، رضي اللَّه عنها ، فلما جمعها عثمان ، رضي اللَّه عنه ، في المصحف ، ردها إليها ، ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها ، لأنها هي بعينها الذي كتبه ، وإنما رتبه ، ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها ، فما زالت عندها حتى ماتت ، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول في ذلك ما تأول عثمان ، كما رواه أبو بكر بن أبي داود(٩٠) :

حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني سالم ابن عبد اللَّه : أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن ، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها . قال سالم : فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد اللَّه بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف ، فأرسل بها إليه عبد اللَّه بن عمر فأمر بها مروان فشققت ، وقال مروان : إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف ، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول : إنه قد كان شيء منها لم يكتب . إسناده صحيح .

وأما ما رواه الزهري(٩١) عن خارجة ، عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها ، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر ، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحًا به في غير هذه الرواية عن الزهري ، عن عبيد بن السباق ، عن زيد بن ثابت ، والدليل على ذلك أنه قال : « فألحقناها في سورتها من المصحف » وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية .

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون أبو بكر وعمر ، رضي اللَّه عنهما ، حفظًا على الناس القرآن ، جمعاه لئلا يذهب منه شيء وعثمان ، رضي اللَّه عنه ، جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في آخر رمضان من عمره ، عليه الصلاة والسلام ، فإنه عارضه به عامئذ مرتين ؛ ولهذا قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لفاطمة ابنته لما مرض : « **وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي** » . أخرجاه في الصحيحين(٩٢) .

---

(٩٠) – المصاحف (ص٢٤ – ٢٥) ، وفضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٨٤) ، وعمر بن شبة (٣/١٠٠٣ ، ١٠٠٤) ، وابن عبد البر (٨/٣٠٠) ، وقال أبو عبيد : لم يسمع في شيء من الحديث أن مروان هو الذي مزق الصحف إلا في هذا الحديث .

(٩١) – رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ٢٩) عن الزهري .

(٩٢) – رواه البخاري في الاستئذان ، باب : من ناجى بين يدي الناس ... برقم (٦٢٨٥،٦٢٨٦) ، =

وقد روي أن عليًا ، رضي الله عنه ، أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبًا بحسب نزوله أولًا فأولًا ، كما رواه ابن أبي داود حيث قال :

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن محمد بن سيرين قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقسم عليٌّ ألا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل ، فأرسل إليه أبو بكر ، رضي الله عنه ، بعد أيام : أكرهت إمارتي يا أبا الحسن ؟ فقال : لا والله إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة . فبايعه ثم رجع(٩٣) .

هكذا رواه وفيه انقطاع ، ثم قال : لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث ، وهو لين الحديث ، وإنما رووا : حتى أجمع القرآن ، يعني أتم حفظه ، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن : قد جمع القرآن .

قلت : وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر ، والله أعلم ، فإن عليًا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك ، ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني ، يقال : إنها بخط علي ، رضي الله عنه ، وفي ذلك نظر ، فإنه في بعضها : كتبه علي بن أبي طالب ، وهذا لحن من الكلام ؛ وعلي رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو ، فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده ، ثم أخذه الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه ، وصار علمًا مستقلًا .

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله ، وقد كانت قديمًا بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمسمائة ، وقد رأيته كتابًا عزيزًا جليلًا عظيمًا ضخمًا بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل ، والله أعلم ، زاده الله تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا .

فأما عثمان ، رضي الله عنه ، فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف ، وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه ، ربما وغيره ، فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ، ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ، ثم نفذت إلى الآفاق ، رضي الله عنه ، وقد قال أبو بكر بن أبي داود(٩٤) :

= ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٩٨ - (٢٤٥٠) .

(٩٣) - المصاحف (ص١٠) ، ومن طريقه ابن عساكر (٣٢٧/١٢ - ٣٢٨) .

(٩٤) - رواه الطبري (٣٨٣/٤) ، وعمر بن شبة (١١٣٨/٣ - ١١٣٩) ، والطبراني (١١٩/١) ، من طريق الزهري ، عن أبي سلمة ؛ قال : لما ضرب عثمان ... . فذكره ، وحسن إسناده الهيثمي (٩٤/٩) ، وهو منقطع بين أبي سلمة وعثمان .

حدثنا علي بن حرب الطائي ، حدثنا قريش بن أنس ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد مولى بني أسيد ، قال : لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده فوقعت على : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٩٥] ، فمد يده وقال : والله إنها لأول يد خطت المفصل .

وقال أيضًا : حدثنا أبو طاهر ، حدثنا ابن وهب قال : سألت مالكًا عن مصحف عثمان ، فقال لي : ذَهَب .

يحتمل أنه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده ، ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة ، والله أعلم .

قلت : وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جدًا ، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام ابن محمد بن السائب الكلبي وغيره : أن بشر بن عبد الملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار ، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب ، وقيل : إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من طيىء من قرية هناك يقال لها : بقة ، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس . ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود[٩٦] :

حدثنا عبد الله بن محمد الزهري ، إن شاء الله ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، عن الشعبي قال : سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الحيرة . وسألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار .

قلت : والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوفة ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير ، وصار له في ذلك منهج وأسلوب في الكتابة ، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه . وطريقته في ذلك واضحة جيدة . والغرض أن الكتابه لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيدًا ، وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى ، وصنف الناس في ذلك ، واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ، والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمه الله فبوبا على ذلك ، وذكرا قطعة صالحة هي من صناعة القرآن ، ليست مقصدنا هاهنا ؛ ولهذا نص الإمام مالك رحمه الله على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام ، ورخص في ذلك غيره ، واختلفوا في الشكل والنقط فمن مرخص ومن مانع ، فأما كتابة السور وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا ، والأولى اتباع السلف الصالح .

---

(٩٥) - [البقرة : ١٣٧] .

(٩٦) - المصاحف (ص ٤) .

ثم قال البخاري[٩٧] :

ذكر كُتَّاب النبي صلى اللّه عليه وسلم .

وأورد فيه من حديث الزهري ، عن ابن السباق ، عن زيد بن ثابت ، أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تكتب الوحي لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وذكر نحو ما تقدم في جمعه للقرآن[٩٨] ، وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول : **﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾**[٩٩] ، وسيأتي الكلام عليه في سورة النساء إن شاء اللّه تعالى . ولم يذكر البخاري أحدًا من الكتّاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا ، واللّه أعلم .

وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كتّابه عليه السلام .

ثم قال البخاري رحمه اللّه :[١٠٠]

أنزل القرآن على سبعة أحرف

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال : حدثني عبيد اللّه ابن عبد اللّه ؛ أن عبد اللّه بن عباس حدثه : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : **« أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف »** .

وقد رواه – أيضًا – في بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ، ومسلم – أيضًا – من حديث معمر ، كلاهما عن الزهري بنحوه ، ورواه ابن جرير من حديث الزهري به[١٠١] ، ثم قال الزهري : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدًا لا تختلف في حلال ولا في حرام .

وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال[١٠٢] :

---

(٩٧) – البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٨٩) . والذي في البخاري « باب : كاتب النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم » كذا بالإفراد .

(٩٨) – البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩٠) .

(٩٩) – [النساء : ٩٥] .

(١٠٠) – البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩١) .

(١٠١) – البخاري في باب : ذكر الملائكة صلوات اللّه عليهم برقم (٣٢١٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٧٢ – (٨١٩) ، وتفسير ابن جرير ١٩ – (٢٩/١) .

(١٠٢) – فضائل القرآن (ص ٣٣٦) .

حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن أبيّ بن كعب قال : ما حاك في صدري شيء منذ أسلمت ، إلا أنني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي فقلت : أقرأنيها رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : أقرأنيها رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فأتينا رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فقلت : يا رسول اللّه ، أقرأتني آية كذا وكذا ؟ قال : « **نعم** » ، وقال الآخر : أليس تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : « **نعم** » . فقال : « **إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف شاف كاف** » .

وقد رواه النسائي من حديث يزيد - وهو ابن هارون - ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل ، عن أنس ، عن أبيّ بن كعب بنحوه[١٠٣] .

وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به[١٠٤] .

وقال ابن جرير[١٠٥] : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس ، عن عبادة بن الصامت ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** » فأدخل بينهما عبادة بن الصامت .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّه[١٠٦] : حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد ، حدثني عبد اللّه بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فقمنا جميعًا ، فدخلنا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقلت : يا رسول اللّه، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه ، فقال لهما النبي صلى اللّه

---

(١٠٣) - **إسناده صحيح** ، وهو في سنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٨٦) ، ورواه أحمد (١١٤/٥ ، ١٢٢) ، وابن أبي شيبة (٥١٧/١٠) ، وعبد بن حميد (١٦٤) ، وابن حبان (٧٣٧ الإحسان) .

(١٠٤) - رواه ابن جرير في تفسيره ٢٦ - (٣٣/١) ، ورواه عبد اللّه بن أحمد (١٢٢/٥) ، والطحاوي في المشكل (١٨٩/٤) .

(١٠٥) - تفسير ابن جرير برقم ٢٨ - (٣٤/١) ، ورواه أحمد (١١٤/٥) ، وابن حبان (٧٤٢) ، وتمام في فوائده (١٧٠٦) ، والطحاوي في المشكل (١٨٢/٤) ، وابن عدي (٦٧٩/٢) .

(١٠٦) - المسند ٢١٢٥١ - (١٢٧/٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم : ٢٧٣ - (٨٢٠، ٨٢١)، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف (رقم : ١٤٧٨) . والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب : جامع ما جاء في القرآن (٢/ ١٥٢) رقم (٩٣٩) كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى ، به .

عليه وسلم : « اقرآ » ، فقرآ ، فقال : « أصبتما » . فلما قال لهما النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال كبُر عليّ ولا إذا كنت في الجاهلية ، فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا ، وكأنما أنظر إلى رسول الله فرقًا فقال : « **يا أبيّ ، إن ربي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمتي ، فأرسل إليّ أن اقرأه على حرفين ، فرددت إليه أن هوّن على أمتي ، فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها** » . قال : « **قلت : اللّهم اغفر لأمتي ، اللّهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام** » . وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به .

وقال ابن جرير(١٠٧) : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبيّ بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : خفف عن أمتي ، فقال : اقرأه على حرفين ، فقلت : اللّهم ربّ خفف عن أمتي ، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة كلها شافٍ كافٍ** » .

وقال ابن جرير(١٠٨) : حدثنا يونس عن ابن وهب ، أخبرني هشام بن سعد ، عن عبيد الله ابن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، أنه قال : سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك ، فانطلقت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألتهما : من أقرأكما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهما : « **اقرأ** » . فقرأ ، فقال : « **أحسنت** » ثم قال للآخر : « **اقرأ** » . فقرأ ، فقال : « **أحسنت** » . قال أبيّ : فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي ، فضرب يده في صدري ثم قال : « **اللّهم أخسئ الشيطان عنه ، يا أبيّ ، أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن علىحرف واحد ، فقلت : رب ، خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين فقلت : رب ، خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثالثة ، فقال مثل ذلك وقلت له مثل ذلك ، ثم أتاني الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة ، فقلت : يا رب ، اللّهم اغفر لأمتي ، يا رب ، اغفر لأمتي ، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة** » . إسناده صحيح .

قلت : وهذا الشك الذي حصل لأبيّ في تلك الساعة هو ، والله أعلم ، السبب الذي لأجله

---

(١٠٧) - إسناده صحيح ، والحديث في تفسير ابن جرير ٣١ - (٣٧/١) .

(١٠٨) - تفسير ابن جرير ٣٨ - (٤١/١) .

قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة إبلاغ وإعلام ودواء لما كان حصل له سورة ﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا من أهل الكتاب** ﴾ إلى آخرها لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿ **رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ** ﴾(١٠٩) ، وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه ، عليه السلام ، من الحديبية على عمر بن الخطاب ، وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأبي بكر الصديق ، رضي الله عنهما ، في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾(١١٠) .

وقال ابن جرير(١١١) : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار ، فأتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، قال : « **أسأل الله معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك** » . ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين . قال : « **أسأل الله معافاته ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك** » . ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال : « **أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك** » . ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا .

وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به ، وفي لفظ لأبي داود عن أبيّ بن كعب قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يا أبيّ ، إني أقرئت القرآن فقيل لي : على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي : قل على حرفين . قلت : على حرفين : فقيل لي : على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي : قل على ثلاثة . قلت : على ثلاثة . حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال : ليس منها إلا شاف كاف إن قلت : سميعًا عليمًا ، عزيزا حكيما، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب** »(١١٢) .

وقد روى ثابت بن قاسم نحوًا من هذا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم(١١٣) ومن كلام ابن مسعود ، رضي الله عنه ، نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد(١١٤) : حدثنا حسين بن علي الجعفي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زر ،

---

(١٠٩) - [البينة : ٢، ٣] . (١١٠) - [الفتح : ٢٧] .

(١١١) - تفسير ابن جرير ٣٥ - (٤٠/١) ، ورواه مسلم ٢٧٤ - (٨٢١) .

(١١٢) - مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨٢٠) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، برقم (١٤٧٧ ، ١٤٧٨) ، والنسائي في الافتتاح ٩٣٩ - (١٥٢/٢ - ١٥٣) .

(١١٣) - ورواه أحمد في المسند (٢٣٢/٢،٤٤٠) ، وابن أبي شيبة (٥١٦/١٠) ، وابن حبان (٧٤٣) ، والبزار (٢٣١٣/٣) من طريق محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(١١٤) - **إسناده حسن** ، والحديث في المسند ٢١٢٨٤ ، ٢١٢٨٥ - (١٣٢/٥) ، وأخرجه الترمذي =

عن أبي قال : لقي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء ، فقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لجبريل : « **إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني ، والعجوز الكبيرة ، والغلام ، فقال : مرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف** » .

وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النَّجُود ، عن زر ، عن أبيّ بن كعب ، به ، وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أبو عبيد عن أبي النضر ، عن شيبان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر ، عن حذيفة أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لقي جبريل عند أحجار المراء ، فذكر الحديث(١١٥) ، واللّٰه أعلم .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان ، عن حماد ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **لقيت جبريل عند أحجار المراء ، فقلت : يا جبريل ، إني أرسلت إلى أمة أمية ؛ الرجل ، والمرأة ، والغلام ، والجارية ، والشيخ الفاني ، الذي لم يقرأ كتابًا قط فقال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف** »(١١٦) .

وقال أحمد أيضًا (١١٧) : حدثنا وَكِيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن رِبْعي بن حِراش : حدثني من لم يكذبني - يعني حذيفة - قال : لقي النبي صلى اللّٰه عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء فقال : إن أمتك يقرءون القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ، ولا يرجع عنه .

= في كتاب القراءات ، باب : ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف (رقم : ٢٩٤٤) من طريق أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن عاصم بن بهدلة ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقد رُوي من غير هذا الوجه ، عن أبي بن كعب . ورواه أبو داود الطيالسي ص ٧٣ حديث ٥٤٣ . بمعناه من حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم . ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٧٣٩ الإحسان) من طريق زائدة ، به مثله .

(١١٥) - فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٣٨) .

(١١٦) - المسند ٢٣٤٣٣ ، ٢٣٥٠٥ ، ٢٣٥٥٤ - (٣٩١/٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ - ٤٠٦) . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٦٧/٣/رقم : ٣٠١٩) . من نفس طريق أحمد ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠/٧) بروايتين وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني ، وفيه عاصم بن بهدلة ، وهو ثقة ، وفيه كلام لا يضر » .

(١١٧) - **إبراهيم بن مهاجر** : ضعفه يحيى بن معين ، وابن حبان ، والدارقطني وقال : يعتبر به . وقال يحيى ابن سعيد القطان ، وأبو حاتم الرازي ، والنسائي ، والترمذي : ليس بقوي ، وقال أحمد : لا بأس به . وقال ابن عدي : هو عندي أصلح من إبراهيم الهجري ، وحديثه يكتب في الضعفاء ، وروى له مسلم حديثين متابعة . والحديث في المسند برقم ٢٣٣٨٠ ، ٢٣٥١٧ - (٣٨٥/٥ ، ٤٠١) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١/٧) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه راو لم يسم » ، كذا قال !!!

وقال عبد الرحمن : إن في أمتك الضعيف ، فمن قرأ على حرف فلا يتحول منه إلى غيره رغبة عنه . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

حديث آخر في معناه عن سليمان بن صرد : قال ابن جرير : حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ ، حدثنا شريك عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن صرد - يرفعه - قال : « **أتاني ملكان ، فقال أحدهما : اقرأ . قال : على كم ؟ قال : على حرف . قال : زده ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف** »(١١٨) .

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمدبن سلام عن إسحاق الأزرق عن العَوَّام بن حَوْشَب ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن صرد قال : أتى أبيّ بن كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين اختلفا في القراءة ، فذكر الحديث(١١٩) .

وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب به ، ورواه أبو عبيد عن يزيد بن هارون ، عن العوام ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن صرد ، عن أبيّ أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجلين ، فذكره(١٢٠) .

وقال ابن جرير(١٢١) : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن فلان العبدي - قال ابن جرير : ذهب عني اسمه - عن سليمان بن صرد ، عن أبيّ بن كعب قال : رحت إلى المسجد ، فسمعت رجلا يقرأ فقلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : استقرئ هذا . قال : فقرأ ، فقال : « **أحسنت** » . قال : قلت : إنك أقرأتني كذا وكذا ! فقال : « **وأنت قد أحسنت** » . قال : فقلت : قد أحسنت ! قد أحسنت ! قال : فضرب بيده على صدري ثم قال : « **اللهم أذهب عن أبيّ الشك** » . قال : ففضت عرقًا ، وامتلأ جوفي فرقا . قال : ثم قال : « **إن الملكين أتياني ، فقال أحدهما : اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر : زده . قال : قلت : زدني . فقال : اقرأه على حرفين ، حتى بلغ سبعة أحرف فقال : اقرأه على سبعة أحرف** » .

وقد رواه أبو عبيد ، عن حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سقير(١٢٢) العبدي ،

---

(١١٨) - تفسير ابن جرير ٢١ - (٣٠/١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١٨٩/٤) ، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث سليمان بن صرد ، عن أبي ، مرفوعًا (١٢٥/٥) .

(١١٩) - سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٠٦) .

(١٢٠) - فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٣٦) .

(١٢١) - تفسير ابن جرير ٢٥ - (٣٢/١) ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٢٤/٥) .

(١٢٢) - ترجمته في الجرح والتعديل (٣١٨/٤) ، والتاريخ الكبير (٣٣٠/٤) ، وقال الحسيني : مجهول =

عن سليمان بن صرد ، عن أبيّ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك[١٢٣] ،

ورواه أبو داود عن أبي الوليد الطيالسي ، عن همام ، عن قتادة ، عن يحيى بن يَعْمَر ، عن سليمان بن صرد ، عن أبي بن كعب ، بنحوه[١٢٤] .

فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبيّ بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعي شاهد على ذلك ، والله أعلم .

حديث آخر عن أبي بكرة : قال الإمام أحمد[١٢٥] : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **أتاني جبريل وميكائيل ، عليهما السلام ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف واحد ، فقال ميكائيل : استزده ، قال : اقرأ على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة** ».

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كُرَيب ، عن زيد بن الحُبَاب ، عن حماد بن سلمة به ، وزاد في آخره كقولك : هلم وتعال[١٢٦] .

حديث آخر عن سمرة : قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** » . إسناد صحيح ، ولم يخرجوه[١٢٧] .

= قال الحافظ في التعجيل : لم يصب في ذلك ، وذكره ابن حبان في الثقات (٣٨٥/٤) .

(١٢٣) - فضائل القرآن (ص ٣٣٦) .

(١٢٤) - رواه أبو داود في الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم (١٤٧٧) ، ورواه أحمد ، وعبد الله (١٢٤/٥) ، والطحاوي في المشكل (١٨٩/٤) ، والبيهقي في الكبرى (٣٨٤/٢) .

(١٢٥) - المسند ٢٠٤٧٨ - (٤١/٥) ، وابن أبي شيبة (٥١٧/١٠) ، والطحاوي في المشكل (١٩١/٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٥١) ، وقال : ورواه أحمد والطبراني بنحوه ؛ إلا أنه قال : وأذهب وأدبر ، وفيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو سيء الحفظ ، وقد توبع ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح به .

(١٢٦) - تفسير ابن جرير ٤٠ - (٤٣/١) .

(١٢٧) - رواية بهز في المسند ٢٠٢٢٧ - (١٦/٥) ، ولفظه : « **نزل القرآن على سبعة أحرف** » ، ورواية عفان برقم ٢٠٣١١ - (٢٢/٥) ، ولفظه « **نزل القرآن على ثلاثة أحرف** » . وأخرجه الطبراني في الكبير (٧ / ٢٤٩ / رقم : ٦٨٥٣) ، وابن أبي شيبة (٥١٧/١٠) ، وتمام (٧٤٢) ، والبزار (٢٣١٤/٣) ، وابن عدي (٦٧٩/٢) ، والحاكم (٢٢٣/٢) ، والطحاوي (١٩٥/٤) ، من طريق حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعًا : « **أنزل القرآن على ثلاثة أحرف** » . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٧) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة ، ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني =

حديث آخر عن أبي هريرة : قال الإمام أحمد : حدثنا أنس بن عياض ، حدثني أبو حازم ، عن أبي سلمة – لا أعلمه إلا عن أبي هريرة – أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **نزل القرآن على سبعة أحرف ، مراء في القرآن كفر – ثلاث مرات – فما علمتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه** » . ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض ، به(١٢٨) .

حديث آخر عن أم أيوب : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عبيد اللَّه – وهو ابن أبي يزيد عن أبيه عن أم أيوب – يعني امرأة أبي أيوب الأنصارية – أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أيها قرأت أجزأك** »(١٢٩) . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

حديث آخر عن أبي جهيم : قال أبو عبيد : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن يزيد بن خصيفة ، عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي ، وقال غيره : عن بسر بن سعيد ، عن أبي جهيم الأنصاري ؛ أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فمشيا جميعًا حتى أتيا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فذكر أبو جهيم أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا ، فإن مراء فيه كفر** »(١٣٠) .

=والبزار رجال الصحيح » .

قال البزار : ولا نعلم يروي هذا اللفظ إلا سمرة ، ولا رواه عن قتادة إلا حماد .

وقال الحاكم : احتج البخاري برواية الحسن عن سمرة ، واحتج مسلم بأحاديث حماد بن سلمة ، وهذا الحديث صحيح ، وليس له علة ، كذا قال !!! .

والذي في البخاري : أنه روى عن حبيب بن الشهيد قال : أمرني ابن سيرين أن أسأل الحسن ، ممن سمع حديث العقيقة ؟ فسألته ؛ فقال : من سمرة بن جندب .

وهذا ليس فيه أن البخاري احتج برواية الحسن عن سمرة ، وإنما فيه ما يثبت أن الحسن سمع من سمرة حديث العقيقة ، والله أعلم .

(١٢٨) – المسند ٧٩٧٦ – (٢/٣٠٠) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٩٣) ، وابن حبان (٧٤) ، وابن جرير (٧) ، وأبو يعلى (٦٠١٦/١) ، والخطيب في تاريخه (٢٦/١١) .

(١٢٩) – **إسناده صحيح – رجاله ثقات** . والحديث في المسند ٢٧٥٥٠ ، ٢٧٧٣١ – (٤٣٣/٦، ٤٦٢) ، ورواه إسحاق بن راهوية برقم (٢٣٢١) ، وأخرجه الحميدي في مسنده (١٦٣/١) ، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٥ – ٥١٦) ، وابن أبي عاصم (٣٣٢٠) ، والطحاوي (١٨٣/٤) ، وابن جرير (٢٤) ، وقال الهيثمي (٧/ ١٥٤) : رواه الطبراني ورجاله ثقات اهـ .

(١٣٠) – فضائل القرآن (ص ٣٣٧) ، ومن طريق مسلم بن سعيد رواه البخاري في التاريخ (٢٦٢/١/٤) ، والحارث في مسنده ، والبيهقي في الشعب (٢٢٦٥) ، والبغوي (٥٠٥/٤ – ٥٠٦) . ومن طريق بسر =

وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب ، فقال :

حدثنا أبو سلمة الخزاعي ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثني يزيد بن خصيفة ، أخبرني بسر ابن سعيد ، حدثني أبو جهيم ؛ أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال هذا : تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا : تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « **القرآن يقرأ على سبعة أحرف ، فلا تماروا في القرآن ، فإن مراءً في القرآن كفر** » .

وهذا إسناد صحيح - أيضا - ولم يخرجوه .

ثم قال أبو عبيد[١٣١] : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي قيس - مولى عمرو بن العاص - أن رجلا قرأ آية من القرآن ، فقال له عمرو - يعني ابن العاص - : إنما هي كذا وكذا ، بغير ما قرأ الرجل ، فقال الرجل : هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتياه ، فذكرا ذلك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأيّ ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر** ».

ورواه الإمام أحمد عن أبي سلمة الخزاعي ، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور ابن مخرمة ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه ، وفيه : « **فإن المراء فيه كفر أو إنه الكفر به** » . وهذا - أيضًا - حديث جيد[١٣٢] .

= رواه أحمد (١٦٩/٤ - ١٧٠) ، والطبري (٤١) ، والطحاوي في المشكل (١٨٣/٤) وابن عبد البر (٨/ ٢٨٢) .

قال الشيخ أحمد شاكر في حاشيته على ابن جرير ٤١ - (٤٤/١) : « قوله : وما كانت رواية أبي عبيد على الشك ، كما زعم ابن كثير ، إنما للحديث طريقان : الأول : إسماعيل بن جعفر يرويه عن يزيد بن خصيفة ، عن مسلم بن سعيد . وسليمان بن بلال يرويه عن يزيد بن خصيفة ، عن بسر - أخي مسلم ، فأشار أبو عبيد في أثناء الإسناد إلى الرواية الأخرى دون أن يذكر إسنادها » .

وقد ذكر البخاري الروايتين في التاريخ الكبير (٢٦٢/١/٤) في ترجمة مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي والحديث في المسند ١٧٥٨٩ - (١٧٠/٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١/٧) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢٠) .

(١٣١) - فضائل القرآن (ص ٣٣٧ - ٣٣٨) ، ورواه أحمد (٢٠٤/٤ - ٢٠٥) ، والبيهقي في الشعب (٢٢٦٦) وقال الحافظ في الفتح (١٢٦/٩) : إسناده جيد .

(١٣٢) - صحيح ، والحديث في المسند ١٧٨٧٢ - (٢٠٤/٤) . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٠) وقال : رواه أحمد . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٢٢) وقال : هذا =

حديث آخر عن ابن مسعود : قال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنا ابن وهب ، أخبرني حيوة بن شريح ، عن عقيل بن خالد ، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا** »(١٣٣) .

ثم رواه عن أبي كُرَيْب عن المحاربي ، عن ضمرة بن حبيب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود من كلامه(١٣٤) وهو أشبه . واللّٰه أعلم .

= إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم .

(١٣٣) – تفسير ابن جرير ٦٧ – (٦٨/١) . قال الحافظ في الفتح (٢٩/٩) – وذكر الخبر السالف بهذا الإسناد فقال – : قال ابن عبد البر : هذا حديث لا يثبت لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود ، ولم يلق ابن مسعود . ثم قال : وصحح الحديث المذكور ابن حبان ، والحاكم ، وفي تصحيحه نظر ؛ لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود ، وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري مرسلًا . وقال : هذا مرسل جيد .

ورواه ابن حبان (٧٤٥ إحسان) ، والحاكم (٥٥٣/١) ، وأخرجه الهروي في ذم الكلام [ل ٦٢ ب] ، وأخرجه الطبراني (٨٢٩٦) من حديث عمار بن مطر ، عن ليث بن سعد ، عن الزهري ، عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لعبد اللّٰه بن مسعود : « **إن الكتب ....** » وعمار هذا ضعيف جدًا ، ورواه أحمد (٤٤٥/١) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ١٨ . من طريقين عن زهير ، عن أبي همام ، عن عثمان بن حسان ، عن فلفلة الجعفي ، عن ابن مسعود . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/٧) : وفيه عثمان بن حسان ذكره ابن أبي حاتم ، فلم يجرحه ولم يوثقه ، وبقية رجاله ثقات . ورواه النسائي في الكبرى من طريق سفيان ، عن أبي همام الوليد بن قيس ، عن القاسم بن حسان ، عن فلفلة ، به .

(١٣٤) – تفسير ابن جرير ٧٠ – (٦٩/١) .

فصل

قال أبو عبيد : قد تواترت هذه الأحاديث كلها عن الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **نزل القرآن على ثلاثة أحرف** »(١٣٥) .

قال أبو عبيد : ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة ، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه ، وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى سوى الأولى ، والثالث بلغة أخرى سواهما ، كذلك إلى السبعة ، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض ، وذلك بين في أحاديث تترى .

قال : وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن(١٣٦) .

قال أبو عبيد : والعجز هم بنو أسعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف هم عليا هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم .

ولهذا قال عمر : لا يملي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف(١٣٧) .

قال ابن جرير : واللغتان الأخريان : قريش وخزاعة ، رواه قتادة عن ابن عباس ، ولكن لم يلقه(١٣٨) .

قال أبو عبيد(١٣٩) : وحدثنا هُشَيْم ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبيد الله بن عبد الله

---

(١٣٥) - فضائل القرآن (ص ٣٣٩) ، ورواه أحمد من طريق عفان به ٢٠٣١١ - (٢٢/٥) ، ومن طريق بهز به برقم ٢٠٢٢٧ - (١٦/٥) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٧ / ٢٤٩ / رقم : ٦٨٥٣) ، ورواه البيهقي من طريق أبي عبيد في السنن الكبرى (٣٨٥/٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٥٢) وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة ، ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني والبزار رجال الصحيح » .

(١٣٦) - **إسناده ضعيف جدًا من أجل الكلبي** ، والحديث في فضائل القرآن (ص ٣٤٠) .

(١٣٧) - فضائل القرآن (ص ٣٤٠) ، ورواه عمر بن شبة (١٠١٤/٣) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ١١، والخطيب (٤٥٠/٧) .

(١٣٨) - تفسير ابن جرير (٦٦/١) .

(١٣٩) - فضائل القرآن (ص ٣٤٣) ، ورواه ابن أبي شيبة (٥١٧/٨ - ٥١٨) (٤٧٤/١٠) من حديث ابن عباس .

ابن عتبة ، عن ابن عباس ؛ أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر . قال أبو عبيد : يعني : أنه كان يستشهد به على التفسير .

حدثنا هُشَيْم عن أبي بشر ، عن سعيد أو مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾(١٤٠) ، قال : ما جمع ، وأنشد :

* قد اتَّسقْنَ لو يجدْنَ سائقا(١٤١) *

حدثنا هُشَيْم ، أنبأنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾(١٤٢) ، قال : الأرض ، قال : وقال ابن عباس : قال أمية بن أبي الصلت :

عندهم لحم بحرٍ ولحم ساهرة(١٤٣)

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كنت لا أدري ما ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٤٤) ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها . يقول : أنا ابتدأتها(١٤٥) . إسناد جيد أيضًا .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري ، رحمه الله ، بعد ما أورد طرفا مما تقدم : وصح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع ، إذ كان معلوما أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه ثم قال : وما برهانك على ما قلته دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك ، من أنه نزل بأمر وزجر ، وترغيب وترهيب ، وقصص ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة ؟ قيل له : إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها ، هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة ، التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا ، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا ، وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة ، من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة ، كما تقدم - يعني كما تقدم في رواية عن أُبيّ بن كعب وعبد الله بن

---

(١٤٠) - [الانشقاق : ١٧] .

(١٤١) - فضائل القرآن (ص ٣٤٣) ، وابن جرير (٣٠/٧٦) .

(١٤٢) - [النازعات : ١٤] .

(١٤٣) - فضائل القرآن (ص ٣٤٤)

(١٤٤) - [فاطر : ١] .

(١٤٥) - فضائل القرآن (ص ٣٤٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٤٤) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الشعب .

مسعود : أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة[١٤٦] .

قال ابن جرير : والأبواب السبعة من الجنة هى المعاني التي فيها من الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى ، استوجب بها الجنة .

ثم بسط القول في هذا بما حاصله : أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف ، ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم - جمعهم على حرف واحد ، وهو هذا المصحف الإمام ، قال : واستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ، ورأت أن فيما فعله من ذلك الرشد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ، ونظر منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وتعفت[١٤٧] آثارها ، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها . إلى أن قال : فإن قال من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضًا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ، ويزيل الشك من قراءة الأمة ، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين . إلى أن قال : فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف** » بمعزل ؛ لأن المراء في مثل هذا ليس بكفر ، في قول أحد من علماء الأمة ، وقد أوجب صلى الله عليه وسلم بالمراء في الأحرف السبعة الكفر ، كما تقدم[١٤٨] .

الحديث الثاني : قال البخاري ، رحمه الله[١٤٩] : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثنا عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير : أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن ابن عبد القارئ حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتبصرت حتى

(١٤٦) - تفسير ابن جرير (٤٧/١) .

(١٤٧) - تعفَّى الشيء : زال وامتحى .

(١٤٨) - تفسير ابن جرير (٤٩/١) .

(١٤٩) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم (٤٩٩٢) .

سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أرسله ، اقرأ يا هشام** » ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كذلك أنزلت** » ، ثم قال : « **اقرأ يا عمر** » ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كذلك أنزلت . إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه** » .

وقد رواه الإمام أحمد والبخاري - أيضًا - ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري(١٥٠)

ورواه الإمام أحمد - أيضا - عن ابن مهدي ، عن مالك ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عبدالرحمن بن عبدٍ القاري ، عن عمر ، فذكر الحديث بنحوه(١٥١) .

وقال الإمام أحمد(١٥٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب بن ثابت ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه، عن جده قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه فقال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير عليّ قال : فاجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « **قد أحسنت** » . قال : فكأن عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يا عمر ، إن القرآن كله صواب ، ما لم يُجعل عذابٌ مغفرةً أو مغفرةٌ عذابًا** » .

وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت ، لا نعرف أحدًا جرحه .

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال : قال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره : وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ، ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، ونحن نذكر منها خمسة أقوال .

---

(١٥٠) - المسند (٢٤/١) ، والبخاري في الخصومات ، باب : كلام الخصوم بعضهم في بعض برقم (٢٤١٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٧٠ - (٨١٨) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم (١٤٧٥) ، والترمذي في القراءات ، باب : القرآن نزل على سبعة أحرف برقم (٢٩٤٣) ، والنسائي في الافتتاح (١٥٠/٢) .

(١٥١) - المسند (٤٠/١) .

(١٥٢) - المسند ١٦٤١٨ - (٣٠/٤) . وحرب بن ثابت ذكره في التعجيل (٤٣٨/١) وقال نقلًا عن الحسيني : وثقه ابن حبان .

قلت : ثم سردها القرطبي ، وحاصلها ما أنا مورده ملخصا :

فالأول - وهو قول أكثر أهل العلم ، منهم سفيان بن عيينة ، وعبد الله بن وهب ، وأبو جعفر ابن جرير ، والطحاوي - : أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو : أقبل وتعال وهلم . وقال الطحاوي : وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده فقال : اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : اقرأ فكل شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة ، على نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل .

ورُوي عن ورقاء عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أُبيّ بن كعب : أنه كان يقرأ : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾(١٥٣) : « للذين آمنوا أمهلونا » « للذين آمنوا أخرونا » « للذين آمنوا ارقبونا » ، وكان يقرأ : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ ﴾(١٥٤) : « مروا فيه » « سعوا فيه » . قال الطحاوي وغيره : وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات ، وذلك لَمّا كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش ، وقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ وقد ادّعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة .

قلت : وقال بعضهم : إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم ، وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضًا ، فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر رمضان من عمره ، عليه الصلاة والسلام ، وعزم عليهم ألا يقرءوا بغيرها ، وألا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم فيها سعة ، ولكنها أدت إلى الفرقة والاختلاف ، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها ، قال : فلو أنا أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم . وكان كذلك ينهى عن المتعة في أشهر الحج لئلا تُقْطع زيارة البيت في غير أشهر الحج . وقد كان أبو موسى يفتي بالتمتع فترك فتياه اتباعا لأمير المؤمنين وسمعا وطاعة للأئمة المهديين .

القول الثاني : أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف ، ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر . قال الخطابي : وقديقرأ بعضه بالسبع لغات كما في قوله : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾(١٥٥) و ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾(١٥٦) . قال القرطبي :

(١٥٣) - [الحديد : ١٣] .
(١٥٤) - [البقرة : ٢٠] .
(١٥٥) - [المائدة : ٦٠] .
(١٥٦) - [يوسف : ١٢] .

ذهب إلى هذا القول أبو عبيد ، واختاره ابن عطية . قال أبو عبيد : وبعض اللغات أسعدُ به من بعض ، وقال القاضي البلاقلاني : ومعنى قول عثمان : إنه نزل بلسان قريش ، أي : معظمه ، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾(١٥٧) ، ولم يقل : قرشيا . قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا ، يعني حجازها ويمنها ، وكذلك قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، قال : لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات كتحقيق الهمزات ، فإن قريشًا لا تهمز ، وقال ابن عطية : قال ابن عباس : ما كنت أدري ما معنى : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [فاطر : ١] ، حتى سمعت أعرابيًا يقول لبئر ابتدأ حفرها : أنا فطرتها .

القول الثالث : أن لغات القرآن السبع منحصرة في مضر على اختلاف قبائلها خاصة ؛ لقول عثمان : إن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب ، كما نطق به الحديث في سنن ابن ماجه وغيره .

القول الرابع -وحكاه الباقلاني عن بعض العلماء - : أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء ، منها ما تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه مثل : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾(١٥٨) و « يضيقَ » ، ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه مثل : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾(١٥٩) و « باعَدَ بين أسفارنا » ، وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف مثل : ﴿ نُنشِزُهَا ﴾(١٦٠) ، و « نَنشُرُها » ، أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾(١٦١) ، أو « كالصوف المنفوش » أو باختلاف الكلمة [واختلاف المعنى مثل ﴿ وطلح منضود ﴾(١٦٢) « وطلع منضود » أو بالتقدم والتأخر مثل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾(١٦٣) ، أو « سكرة الحق بالموت » ، أو بالزيادة مثل « تسع وتسعون نعجة أنثى » ، « وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين » . ﴿ فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم ﴾(١٦٤) .

القول الخامس : أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن وهي : أمر ، ونهي ، ووعد ، ووعيد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال . قال ابن عطية : وهذا ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى حروفًا ، وأيضًا فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني ، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثًا ، ثم قال : وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة

---

(١٥٧) - [يوسف : ٢] .
(١٥٨) - [الشعراء : ١٣] .
(١٥٩) - [سبأ : ١٩] .
(١٦٠) - [البقرة : ٢٥٩] .
(١٦١) - [القارعة : ٥] .
(١٦٢) - [الواقعة : ٢٩] .
(١٦٣) - [ق : ١٩] .
(١٦٤) - [النور : ٣٣] .

بها[١٦٥] .

فصل

قال القرطبي[١٦٦] : قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها ، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف . ذكره ابن النحاس وغيره .

قال القرطبي : وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها ، وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه لأنه رآها أحسن والأولى عنده . قال : وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات واستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب .

---

(١٦٥) - تفسير القرطبي (١/٤٢-٤٧) .

(١٦٦) - تفسير القرطبي (١/٤٦) .

قال البخاري رحمه الله(١٦٧) :

تأليف القرآن

حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف : أن ابن جريج أخبرهم قال : وأخبرني يوسف بن ماهك قال : إني عند عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، إذ جاءها عراقي فقال : أي الكفن خير ؟ قالت : ويحك ! وما يضرك ، قال : يا أم المؤمنين ، أريني مصحفك ، قالت : لم ؟ قال : لعلي أؤلف القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء : ولا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبدًا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾(١٦٨) ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ، قال : فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور .

وهكذا رواه النسائي من حديث ابن جريج ، به(١٦٩) .

والمراد من التأليف هاهنا ترتيب سوره . وهذا العراقي سأل أولا عن أي الكفن خير ، أي : أفضل ، فأخبرته عائشة ، رضي الله عنها ، أن هذا لا ينبغي أن يعتني بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فإن في هذا تكلفًا لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت في الأسئلة ، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب ، فقال عبد الله بن عمر : انظروا أهل العراق ، يسألون عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم !(١٧٠) .

ولهذا لم تبالغ معه عائشة ، رضي الله عنها ، في الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم ، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« البسوا من ثيابكم البياض ، وكفنوا فيها موتاكم ، فإنها أطهر وأطيب »**(١٧١) وصححه

---

(١٦٧) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٣) .

(١٦٨) – [القمر : ٤٦] .

(١٦٩) – سنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٨٧) .

(١٧٠) – رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من صحيحه ، باب : فضائل الحسن والحسين برقم (٣٧٥٣) .

(١٧١) – حديث سمرة في المسند ٢٠١٥٣ – (١٠/٥) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، باب : ما جاء في لبس البياض (رقم : ٢٨١٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الزينة ، باب : الأمر بلبس البيض من الثياب (رقم : ٥٣٢٢، ٥٣٢٣) (٢٠٥/٨) . وفي الكبرى في =

الترمذي من الوجهين .

وفي الصحيحين عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة[١٧٢] . وهذا محرر في باب الكفن من كتاب الجنائز .

ثم سألها عن ترتيب القرآن فانتقل إلى سؤال كبير ، وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف ، أي : غير مرتب السور . وكأن هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنه، إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم ، وقبل الإلزام به ، والله أعلم .

ولهذا أخبرته : إنه لا يضرك بأي سورة بدأت ، وأن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار ، وهذه إن لم تكن ﴿ اقرأ ﴾ فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد ، ثم لما انقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولا فأولا ، وهذا من حكمة الله ورحمته ، ومعنى هذا الكلام : أن هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف ، مع أنها من أول ما نزل ، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف ، وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده .

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة ، بل هو أمر توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم تقرير ذلك ؛ ولهذا لم ترخص له في ذلك ، بل أخرجت له مصحفها ، فأملت عليه آي السور ، والله أعلم . وقول عائشة : لايضرك بأي سورة بدأت ، يدل على أنه لو قدم بعض السور أو أخر ، كما دل عليه حديث حذيفة وابن مسعود ، وهو في الصحيح أنه ، عليه السلام ، قرأ في قيام الليل بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران[١٧٣] .

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الرد أنه قال : فمن أخّر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والآيات[١٧٤] ، وكان مستنده اتّباع

= كتاب الزينة ، باب : الأمر بلبس الثياب البيض (رقم : ٩٦٤٢، ٩٦٤٣، ٩٦٤٤) (٥/٤٧٧) ، وابن ماجة في كتاب اللباس ، باب : البياض من الثياب (رقم : ٣٥٦٧) .

وحديث ابن عباس في المسند (١/٢٣١،٢٤٧) ، ورواه أبو داود في كتاب الطب ، باب : الأمر بالكحل برقم (٣٨٧٨) ، والترمذي في الجنائز ، باب : ما يستحب من الأكفان برقم (٩٩٤) ، وابن ماجة في الجنائز ، باب : ما جاء فيما يستحب من الكفن برقم (١٤٧٢) .

(١٧٢) - البخاري في الجنائز ، باب الثياب البيض للكفن برقم (١٢٦٤) ، ومسلم في الجنائز برقم ٤٥ - (٩٤١) .

(١٧٣) - رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٧٢) وقد تقدم .

(١٧٤) - تفسير القرطبي (١/٦٠) .

مصحف عثمان ، رضي اللّه عنه ، فإنه مرتب على هذا النحو المشهور ، والظاهر أن ترتيب السور فيه منه ما هو راجع إلى رأي عثمان رضي اللّه عنه ، وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة ، وذكره الأنفال من الطول ، والحديث في الترمذي وغيره بإسناد جيد وقوي . وقدذكرنا عن علي أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله .

ولهذا حكى القاضي الباقلاني : أن أول مصحفه كان : ﴿ **اقرأ باسم ربك الأكرم** » وأول مصحف ابن مسعود : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّين** ﴾ ثم البقرة ، ثم النساء على ترتيب مختلف ، وأول مصحف أبيّ : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم المائدة ، ثم كذا على اختلاف شديد ، ثم قال القاضي : ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة ، رضي اللّه عنهم ، وكذا ذكره مكي في تفسير سورة براءة قال : فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبي صلى اللّه عليه وسلم .

وقال ابن وهب في جامعه : سمعت سليمان بن بلال يقول : سئل ربيعة : لم قدمت البقرة وآل عمران ، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ؟ فقال : قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد أجمعوا على العلم بذلك ، فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه . قال ابن وهب : وسمعت مالكا يقول : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى اللّه عليه وسلم(١٧٥) .

قال أبو الحسن بن بطال : إنما يجب تأليف سوره في الرسم والخط خاصة ولا يعلم أن أحدًا منهم قال : إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه ، وأنه لا يحل لأحد أن يقرأ الكهف قبل البقرة ، ولا الحج قبل الكهف ، ألا ترى إلى قول عائشة : ولا يضرك أيه قرأت قبل . وقد كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يقرأ في الصلاة السورة في ركعة ، ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها .

قال : وأما ما رُوي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسًا . وقالا : إنما ذلك منكوس القلب ، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسةً فيبتدئ بآخرها إلى أولها ، فإن ذلك حرام محظور .

ثم قال البخاري : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى(١٧٦) .

---

(١٧٥) - ذكره القرطبي في تفسيره (٥٩/١،٦٠) .

(١٧٦) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٤) .

انفرد البخاري بإخراجه والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية ، وقوله : « **من العتاق الأول** » أي : من قديم ما نزل ، وقوله : « وهن من تلادى » أي : من قديم ما قنيت وحفظت . والتالد في لغتهم : قديم المال والمتاع ، والطارف حديثه وجديده ، والله أعلم .

وحدثنا أبو الوليد(١٧٧) ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إسحاق : سمع البراء بن عازب رضي الله عنه - يقول : تعلمت ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا متفق عليه ، وهو قطعة من حديث الهجرة ، والمراد منه أن ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ سورة مكية نزلت قبل الهجرة ، والله أعلم .

ثم قال(١٧٨) : حدثنا عبْدَان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن شقيق قال : قال عبد الله : لقد علمت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة ، فقام عبد الله ودخل معه علقمة ، وخرج علقمة فسألناه فقال : عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرهن من الحواميم [حم الدخان وعمّ يتساءلون][١] .

وهذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان ، رضي الله عنه ، فإن المفصل في مصحف عثمان ، رضي الله عنه ، من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد(١٧٩) :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي ، عن جده أوس بن حذيفة قال : كنت في الوفد الذين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر حديثًا فيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمر معهم بعد العشاء

---

(١٧٧) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٥) .

(١٧٨) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن برقم (٤٩٩٦) .

(١٧٩) - عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي : صدوق ، يخطئ ويهم ، روى له البخاري في الأدب ومسلم ، وغيرهما ، وعثمان بن عبد الله بن أوس : قال في التقريب : مقبول ، روى له أبو داود وابن ماجه ، والحديث في المسند ١٦٢١٤ - (٩/٤) ، (٣٤٣/٤) ، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : تحزيب القرآن ، حديث (١٣٩٣) من طريق مسدد وعبد الله بن سعيد ، عن قران بن تمام وأبى خالد ، عن عبد الله ، به . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في كم يستحب يختم القرآن ، من طريق أبى بكر بن أبى شيبة ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عبد الله به ، حديث (١٣٤٥) والبخاري في التاريخ (١٦/٢/١) ، وابن أبي شيبة (٥٠١/٢ - ٥٠٢) ، والطيالسي (١١٠٨) ، وابن سعد (٥١٠/٥) ، والطبرانى في الكبير (٢٢٠/١) حديث (٥٩٩) ، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود حديث ٢٩٧ .

---

[١] - ليست في البخاري .

فمكث عنا ليلة لم يأتنا ، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء . قال : قلنا : ما أمكثك عنا يا رسول الله ؟ قال : « **طرأ علي حزب من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه** » . قال : فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبحنا ، قال : قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من قاف حتى يختم .

ورواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي ، به ، وهذا إسناد حسن .

فصل

فأما نقط المصحف وشكله ، فيقال : إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان ، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك ، ويقال : إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي ،وذكروا أنه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر(١٨٠) ، والله أعلم .

وأما كتابة الأعشار على الحواشي فينسب إلى الحجاج أيضًا ، وقيل : بل أول من فعله المأمون ، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف ، وكان يحكه(١٨١) ، وكره مجاهد ذلك أيضًا .

وقال مالك : لا بأس به بالحبر ، فأما بالألوان المصبغة فلا . وأكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الأمهات ، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسًا .

وقال قتادة : بدءوا فنقطوا ، ثم خمسوا ، ثم عشروا . وقال يحيى بن أبي كثير : أول ما أحدثوا النقط على الباء والتاء والثاء ، وقالوا : لا بأس به ، هو نور له ، أحدثوا نقطًا عند آخر الآي ، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم .

ورأى إبراهيم النخعي فاتحة سورة كذا ، فأمر بمحوها وقال : قال ابن مسعود : لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه . قال أبو عمرو الداني : ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها .

ثم قال البخاري ، رحمه الله :

كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم

قال مسروق : عن عائشة ، عن فاطمة، رضي الله عنها ، أسر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي . هكذا ذكره معلقًا وقد أسنده في موضع آخر(١٨٢) .

ثم قال : حدثنا يحيى بن قزعة ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ما

(١٨٠) – روى ابن أبي داود في المصاحف (ص ١٤١) بإسناده عن هارون بن موسى : أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر .

(١٨١) – رواه أبو عبيد بإسناده إلى عبد الله في فضائل القرآن (ص ٣٩٤) .

(١٨٢) – البخاري في فضائل القرآن عقب حديث (٤٩٩٦) .

يكون في شهر رمضان ؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وهذا الحديث متفق عليه(١٨٣) ، وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد ، واللّه أعلم .

ثم قال : حدثنا خالد بن يزيد ، حدثنا أبو بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : كان يعرض على النبي صلى اللّه عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه .

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من غير وجه عن أبي بكر - وهو ابن عياش - عن أبي حصين ، واسمه عثمان بن عاصم ، به(١٨٤) .

والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة : مقابلته على ما أوحاه إليه عن اللّه تعالى ، ليبقى ما بقي ، ويذهب ما نسخ توكيدًا ، أو استثباتًا وحفظًا ؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره ، عليه السلام ، اقتراب أجله على جبريل مرتين ، وعارضه به جبريل كذلك ؛ ولهذا فهم ، عليه السلام ، اقتراب أجله . وعثمان ، رضي اللّه عنه ، جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضي اللّه عنه وأرضاه ، وخصّ بذلك رمضان من بين الشهور ؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه ؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن ، كما تقدم ذكرنا لذلك .

---

(١٨٣) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩٧) ، ومسلم في الفضائل برقم ٥٠ - (٢٣٠٨) .

(١٨٤) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٤٩٩٨) ، وفي الاعتكاف ، باب : الاعتكاف في العشر الأوسط (٢٠٤٤) ، وأبو داود في الصوم ، باب : أين يكون الاعتكاف برقم (٢٤٦٦) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٢) ، وابن ماجة في الصوم ، باب : الاعتكاف برقم (١٧٦٩) .

القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو ، عن إبراهيم ، عن مسروق : ذكر عبد الله ابن عمرو عبد الله بن مسعود ، فقال : لا أزال أحبه ، سمعت رسول الله يقول : « **خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب** » ، رضي الله عنهم(١٨٥) .

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع ، ومسلم والنسائي من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة به(١٨٦) .

وأخرجاه والترمذي والنسائي - أيضًا - من حديث الأعمش ، عن أبي وائلٍ ، عن مسروق به(١٨٧) .

فهؤلاء الأربعة اثنان من المهاجرين الأولين عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ، واثنان من الأنصار : معاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وهما سيدان كبيران ، رضي الله عنهم أجمعين .

ثم قال : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا شقيق بن سلمة قال : خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست في الحلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت رادًا يقول غير ذلك(١٨٨) .

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كنا بحمص ، فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل : ما هكذا أنزلت ، فقال : قرأت على رسول

---

(١٨٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٤٩٩٩) .

(١٨٦) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٤٩٩٩) ، وانظر (٣٨٠٦ ، ٣٨٠٨ ، ٣٧٥٨، ٣٧٦٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم ١١٦ - (٢٤٦٤) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٦) .

(١٨٧) - البخاري برقم (٣٧٦٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة برقم ١١٧ - (٢٤٦٤) ، والترمذي في المناقب ، باب : مناقب عبد الله بن مسعود برقم (٣٨١٠) ، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٩٧) .

(١٨٨) - صحيح البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٠) .

الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **أحسنت** » ووجد منه ريح الخمر ، فقال : أتجترئ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر ؟ ! فجلده الحد(١٨٩) .

حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا مسلم ، عن مسروق قال : قال عبد الله : والله الذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحدًا أعلم مني [بكتاب الله][١] تبلغه الإبل لركبت إليه(١٩٠) .

وهذاكله حق وصدق ، وهو من إخبار الرجل بما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره ، فيجوز ذلك للحاجة ، كما قال تعالى إخبارا عن يوسف لما قال لصاحب مصر : ﴿ **اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف : ٥٥] ، ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **استقرئوا القرآن من أربعة** » ، فبدأ به .

وقال أبو عبيد : حدثنا مصعب بن المقدام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من أحب أن يقرأ القرآن غضًا(١٩١) كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد** »(١٩٢) .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به مطولا ، وفيه قصة ،

وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به وصححه الدارقطني ، وقد ذكرته في مسند عمر(١٩٣) .

---

(١٨٩) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠١) .

(١٩٠) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٢) .

(١٩١) - قال ابن الأثير : الغض : الطري الذي لم يتغير ؛ أراد طريقته في القراءة ، وهيئته فيها . وقيل : أراد الآيات التي سمعها منه ، من أول سورة النساء إلى قوله : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا** ﴾ النهاية (٣٧١/٣) .

(١٩٢) - فضائل القرآن (ص ٣٧٢) ، والحاكم (٢٢٧/٢) (٣١٨/٣) ، وأحمد في المسند (٢٥/١،٢٦) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء برقم (١٦٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٢٥٦) .

(١٩٣) - مسند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للمؤلف (ص ١٧١ - ١٧٣) وقال : « وهذا الحديث لا يشك أنه محفوظ ، وهذا الاضطراب لا يضر صحته ، والله أعلم » .

---

[١] - زيادة من البخاري .

وفي مسند الإمام أحمد - أيضًا - عن أبي هريرة أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **ومن أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد** »[١٩٤] ، وابن أم عبد هو عبد اللَّه بن مسعود ، وكان يعرف بذلك .

ثم قال البخاري[١٩٥] : حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة قال : سألت أنس ابن مالك : من جمع القرآن على عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ؟ قال : أربعة ، كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . ورواه مسلم من حديث همام .

ثم قال البخاري : تابعه الفضل ، عن حسين بن واقد ، عن ثمامة ، عن أنس بن مالك .

حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا عبد اللَّه بن المثنى قال : حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي صلى اللَّه عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال : ونحن ورثناه[١٩٦] .

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط ، وليس هذا هكذا ، بل الذي لا شك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضًا ، ولعل مراده : لم يجمع القرآن من الأنصار ؛ ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار ، وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، وكلهم مشهورون إلا أبا زيد هذا ، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ، وقد اختلف في اسمه فقال الواقدي : اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار[١٩٧] .

وقال ابن نمير : اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس . وقيل : هما اثنان جمعا القرآن ، حكاه أبو عمر بن عبد البر ، وهذا بعيد وقول الواقدي أصح لأنه

---

(١٩٤) - رواه أحمد في المسند (٢/٤٤٦) ، وفي فضائل الصحابة (١٥٣٧) ، وأبو يعلى (٦١٠٦) ، والعقيلي (١/١٩٧ - ١٩٨) ، والبزار (٣/٢٦٨٢) ، وقال البزار : جرير ليس بالحافظ ، وتركه النسائي ، وضعفه ابن السكن ، وقال أبو حاتم والبخاري : منكر الحديث .

(١٩٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٣) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، برقم ١١٦ - (٢٤٦٥) .

(١٩٦) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، برقم (٥٠٠٤) .

(١٩٧) - انظر : أسد الغابة (٦/١٢٠) ، والإصابة (٣/٢٤٠) .

خزرجي ؛ لأن أنسًا قال : ونحن ورثناه ، وهم من الخزرج ، وفي بعض ألفاظه : وكان أحد عمومتي .

وقال قتادة عن أنس(١٩٨) قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمته الدبُرُ عاصم بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت .

فقالت الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد .

فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي ، وقد شهد أبو زيد هذا بدرًا ، فيما ذكره غير واحد .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيدة على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة ، والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق ، رضي الله عنه ، قدّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه إمامًا على المهاجرين والأنصار ، مع أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله** »(١٩٩) ، فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدّمه عليهم . هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، وهذا التقرير لا يُدفع ولا يشك فيه ، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءًا ، وقد بسطت تقرير ذلك في كتاب مسند الشيخين ، رضي الله عنهما .

ومنهم عثمان ابن عفان وقد قرأه في ركعة - كما سنذكره - وعلي بن أبي طالب يقال : إنه جمعه على ترتيب ما أنزل ، وقد قدمنا هذا .

ومنهم عبد الله بن مسعود ، وقد تقدم عنه أنه قال : ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ؟ وفيم نزلت ؟ ولو علمت أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لذهبت إليه .

ومنهم سالم مولى أبي حذيفة ، كان من السادات النجباء والأئمة الأتقياء وقد قتل يوم اليمامة شهيدًا .

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ، وقد تقدم عن مجاهد أنه قال : قرأت القرآن على ابن عباس مرتين ، أقفه عند كل آية وأسأله عنها .

---

(١٩٨) - رواه أبو يعلى (٢٩٥٣/٥) ، والبزار (٢٨٠٢/٣) ، والطبراني (٣٤٨٨/٤) ، وقال الهيثمي (١٠/ ٤١) : رجاله رجال الصحيح .

(١٩٩) - رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٧٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري ، وقد تقدم .

ومنهم عبد اللّه بن عمرو ، كما رواه النسائي وابن ماجة من حديث ابن جريج عن عبد اللّه بن أبي مُلَيْكة ، عن يحيى بن حكيم بن صفوان ، عن عبد اللّه بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال : « **اقرأه في شهر** » . وذكر تمام الحديث(٢٠٠) .

ثم قال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال عمر : عليٌّ أقضانا ، وأُبيّ أقرؤنا ، وإنا لَنَدع من لحنِ أبيّ ، وأبيّ يقول : أخذته من في رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فلا أتركه لشيء قال اللّه تعالى : ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [البقرة : ١٠٦](٢٠١) .

وهذا يدل على أن الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صوابًا وهو خطأ في نفس الأمر ؛ ولهذا قال الإمام مالك : ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر ، أي : فكله مقبول ، صلوات اللّه وسلامه عليه . ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها ، وسنذكر فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال :

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث : حدثني يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريبًا منها ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال : « **اقرأ يا بن حضير ، اقرأ يا بن حضير** » . قال فأشفقت يا رسول اللّه أن تطأ يحيى وكان منها قريبًا ، فرفعت رأسي وانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلَّة ، فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها قال : « **أو تدري ما ذاك ؟** » قال : لا ، قال : « **تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم** » . قال ابن الهاد : وحدثني هذا الحديث عبد اللّه بن خباب عن أبي سعيد الخدري عن

---

(٢٠٠) – رواه النسائي في الكبرى برقم (٨٠٦٤) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في كم يستحب يختم القرآن برقم (١٣٤٦) ، وأحمد (١٦٣/٢) ، وعبد الرزاق (٥٩٥٦) ، وابن حبان (٧٥٦ ، ٧٥٧ إحسان) ، والفريابي في الفضائل (١٢٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٨٥/١) . ويحيى بن حكيم بن صفوان : قال في التقريب : مقبول – أي عند المتابعة – .

(٢٠١) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم برقم (٥٠٠٥) .

أسيد بن الحضير[٢٠٢] .

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلقًا ، وفيه انقطاع في الرواية الأولى ، فإن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيدًا لأنه مات سنة عشرين ، وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي اللّٰه عنهما . ثم فيه غرابة من حيث إنه قال : وقال الليث : حدثني يزيد بن الهاد ولم أره بسند متصل عن الليث كذلك ، إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الأطراف أن يحيى بن عبد اللّٰه بن بكير رواه عن الليث كذلك .

وقد رواه الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن فقال[٢٠٣] : وحدثنا عبد اللّٰه بن صالح ويحيى بن بُكير ، عن الليث ، عن يزيد بن عبد اللّٰه بن أسامة بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أسيد بن حضير ، فذكر الحديث إلى آخره ، ثم قال : قال ابن الهاد : وحدثني عبد اللّٰه بن خباب ، عن أبي سعيد ، عن أسيد بن حضير بهذا.

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن[٢٠٤] ، عن محمد بن عبد اللّٰه بن عبد الحكم ، عن شعيب ابن الليث ، وعن علي بن محمد بن علي ، عن داود بن منصور ، كلاهما عن الليث ، عن خالد ابن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن يزيد بن عبد اللّٰه ، وهو ابن الهاد ، عن عبد اللّٰه بن خباب ، عن أبي سعيد ، عن أسيد ، به.

ورواه يحيى بن بكير[٢٠٥] ، عن الليث كذلك أيضًا ، فجمع بين الإسنادين .

ورواه في المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطي ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن يزيد ابن الهاد ، عن عبد اللّٰه بن خباب ، عن أبي سعيد ، أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده ، الحديث[٢٠٦] . ولم يقل : عن أسيد ، ولكن ظاهره أنه عنه ، واللّٰه أعلم .

وقال أبو عبيد[٢٠٧] : حدثني عبد اللّٰه بن صالح ، عن الليث ، عن ابن شهاب ، عن ابن كعب بن مالك ، عن أسيد بن حضير : أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت ، ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه .

---

(٢٠٢) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : نزول السكينة والرحمة برقم (٥٠١٨) .

(٢٠٣) – فضائل القرآن (ص ٦٣ ، ٦٤) ، والبيهقي في الدلائل (٨٤/٧) ، ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم ١٩٢٨، ١٩٢٩ – (٤٦٨/٣ – ٤٦٩) ، والطبراني في الكبير برقم ٥٦١ – (١٦٧/١) .

(٢٠٤) – سنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٧٤) .

(٢٠٥) – سنن النسائي الكبرى برقم (٨٢٤٤) .

(٢٠٦) – ورواه مسلم ٢٤٢ – (٨٩٦) ، وأحمد (٨١/٣) .

(٢٠٧) – فضائل القرآن (ص ٦٤ ، ٦٥) ، ورواه البخاري في تاريخه (٣١٣/١/٣) ، والحاكم (٥٥٣/١ – ٥٥٤) .

وحدثنا قبيصة[٢٠٨] ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أسيد بن حضير قال : قلت : يا رسول الله ، بينا أنا أقرأ البارحة بسورة ، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفي ، حتى ظننت أن فرسي تطلق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ أبا عتيك** » مرتين قال : فالتفت إلى أمثال المصابيح ملء بين السماء والأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ أبا عتيك** » . فقال : والله ما استطعت أن أمضي فقال : « **تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب** » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول : بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض ، أو قال : فرسه يركض ، فنظر فإذا مثل الضبابة أو مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **تلك السكينة تنزلت للقرآن ، أو تنزلت على القرآن** »[٢٠٩] .

وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة[٢١٠] . والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير ، رضي الله عنه ، فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد ، وهذا من أغرب تعليقات البخاري ، رحمه الله ، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة .

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد :

حدثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم ، عن عمه جرير بن زيد ، أن أشياخ أهل المدينة حدثوه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح ؟ قال : « **فلعله قرأ سورة البقرة** » . قال : فسئل ثابت فقال : قرأت سورة البقرة[٢١١] .

وفي الحديث المشهور الصحيح : « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحَفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** » رواه مسلم عن أبي هريرة[٢١٢] .

---

(٢٠٨) - فضائل القرآن (ص ٦٥) ، ورواه ابن حبان (١٧١٦) ، وابن أبي عاصم ١٩٣٠ - (٤٦٩/٣) ، والدولابي (٨٣/١) ، والطبراني (٥٦٦) ، والحاكم (٥٥٤/١) ، والبيهقي (١٨٢٤) .

(٢٠٩) - مسند الطيالسي برقم (٧١٤) ، ورواه مسلم ٢٤١ - (٧٩٥) ، والترمذي (٢٨٨٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٢/٤) ، والبيهقي في الدلائل (٨٣/٧) .

(٢١٠) - البخاري في المناقب ، باب : علامات النبوة برقم (٣٦١٤) ، ومسلم في صلاة المسافرين برقم ٢٤٠ - (٧٩٥) .

(٢١١) - فضائل القرآن (ص ٦٥ -٦٦) .

(٢١٢) - مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٣٨ - (٢٦٩٩) .

ولهذا قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] ، وجاء في بعض التفاسير : أن الملائكة تشهده .

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون** »(٢١٣) .

من قال : لم يترك النبي صلى اللّه عليه وسلم إلا ما بين الدفتين

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد ابن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد بن معقل : أترك النبي صلى اللّه عليه وسلم من شيء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال : ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين .

تفرد به البخاري(٢١٤) ، ومعناه : أنه ، عليه السلام ، ما ترك مالًا ولا شيئًا يورث عنه ، كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية بنت الحارث : ما ترك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا(٢١٥) .

وفي حديث أبي الدرداء : « **إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر** »(٢١٦) .

---

(٢١٣) – رواه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٥) ، ومسلم في المساجد برقم ٢١٠ – (٦٣٢) .

(٢١٤) – رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : من قال : لم يترك النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، إلا ما بين الدفتين برقم (٥٠١٩) .

(٢١٥) – رواه البخاري في الوصايا من صحيحه ، باب: الوصايا ... وفي كتاب المغازي ، باب : مرض النبي صلى اللّه عليه وسلم ووفاته برقم (٢٧٣٩،٤٤٦١) .

(٢١٦) – رواه أبو داود في كتاب العلم ، باب : الحث على طلب العلم برقم (٣٦٤١) ، والترمذي في العلم ، باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٣) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢٢٣) ، وابن حبان في صحيحه برقم (٨٠ موارد) . من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء ، به في حديث طويل . إلا أن الترمذي لم يذكر داود ين جميل – وقال أبو عيسى : ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس هو عندي بمتصل هكذا . وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء عن النبي ، صلى اللّه عليه وسلم . =

ولهذا قال ابن عباس : وإنما ترك ما بين الدفتين يعني : القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة له ، فهي تابعة له ، والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ الآية [فاطر : ٣٢] ، فالأنبياء ، عليهم السلام ، لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها ، إنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها ؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا نورث ما تركنا فهو صدقة** »(٢١٧) .

وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، لما سئل عن ميراث النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبر عنه بذلك ، ووافقه على نقله عنه ، عليه السلام ، غير واحد من الصحابة ؛ منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم ، وهذا ابن عباس يقول - أيضًا - عنه عليه السلام ، رضي الله عنهم أجمعين .

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هُدْبة بن خالد أبو خالد ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، حدثنا أنس بن مالك ، عن أبي موسى ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « **مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجة ، طعمها طيب وريحها طيب . والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة ، طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها** »(٢١٨) .

وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به(٢١٩) .

= وداود بن جميل : قال الذهبي في الميزان : حديثه مضطرب وضعفه الأزدي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال الدارقطني : عاصم ومن فوقه ضعفاء . وكثير بن قيس ضعفه الدارقطني ، ووثقه ابن حبان . وعاصم ابن رجاء بن حيوة : قال ابن معين : صويلح . وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وضعفه الدارقطني .

(٢١٧) - متفق عليه من حديث عائشة : رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، باب : مناقب قرابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، برقم (٣٧١٢) ، وفي الفرائض ، باب : قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **لا نورث ما تركنا صدقة** » برقم (٦٧٣٠) ، ومسلم في الجهاد والسير برقم ٥١ - (١٧٥٨) ، وأبو داود برقم (٩٧٧) ، و(٢٩٧٦) ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي في الفرائض من الكبرى . وقد روي من حديث العباس ، وطلحة ، وعبد الله بن عثمان ، وعمر بن الخطاب ، وسعد بن مالك ، وأبي هريرة ، وعائشة ، والزبير .

(٢١٨) - رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ، برقم (٥٠٢٠) .

(٢١٩) - رواه البخاري في الأطعمة ، باب : ذكر الطعام ، وفي فضائل القرآن ، باب : إثم من راءى بقراءة القرآن ..... : برقم (٥٤٢٧،٥٠٥٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٤٣ - (٧٩٧) وأبو داود في الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس برقم (٤٨٢٩ ، ٤٨٣٠) ، والترمذي في الأمثال =

ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث : أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودًا وعدمًا ، فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر . ثم قال :

حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثني عبد اللّٰه بن دينار ، قال : سمعت ابن عمر رضي اللّٰه عنه عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالًا ، فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود فقال : من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر ؟ فعملت النصارى ، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين ، قالوا : نحن أكثر عملًا وأقل عطاءً ! قال : هل ظلمتكم من حقكم ؟ قالوا : لا . قال : فذلك فضلي أوتيه من شئت** »(٢٢٠) .

تفرد به من هذا الوجه، ومناسبته للترجمة: أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلَتْ الأمم الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾(٢٢١) .

وفي المسند والسنن عن بَهْزِ بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على اللّٰه** »(٢٢٢) . وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم الذي شرفه اللّٰه تعالى على كل كتاب أنزله ، جعله مهيمنا عليه ، وناسخًا له ، وخاتمًا له ؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة ، وهذا القرآن نزل منجمًا بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزله عليه ، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة ، وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى ، فاليهود استعملهم اللّٰه من لدن موسى إلى زمان عيسى ، والنصارى من ثمّ إلى أن بعث محمد صلى اللّٰه عليه وسلم ، ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة ، وهو المشبه بآخر النهار ، وأعطى اللّٰه المتقدمين قيراطًا قيراطًا ، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ، ضعفى ما أعطى أولئك ، فقالوا : أي ربنا ، ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا ؟ فقال : هل

= باب : في مثل المؤمن القارئ للقرآن برقم (٢٨٦٥) ، والنسائي في الإيمان ، باب : مثل الذي يقرأ القرآن ... (١٢٤/٨، ١٢٥) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢١٤) .

(٢٢٠) – صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ، برقم (٥٠٢١) .

(٢٢١) – [آل عمران: ١١٠] .

(٢٢٢) – المسند ٢٠٠٦٥ – (٤٤٧/٤) ، وحديث ٢٠٠٧٤ – (٣/٥) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠١) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، حديث (٤٢٨٧–٤٢٨٨) ، والدارمي في كتاب الرقاق ، باب : في قول النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم : « **أنتم خير الأمم** » حديث (٢٧٦٣) ، (٢٢١/٢) ، والطبراني في « الكبير » برقم (١٠٢٣–١٠٢٤–١٠٢٥) ، (٤٢٢/١٩–٤٢٣) ، والحاكم وصححه (٨٤/٤) ، وابن الجوزي في الموضعات (٣٠/١) ، وقال الترمذي :حسن .

ظلمتكم شيئًا ؟ قالوا : لا ، قال : فذلك فضلي - أي الزائد على ما أعطيتكم - أوْتيه من أشاء كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾(٢٢٣) .

الوصايا بكتاب الله

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا مالك بن مِغْول ، حدثنا طلحة بن مُصَرِّف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . فقلْت : فكيف كتب على الناس الوصية ، أمروا بها ولم يوص ؟ قال : أوصى بكتاب الله ، عز وجل(٢٢٤) .

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة ، إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به(٢٢٥) ، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس : « **ما ترك إلا ما بين الدفتين** » ، وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ** ﴾(٢٢٦) . وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يترك شيئًا يورث عنه ، وإنما ترك ماله صدقة جارية من بعده ، فلم يحتج إلى وصية في ذلك ولم يوصِ إلى خليفة يكون بعده على التنصيص ؛ لأن الأمر كان ظاهرًا من إشارته وإيمائه إلى الصديق ؛ ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك فقال : « **يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر** »(٢٢٧) ، وكان كذلك ، وإنما أوصى الناس باتباع كتاب الله تعالى .

من لم يتغنَّ بالقرآن وقول الله تعالى :
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾(٢٢٨) .

---

(٢٢٣) - [الحديد : ٢٨،٢٩] .

(٢٢٤) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل القرآن على سائر الكلام ، برقم (٥٠٢٢) .

(٢٢٥) - رواه البخاري في الوصايا ، باب : الوصايا ... ، وفي المغازي ، باب : مرض النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ووفاته برقم (٢٧٤٠،٤٤٦٠) ، ومسلم في الوصايا برقم ١٦ - (١٦٣٤) ، والترمذي في الوصايا ، باب : ما أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لم يوص برقم (٢١١٩) ، والنسائي في الوصايا ، باب : هل أوصى النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم (٦/٢٤٠) ، وابن ماجة في الوصايا ، باب : هل أوصى رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم برقم (٢٦٩٦) .

(٢٢٦) - [البقرة : ١٨٠] .

(٢٢٧) - رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢١٧) ، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(٢٢٨) - [العنكبوت : ٥١] .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، حدثنا عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لم يأذن الله لشيء ، ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن** » ، وقال صاحب له : يريد يجهر به فرد من هذا الوجه .

ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، به(٢٢٩) .

قال سفيان : تفسيره : يستغني به ، وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة(٢٣٠) ، ومعناه : أن الله ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها ، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية ، وذلك هو الغاية في ذلك .

وهو ، سبحانه وتعالى ، يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم ، كما قالت عائشة ، رضي الله عنها : سبحان الله الذي وسع سمعه الأصوات(٢٣١) .

ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** ﴾ الآية(٢٣٢) ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم ، ومنهم من فسر الأذن هاهنا بالأمر ، والأول أولى لقوله : « **ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن** » أي : يجهر به ، والإذن : الاستماع ؛ لدلالة السياق عليه ، وكما قال تعالى : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ** ﴾(٢٣٣) أي استمعت لربها وحقت أي : وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه ، فالإذن هاهنا هو الاستماع ؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجة بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته** »(٢٣٤) .

---

(٢٢٩) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : من لم يتغن بالقرآن برقم (٥٠٢٣) ، (٥٠٢٤) .

(٢٣٠) - رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم ٢٣٢ - (٧٩٢) ، والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب : تزيين القرآن بالصوت ١٠١٨ - (١٨٠/٢) .

(٢٣١) - رواه البخاري في صحيحه عقب حديث (٧٣٨٥) معلقًا ، ورواه النسائي بلفظ : « **الحمد لله ...** » في كتاب الطلاق ، باب : الظهار ٣٤٦٠ - (١٦٨/٦) ، وفي التفسير من الكبرى ، وابن ماجه في المقدمة (١٨٨) ، ورواه في الطلاق بلفظ : **تبارك الذي وسع سمعه كل شيء** ، حديث (٢٠٦٣) .

(٢٣٢) - [يونس : ٦١] .

(٢٣٣) - [الانشقاق : ١-٥] .

(٢٣٤) - رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في حسن الصوت بالقرآن برقم (١٣٤٠) ، من طريق راشد بن سعيد الرملي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا الأوزاعي ، ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، =

وقول سفيان بن عيينة : إن المراد بالتغني : يستغني به ، فإن أراد : أنه يستغني به عن الدنيا ، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، فخلاف الظاهر من مراد الحديث ؛ لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر ، وهو تحسين القراءة والتحزين بها .

قال حرملة : سمعت ابن عيينة يقول : معناه : يستغني به ، فقال لي الشافعي : ليس هو هكذا ، ولو كان هكذا لكان يتغانى به ، وإنما هو يتحزن ويترنم به ، ثم قال حرملة : وسمعت ابن وهب يقول : يترنم به ، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي ، رحمه الله .

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾(٢٣٥) ، فيه نظر ؛ لأن هذه الآية الكريمة ذكرت ردًا على الذين سألوا عن آيات تدل على صدقه ، حيث قال : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ** ﴾ الآية(٢٣٦) . ومعنى ذلك : أو لم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمي ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾(٢٣٧) أي : وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ، فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية الكريمة فيه نظر.

= عن ميسرة مولى فضالة ، عن فضالة بن عبيد به . وقال البوصيري : (٤٣٦/١) هذا إسنادٌ حسن لقصور درجة ميسرة مولى فضالة ، وراشد بن سعيد عن درجة أهل الحفظ والضبط ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٤٠٥٥ ، ٢٤٠٦٥ - (١٩/٦ ، ٢٠) ، ورواه ابن حبان في صحيحه (٦٥٩) عن عبد الله بن محمد بن سالم ، عن عبد الرحمن بن إبراهيم ، عن الأوزاعي ، به ، ورواه الطبراني في الكبير ٧٧٢ - (١٨/ ٣٠١) ، والحاكم في مستدركه (٥٧٠/١ - ٥٧١) إلا أنه أسقط من السند ميسرة مولى فضالة - وقال : صحيح على شرطهما . اهـ . قال الذهبي : بل هو منقطع . ورواه البيهقي في الكبرى (٢٣٠/١٠) من طريق محمد بن عقبة بن كثير ، عن الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي فذكره .

وميسرة مولى فضالة : ترجمه البخاري في التاريخ (٣٧٥/٧ - ٣٧٦) ولم يورد فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وتبعه ابن أبي حاتم (٢٥٣/٨) ووثقه ابن حبان ، ولكن في سماع إسماعيل منه نظر كما قال ابن حجر .

(٢٣٥) - [العنكبوت : ٥١] . (٢٣٦) - [العنكبوت : ٥٠، ٥١] .

(٢٣٧) - [العنكبوت : ٤٨] .

فصل
في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عبيد(٢٣٨) : حدثنا عبد اللّٰه بن صالح ، عن قباث بن رزين ، عن عُلَيِّ بن رباح اللخمي ، عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن ، فقال : « **تعلموا كتاب اللّٰه واقتنوه** » . قال : وحسبت أنه قال : « **وتغنوا به ، فوالذي نفسي بيده ، لهو أشد تفلتا من المخاض من العُقُل** » .

وحدثنا عبد اللّٰه بن صالح ، عن موسى بن علي ، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مثل ذلك إلا أنه قال : « **واقتنوه وتغنوا به** » ولم يشك .

وهكذا رواه أحمد والنسائي في كتاب « فضائل القرآن » ، من حديث موسى بن علي ، عن أبيه ، به ، ومن حديث عبد اللّٰه بن المبارك ، عن قباث بن رزين ، عن عُلَيِّ بن رباح ، عن عقبة ، وفي بعض ألفاظه : خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا ، وذكر الحديث . ففيه دلالة على السلام على القارئ .

ثم قال أبو عبيد (٢٣٩) : حدثنا أبو اليمان ، عن أبي بكر بن عبد اللّٰه بن أبي مريم ، عن المهاصر ابن حبيب قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **يا أهل القرآن ، لا توسدوا القرآن ، واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار ، وتغنوه وتقنّوه ، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون** » وهذا مرسل .

---

(٢٣٨) - فضائل القرآن (ص ٦٩ - ٧٠) ، رواه أحمد في المسند برقم ١٣٣٦٥ ، ١٧٤١٠ ، ١٧٤٤٣ - (١٤٦/٤ ، ١٥٠ ، ١٥٣) ، والنسائي الكبرى برقم (٨٠٣٤) ، وأخرجه الدارمي حديث ٣٣٥١ - (٢/ ٤٣٩) كتاب فضائل القرآن ، باب : في تعاهد القرآن ، وأبو يعلى في مسنده ١٧٤٠ - (٢٨١/٣) ، وابن أبي شيبة حديث ١٠٠٤٠ - (٤٧٧/١٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٩/٧) : رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : « **لهو أشد تفصيًا من المخاض في العقل** » . ورجال أحمد رجال الصحيح .اهـ . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦١) .

(٢٣٩) - **إسناده ضعيف** لضعف أبي بكر بن أبي مريم ، والمهاصر بن حبيب ، تابعي فالحديث مرسل ، والحديث في فضائل القرآن (ص ٧٠ - ٧١) . ورواه من طريق المهاصر ، عن عبيدة الأملوكي مرفوعًا ، كُلّ من البيهقي (١٨٥٢) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٦٠/١) ، وابن عساكر (٥٦/٤) ، وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير ، وضعفه بأبي بكر بن أبي مريم . وقد رواه البخاري في تاريخه (٨٤/٢/٣) موقوفًا علي عبيدة الأملوكي ، ورواه أيضًا كذلك البيهقي في الشعب برقم (٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩) .

ثم قال أبو عبيد : قوله : « **تغنوه** » : يعني : اجعلوه غناءكم من الفقر ، ولا تعدوا الإقلال معه فقرًا . وقوله : « **وتَقَنَّوه** » ، يقول : اقتنوه ، كما تقتنون الأموال واجعلوه مالكم .

وقال أبو عبيد : حدثني هشام بن عمار ، عن يحيى بن حمزة ، عن الأوزاعي ، حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، عن فضالة بن عبيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لله أشد أَذَنًا[١] إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته** »(٢٤٠) .

قال أبو عبيد : هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده يقول: عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن مولى فضالة عن فضالة

وهكذا رواه ابن ماجة ، عن راشد بن سعيد بن أبي راشد ، عن الوليد، عن الأوزاعي ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن ميسرة مولى فضالة ، عن فضالة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « **لله أشد أَذَنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلي قينته** »(٢٤١) . قال أبو عبيد : يعني : الاستماع . وقوله في الحديث الآخر : « **ما أذن الله لشيء** » أي : ما استمع .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن الفضل ، حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، حدثنا القاسم بن محمد ، حدثنا السائب قال : قال لي سعد : يا بن أخي ، هل قرأت القرآن ؟ قلت : نعم . قال : غن به ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **غنوا بالقرآن ، ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا ، فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا** »(٢٤٢) .

وقد روى أبو داود من حديث الليث وعمرو بن دينار كلاهما عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة ، عن عبد الله بن أبي نَهِيك ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** »(٢٤٣) .

ورواه ابن ماجة من حديث ابن أبي مليكة ، عن عبد الرحمن بن السائب ، عن سعد ابن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه**

---

(٢٤٠) - فضائل القرآن (ص ١٦١ - ١٦٢) .

(٢٤١) - تقدم (١٩٥) .

(٢٤٢) - وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وهو متروك .

(٢٤٣) - **إسناده صحيح** ، والحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القرآن برقم (١٤٦٩،١٤٧٠) ، ورواه أحمد (١٤٧٦) .

---

[١] - في الفضائل لأبي عبيد : أذانًا .

فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا بِه ، فمن لم يتغن به فليس منا »[٢٤٤] .

وقال أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سعيد بن حسان المخزومي ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن عبد اللّه بن أبي نهيك ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** »[٢٤٥] . قال وكيع : يعني : يستغني به .

ورواه أحمد أيضًا عن الحجاج وأبي النضر ، كلاهما عن الليث بن سعد ، وعن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، كلاهما عن عبد اللّه بن أبي مليكة به . وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه ، واللّه أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا عبد الجبار بن الورد ، قال : سمعت ابن أبي مُلَيْكة ، يقول : قال عبيد اللّه بن أبي يزيد : مرّ بنا أبو لُبَابة فاتَّبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رَثُّ البيت، رَثُّ الهيئة ، فانتسبنا له ، فقال : تجار كسبة، فسمعته يقول : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** » . قال : فقلت لابن أبي مليكة : يا أبا محمد ، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت قال : يحسنه ما استطاع . تفرد به أبو داود[٢٤٦] .

فقد فهم من هذا أن السلف ، رضي اللّه عنهم ، إنما فهموا من التغني بالقرآن : أنما هو تحسين الصوت به ، وتحزينه ، كما قاله الأئمة ، رحمهم اللّه ، ويدل على ذلك - أيضًا - ما رواه أبو داود حيث قال :

---

(٢٤٤) - رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : في حسن الصوت بالقرآن ، برقم (١٣٣٧) وقال البوصيري في الزوائد (١/٤٣٤) : هذا إسناد فيه أبو رافع ، واسمه إسماعيل بن رافع ، ضعيف متروك ، ورواه بتمامه أبو يعلى الموصلي ٦٨٩ - (٢/٤٩) : حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا الوليد ، حدثنا إسماعيل بن رافع ، حدثني ابن أبي مليكة ، فذكره ، ورواه الحاكم في المستدرك (١/٥٦٩) من طريق ابن الهيثم بن موسى ، عن الوليد بن مسلم ، به ، ورواه البيهقي في الكبرى (١٠/٢٣١) عن الحاكم به ، وفي الشعب (٢٠٥١) ، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٨٠) .

(٢٤٥) - **إسناده صحيح** ، والحديث في المسند ١٤٧٦ - (١/١٧٢) ، والطيالسي (٢٠١) .

ورواه أحمد أيضًا في المسند برقم ١٥١٢ ، ١٥٤٩ - (١/١٧٥،١٧٩) ، ورواه أبو داود (١٤٦٩ ، ١٤٧٠) ، والدارمي (١/٢٨٨) ، (٢/٣٣٨) ، وابن أبي شيبة (٢/٥٢٢ ، ١٠/٤٦٤) ، وعبد الرزاق (٤١٧١) ، وعبد بن حميد (١٥١) ، وأبو يعلى (٧٤٨) ، والطحاوي في المشكل (٢/١٢٨) ، وابن حبان (١٢٠ إحسان) ، والحاكم (١/٥٦٩) ، والبيهقي (١٠/٢٣٠) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٩٤ ، ١٢٠٢) .

(٢٤٦) - **إسناده حسن** ، ورواه أبو داود في الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة ، برقم (١٤٧١) ، وابن أبي عاصم ١٩٠٣ - (٣/٤٥٠) ، والطحاوي (٢/١٢٨) ، والطبراني ٥/٢٤ - (٤٥١٤) ، والبيهقي (٢/٥٤) (١٠/٢٣٠) ، وعبد الجبار بن الورد : صدوق يهم .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن طلحة ، عن عبد الرحمن ابن عَوْسَجة ، عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **زينوا القرآن بأصواتكم** »[(٢٤٧)] .

وأخرجه النسائي وابن ماجة من حديث شعبة ، عن طلحة وهو ابن مصرف، به[(٢٤٨)] .

---

(٢٤٧) – أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة حديث (١٤٦٨) ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب : تزيين القرآن بالصوت (١٧٩/٢) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٥٠،٢٥١) وذكره معلقًا في « الصحيح » (٧٥٤٤) ، والحاكم في « مستدركه » (٥٧١/١) ، والبيهقي في « الكبرى » (٥٣/٢) ، (٢٢٩/١٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٥٣/٧) في كتاب فضائل القرآن ، ورواه أحمد (١٨٥٤٥ ، ١٨٦٧٠ ، ١٨٧٦٣) من طرق عن الأعمش ، به ، وقد صرح الأعمش بالسماع عند البخاري في المصدر المتقدم .

والحديث أخرجه أيضًا النسائي (١٧٩/٢ – ١٨٠) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في حسن الصوت بالقرآن حديث (١٣٤٢) ، والدارمي (٣٥٠٣) (٣٤٠/٢) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤) ، والطيالسي في « مسنده » (٧٣٨) ، وابن حبان حديث (٧٤٩) ، والحاكم في « مستدركه » (٥٧١/١ ، ٥٧٥) ، والبيهقي في « الكبرى » (٥٣/٢) (٢٢٩/١٠) . كلهم من طرق عن طلحة بن مصرف ، به .

ووقع عند النسائي والبخاري والطيالسي : قال عبد الرحمن بن عوسجة : وكنت أنسيت : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » حتى ذكرنيه الضحاك بن مزاحم .

وقال الحاكم (٥٧٣/١) : وقد حدث بهذا الحديث جماعة عن شعبة ، عن طلحة الحديث بطوله ، ولم يذكر هذه اللفظة : « **كنت نسيت** » غيرُ يحيى بن سعيد ، ومعاذ العنبري .

وقد روى هذا الحديث جم غفير عن طلحة بن مصرف ، ذكرهم أبو نعيم في « الحلية » (٢٧/٥) ، فراجعه إن شئت . وقد توبع طلحة بن مصرف على هذا الحديث كما قال الحاكم (٥٧٥/١) وجدنا لطلحة بن مصرف متابعين في روايته عن عبد الرحمن بن عوسجة ، وهما الحكم بن عتيبة ، وزبيد بن الحارث .

وله متابعة ثالثة أخرجها أبو يعلى في « مسنده » (١٦٨٦) (٢٤٥/٣) من طريق عتبة بن أبي حكيم ، عن طلحة ابن نافع ، عن عبد الرحمن بن عوسجة به ، لكن الحكم هذا مختلف فيه .

وللحديث شواهد عن عدد من الصحابة كما قال الحافظُ ابن حجر في « الفتح » (٥١٩/١٣) :

وفي الباب عن أبي هريرة : أخرجه ابن حبان في « صحيحه » . وعن ابن عباس : أخرجه الدارقطني في الأفراد بسند حسن . وعن عبد الرحمن بن عوف : أخرجه البزار بسند ضعيف . وعن ابن مسعود : وقع لنا في الأول من فوائد عثمان بن السماك ، ولكنه موقوف . قال ابن بطال : المراد بقوله : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » المد والترتيل والمهارة في القرآن جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك ، وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى ، كما يسره على الكرام البررة .ا.هـ .

(٢٤٨) – النسائي في الافتتاح ، باب : تزيين القرآن بالصوت ١٠١٦ – (١٧٩/٢) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : حسن الصوت بالقرآن برقم (١٣٤٢) .

وأخرجه النسائي من طرق أخر عن طلحة[٢٤٩] ، وهذا إسناد جيد .

وقد وثق النسائي ، وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا ، ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال : سألت عنه بالمدينة ، فلم أرهم يحمدونه[٢٥٠] .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة قال : نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » قال أبو عبيد : وإنما كره أيوب فيما نرى ، أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم في الألحان المبتدعة ، فلهذا نهاه أن يحدث به[٢٥١] .

قلت : ثم إن شعبة رحمه اللّٰه روى الحديث متوكلا على اللّٰه ، كما رُوي له ، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير، بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة ، واللّٰه المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه .

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن : تطريبه وتحزينه والتخشع به ، كما رواه الحافظ الكبير بَقِيّ ابن مَخْلَد رحمه اللّٰه ، حيث قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه قال : قال لي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة** » . قلت : أما واللّٰه لو علمت أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا .

ورواه مسلم من حديث طلحة به وزاد : « **لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود** »[٢٥٢] .

وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخاري ، والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تستمع لحّبرته لك تحبيرا ، فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه ، وقد كان أبو موسى كما قال ، عليه السلام ، قد أعطى صوتًا حسنا كما سنذكره إن شاء اللّٰه ، مع خشية تامة ورقة أهل اليمن الموصوفة ، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية .

قال أبو عبيد[٢٥٣] : حدثنا عبد اللّٰه بن صالح ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن

(٢٤٩) – النسائي ١٠١٥ – (١٧٩/٢) .

(٢٥٠) – وانظر تهذيب التهذيب (٥٤٠/٢ ط الرسالة) .

(٢٥١) – فضائل القرآن (ص ١٦٧) .

(٢٥٢) – رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم ٢٣٥ ، ٢٣٦ – (٧٩٣) .

(٢٥٣) – فضائل القرآن (ص ١٦٣) ، ورواه الدارمي (٣٣٩/٢) ، وابن سعد (١٠٦/٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٨/١) ، والطحاوي في المشكل (١٦١/٢) ، وعبد الرزاق (٤١٧٩/٢ ، ٤١٨٠ ، ٤١٨١)=

أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده .

وقال أبو عبيد : وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا سليمان التيمي ، أنبئت عنه ، حدثنا أبو عثمان النهدي قال : كان أبو موسى يصلي بنا ، فلو قلت : إني لم أسمع صوت صنجٍ قط ، ولا بربطٍ قط ، ولا شيئًا قط أحسن من صوته[٢٥٤] .

وقال ابن ماجة[٢٥٥] : حدثنا العباس بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ، ثم جئت فقال : « **أين كنت ؟** » قلت : كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام فقمت معه حتى استمع له ، ثم التفت إليّ فقال : « **هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا** » . إسناد جيد .

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فما سمعت أحدا أحسن صوتًا أو قال : قراءة منه . وفي بعض ألفاظه : فلما سمعته قرأ : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون** ﴾ [٢٥٦] ، خلت أن فؤادى قد انصدع[٢٥٧] . وكان جبير لما سمع هذا بعدُ مشركًا على دين قومه ، وإنما كان قدم في فداء الأسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر ! وكان هذا سبب هدايته ولهذا كان أحسن القراءة ما كان عن خشوع القلب .

= وابن حبان (٢٢٦٤) . وهو منقطع بين أبي سلمة ، وعمر وكذلك لم يسمع من أبي موسى .

(٢٥٤) – فضائل القرآن (ص ١٦٣) ، وابن سعد في الطبقات (١٠٨/٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٨/١) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٩١) ، وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح وقال : (٩٣/٩) : « سنده صحيح » .

(٢٥٥) – رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : حسن الصوت بالقرآن ، برقم (١٣٣٨) . وقال في الزوائد (٤٣٥/١) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه الحاكم في المستدرك (٢٢٥/٣ – ٢٢٦) عن عبد الصمد بن علي بن مكرم ، عن جعفر بن محمد بن شاكر ، عن موسى بن هارون عن الوليد به ، اهـ .

ورواه أحمد ٢٥٤٢٧ – (١٦٥/٦) ، والبزار كما في كشف الأستار بعضه (٢٥٤/٣ ، ٢٥٥/رقم : ٢٦٩٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٧١/١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٠/٩) وعزاه للبزار وقال : « ورجاله رجال الصحيح » . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . كذا قال ، وعبد الرحمن بن سابط لم يخرج له البخاري شيئًا .

(٢٥٦) – [الطور : ٣٥] .

(٢٥٧) – رواه البخاري في الأذان ، باب : الجهر في المغرب برقم (٧٦٥) ، وانظر (٤٨٥٤) ، ومسلم في الصلاة برقم ١٧٤ – (٤٦٣) .

كما قال أبو عبيد : حدثنا إسمعيل بن إبراهيم ، عن ليث ، عن طاوس قال : أحسن الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله[٢٥٨] .

وحدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : أحسن الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله .

وحدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم ، عن طاوس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أحسن صوتًا بالقرآن ؟ فقال : « **الذي إذا سمعته رأيته يخشى الله** »[٢٥٩] .

وقد روي هذا متصلا من وجه آخر ، فقال ابن ماجة[٢٦٠] :

حدثنا بشر بن معاذ الضرير ، حدثنا عبد الله بن جعفر المديني ، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله** » ، ولكن عبد الله بن جعفر هذا ، وهو والد علي بن المديني ، وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

والغرض أن المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة ، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي ، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك ، كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام ، رحمه الله[٢٦١] :

---

(٢٥٨) – فضائل القرآن (ص ١٦٥) .

(٢٥٩) – فضائل القرآن (ص ١٦٥) . ورواه الدارمي ٣٤٩٢ – (٣٣٨/٢) .

(٢٦٠) – **إسناده ضعيف** ، والحديث رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : حسن الصوت بالقرآن ، برقم (١٣٣٩) ، ورواه الأجري في أخلاق حملة القرآن (٨٣) ، وأورده البوصيري في الزوائد (٤٣٥/١) وقال : هذا إسنادٌ ضعيف لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وعبد الله بن جعفر .

(٢٦١) – فضائل القرآن (ص١٦٥) ، والحديث رواه الطبراني في الأوسط ٧٢٢٥ – (١٨٣/٧) وقال الطبراني : لا يروى هذا الحديث عن حذيفة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به بقية ، ورواه البيهقي في الشعب (٢٦٤٩ ، ٢٦٥٠) من طريق أبي حصين الفزاري ، عن أبي محمد ، عن حذيفة ، وقال ابن الجوزي في العلل (١١١/١) : هذا حديث لا يصح . وأبو محمد مجهول ، وبقية يروي عن الضعفاء ويدلسهم . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩/٧) وقال : فيه راوٍ لم يسم ، وقال الذهبي في ترجمة حصين بن مالك في الميزان (٥٥٣/١) : « تفرد عنه بقية ، ليس بمعتمد ، والخبر منكر » . وقال في تلخيص العلل : تفرد به بقية ، عن حصين بن مالك الفزاري ، عن أبي محمد – مجهول – عن حذيفة مرفوعًا . وحصين ليس بعمدة .

حدثنا نعيم بن حماد ، عن بَقِيَّة بن الوليد ، عن حصين بن مالك الفزاري : سمعت شيخًا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : **« اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم »**.

وحدثنا يزيد ، عن شريك ، عن أبي اليقظان عثمان بن عمير ، عن زاذان أبي عمر ، عن عليم قال : كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم - قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : عابس الغفاري - فرأى الناس يخرجون في الطاعون فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا : يفرون من الطاعون ، فقال : يا طاعون خذني ، فقالوا : تتمنى الموت وقد سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : **« لا يتمنين أحدكم الموت »** ؟ فقال : إني أبادر خصالا سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يتخوفهن على أمته : **« بيع الحكم ، والاستخفاف بالدم ، وقطيعة الرحم ، وقوم يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناءً »** وذكر خلتين أخرتين(٢٦٢) .

---

(٢٦٢) - **صحيح - إسناده ضعيف** ، والحديث في فضائل القرآن (ص ١٦٦) ، وعثمان بن عمير أبي حميد ابن قيس البجلي : قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل : قال أبي : عثمان بن عمير : أبو اليقظان ، ويقال : عثمان بن قيس ضعيف الحديث ، كان ابن مهدي ترك حديثه ، وقال عمرو بن علي : لم يرضى يحيى ولا عبد الرحمن أبا اليقظان ، وقال الدوري عن ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي سألت محمد بن عبد اللَّه بن نمير ، عن عثمان بن عمير فضعفه ، قال : وسألت أبي عنه فقال : ضعيف الحديث ، منكر الحديث ، وقال الدارقطني : متروك . وقال الحاكم عن الدارقطني : زائغ لا يحتج به .

وأما عُليم الكوفي : فقد قال ابن حجر في التعجيل : وقال ابن حبان في ثقات التابعين عُليم الكندي روى عن سلمان الفارسي ، رضي اللَّه عنه ، روى عنه زاذان .

والحديث رواه أحمد ١٦٠٨٧ - (٤٩٤/٣ - ٤٩) ، ورواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٤) حديث (٦١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٤٨) : رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير نحوه ؛ إلا أنه قال : عن عابس الغفاري ...اهـ . وفي إسناد أحمد عثمان بن عمير البجلي ، وهو ضعيف وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح . وقال في (٤/ ٢٠٢) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف .اهـ .

وأخرجه : الإمام البخاري في تاريخه (٧/ ٨٠) معلقًا من وجهين ، ورواه الطبراني (٣٤/١٨ - ٣٦) حديث (٥٨، ٥٩، ٦٠) ، والبزار كما في كشف الأستار حديث (١٦١٠) ، من طريق ليث بن أبي سليم ، عن أبي اليقظان ، عن عثمان بن عمير ، عن زاذان قال : كنا مع عابس ...فذكره . ورواه الطراني (٣٤/١٨) حديث ٥٧ ، وفي الأوسط (٣١٣/٨) رقم (٨٧٣٦) من حديث يحيى بن أيوب ، عن عبيد اللَّه بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن عابس الغفاري نحوه ، وصححه بطرقه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٧٠٩) حديث (٩٧٩) وقال : أشار إلى صحته الحافظ في ترجمة الحكم من الإصابة وهو حري بذلك لطرقه التي ذكرنا .

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عثمان بن عمير ، عن زاذان ، عن عابس الغفاري ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم مثل ذلك أو نحوه(٢٦٣) .

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن أنس بن مالك : أنه سمع رجلًا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس ، فأنكر ذلك ونهى عنه(٢٦٤) .

هذه طرق حسنة في باب الترهيب ، وهذا يدل على أنه محذور كبير ، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء ، وقد نص الأئمة ، رحمهم اللّه ، على النهي عنه ، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا ، فقد اتفق العلماء على تحريمه ، واللّه أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا روح ، حدثنا عبيد اللّه بن الأخنس ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن** »(٢٦٥) .

ثم قال : وإنما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه ، فرواه ابن عبد الجبار بن الورد عنه عن أبي لبابة ، ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نَهِيك عن سعد ، ورواه عِسْلُ بن سفيان عنه ، عن عائشة(٢٦٦) .

---

(٢٦٣) - فضائل القرآن (ص ١٦٦) ، والبخاري في تاريخه (٨/١/٤) ، والبيهقي (٢٤٠٩) ، والطبراني (٥٨/١٨ - ٥٩) ، وفي الأوسط (٦٨٩) ، ورواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢٧٧) ، وقال الهيثمي (٢٤٥/٥) ورجاله رجال الصحيح .

(٢٦٤) - فضائل القرآن (ص ١٦٦ - ١٦٧) ، ورواه الدارمي (٣٤٠/٢) ، وابن نصر في قيام الليل (٢٣٧) .

(٢٦٥) - مختصر زوائد البزار برقم (١٥٧٤) ، وكشف الأستار (٢٣٣٢) ، وأخرجه الطبراني في الكبير ١١٢٣٩ - (١٢١/١١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٤٠١/١/٣) معلقًا ، ووصله الحاكم (١/ ٥٧٠) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٠٠) ، وقال البزار : إنما ذكرنا هذا لنبين الاختلاف على ابن أبي مليكة فيه ، فرواه عمرو بن دينار والليث عنه ، عن ابن أبي نهيك ، عن سعد . ورواه نافع بن عمر ، عنه ، عن ابن الزبير ، ورواه عسل عنه ، عن عائشة ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢٦٦) - مختصر زوائد البزار برقم (١٥٧٥ ، ١٥٧٦) ، وكشف الأستار (٢٣٣٤) ، ورواه البخاري في تاريخه (٤٠١/١/٣) ، وأبو يعلى (٤٧٥٥/٨) ، وابن عدي (٢٠١٢/٥) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٠) وقال الحاكم : « إسناده شاذ » . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : فيه أبو أمية ابن يعلى وهو ضعيف . وأورده في (٢٦٧/٢) وقال : فيه عسل بن سفيان ، وثقه ابن حبان ، وقال : يخطئ ويخالف ، وضعفه جمهور الأئمة وقال البزار : لا نعلم أسند شعبة عن عسل إلا هذا ، ولا رواه عن شعبة إلا معاذ بن معاذ وروح .

ورواه [نافع مولى ابن عمر] عنه ، عن ابن الزبير[٢٦٧] .

اغتباط صاحب القرآن

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثني سالم بن عبد الله : أن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب فقام به آناء الليل ، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار** »[٢٦٨] .

انفرد به البخاري من هذا الوجه ، واتفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزهري[٢٦٩] .

ثم قال البخاري : حدثنا علي بن إبراهيم ، حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، عن سليمان : سمعت ذَكْوان ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل** »[٢٧٠] .

ومضمون هذين الحديثين : أن صاحب القرآن في غبطة وهو حسن الحال ، فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تغبيطه بذلك ، يقال : غبطه يغبِطه - بكسر الباء - غبطًا : إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه ، سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا وهذا مذموم شرعًا ، مهلكٌ ، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ، عليه السلام ، على ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام . والحسد الشرعي الممدوح هو تمني مثل حال ذلك الذي هو على حالة سارة ؛ ولهذا قال عليه السلام : « **لا حسد إلا في اثنتين** » ، فذكر النعمة القاصرة وهي تلاوة القرآن آناء الليل والنهار ، والنعمة المتعدية وهي إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ** ﴾[٢٧١] ، وقد روي نحو هذا من وجه آخر ، فقال عبد الله ابن الإمام أحمد : وجدت في كتاب أبي بخط يده : كتب إليّ

---

(٢٦٧) - مختصر زوائد البزار برقم ١٥٧٧ ، وكشف الأستار (٢٣٣٥) ، ورواه الدولابي (٦٤/١ - ٦٥ ، ١٦٠) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : فيه محمد بن ماهان ، قال الدارقطني : ليس بالقوي وبقية رجاله ثقات .

(٢٦٨) - رواه البخاري في فضائل القرآن من صحيحه ، باب : اغتباط صاحب القرآن ، برقم (٥٠٢٥) .

(٢٦٩) - رواه البخاري في التوحيد ، باب : (٤٥) ، برقم (٧٥٢٩) ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٦٦ - (٨١٥) .

(٢٧٠) - رواه البخاري في فضائل القرآن من صحيحه ، باب : اغتباط صاحب القرآن ، برقم (٥٠٢٦) .

(٢٧١) - [فاطر : ٢٩] .

أبو توبة الربيع بن نافع ، فكان في كتابه :

حدثنا الهيثم بن حميد ، عن زيد بن واقد ، عن سليمان بن موسى ، عن كثير بن مرة ، عن يزيد بن الأخنس ، أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا تنافس بينكم إلا في اثنتين : رجل أعطاه اللّٰه القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ويتبع ما فيه ، فيقول رجل: لو أن اللّٰه أعطاني مثل ما أعطى فلانًا فأقوم به كما يقوم به، ورجل أعطاه اللّٰه مالاً فهو ينفق ويتصدق ، فيقول رجل : لو أن اللّٰه أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به** »(٢٧٢) .

وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، حدثنا عبادة بن مسلم ، حدثني يونس بن خباب ، عن سعيد أبي البختري الطائي ، عن أبي كبشة ؛ قال : سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول : « **ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه ، فأما الثلاث التي أقسم عليهن : فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده اللّٰه بها عزا ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح اللّٰه له باب فقر ، وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه** ، فإنه قال : **إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه اللّٰه مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ، ويعلم للّٰه فيه حقه** » ، قال : « **فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه اللّٰه علما ولم يرزقه مالا فهو يقول : لو كان لي مال عملت بعمل فلان** » قال : « **فأجرهما سواء ، وعبد رزقه اللّٰه مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم للّٰه فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه اللّٰه مالا ولا علما فهو يقول : لو كان لي مال لفعلت بعمل فلان** » قال : « **هي نيته فوزرهما فيه سواء** »(٢٧٣) .

وقال أيضًا : حدثنا وَكِيع ، حدثنا الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن أبي كبشة الأنماري قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر : رجل آتاه اللّٰه مالاً وعلمًا فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه اللّٰه علمًا ولم يؤته مالاً فهو يقول : لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل** » . قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه اللّٰه مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته اللّٰه مالا ولا علما فهو يقول : لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل**

---

(٢٧٢) – إسناده حسن ، والحديث في المسند ١٧٠١٦ – (١٠٥/٤) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٣٩١) حديث (٦٢٦) ، قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٠٨) : رواه أحمد كتابة ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه سليمان بن موسى ، وفيه كلام ، وقد وثقه جماعة . اهـ .

(٢٧٣) – المسند ١٨٠٨٦ – (٢٣١/٤) ، والترمذي (٢٣٢٠) ، والطبراني (٨٥٥/٢٢ ، ٨٦٨) ، والبغوي (٢٨٩/١٤ – ٢٩٠) ، ويوسف بن خباب : صدوق يخطئ ، ورمي بالرفض ، روى له البخاري في الأدب والأربعة .

الذي يعمل » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **فهما في الوزر سواء** » . إسناد صحيح[٢٧٤] .

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

حدثنا حجاج بن مِنْهال ، حدثنا شعبة ، أخبرني علقمة بن مَرْثَد ، سمعت سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » . وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان ، رضي الله عنه ، حتى كان الحجاج قال :

وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا[٢٧٥] .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سعد ابن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن - وهو عبد الله بن حبيب السلمي - رحمه الله.

وحدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن عَلْقَمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان بن عفان قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه** »[٢٧٦] .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من طرقٍ عن سفيان ، عن علقمة ، عن أبي

---

(٢٧٤) - المسند ١٨٠٧٩ ، ١٨٠٨٢ - (٢٣٠/٤) ، ورواه ابن ماجه (١٤١٣/٢) حديث (٤٢٢٨) في كتاب الزهد، باب : النية. ورواه وكيع في الزهد (٢٤٠) ، وهناد كذلك (٥٨٦) والطبراني في الكبير (٣٤٥/٢٢) حديث (٨٦٨) من طريق وكيع به ، سندًا ومتنًا ، والفريابي في الفضائل (١٠٥ ، ١٠٦) ، والطحاوي في المشكل (٢٦٣) ، والبيهقي (١٨٩/٤) ، وقال الحافظ ابن حجر : لم يسمع سالم من أبي كبشة ، وقد أخرجه أبو عوانة في صحيحه من طريق جرير ، عن منصور ، عن سالم قال : حدثت عن أبي كبشة . قاله في النكت الظراف (٢٧٤/٩) . قلت : صرح سالم بالسماع لهذا الحديث من أبي كبشة عند أحمد (١٨٠٨٢) . وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب : ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، حديث (٢٣٢٥) قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، ثنا أبو نعيم ، ثنا عبادة بن مسلم ، ثنا يونس بن خباب ، عن سعيد الطائي أبي البختري أنه قال : حدثني أبو كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « **ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه ...** » الحديث وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢٧٥) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٥٠٢٧) . وأبو داود في الصلاة ، باب : ثواب قراءة القرآن برقم (١٤٥٢) ، والترمذي في فضائل القرآن برقم (٢٩٠٧) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٣٧) ، وابن ماجة في السنة - المقدمة - باب : فضل من تعلم القرآن برقم (٢١١) .

(٢٧٦) - البخاري في فضائل القرآن من صحيحه برقم (٥٠٢٨) .

عبدالرحمن ، من غير ذكر سعد بن عبيدة(٢٧٧) ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه ، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة ، وخطأ بُنْدَار يحيى بن سعيد في روايته ذلك عن سفيان ، عن علقمة ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن وقال : رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه ، بإسقاط سعد بن عبيدة ، ورواية سفيان أصح في هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد ، وفي ذكره طول لولا الملالة لذكرناه ، وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما ترك ، والله أعلم .

والغرض أنه ، عليه الصلاة والسلام ، قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وهذه من صفات المؤمنين المتبعين للرسل ، وهم الكمل في أنفسهم ، المكملون لغيرهم ، وذلك جمع النفع القاصر والمتعدي ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ، ولا يتركون أحدا ممن أمكنهم أن ينتفع ، كما قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ** ﴾(٢٧٨) ، وكما قال تعالى : ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ** ﴾(٢٧٩) ، في أصح قولي المفسرين في هذا ، وهو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضًا ، فجمعوا بين التكذيب والصد ، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا** ﴾(٢٨٠) ، فهذا شأن الكفار ، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » ، وكما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾(٢٨١) ، فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك ، مما يُبتغى به وجه الله ، وعمل هو في نفسه صالحًا ، وقال قولًا صالحًا أيضًا ، فلا أحد أحسن حالًا من هذا . وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي - أحد أئمة الإسلام ومشايخهم - ممن رغب في هذا المقام ، فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج قالوا : وكان مقدار ذلك الذي مكث فيه يعلم القرآن سبعين سنة ، رحمه الله ، وآتاه الله ما طلبه ودامه . آمين .

قال البخاري رحمه الله : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا حماد ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت : إنها قد وهبت نفسها لله ورسوله ، فقال : « **ما لي في النساء من حاجة** » . فقال رجل : زوّجنيها ، قال : « **أعطها ثوبًا** » ، قال : لا أجد ، قال : « **أعطها ولو خاتما من حديد** » ، فاعتل له ، فقال : « **مامعك من القرآن ؟** » . قال : كذا وكذا . فقال : « **قد زوجتكها بما معك من القرآن** »(٢٨٢) .

---

(٢٧٧) - الترمذي في فضائل القرآن من صحيحه برقم (٢٩٠٨) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٣٨) ، وابن ماجة برقم (٣١٢) .

(٢٧٨) - [النحل : ٨٨] .

(٢٧٩) - [الأنعام : ٢٦] .

(٢٨٠) - [الأنعام : ١٥٧] .

(٢٨١) - [فصلت : ٣٣] .

(٢٨٢) - البخاري في فضائل القرآن من صحيحه ، باب : خيركم من تعلم القرآن وعلمه برقم (٥٠٢٩) .

وهذا الحديث متفق على صحة إخراجه من طرق عديدة ، والغرض منه أن الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن ، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه تلك المرأة ، ويكون ذلك صداقًا لها علي ذلك ، وهذا فيه نزاع بين العلماء ، وهل يجوز أن يجعل مثل هذا صداقًا ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصًّا بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « **زوجتكها بما معك من القرآن** » ؟ أبسبب ما معك من القرآن ؟ كما قاله أحمد بن حنبل : نكرمك بذلك أو بعوض ما معك ، وهذا أقوى ، لقوله في صحيح مسلم : « **فعلمها** » ، وهذا هو الذي أراده البخاري هاهنا وتحرير باقي الخلاف مذكور في كتاب النكاح والإجارات ، والله المستعان .

القراءة عن ظهر قلب

إنما أفرد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ، الحديث الذي تقدم الآن ، وفيه أنه ، عليه السلام ، قال لرجل : « **فما معك من القرآن ؟** » . قال : معي سورة كذا وكذا ، لسور عددها . قال : « **أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟** » . قال : نعم . قال : « **اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن** »(٢٨٣) .

وهذه الترجمة من البخاري ، رحمه الله ، مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل ، والله أعلم . ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل ؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة ، كما صرح به غير واحد من السلف ، وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه ، واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام العلم أبو عبيد رحمه الله في كتاب « فضائل القرآن » حيث قال :

حدثنا نعيم بن حماد ، عن بقية بن الوليد ، عن معاوية بن يحيى ، عن سليمان بن مسلم ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **فضل قراءة القرآن نظرًا على من يقرأه ظهرًا ، كفضل الفريضة على النافلة** »(٢٨٤) وهذا الإسناد ضعيف ، فإن معاوية بن يحيى هو الصدفي أو الأطرابلسي ، وأيهما كان فهو ضعيف .

وقال الثوري : عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال : أديموا النظر في المصحف(٢٨٥) .

وقال حماد بن سلمة(٢٨٦) ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن ماهك[١] ، عن ابن عباس ، عن عمر : أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه .

وقال حماد أيضًا (٢٨٧) : عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن مسعود : أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف ، فقرءوا ، وفسر لهم . إسناد صحيح .

---

(٢٨٣) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراءة عن ظهر قلب برقم (٥٠٣٠) .

(٢٨٤) - فضائل القرآن (ص ١٠٤) ، ورواه ابن شاهين (١٩٤) ، وبقية : مدلس ، وقد عنعن . وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٣٩٨٤) . وسليمان بن مسلم : ضعيف .

(٢٨٥) - فضائل القرآن (ص ١٠٤) وقال ابن حجر : « إسناده صحيح » . ورواه أبو الحسين بن بشران في فوائده ، وعبد الرزاق (٥٩٧٩/٣) ، وابن أبي شيبة (٥٣١/١٠) ، والطبراني (٩/ ٨٦٨٧، ٨٦٩٦) .

(٢٨٦) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) .

(٢٨٧) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) .

[١] - في الفضائل : مهران .

وقال حماد بن سلمة : عن حجاج بن أرطاة ، عن ثوير بن أبي فاختة ، عن ابن عمر قال : إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ[٢٨٨] .

وقال الأعمش عن خَيْثَمة : دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف ، فقال : هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة[٢٨٩] .

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه ، ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير ، فالاستثبات أولى ، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال ، فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن ؛ لأن الكتابة لا تدل على كمال الأداء ، كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه ، وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخا يوقفه على لفظ القرآن ، فأما عند العجز عمن يلقن فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية ، فإذا قرأ في المصحف - والحالة هذه - فلا حرج عليه ، ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه ، فقد قال الإمام أبو عبيد :

حدثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي ، عن محمد بن شعيب ، عن الأوزاعي ؛ أن رجلًا صحبهم في سفر قال : فحدثنا حديثًا ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل** »[٢٩٠] .

وحدثنا حفص بن غياث ، عن الشيباني ، عن بكير بن الأخنس قال : كان يقال : إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل . وقال بعض العلماء : المدار في هذه المسألة على الخشوع في القراءة ، فإن كان الخشوع عند القراءة على ظهر القلب فهو أفضل ، وإن كان عند النظر في المصحف فهو أفضل فإن استويا فالقراءة نظرا أولى ؛ لأنها أثبت وتمتاز بالنظر في المصحف ، قال الشيخ أبو زكريا النووي ، رحمه الله ، في "التبيان" : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

تنبيه :

إن كان البخاري ، رحمه الله ، أراد بذكر حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ، ففيه نظر ؛ لأنها قضية عين ، فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر

---

(٢٨٨) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) ، وحجاج ، وثوير ضعيفان .

(٢٨٩) - فضائل القرآن (ص ١٠٥) ، ورواه ابن أبي شيبة (١٠/٥٣٠ ، ٥٣١) .

(٢٩٠) - فضائل القرآن (ص ١٠٦) ، وسنده ضعيف لإعضاله .

قلب أفضل مطلقا في حق من يحسن ومن لا يحسن ، إذ لو دل هذا لكان ذكر حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاوته عن ظهر قلب - لأنه أمي لا يدري الكتابة - أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده .

الثاني : أن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ؛ ليمكنه تعليمها لزوجته ، وليس المراد هاهنا : أن هذا أفضل من التلاوة نظرا ، ولا عدمه[٢٩١] ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

استذكار القرآن وتعاهده

حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت** » هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به[٢٩٢] . وقال الإمام أحمد[٢٩٣] : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار ، كمثل رجل له إبل ، فإن عقلها حفظها ، وإن أطلق عقالها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن** » . أخرجاه ، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد ، وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به[٢٩٤] .

وحدثنا محمد بن عرعرة ، حدثنا شعبة، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل نُسِّيَ ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصِّيًا من صدور الرجال من النَّعم** »[٢٩٥] .

تابعه بشر . هو ابن محمد السختياني - عن ابن المبارك ، عن شعبة .

---

(٢٩١) - قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧٨/٩) بعد أن ذكر كلام الحافظ ابن كثير هنا : « ولا يرد على البخاري شيء مما ذكر ؛ لأن المراد بقوله : باب القراءة عن ظهر قلب ، مشروعيتها أو استحبابها ، والحديث مطابق لما ترجم به ، ولم يتعرض لكونها أفضل من القراءة نظرًا ، وقد صرح كثير من العلماء أن القراءة من المصحف نظرًا أفضل من القراءة عن ظهر قلب » .

(٢٩٢) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣١) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٦ - (٧٨٩) ، والنسائي في الافتتاح باب : جامع ما جاء في القرآن ٩٤٢ - (١٥٤/٢) .

(٢٩٣) - المسند (٣٥/٢) ، وعبد الرزاق (٥٩٧١/٣) .

(٢٩٤) - مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٧ - (٧٨٩) .

(٢٩٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣١) ،برقم (٥٠٣٢) .

وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان ، عن أبي داود الطيالسي ، عن شعبة به[٢٩٦] ، وقال : حسن صحيح .

وأخرجه النسائي من رواية شعبة[٢٩٧] .

وحدثنا عثمان ، حدثنا جرير ، عن منصور مثله . وتابعه ابن جريج عن عبدة ، عن شقيق : سمعت عبد اللَّه قال : سمعت النبي[٢٩٨]

وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج ، به[٢٩٩]

ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة ، عن عبدة وهو ابن أبي لُبَابة ، به[٣٠٠] .

وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير ، به[٣٠١] ،

وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، به

والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور ، به ، فقد رواه هؤلاء عن منصور ، به مرفوعًا في رواية هؤلاء كلهم[٣٠٢]

وقد رواه النسائي عن قتيبة ، عن حماد بن زيد ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد اللَّه موقوفًا[٣٠٣] .

وهذا غريب وفي مسند أبي يعلى[٣٠٤] ، فإنما هو نَسِي بالتخفيف .

حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن بريد ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، عن

---

(٢٩٦) – الترمذي في أبواب القراءات ، باب : ومن سورة الحج برقم (٢٩٤٣) .

(٢٩٧) – النسائي في الافتتاح و باب : جامع ما جاء في القرآن رقم ٩٤٣ – (٢/١٥٤) .

(٢٩٨) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣٢) .

(٢٩٩) – مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٣٠ – (٧٩٠) .

(٣٠٠) – النسائي في الكبرى برقم (١٠٥٦٠) .

(٣٠١) – مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٨ – (٧٩٠) .

(٣٠٢) – البخاري في فضائل القرآن ، باب : نسيان القرآن برقم (٥٠٣٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٤٢) .

(٣٠٣) – النسائي في الكبرى برقم (١٠٥٦٤) .

(٣٠٤) – مسند أبي يعلى ٥١٣٦ – (٩/٦٩) .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفسي بيده ، لهو أشد تَفصيًا من الإبل في عقلها** » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن برادٍ الأشعري ، كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، به(٣٠٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا موسى ابن علي : سمعت أبي يقول : سمعت عقبة بن عامر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تعلموا كتاب الله ، وتعاهدوه وتغنوا به ، فوالذي نفسي بيده ، لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل** »(٣٠٦) .

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده ؛ لئلا يعرضه حافظه للنسيان ، فإن ذلك خطر كبير ، نسأل الله العافية منه ، فإنه قال الإمام أحمد :

حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن فائد ، عن رجل ، عن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من أمير عشرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولًا لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل ، وما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم القيامة[١] يلقاه وهو أجذم** »(٣٠٧) .

---

(٣٠٥) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣٣) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٣١ - (٧٩١) .

(٣٠٦) - المسند ١٧٣٦٥ - (١٤٦/٤) ، ورواه النسائي في الكبرى ٨٠٤٩ - (٢١/٥) ، وأخرجه الدارمي (٤٣٩/٢) كتاب فضائل القرآن ، باب : في تعاهد القرآن ، حديث (٣٣٥١) ، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٨١) ، وابن أبي شيبة (٤٧٧/١٠) حديث (١٠٠٤٠) ، وابن نصر (١٤٠) ، وابن حبان (١٧٨٨) ، والفريابي (١٦٢ ، ١٦٣) ، والطبراني في الكبير (٨٠١/١٧) ، والبيهقي في الشعب (١٨١٩ هـ) وقال الهيثمي في المجمع (١٦٩/٧) : رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال : « **لهو أشد تفصيًا من المخاض في العقل** » . ورجال أحمد رجال الصحيح ، اهـ . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦١) .

(٣٠٧) - عيسى بن فائد : قال الذهبي في الميزان : لا يدرى من هو ، عن سعد بن عبادة ... فذكر الحديث وقال : رواه ابن إدريس ، عن يزيد بن أبي زياد ، فأدخلوا رجلًا بين ابن فائد وبين سعد ، وقيل غير ذلك . (الميزان ٣١٩/٣) وقال ابن عبد البر : هذا إسناد رديء في هذا المعنى ، وعيسى بن فائد لم يسمع من سعد ابن عبادة ولا أدركه وقال ابن المديني : مجهول - لم يرو عنه غير يزيد بن أبي زياد (التهذيب ٢٢٧/٨) . والحديث في المسند رقم ٢٢٥٦٤ ، ٢٢٥٥٧ - (٢٨٥/٥ ، ٢٨٤) . وأخرج طرفه الأول وهو « **ما من أمير عشرة إلا ...إلخ** » . البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٢٥٤/ رقم: ١٦٤٢) . والطبراني في الكبير (٦/ ٢٢، ٢٣/ رقم: ٥٣٨٨، ٥٣٨٩) . من طرق عن يزيد بن أبي زياد به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٥) وعزاه لأحمد والبزار والطبراني وقال : « وفيه رجل لم يسم ، وبقية أحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - سقط من المسند .

هكذا رواه جرير بن عبد الحميد ، ومحمد بن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، كما رواه خالد ابن عبد الله(٣٠٨) .

وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن العلاء عن ابن إدريس ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى ابن فائد ، عن سعد بن عبادة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نسيان القرآن ، ولم يذكر الرجل المبهم(٣٠٩) .

وكذا رواه أبو بكر بن عياش ، عن يزيد بن أبي زياد ، وقد رواه شعبة ، عن يزيد فوهم في إسناده ، ورواه وَكِيع عن أصحابه ، عن يزيد ، عن عيسى بن فائد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت فقال :

حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عيسى بن فائد ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه منها إلا عدله ، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم** »(٣١٠) .

وكذا رواه أبو عوانة ، عن يزيد بن أبي زياد ، ففيه اختلاف ، لكن هذا في باب الترهيب مقبول والله أعلم - لاسيما إذا كان له شاهد من وجه آخر ، كما قال أبو عبيد :

حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : حُدثت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها** » . قال ابن جريج : وحُدّثت عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أكبر ذنب توافى به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم فنسيها** »(٣١١) .

---

(٣٠٨) - رواه أبو عبيد في الفضائل (ص ١٠٣) من طريق جرير ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٧٨) ، والبزار (١٦٤٢/٢) ، والطبراني (٥٣٨٨/٦ ، ٥٣٩١) من طريق ابن فضيل .

(٣٠٩) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه (رقم : ١٤٧٤) ، ومن طريقه الخطيب في الجامع (١١٠/١) .

(٣١٠) - المسند ٢٢٨٦١ - (٣٢٣/٥) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين الأول (٥/ ٢٠٥) وقال : «رواه أحمد وابنه» والثاني في (٧/ ١٦٧) وعزاه لعبد الله بن أحمد وقال : «ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف» .

(٣١١) - فضائل القرآن (ص ٢٠١) .

وقد روى أبو داود والترمذي وأبو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبي رواد ، عن ابن جريج ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت عليّ ذنوب أمتي ، فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها** »(٣١٢) .

قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وذاكرت به البخاري فاستغربه ، وحكى البخاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك .

قلت : وقد رواه محمد بن يزيد الآدمي ، عن ابن أبي رواد ، عن ابن جريج عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، به . والله أعلم .

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾(٣١٣) ، وهذا الذي قاله هذا - وإن لم يكن هو المراد جميعه - فهو بعضه ، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه ؛ ولهذا قال عليه السلام : « **تعاهدوا القرآن** » ، وفي لفظ « **استذكروا القرآن ، فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم** » .

التَّفَصِّي : التخلص يقال : تَفَصَّى فلان من البلية : إذا تخلص منها ، ومنه : تفصَّى النوى من التمرة : إذا تخلص منها ، أي : إن القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال .

وقال أبو عبيد : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - : إني لأمقت القارئ أن أراه سمينًا نسيًّا للقرآن(٣١٤) .

---

(٣١٢) - **إسناده ضعيف** ، المطلب : كثير الإرسال والتدليس وقد عنعن ، وأنكر ابن المديني أن يكون سمع من أنس ، لكن ابن أبي حاتم قال في المراسيل (٢١٠) : سمعت أبي يقول : المطلب بن عبد الله بن حنطب عامة حديثه مراسيل ، لم يدرك أحدًا من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلا سهل بن سعد وأنسًا وسلمة ابن الأكوع ومن كان قريبًا منهم . والحديث رواه أبو داود في الصلاة ، باب : في كنس المسجد برقم (٤٦١) ، والترمذي في فضائل القرآن برقم (٢٩١٦) وأبو يعلى ١٥١٠ - (٢٥٣/٧) ، ورواه البيهقي (٢/ ٤٤٠) ، والطبراني في الأوسط (٦٤٨٩) ، وأخرجه عبد الرزاق ٥٩٧٧ - (٣٦١/٣) .

(٣١٣) - [طه : ١٢٤-١٢٦] .

(٣١٤) - فضائل القرآن (ص ٢٠٢) ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢٢٧/٤) ، وفيه انقطاع بين النخعي وابن مسعود .

وحدثنا عبد الله بن المبارك ، عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم** ﴾(٣١٥) ، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب(٣١٦) .

ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره : يُكره لرجل أن يمر عليه أربعون يومًا لا يقرأ فيها القرآن ، كما أنه يُكره له أن يقرأ في أقل من ثلاثة أيام ، كما سيأتي هذا ، حيث يذكره البخاري بعد هذا ، وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب ، ولكن ذكر بعد هذا قوله :

القراءة على الدابة

حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، أخبرني أبو إياس قال : سمعت عبد الله بن مغفل ، رضي الله عنه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح(٣١٧) .

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة سوى ابن ماجة من طرق ، عن شعبة ، عن أبي إياس ، وهو معاوية بن قرة ، به(٣١٨) ، وهذا - أيضًا - له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفرًا وحضرًا ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يتله القارئ في الطريق

وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء أنه كان يقرأ في الطريق ، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن في ذلك ، وعن الإمام مالك أنه كره ذلك ، كما قال ابن أبي داود :

وحدثني أبو الربيع ، أخبرنا ابن وهب قال : سألت مالكًا عن الرجل يصلي من آخر الليل ، فيخرج إلى المسجد ، وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء ، فقال : ما أعلم القراءة تكون في الطريق .

وقال الشعبي : تكره قراءة القرآن في ثلاثة مواطن : في الحمام ، وفي الحشوش ، وفي بيت الرحى وهي تدور . وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف : أنها لا تكره ، وهو مذهب مالك والشافعي وإبراهيم النخعي وغيرهم ، وروى ابن أبي داود عن علي بن أبي طالب : أنه كره

---

(٣١٥) - [الشورى : ٣٠] .

(٣١٦) - فضائل القرآن (ص ٢٠٢) ، وابن المبارك في الزهد (٨٥) ، ووكيع في الزهد (٩٥) ، وابن أبي شيبة (٤٧٨/١٠ - ٤٧٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، والبيهقي في الشعب (١٨١٣ هـ) .

(٣١٧) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراءة على الدابة برقم (٥٠٣٤) .

(٣١٨) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، برقم ٢٣٧ - (٧٩٤) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة برقم (١٤٦٧) ، والترمذي في الشمائل ، باب : قراءة الرسول ، صلىٰ الله عليه وسلم برقم (٣١٢) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٦٢) .

ذلك ، ونقله ابن المنذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة بن ذؤيب ، وهو رواية عن إبراهيم النخعي ، ويحكى عن أبي حنيفة ، رحمهم اللّٰه ، أن القراءة في الحمام تكره ، وأما القراءة في الحشوش فكراهتها ظاهرة ، ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبًا ، وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور ؛ فلئلا يعلو غير القرآن عليه ، والحق يعلو ولا يُعلى ، واللّٰه أعلم .

تعليم الصبيان القرآن

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم ، قال : وقال ابن عباس : توفي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم(٣١٩) .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جمعت المحكم في عهد النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقلت له : وما المحكم ؟ قال : « المفصل »(٣٢٠) .

انفرد بإخراجه البخاري ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن ؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم ، وقد كان جمع المفصل ، وهو من الحجرات ، كما تقدم ذلك ، وعمره آنذاك عشر سنين .

وقد روى البخاري أنه قال : توفي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وأنا مختون(٣٢١) . وكانوا لا يختتنون الغلام حتى يحتلم ، فيحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر ، وترك ما زاد عليها من الكسر ، واللّٰه أعلم .

وعلى كل تقدير ، ففيه دلالة على جواز تعليمهم القرآن في الصبا ، وهو ظاهر ، بل قد يكون مستحبًا أو واجبًا ؛ لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به ، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا ، وأشد علوقًا بخاطره وأرسخ وأثبت ، كما هو المعهود من حال الناس ، وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلا للعب ، ثم توفر همته على القراءة ، لئلا يلزم أولًا بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له ، ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلًا قليلا ، بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه ، واستحب عمر بن الخطاب ، رضي اللّٰه عنه ، أن يلقن خمس آيات خمس آيات ،

(٣١٩) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : تعليم الصبيان القرآن برقم (٥٠٣٥) .

(٣٢٠) - البخاري في فضائل القرآن ، باب : تعليم الصبيان القرآن برقم (٥٠٣٦) .

(٣٢١) - البخاري في الاستئذان ، باب : الختان بعد الكبر ونتف الإبط برقم (٦٢٩٩) .

رويناه عنه بسند جيد[٣٢٢] .

نسيان القرآن

وهل يقول : نسيت آية كذا وكذا ، وقول الله تعالى :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[٣٢٣] .

حدثنا الربيع بن يحيى ، حدثنا زائدة ، حدثنا هشام ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في المسجد فقال : « **يرحمه الله ، لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا** » انفرد به .

وحدثني محمد بن عبيد بن ميمون ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن هشام وقال : أسقطتهن من سورة كذا وكذا . انفرد به أيضًا . تابعه علي بن مسهر وعبدة عن هشام[٣٢٤] .

وقد أسندهما البخاري في موضع آخر ، ومسلم معه في عبدة[٣٢٥] .

وحدثنا أحمد بن أبي رجاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال : « **يرحمه الله ، فقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا** » . ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة[٣٢٦] .

الحديث الثاني : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نُسِّي** » ورواه مسلم والنسائي ، من حديث منصور به[٣٢٧] .

وقد تقدم . وفي مسند أبي يعلى : فإنما هو نُسِيَ » ، بالتخفيف ، هذا لفظه .

---

(٣٢٢) – مسند الفاروق للمؤلف (١/١٧٠) .

(٣٢٣) – [الأعلى : ٦،٧] .

(٣٢٤) – البخاري برقم (٥٠٣٧) .

(٣٢٥) – البخاري في الدعوات ، باب : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وصل عليهم ﴾ برقم (٦٣٣٥) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٥ – (٧٨٨) .

(٣٢٦) – البخاري برقم (٥٠٣٨) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٤ – (٧٨٨) .

(٣٢٧) – البخاري برقم (٥٠٣٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٢٨ – (٧٩٠) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٤٢) .

وفي هذا الحديث - والذي قبله - دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقصٍ له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص ، وفي حديث ابن مسعود أدب في التعبير عن حصول ذلكَ ، فلا يقول : نسيت آية كذا ، فإن النسيان ليس من فعل العبد ، وقد يصدر عنه أسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك ، فأما النسيان نفسه فليس بفعله ؛ ولهذا قال : « بل هو نُسِيَ » ، مبني لما لم يسم فاعله ، وأدب - أيضًا - في ترك إضافة ذلك إلى اللَّه تعالى ، وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيت** ﴾ (٣٢٨) وهو ، واللَّه أعلم ، من باب المجاز السائغ بذكر المسبب وإرادة السبب ؛ لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنبا ، كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم ، فأمر اللَّه تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فإذا زال السبب للنسيان انزاح ، فحصل الذكر لشيء بسبب ذكر اللَّه تعالى ، واللَّه أعلم .

من لم ير بأسًا أن يقول :
سورة البقرة ، وسورة كذا وكذا

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم ، عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد ، عن أبي مسعود الأنصاري ؛ قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأ بهما في ليلة كفتاه** »(٣٢٩) .

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد ، وصاحبا الصحيح والنسائي وابن ماجة من حديث علقمة ، كلاهما عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري(٣٣٠) .

الحديث الثاني : ما رواه من حديث الزهري ، عن عروة ، عن المِسْوَر وعبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ ، كلاهما عن عمر قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ... وذكر الحديث بطوله ، كما تقدم ، وكما سيأتي(٣٣١) .

---

(٣٢٨) - [الإسراء : ١٠٦]

(٣٢٩) - البخاري في فضائل القرآن برقم (٥٠٤٠) .

(٣٣٠) - البخاري في المغازي ، وفي فضائل القرآن برقم (٤٠٠٨ ، ٥٠٠٨) ، ومسلم برقم ٢٥٥ ، ٢٥٦ - (٨٠٧،٨٠٨) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : تحزيب القرآن برقم (١٣٩٧) ، والترمذي في ثواب القرآن ، باب : آخر سورة البقرة برقم (٢٨٨١) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠١٨،٨٠١٩) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : ما جاء فيما يرجى أن يكفي من قيام الليل ، برقم (١٣٦٨،١٣٦٩) .

(٣٣١) - البخاري في فضائل القرآن ، باب من لم ير بأسًا أن يقول : سورة البقرة ، وسورة كذا وكذا برقم (٥٠٤١)

الحديث الثالث : ما رواه من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قارئا يقرأ من الليل في المسجد ، فقال : « **يرحمه الله ، لقد أذكرني كذا وكذا آية ، كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا** »[٣٣٢] .

وهكذا في الصحيحين عن ابن مسعود : أنه كان يرمي الجمرة من الوادي ويقول : هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة[٣٣٣] .

وكره بعض السلف ذلك ، ولم يروا إلا أن يقال : السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، كما تقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس ، عن عثمان أنه قال : إذا نزل شيء من القرآن يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** » ، ولا شك أن هذا أحوط وأولى ، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة في الآخر ، وعليه عملُ الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم ، وبالله التوفيق .

الترتيل في القراءة

وقول الله عز وجل : ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** ﴾[٣٣٤] ، وقوله : ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ** ﴾[٣٣٥] ، يكره أن يهذ كهذ الشعر ، يفرق : يفصل ، قال ابن عباس : ﴿ **فَرَقْنَاهُ** ﴾ : فصلناه .

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا واصل - وهو ابن حيان الأحدب - عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : غدونا على عبد الله ، فقال رجل : قرأت المفصل البارحة ، فقال : هذًا كهذِّ الشعر ، إنا قد سمعنا القراءة ، وإني لأحفظ القراءات التي كان يقرأ بهن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثماني عشرة سورة من المفصل ، وسورتين من آل حم[٣٣٦] .

ورواه مسلم عن شيبان بن فَرُّوخ ، عن مهدي بن ميمون ، عن واصل - وهو ابن حيان الأحدب - عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن ابن مسعود ، به[٣٣٧] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن زياد بن

---

(٣٣٢) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : من لم ير بأسًا أن يقول : سورة البقرة ، وسورة كذا وكذا برقم (٥٠٤٢) .

(٣٣٣) - رواه البخاري في كتاب الحج ، باب : رمي الجمار من بطن الوادي برقم (١٧٤٧) ، ومسلم في كتاب الحج ، برقم ٣٠٥ - (١٢٩٦) .

(٣٣٤) - [المزمل : ٤] .
(٣٣٥) - [الإسراء : ١٠٦] .

(٣٣٦) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة برقم (٥٠٤٣) .

(٣٣٧) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٧٨ - (٨٢٢) .

نعيم ، عن مسلم بن مِخْراق ، عن عائشة أنه ذكر لها أن ناسًا يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت : أولئك قرءوا ولم يقرءوا ، كنت أقوم مع النبي صلى اللّه عليه وسلم ليلة التمام ، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا اللّه واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا اللّه ورغب إليه(٣٣٨) .

الحديث الثاني : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** ﴾ (٣٣٩) : كان رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، إذا نزل جبريل بالوحي ، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه . وذكر تمام الحديث كما سيأتي ، وهو متفق عليه ، وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هَذْرَمة(٣٤٠) ولا سرعة مفرطة ، بل بتأمل وتفكر ، قال اللّه تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ** ﴾(٣٤١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللّه بن عمرو ، عن النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، قال : « **يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها** »(٣٤٢) .

وقال أبو عبيد : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ؛ قال : قرأ علقمة على عبد اللّه ، فكأنه عجل ، فقال عبد اللّه : فداك أبي وأمي ، رتل فإنه زين القرآن . قال : وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن(٣٤٣) .

---

(٣٣٨) – **حسن** ، الحارث بن يزيد : ثقة ، وثقه أحمد ، والنسائي وأبو حاتم ، والعجلي . زياد بن نعيم : هو زياد بن ربيعة بن نعيم ، ثقة ، ومسلم بن مخراق : مولى عائشة حجازي نزيل مصر ، مقبول – أي عند المتابعة – .

والحديث في المسند ٢٤٧٢١ – (٦/٩٢) ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/٢٥٧ ، ٢٥٨/رقم : ٤٨٤٢) من طريق ابن لهيعة ، والبيهقي في الصلاة من الكبرى (٢/٣١٠) من طريق يحيى بن أيوب ، كلاهما من طريق الحارث بن يزيد ، به ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٧٢) وقال : « رواه أحمد وجاء عنده في رواية : يقرأ أحدهما القرآن مرتين أو ثلاثًا ، وأبو يعلى ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام » .

(٣٣٩) – [القيامة : ١٦]

(٣٤٠) – يقال : هذرم فلان ، لمن أسرع في مشيته أو قراءته ، أو كلامه ، وهذرم القرآن أسرع في قراءته لا يتدبر معانيه .

(٣٤١) – [ص ٢٩] .

(٣٤٢) – **إسناده حسن** ، والحديث في المسند (٢/١٩٢) ، ورواه أبو داود (١٤٦٤) ، والترمذي (٢٩١٤) ، والنسائي ، وابن أبي شيبة (١٠/٤٩٨) ، والحاكم (١/٥٥٢ ، ٥٥٣) ، وابن حبان (١٧٩٠) .

(٣٤٣) – فضائل القرآن (ص ١٥٧) ، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد (٢٦٠) ، وابن أبي شيبة (٢/ ٥٢٠) ، وابن سعد (٦/٩٠) ، وابن نصر (ص ١٢١) ، والطبراني في الكبير (٩/٨٦٩٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/٩٩) ، والبيهقي (٥/٥٤) .

وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن أبي جمرة ؛ قال : قلت لابن عباس : إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال : لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول(٣٤٤) .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة وحماد بن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، نحو ذلك ، إلا أن في حديث حماد : أحب إليّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة(٣٤٥) .

ثم قال البخاري ، رحمه الله :

مد القراءة

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جرير بن حازم الأزدي ، حدثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان يمد مدا(٣٤٦) .

وهكذا رواه أهل السنن ، من حديث جرير بن حازم ، به(٣٤٧)

وحدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام ، عن قتادة قال : سئل أنس بن مالك : كيف كانت قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كانت مدًّا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . يمد بسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم . انفرد به البخاري من هذا الوجه(٣٤٨)

وفي معناه الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد : حدثنا أحمد بن عثمان ، عن عبد الله بن المبارك ، عن الليث بن سعد ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن يعلى بن مَملك ، عن أم سلمة : أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفًا حرفًا(٣٤٩) .

---

(٣٤٤) - فضائل القرآن (ص ١٥٧) ، والحديث رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن (٨٩) ، والبيهقي (٢/ ٣٩٦) وفي الشعب (١٨٨٢ هـ) .

(٣٤٥) - فضائل القرآن (ص ١٥٧) ، ورواه البيهقي في الكبرى (٣٩٦/٢ ، ١٣/٣) ، وابن المبارك (١١٩٣) ، وعبد الرزاق (٤١٨٧/٢) .

(٣٤٦) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة برقم (٥٠٤٥) .

(٣٤٧) - رواه أبو داود في الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة برقم (١٤٦٥) ، والترمذي في الشمائل برقم (٣٠٨) ، والنسائي في الافتتاح ، باب : مد الصوت بالقراءة ١٠١٤ - (١٧٩/٢) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة الليل برقم (١٣٥٣) .

(٣٤٨) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة برقم (٥٠٤٦) .

(٣٤٩) - فضائل القرآن (ص ١٥٦) ، ورواه أبو داود (١٤٦٦) ، والترمذي ٢٩٢٣) ، وفي الشمائل (٣٠٧) والنسائي (١٨١/٢) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٧١ ، ١٧٢) وأحمد (٢٩٤/٦ ، ٣٠٠) ، وابن خزيمة (١١٥٨/٢) ، والحاكم (٣٠٩/١ - ٣٠١) .

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل ، عن يحيى بن إسحاق ، وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملي ، والترمذي والنسائي، كلاهما عن قتيبة ، كلهم عن الليث بن سعد به(٣٥٠) . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال أبو عبيد : وحدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مُلَيْكة ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقطع قراءته ؛ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . وهكذا .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن جريج(٣٥١) . وقال الترمذي : غريب وليس إسناده بمتصل . يعني : أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكة لم يسمعه من أم سلمة ، وإنما رواه عن يعلى بن مَمْلَك ، كما تقدم ، والله أعلم .

الترجيع

حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إياس قال : سمعت عبد الله بن مغفل قال : رأيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو على ناقته – أو جمله – وهي تسير به ، وهو يقرأ سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع(٣٥٢) .

وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة وأنه من المتفق عليه ، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح ، وأما الترجيع : فهو الترديد في الصوت ، كما جاء – أيضا – في البخاري أنه جعل يقول : (آآآ) ، وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته ، فدل على جواز التلاوة عليها ، وإن أفضى إلى ذلك ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف ، بل ذلك مغتفر للحاجة ، كما يصلي على الدابة حيث توجهت به ، مع إمكان تأخير ذلك والصلاة إلى القبلة ، والله أعلم .

---

(٣٥٠) – يعلى بن مملك : قال في التقريب : مقبول – أي عند المتابعة – وفي التهذيب : ذكره ابن حبان في الثقات . والحديث في المسند ٢٦٦٧٣ – (٣٠٠/٦) . وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة ، باب : استحباب الترتيل في القراءة . (٧٤/٢ ، ٧٥/رقم : ١٤٦٦) . والترمذي في جامعه في كتاب فضائل القرآن ، باب : ما جاء كيف كان قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم . (١٨٢/٥ ، ١٨٣/رقم : ٢٩٢٣) ، والنسائي في الصغرى في كتاب الافتتاح ، باب : تزيين القرآن بالصوت (١٨١/٢/رقم : ١٠٢٢) وكتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب : ذكر صلاة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالليل (٣/ ٢١٤/رقم : ١٦٢٩) ، وفي الكبرى في كتاب فضائل القرآن ، باب : الترتيل (٢٢/٥/رقم : ٨٠٥٧) ، كلهم من طريق الليث بن سعد ، به .

(٣٥١) – فضائل القرآن (ص ١٥٦) ، ورواه أبو داود في كتاب الحروف والقراءات برقم (٤٠٠١) ، والترمذي في القراءات ، باب : في فاتحة الكتاب برقم (٢٩٢٧) ، ورواه أحمد (٣٠٢/٦ ، ٣٢٣) ، والطبراني (٦٠٣/٢٣) ، وضعفه الترمذي بالانقطاع .

(٣٥٢) – رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : الترجيع برقم (٥٠٤٧) .

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر ، حدثنا أبو يحيى الحمّاني ، حدثنا بريد بن عبد اللَّه بن أبي بردة ، عن جده أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود** »(٣٥٣)

وهكذا رواه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكندي ، عن أبي يحيى الحمّاني(٣٥٤) - واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن - وقال : حسن صحيح . وقد رواه مسلم من حديث طلحة ابن يحيى بن طلحة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى(٣٥٥) ، وفيه قصة ، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخاري : من لم يتغن بالقرآن ، وذكرت هناك أحكامًا كافية عن إعادتها هاهنا ، واللَّه أعلم .

من أحب أن يسمع القرآن من غيره

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن عبيدة ، عن عبد اللَّه قال : قال لي النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **اقرأ عليّ القرآن** » . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ ! قال : « **إني أحب أن أسمعه من غيري** » .

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجة ، من طرق عن الأعمش(٣٥٦) ، وله طرق يطول ذكرها وبسطها

وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى : أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال له : « **يا أبا موسى ، لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة** » . فقال : أما واللَّه لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبّرتها لك تحبيرا .

وقال الزهري ، عن أبي سلمة : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى . فيقرأ عنده .

وقال أبو عثمان النهدي : كان أبو موسى يصلي بنا ، فلو قلت : إني لم أسمع صوت صنج

(٣٥٣) - رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب : حسن الصوت بالقراءة للقرآن ، برقم (٥٠٤٨) .

(٣٥٤) - رواه الترمذي في المناقب ، باب : مناقب أبي موسى الأشعري برقم (٣٨٥٥) .

(٣٥٥) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، برقم ٢٣٦ - (٧٩٣) .

(٣٥٦) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : من أحب أن يستمع القرآن من غيره برقم (٥٠٤٩) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٤٧ - (٨٠٠) ، وأبو داود في العلم ، باب : في القصص برقم (٣٦٦٨) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء برقم (٣٠٢٥) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٧٥) .

قط ولا بربط قط ، ولا شيئًا قط أحسن من صوته .

قول المقرئ للقارئ : حسبك

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدةَ ، عن عبد اللَّه قال : قال لي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **اقرأ عليّ** » . فقلت : يا رسول اللَّه ، أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ ! قال : « **نعم** » ، فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾(٣٥٧) ، قال : « **حسبك الآن** » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان(٣٥٨) .

أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه ، من رواية الأعمش ، به(٣٥٩) ، ووجه الدلالة ظاهر ، وكذا الحديث الآخر : « **اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا** » .

في كم يقرأ القرآن

وقول اللَّه تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْه ﴾

حدثنا علي ، حدثنا سفيان ، قال : قال لي ابن شبرمة : نظرت كم يكفي الرجل من القرآن فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات . فقلت : لا ينبغي لأحد أن يقرأ اقل من ثلاث آيات . قال سفيان : أخبرنا منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، أخبره علقمة عن أبي مسعود ، فلقيته وهو يطوف بالبيت ، فذكر قول النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، إن : « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** »(٣٦٠) .

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه ، وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبي مسعود وهو صحيح ؛ لأن عبد الرحمن سمعه أولا من علقمة ، ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه ، وعليّ هذا هو ابن المديني وشيخه هو سفيان بن عيينة ، وما قاله عبد اللَّه بن شبرمة - فقيه الكوفة في زمانه - استنباط حسن ، وقد جاء في حديث في السنن : « **لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات** »(٣٦١) ، ولكن هذا الحديث - أعني حديث أبي

---

(٣٥٧) - [النساء : ٤١] .

(٣٥٨) - البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : قول المقرئ للقارئ : حسبك ، برقم (٥٠٥٠) .

(٣٥٩) - تقدم (٢٩٨) .

(٣٦٠) - البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : في كم يقرأ القرآن ، وقول اللَّه تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْه ﴾ [المزمل : ٢٠] برقم (٥٠٥١) .

(٣٦١) - لم نجده في شيء من السنن بزيادة : « **وثلاث آيات** » . وإنما أخرجه ابن عدي ، عن عمر بن يزيد المدائني ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **لا يجزئ المكتوبة** =

مسعود - أصح وأشهر وأخص ، ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر ، والله أعلم(٣٦٢) .

والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله(٣٦٣) :

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنكحني أبي امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كِنَّته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه ، فلَما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **ألقني به** » ، فلقيته بعد ، فقال : « **كيف تصوم ؟** » . قلت : كل يوم . قال : « **وكيف تختم ؟** » . قال : كل ليلة . قال : « **صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر** » : قال : قلت : إني أطيق أكثر من ذلك . قال : « **صم ثلاثة أيام في الجمعة** » . قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « **أفطر يومين وصم يومًا** » . قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « **صم أفضل الصوم ، صوم داود ، صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرةً** » ، فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وذلك أني كبرت وضعفت ، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئًا فارق عليه النبي صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع.

وقد رواه في الصوم ، والنسائي - أيضًا - عن بُنْدَار ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن مغيرة ، والنسائي من حديث حصين ، كلاهما عن مجاهد ، به(٣٦٤) .

= إلا بفاتحة الكتاب ، وثلاث آيات فصاعدًا » وضعف عمر بن يزيد ، وقال : إنه منكر الحديث . وأما طرفه الأول ففي الصحيح ، ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ « ... **وآيتين معها** » . وفيه الحسن بن يحيى الخشني ، ضعفه النسائي ، والدارقطني ، ووثقه دحيم ، وابن عدي ، وابن معين في رواية ، وأورده الهيثمي (١١٥/٢) . وأخرجه ابن عدي ، عن ربيع بن بدر ، عن سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن أخيه مطرف ابن عبد الله بن الشخير ، عن عمران بن حصين قال : سمعت النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، وآيتين فصاعداً** » . وضعف الربيع بن بدر ، عن البخاري ، والنسائي ، وابن معين . وأورده ابن عدي (١٤٣٦/٤) في ترجمة أبي سفيان طريف بن شهاب - ضعفوه - بلفظ : « **لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب والسورة** » قال : ولم يصح . وقال ابن عدي في ترجمته : ولأبي سفيان هذا غير ما أمليت وقد روى عنه الثقات ، وإنما أنكر عليه في متون الأحاديث أشياء لم يأت بها غيره ، وأما أسانيده فهي مستقيمة .

(٣٦٢) - قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٥/٩) : « وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير ، والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من حديث أبي مسعود ، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة » .

(٣٦٣) - البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب : في كم يقرأ القرآن برقم (٥٠٥٢) .

(٣٦٤) - البخاري ، باب : صوم يوم وإفطار يوم برقم (١٩٧٨) ، والنسائي (٢٠٩/٤، ٢١٠) .

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن عبد الرحمن - مولى بني زهرة - عن أبي سلمة قال : وأحسبني قال : سمعت أنا من أبي سلمة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ القرآن في شهر** » . قلت : إني أجد قوة . قال : « **فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك** »(٣٦٥) . فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع ، وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد :

حدثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير ، كلهم عن ابن لَهِيعة ، عن حبان بن واسع ، عن أبيه ، عن قيس بن أبي صعصعة ؛ أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، في كم أقرأ القرآن ؟ فقال : « **في كل خمس عشرة** » . قال : إني أجدني أقوى من ذلك ، قال : « **ففي كل جمعة** »(٣٦٦) .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة ، عن محمد بن ذكوان - رجل من أهل الكوفة - قال : سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يقول : كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة(٣٦٧) .

وعن حجاج ، عن شعبة ، عن أيوب : سمعت أبا قِلَابة ، عن أبي المهلب قال : كان أبيّ بن كعب يختم القرآن في كل ثمان .

وحدثنا علي بن عاصم ، عن خالد ، عن أبي قلابة قال : كان أبيّ بن كعب يختم القرآن في كل ثمان . وكان تميم الداري يختمه في كل سبع (٣٦٨)

---

(٣٦٥) - البخاري برقم (٥٠٥٤) ، ورواه مسلم في الصيام برقم ١٨٤ - (١١٥٩) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : في كم يقرأ القرآن برقم (١٣٨٨) .

(٣٦٦) - فضائل القرآن (ص ١٧٧) ، ورواه ابن الأثير - معلقًا - في أسد الغابة (٤٢٩/٤) من طريق يحيى ابن بكير وسعيد بن أبي مريم ، به . وقال : أخرجه الثلاثة . وأورده ابن حجر في الإصابة (١٩٣/٨) وعزاه إلى أبي عبيد ، ومحمد بن نصر في قيام الليل ، والطبراني ٨٧٧ - (٣٤٤/١٨) وغيرهم . قال : وقال ابن السكن : رُوي عنه حديث تفرد به ابن لهيعة . ورواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢٩٨/١) . ورواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم (٢٠٠٨) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٩/٢) وقال : رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام .

(٣٦٧) - فضائل القرآن (ص ١٧٧) ، وعبد الرزاق (٥٩٤٩/٣) ، وابن سعد (٥٠٠/٣) ، والفريابي في فضائل القرآن (١٣٣ : ١٣٦) ، وابن نصر في قيام الليل ص (١٥٦) .

(٣٦٨) - فضائل القرآن (ص ١٧٨) .

وحدثنا هُشَيْم ، عن الأعمش ، عن إبراهيم : أنه كان يختم القرآن في كل سبع(٣٦٩) .

وحدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان الأسود يختم القرآن في كل ست ، وكان علقمة يختمه في كل خمس(٣٧٠) .

فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمر في ذلك جليا ، ولكن دلت أحاديث أخرجوها على جواز قراءته فيما دون ذلك ، كما رواه الإمام أحمد في مسنده :

حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنا حبان بن واسع ، عن أبيه ، عن سعد بن المنذر الأنصاري ؛ أنه قال : يا رسول اللّٰه ، أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : « **نعم** » . قال : فكان يقرؤه حتى توفي(٣٧١) .

وهذا إسناد جيد قوي حسن ، فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لَهِيعة ، إنما يخشى من تدليسه وسوء حفظه ، وقد صرح هاهنا بالسماع ، وهو من الأئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه ، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه ، كلاهما من رجال مسلم ، والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة ، وهذا على شرط كثير منهم ، واللّٰه أعلم .

وقد رواه أبو عبيد ، رحمه اللّٰه ، عن ابن بكير ، عن ابن لَهِيعة ، عن حبان بن واسع ، عن أبيه ، عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال : يا رسول اللّٰه ، أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : « **نعم ، إن استطعت** » . قال : فكان يقرؤه كذلك حتى توفي(٣٧٢) .

حديث آخر :

---

(٣٦٩) - فضائل القرآن (ص ١٧٨) .

(٣٧٠) - فضائل القرآن (ص ١٧٨) ، وابن أبي شيبة (٢/٥٠١) ، والفريابي (١٣٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/٩٩ ، ١٠٣) ، والبيهقي في الشعب (٢١٨٩) .

(٣٧١) - وهذا الحديث ساقط من النسخة المطبوعة من المسند - الميمنية - وقد استدركناه والحمد للّٰه في نسختنا المطبوعة من المسند حديث (٢٧٨٠٧) . والحديث أورده الحافظ في الأطراف (١/ل ٨١) والهيثمي في غاية المقصد ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٦٨) وقال : وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف . ورواه الطبراني برقم ٥٤٨١ - (٦/٦٢) . وسعد بن المنذر ترجمه في الإصابة وقال : ذكره البخاري وقال : روى حديثه ابن لهيعة ولم يصح . قلت : وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٤) عن ابن لهيعة ... فذكره قال : وأخرجه الحسن بن سفيان ، والبغوي من طريق ابن لهيعة ، عن حبان ، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ، والفريابي (١٢٨) من طريق قتيبة بن سعيد ، عن ابن لهيعة به . وقال : رواه ابن المبارك ، وابن وهب والحسن الأشيب والناس عن ابن لهيعة .

(٣٧٢) - فضائل القرآن (ص ١٧٩) .

قال أبو عبيد : حدثنا يزيد ، عن همام ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث** » .

وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة ، به[٣٧٣] . وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث آخر : قال أبو عبيد : حدثنا يوسف بن الغرق ، عن الطيب بن سليمان ، حدثتنا عمرة بنت عبد الرحمن : أنها سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يختم القرآن في أقل من ثلاث[٣٧٤] .

هذا حديث غريب وفيه ضعف ، فإن الطيب بن سليمان هذا بصري ، ضعفه الدارقطني ، وليس هو بذاك المشهور ، والله أعلم .

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث ، كما هو مذهب أبي عبيد وإسحاق وابن راهويه وغيرهما من الخلف ، أيضًا .

قال أبو عبيد : حدثنا يزيد ، عن هشام بن حسان ، عن حفصة ، عن أبي العالية ، عن معاذ ابن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث[٣٧٥] . صحيح .

وحدثنا يزيد ، عن سفيان ، عن علي بن بذيمة ، عن أبي عبيدة قال : قال عبد الله : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز[٣٧٦] .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة ، عن علي بن بذيمة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله مثله سواء[٣٧٧] .

---

(٣٧٣) - فضائل القرآن (ص ١٧٩) ، والمسند (٢/١٨٩،١٦٥) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : تحزيب القرآن ، برقم (١٣٩٤) ، والترمذي في القراءات ، باب : في كم يختم القرآن برقم (٢٩٤٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٦٧) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب : في كم يستحب ختم القرآن برقم (١٣٤٧) ، والطيالسي (٢٢٧٥) ، وابن أبي شيبة (٢/٥٠٠ ، ٥٠١) ، وابن حبان (٧٥٨) والفريابي (١٤٢ ، ١٤٥) ، والبيهقي (١٩٨١) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/٢٦٥) .

(٣٧٤) - يوسف بن الغرق : ترجمه في الجرح والتعديل (٩/٢٢٧) وقال : قال أبي : ليس بقوي ، وقال أحمد : رأيته ولم أكتب عنه شيئًا . والحديث في فضائل القرآن (ص ١٧٩) .

(٣٧٥) - فضائل القرآن (ص ١٧٩) .

(٣٧٦) - فضائل القرآن (ص ١٨٠) .

(٣٧٧) - فضائل القرآن (ص ١٨٠) .

وحدثنا حجاج ، عن شعبة ، عن محمد بن ذَكْوَان ، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود ، عن أبيه ؛ أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث(٣٧٨) . إسناده صحيح .

وفي المسند عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا : « **اقرءوا القرآن ، ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به** »(٣٧٩) .

فقوله : « **لا تغلوا فيه** » أي : لا تبالغوا في تلاوته بسرعة في أقصر مدة ، فإن ذلك ينافي التدبر غالبًا ؛ ولهذا قابله بقوله : « **ولا تجفوا عنه** » أي :لا تتركوا تلاوته .

فصل

وقد ترخص جماعة من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك ؛ منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي اللّه عنه .

قال أبو عبيد(٣٨٠) : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن خَصيفة ، عن السائب بن يزيد : أن رجلًا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد اللّه فقال : إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان ، رضي اللّه عنه ، فقال : نعم . قال : قلت : لأغلبن الليلة على الحجر ، فقمت ، فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمني ، فنظرت فإذا عثمان بن عفان ، فتأخرت

---

(٣٧٨) - **إسناده حسن** ، وهو في فضائل القرآن (ص ١٨٠) ، ورواه ابن نصر في قيام الليل ص (١٥٥) ، والفريابي (١٣٢) ، والطبراني في الكبير (٨٧٠٦/٩) ، وقال ابن أبي حاتم ، وتبعه الذهبي : محمد بن ذكوان ما روى عنه غير شعبة .

(٣٧٩) - **صحيح** ، رواه أحمد في المسند ١٥٥٧١ ، (٤٢٨/٣ ، ٤٤٤) ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن هشام - يعني الدستوائي - قال : حدثني يحيى بن أبي كثير ، عن أبي راشد الحبراني ، قال : قال عبد الرحمن ابن شبل ،.... وعن عبد الصمد ، ثنا همام ، ثنا يحيى ، عن زيد بن سلام ، عن جده ، عن أبي راشد الحبراني ، عن عبد الرحمن بن شبل : ..... فذكره ، وأخرجه « البزار » - كما في كشف الأستار - في كتاب « التفسير » باب : قراءة القرآن حديث ٢٣٢٠ - (٩٣/٣) ، وأبو يعلى ١٥١٨ - (٨٩/٣) . والطبراني في الأوسط ٢٥٧٤ - (٨٦/٣) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٨/٣) ، وقال الهيثمي في « المجمع » : رواه أحمد والبزار نحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، وصححه الحاكم (٢/ ١٩٠،١٩١) وقال : على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي (٢٣٨٣) ، والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٦٠) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦/٤) وعزاه للطبراني في معجمه الكبير - وذكر أن له طريقًا آخر عن أبي هريرة « المجمع » (١٧١/٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه المقدام بن داود ، وهو ضعيف . اهـ . وقال ابن حجر في الفتح (٨٢/٩) بعد عزوه لأحمد ولأبي يعلى : سنده قوي . اهـ .

(٣٨٠) - فضائل القرآن (ص ١٨١) . ورواه عبد الرزاق (٤٦٥٣/٣) ، والبيهقي - بمعناه - في الكبرى (٣/ ٢٤ ، ٢٥) .

عنه ، فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن ، حتى إذا قلت : هذه هوادى الفجر ، أوتر بركعة لم يصل غيرها . وهذا إسناد صحيح .

قال : وحدثنا هُشَيْم ، أنا منصور ، عن ابن سيرين قال : قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه : إن يقتلوه أو يدعوه ، فقد كان يحيي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن أيضًا(٣٨١) .

وقال - أيضًا - : حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم بن سليمان ، عن ابن سيرين : إن تميمًا الداري قرأ القرآن في ركعة(٣٨٢) .

حدثنا حجاج عن شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : أنه قال : قرأت القرآن في ركعة في البيت - يعني الكعبة(٣٨٣) .

وحدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة ، طاف بالبيت أسبوعًا(٣٨٤) ، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالطول ، ثم طاف بالبيت أسبوعًا ، ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعًا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثاني ، ثم طاف بالبيت أسبوعًا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن(٣٨٥) .

وهذه كلها أسانيد صحيحة ، ومن أغرب ما هاهنا : ما رواه أبو عبيد رحمه الله :

حدثنا سعيد بن عُفَيْر ، عن بكر بن مضر ، أن سليم بن عتر التجيبي كان يختم القرآن في ليلة ثلاث مرات ، ويجامع ثلاث مرات . قال : فلما مات قالت امرأته : رحمك الله ، إن كنت لترضي ربك وترضي أهلك ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قالت : كان يقوم من الليل فيختم القرآن ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ، ويعود فيقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ، ويعود فيقرأ حتى

---

(٣٨١) - فضائل القرآن (ص ١٨١) ، ورواه ابن أبي شيبة (٣٦٧/١ ، ٥٠٢/٢) ، وابن سعد في الطبقات (٧٦/٣) ، وأبونعيم في الحلية (٥٧/١) ، وعمر بن شبة (١٢٧٢/٤) ، والطبراني في الكبير (١٣٠/١) .

(٣٨٢) - فضائل القرآن (ص ١٨٢) ، ورواه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٧) ، وابن أبي شيبة (٥٠٢/٢) ، وعنه ابن حبان في الثقات (٤٠/٣) ، والبيهقي في الكبرى (٢٥/٣) ، وفي الشعب (١٩٩٤ هـ) .

(٣٨٣) - فضائل القرآن (ص ١٨٢) ، ورواه ابن حبان في الثقات (٢٧٦/٤) ، والطحاوي في شرح المعاني (٣٤٨/١) ، وابن سعد (٢٥٩/٦) ، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص ٣٧٠) ، وعنه أبو نعيم في الحلية (٢٧٣/٤) .

(٣٨٤) - الأسبوع : الطواف حول البيت سبع مرات .

(٣٨٥) - فضائل القرآن (ص ١٨٢) ، ورواه من طريقه ابن عساكر (٨٢٢/١١) ، والفريابي في الفضائل (١٤٠) ، وابن حبان في الثقات (٢٠٨/٥) .

يختم ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ، ويخرج إلى صلاة الصبح(٣٨٦) .

قلت : كان سليم بن عتر تابعيًا جليلًا ثقة نبيلًا ، وكان قاضيًا بمصر أيام معاوية وقاصّها ، ثم قال أبو حاتم : روى عن أبي الدرداء ، وعنه ابن زحر ، ثم قال : حدثني محمد بن عوف ، عن أبي صالح كاتب الليث ، حدثني حرملة بن عمران ، عن كعب بن علقمة قال : كان سليم ابن عتر من خير التابعين(٣٨٧) .

وذكره ابن يونس في تاريخ مصر .

وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء .

وعن منصور قال : كان علي الأزدي يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان(٣٨٨) .

وعن إبراهيم بن سعد قال : كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن .

قلت : وروي عن منصور بن زاذان : أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر ، ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء ، وكانوا يؤخرونها قليلًا (٣٨٩) .

وعن الإمام الشافعي ، رحمه الله : أنه كان يختم في اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين ، وفي غيره ختمة .

وعن أبي عبد الله البخاري - صاحب الصحيح - أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمة .

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال : سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول : كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات ، وبالليل أربع ختمات .

وهذا نادر جدا . فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم ، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة ، والله أعلم .

قال الشيخ أبو زكريا النووي في كتابه التبيان بعد ذكر طرف مما تقدم : (والاختيار أن ذلك

---

(٣٨٦) - فضائل القرآن (ص ١٨٢ - ١٨٣) ، وأورده الذهبي في السير (١٣٢/٤) من حديث ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات ..

(٣٨٧) - الجرح والتعديل (٢١١/٤،٢١٢) .

(٣٨٨) - رواه ابن حبان في الثقات (١٦٤/٥ - ١٦٥) .

(٣٨٩) - البيهقي (١٩٩٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٥٧/٣ - ٥٨) ، وابن حبان في الثقات (٤٧٤/٧) نحوه .

يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذْرَمة) .

ثم قال البخاري ، رحمه الله :

البكاء عند قراءة القرآن

وأورد فيه من رواية الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ عليّ** » . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « **إني أشتهي أن أسمعه من غيري** » . قال : فقرأت النساء ، حتى إذا بلغت : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾(٣٩٠) ، قال لي : « **كفَّ أو أمسك** » ، فرأيت عينيه تذرفان(٣٩١) .

وهذا من المتفق عليه كما تقدم ، وكما سيأتي إن شاء الله .

(٣٩٠) - [النساء : ٤١] .

(٣٩١) - صحيح البخاري برقم (٥٠٥٥) .

من راءى بقراءة القرآن
أو تأكَّل به أو فجر به

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، عن خَيْثَمة ، عن سُوَيْد بن غفلة [قال :][١] قال علي ، رضي الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة** »(٣٩٢) .

وقد رُوي في موضعين آخرين ، ومسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق عن الأعمش ، به(٣٩٣) .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئًا ، وينظر في القدح فلا يرى شيئًا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئًا ، ويتمارى في الفوق** »(٣٩٤) .

ورواه في موضع آخر ، ومسلم - أيضًا - والنسائي من طرق عن الزهري ، عن أبي سلمة ، به(٣٩٥) ، وابن ماجة من رواية محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، به .

حدثنا مُسَدَّد بن مسرهد ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن

---

(٣٩٢) - صحيح البخاري برقم (٥٠٥٧) .

(٣٩٣) - رواه البخاري في المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، وفي كتاب استتابة المرتدين ، باب : قتل الخوارج برقم (٣٦١١، ٦٩٣٠) ، ومسلم في الزكاة ، برقم ١٥٤ - (١٠٦٦) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب : قتال الخوارج برقم (٤٧٦٧) ، والنسائي في تحريم الدم ، باب : من شهر سيفه ثم وضعه في الناس ٤١٠٢ - (١١٩/٧) .

(٣٩٤) - صحيح البخاري برقم (٥٠٥٨) .

(٣٩٥) - رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، وفي كتاب استتابة المرتدين ، باب : من ترك قتال الخوارج ... برقم (٣٦١٠،٦٩٣٣) ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (١٠٦٤) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٥٦٠) وابن ماجه في المقدمة ، باب : ذكر الخوارج حديث (١٦٩) .

---

[١] - زيادة من البخاري .

مالك ، عن أبي موسى ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر – أو خبيث – وريحها مرّ** »[٣٩٦] .

ورواه في موضع آخر مع بقية الجماعة من طرق ، عن قتادة ، به[٣٩٧] .

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب ، كما جاء في الحديث : « **واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه** »[٣٩٨] يعني : القرآن .

والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد هم الخوارج ، وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، وقد قال في الرواية الأخرى : « **يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم ، وصلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم** » . ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراءون في أعمالهم في نفس الأمر ، وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك ، إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح ، فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله : ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[٣٩٩] ،

---

(٣٩٦) – صحيح البخاري برقم (٥٠٥٩) .

(٣٩٧) – رواه البخاري في كتاب الأطعمة ، باب : ذكر الطعام برقم (٥٤٢٧) ، وفي التوحيد ، باب : قراءة الفاجر والمنافق (٧٥٦٠) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٤٣ – (٧٩٧) ، وأبو داود في الأدب ، باب : من يؤمر أن يجالس برقم (٤٨٣٠) ، والترمذي في الأمثال ، باب : في مثل المؤمن القارئ للقرآن ... برقم (٢٨٦٥) ، والنسائي في الإيمان ، باب : مثل الذي يقرأ القرآن ... برقم ٥٠٣٨ – (٨/ ١٢٤) ، وابن ماجة في المقدمة برقم (٢١٤) .

(٣٩٨) – **إسناده ضعيف** ، من أجل ليث بن أبي سليم ، وبكر بن خنيس ، فقد رواه أحمد في المسند ٢٤٠٦ (٢٦٨/٥) عن هاشم بن القاسم ، ثنا بكر بن خنيس ، عن ليث بن أبي سليم ، عن زيد بن أرطاة ، عن أبي أمامة .... فذكره ، وأخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن ، باب : رقم (١٧) (رقم : ٢٩١١) من طريق أحمد بن منيع ، عن هاشم بن القاسم ، به . ورواه ابن نصر في قيام الليل (ص ٤١ – ٢ ، ١٢٢) ، وفي تعظيم قدر الصلاة (١٧٨) ، وابن بطة في الإبانة – الرد على الجهمية (٨) ، والخطيب (٨٨/٧ ، ١٢/ ٢٢٠) ، وقال البخاري في خلق أفعال العباد (٥٠٩) : لا يصح . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك ، وتركه في آخر أمره ، وقد روى هذا الحديث زيد بن أرطاة ، عن جبير بن نفير ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مرسل . حدثنا بذلك إسحاق بن منصور ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية ، عن العلاء بن الحارث ، عن زيد بن أرطاة ، عن جبير بن نفير قال : قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه** » – يعني القرآن .

(٣٩٩) – [التوبة : ١٠٩]

وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم ، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء اللّه .

والمنافق المشبه بالريحانة التي لها ريح ظاهر وطعمها مر هو المرائي بتلاوته ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤٠٠) .

ثم قال البخاري :

اقرءوا القرآن ما ائتَلَفت عليه قلوبكم

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل عارم ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبي عمران الجوني ، عن جندب بن عبد اللّه ، رضي اللّه عنه ، عن النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، قال : « **اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه** »(٤٠١) .

حدثنا عمرو بن علي بن بحر الفلّاس ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سلام بن أبي مطيع ، عن أبي عمران الجوني، عن جُنْدُب قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: « **اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا [عنه]**[١] »(٤٠٢) .

تابعه الحارث بن عُبَيْد وسعيد بن زيد ، عن أبي عمران ، ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان .

وقال غُنْدَر : عن شعبة ، عن أبي عمران قال : سمعت جُنْدُبا - قوله

وقال ابن عون ، عن أبي عمران ، عن عبد اللّه بن الصامت ، عن عمر - قوله .

وجندب أصح وأكثر(٤٠٣) .

وقد رواه في موضع آخر ، ومسلم كلاهما عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الصمد ، عن همام ، عن أبي عمران ، به(٤٠٤)

---

(٤٠٠) - [النساء : ١٤٢]

(٤٠١) - صحيح البخاري برقم (٥٠٦٠) .

(٤٠٢) - صحيح البخاري برقم (٥٠٦١) .

(٤٠٣) - قال الحافظ ابن حجر : « أي أصح سندًا وأكثر طرقًا ، وهو كما قال ، فإن الجم الغفير رواه عن أبي عمران عن جندب إلا أنهم اختلفوا عليه في رفعه ووقفه ، والذين رفعوه ثقات حفاظ فالحكم لهم ، وأما رواية ابن عون فشاذة لم يتابع عليها » .

(٤٠٤) - البخاري ، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : كراهية الاختلاف =

---

[١] - زيادة من البخاري .

ومسلم - أيضًا - عن يحيى بن يحيى ، عن الحارث بن عبيد أبي قدامة ، عن أبي عمران ، به .

ورواه مسلم - أيضًا - عن أحمد بن سعيد ، عن حبان بن هلال ، عن أبان العطار ، عن أبي عمران ، به مرفوعًا(٤٠٥) .

وقد حكى البخاري : أن أبان وحماد بن سلمة لم يرفعاه ، فالله أعلم .

ورواه النسائي والطبراني(٤٠٦) من حديث مسلم بن إبراهيم ، عن هارون بن موسى الأعور النحوي ، عن أبي عمران ، به .

ورواه النسائي - أيضا - من طرق عن سفيان ، عن حجاج بن فرافصة ، عن أبي عمران ، به مرفوعًا(٤٠٧) ، وفي رواية عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء ، عن أبيه ، عن سفيان ، عن حجاج ، عن أبي عمران ، عن جُنْدُب موقوفًا ، ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، عن إسحاق الأزرق ، عن عبد الله بن عون ، عن أبي عمران ، عن عبد الله بن الصامت ، عن عمر قوله .

قال أبو بكر بن أبي داود : لم يخطئ ابن عون في حديث قط إلا في هذا ، والصواب عن جندب .

ورواه الطبراني ، عن علي بن عبد العزيز ، عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالا : حدثنا الحارث بن عبيد ، عن أبي عمران ، عن جندب مرفوعًا(٤٠٨) .

فهذا مما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار ، والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري ، رحمه الله ، من أن الأكثر والأصح : أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومعنى الحديث أنه ، عليه السلام ، أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته ، متفكرة فيه ، متدبرة له ، لا في حال شغلها وملالها ، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام : « **اكلفوا من**

= برقم (٧٣٦٥) ، ومسلم في كتاب العلم برقم ٤ - (٢٦٦٧) .

(٤٠٥) - مسلم في العلم برقم (٢٦٦٧) .

(٤٠٦) - السنن الكبرى للنسائي ، كتاب فضائل القرآن ، حديث (٨٠٩٨) ، والمعجم الكبير للطبراني حديث (١٦٧٤) .

(٤٠٧) - النسائي في الكبرى برقم (٨٠٩٦) .

(٤٠٨) - المعجم الكبير حديث ١٦٧٣ - (١٦٣/٢ - ١٦٤) .

العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »[٤٠٩] ، وقال : « **أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل** » ، وفي اللفظ الآخر : « **أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل** »[٤١٠] .

ثم قال البخاري[٤١١] : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن النزال بن سبرة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع النبي صلى الله عليه وسلم قرأ خلافها ، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **كلاكما محسن فاقرأا** » أكبر علمي قال : « **فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم الله عز وجل** » .

وأخرجه النسائي من رواية شعبة ، به .

وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه ، وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمراء فيه كما تقدم النهي عن ذلك ، والله أعلم .

وقريب من هذا ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه :

حدثنا أبو محمد بن محمد الجرمي ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود : تمارينا في سورة من القرآن فقلنا : خمس وثلاثون آية ، ست وثلاثون آية ، قال : فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا عليًّا يناجيه فقلنا له : اختلفنا في القراءة ، فاحمر وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال علي : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يأمركم أن تقرءوا كما قد علمتم[٤١٢] .

وهذا آخر ما أورده البخاري ، رحمه الله ، في كتاب فضائل القرآن ، جل منزله ، وتعالى قائله ، ولله الحمد والمنة .

---

(٤٠٩) - رواه البخاري في الإيمان ، باب : أحب الدين إلى الله أدومه برقم (٤٣) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها من صحيحه برقم (٧٨٥) من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(٤١٠) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢١٥ - (٧٨٢) من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(٤١١) - البخاري برقم (٥٠٦٢) ، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٩٥) .

(٤١٢) - **سنده حسن** ، زوائد المسند (١/١٠٥،١٠٦) ، ورواه أحمد (٣٩٩٢ ، ٣٩٩٣) ، والطبري في تفسيره (١٢/١) ، وأبو يعلى (٥٠٥٧/٨) ، وابن حبان (١٧٨٣) ، والحاكم وصححه (٢٢٣/٢ ، ٢٢٤).

كتاب الجامع
لأحاديث شتى تتعلق بتلاوة القرآن
وفضائله وفضل أهله

فصل

قال أحمد(٤١٣) : حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا شيبان ، عن فراس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال نبي اللَّه عليه الصلاة والسلام : « **يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه** » .

وقال أحمد(٤١٤) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حَيْوَة ، حدثنا بشير بن أبي عمرو

---

(٤١٣) - **إسناده ضعيف وهو حديث صحيح** ، عطية هو ابن سعد العوفي : ضعيف ، وقد تابعه ذكوان أبو صالح ، والحديث في المسند برقم ١١٣٧٦ - (٤٠/٣) ، ورواه أحمد ١٠٠٨٩ - (٤٧١/٢) ، من طريق وكيع ، ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، أو عن أبي هريرة - شك الأعمش - قال : يقال لصاحب القرآن يوم القيامة : اقرأ وارقه ؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها . وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب ، باب : ثواب القرآن (٣٧٨٠) ، وأبو يعلى في مسنده ١٠٩٤ - (٣٤٦/٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عبيد اللَّه بن موسى ، أنبأنا شيبان به ، وأخرجه أبو يعلى أيضًا ١٣٣٨ - (٤٩٥/٢) ثنا زهير ، ثنا عبيد اللَّه بن موسى ، به ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب فضائل القرآن ، باب : من قال لصاحب القرآن : اقرأ وارقه (١) (١٧٢/٧) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٦٥/٧) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح . ويشهد له حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص عند أبي داود في الصلاة : باب : استحباب الترتيل في القراءة (١٤٦٤) ، والترمذي في ثواب القرآن ، باب : ما تقرب العبد بمثل القرآن (٢٩١٥) وقال : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (٧٦٦) ، وفي الموارد (١٧٩٠) ، والحاكم (١/ ٥٥٢، ٥٥٣) ووافقه الذهبي .

(٤١٤) - **إسناده حسن** ، والحديث في المسند ١١٣٥٦- (٣٨/٣) . بشير بن أبي عمرو : هو أبوالفتح المصري الخولاني ؛ قال الحافظ في التقريب : ثقة ، والوليد بن قيس روى عنه أكثر من واحد . وثقه ابن حبان والعجلي ، وقال ابن حجر : « مقبول » . وأخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٦١٠) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٧٥) (٣٢/٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٧٤/٢) ، (٥٤٧/٤) وعنه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢٦٢٦) (٥٣٣/٢) ، وفي « دلائل النبوة » (٤٦٥/٦) ، وابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير (٢٣٩/٥) . من طريق عبد اللَّه بن يزيد أبي عبد الرحمن المقرئ به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٩٩/٤) إلى ابن المنذر وابن مردويه . وله طريق أخرى عن أبي سعيد بمعناه ، عند أبي نصر المروزي في « قيام الليل » (ص ١٢٨) ، وأبي عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) . والبغوي في شرح السنة (١١٨٢) (٤٣٩/٤) . وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٥٨) (٤٦٢/١) .

الخولاني ؛ أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **يكون خلف من بعد الستين سنة ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر** » .

قال بشير : فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يَتَأَكَّل به ، والمؤمن يؤمن به .

وقال أحمد(٤١٥) : حدثنا حجاج ، حدثنا الليث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيد أنه قال : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال : « **ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؛ إن من خير الناس رجلا عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجرا جريئًا يقرأ كتاب الله ، ولا يرعوي[١] إلى شيء منه** ».

قال الحافظ أبو بكر البزار(٤١٦) : حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي ، حدثنا الحسين ابن

(٤١٥) - **إسناده ضعيف لجهالة أبي الخطاب المصرى** ، والحديث في المسند ١١٣٣٥ ، ١١٣٩٠ ، ١١٥٦٥ - (٣٧/٣ ، ٤١ ،٥٨) . وأبو الخطاب المصري ، قال ابن حجر : مجهول . قال المزي : ذكره الحاكم فيمن لم يقف على اسمه ، عن أبي سعيد . وقال النسائي : لا أعرفه . وكذا قال ابن المديني . وقال الذهبي : مجهول . ووثقه العجلي على عادته في توثيق كثير من المجاهيل . وأبو الخير ، هو مرثد بن عبد الله أبو الخير اليزني المصري ، ثقة فقيه ، روى له الجماعة . وأخرجه النسائي - كتاب الجهاد ، باب : فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (١١/٦ - ١٢) . وعبد بن حميد في « المنتخب » (٩٨٩) ، والحاكم في المستدرك (٦٧/٢ - ٦٨) . وعنه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٠/٩) ، ومن طريق آخر في « شعب الإيمان » (٤٢٩٠) (٤٢/٤) ، والمزى في « تهذيب الكمال » : (٢٨٣/٣٣) ترجمة أبي الخطاب ، من طرق عن ليث بن سعد ، به . وقال الحاكم « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا لجهالة حال أبي الخطاب .

(٤١٦) - **إسناده ضعيف** ؛ لضعف عطية بن سعد العوفي ، وكذا محمد بن الحسن بن أبي يزيد . ورواه الترمذي في أبواب ثواب القرآن ، باب : من شغله القرآن أعطي أفضل العطايا وفضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه برقم (٢٩٢٦) من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني به ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » ، ورواه الدارمي في سننه (٣٣٥٩) ، ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٣٦ ، ٣٣٩) ، ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٢٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات صـ (٢٣٨) . قال الحافظ في الفتح (٦٦/٩) : رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف . وأخرجه =

[١] - يَرْعَوي أي : لاينكَفُّ ولا يَنْزَجِر ، من رعا يَرْعُو إذا كَفَّ عن الأمور . وقد ارْعَوَى عن القبيح يَرْعَوِي ارعواءً . والاسم : الرُّعيا بالفتح والضَّمّ. وقيل : الارعواء : النَّدم على الشيء والانصراف عنه وتركه . نهاية [٢٣٦/٢]

عبد الأول ، حدثنا محمد بن الحسن الهمداني ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يقول الله تعالى : من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب السائلين** » . **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : « **إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » ، ثم قال : تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثني عبد الرحمن بن بُدَيْل بن ميسرة ، حدثني أبي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن لله أهْلِين من الناس** » . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **أهْل القرآن هم أهل الله وخاصته** »(٤١٧) .

= ابن عدي من رواية شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » . وفي إسناده عمر بن سعيد الأشج وهو ضعيف . وأخرجه ابن الضريس من وجه آخر عن شهر بن حوشب مرسلًا ، ورجاله لا بأس بهم . وأخرجه يحيى بن عبد الحميد الحماني في مسنده من حديث عمر ابن الخطاب ، وفي إسناده صفوان بن أبي الصهباء ، مختلف فيه . وأخرجه ابن الضريس أيضًا من طريق الجراح بن الضحاك ، عن علقمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عثمان رفعه : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** – ثم قال – : **وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه وذلك أنه منه** » . ثم قال الحافظ : وقد بين العسكري أن هذه الزيادة من قول أبي عبد الرحمن السلمي ، وقال البخاري في خلق أفعال العباد : وقال أبو عبد الرحمن السلمي ... فذكره . وأشار إلى أنه لا يصح مرفوعًا . وأخرجه العسكري أيضًا عن طاوس والحسن قولهما . اهـ .

وحديث أبي هريرة رواه أبو يعلى في معجم شيوخه عن موسى بن عبد الرحمن ، عن عمر بن سعيد الأبح ص ٢٩٤ – (٣٢٠ – ٣٢١) .

ورواه ابن عدي في ترجمة عمر بن سعيد الأبح (١٧٠٥/٥) .

ورواه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٥٥٧ – (٣٣٩/٢) . من حديث عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن الأشعث الأعمى ، عن شهر ، عن أبي هريرة . ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (٣٢٦) – بسندين عن الأشعث – ورواه ابن بطة (٤٨٢/٢) بسند آخر عن شهر ، وكذا البيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٩) .

ورواية الحديث مرسلًا عن شهر عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الدارمي (٣٣٦٠) . وابن الضريس.

وسئل الدارقطني عن حديث شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة فقال : يرويه أشعث بن جابر الحراني واختلف عنه ، فرواه عمر بن سعد الأبح ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أشعث الحراني ، عن شهر ، عن أبي هريرة . وغيره يرويه عن ابن أبي عروبة ، عن أشعث لا يذكر قتادة .

قال : ورواه حماد بن سلمة ، عن أشعث ، عن شهر مرسلًا ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو أشبه بالصواب . وقال عمرو بن حمران : عن سعيد عن قتادة ، عن شهر ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، ولا يذكر أشعث . وكذلك قال شيبان بن فروخ ، عن عمر الأبح ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن شهر ، عن أبي هريرة مرفوعًا .

(٤١٧) – المسند ١١٣١٣ – (١٢٨/٣) ، وعبد الرحمن بن بديل : لابأس به ، (م ، س) وبديل بن ميسرة العقيلي البصري ، قال ابن سعد وابن معين والنسائي : ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق . والحديث =

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ، حدثنا خالد بن خِدَاش ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، أن أنس بن مالك ، رضي اللّٰه عنه : كان إذا ختم القرآنَ جمع أهله وولده فدعا لهم(٤١٨) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا عبد اللّٰه بن أحمد بن حنبل ، حدثنا محمد بن عباد المكي ، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن شريك ، عن الأعمش ، عن يزيد بن أبان ، عن الحسن ، عن أنس ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه** »(٤١٩) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عبد اللّٰه بن المحرر ، عن قتادة ، عن أنس ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **لكل شيء حلية ، وحلية القرآن الصوت الحسن** »(٤٢٠) . ابن المحرر ضعيف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنا بكر بن سوادة ، عن وفاء الخولاني ، عن أنس بن مالك قال : بينما نحن نقرأ فينا العربي والعجمي والأسود والأبيض ، إذ خرج علينا رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقال : « **أنتم في خير ، تقرءون كتاب اللّٰه وفيكم رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، وسيأتي على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح ، يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها** »(٤٢١) .

وقد رواه الإمام أحمد - أيضًا - عن حسن ، عن ابن لَهِيعة ، عن بكر ، عن وفاء ، عن سهل

= رواه أحمد ١١٣٠٠ ، (١٢٧/٣) ، ورواه النسائي في كتاب فضائل القرآن ، من السنن الكبرى ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فضل من تعلم القرآن وعلمه ، حديث (٢١٥) . جميعهم من حديث عبدالرحمن ابن مهدي ، عن عبدالرحمن بن بديل ، به . ورواه أحمد ١٢٣١٣ - (١٢٧/٣ - ١٢٨) ، وح ١٣٥٦٧ - (٢٤٢/٣) ، ورواه الطيالسي (٢١٢٤) ، وابن نصر في قيام الليل (ص ٧٤) ، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٧) ، والحاكم (٥٥٦/١) ، وقال الذهبي في الميزان : إسناده صالح .

(٤١٨) - المعجم الكبير (٢٤٢/١) ، وأخرجه الدارمي (٣٣٦/٢) ، والفريابي في الفضائل (٨٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٧٢/٧) : « رجاله ثقات » .

(٤١٩) - **إسناده ضعيف** ، رواه الطبراني في المعجم الكبير ٧٣٨ - (٢٥٥/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٧٧٣) . وأورده الهيثمي في المجمع (١٥٨/٧) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف » . وأورده ابن حجر في المطالب ، والبوصيري في الاتحاف وأعله بيزيد بن أبان .

(٤٢٠) - مسند البزار برقم (٢٣٣٠ كشف الأستار) ، ومختصر زوائد البزار (١٥٧٢) ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (/٤٨٤) ، وابن عدي (١٤٥٢/٤) ، وقال البزار : تفرد به عبد اللّٰه بن المحرر ، وهوضعيف الحديث .

(٤٢١) - المسند ١٢٥٠٦ ، ١٢٦٠٣ - (١٤٦/٣ ، ١٥٥) . وذكره في مجمع الزوائد (٩٤/٤) وقال : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه كلام .

ابن سعد ، عن النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، فذكره(٤٢٢) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد اللّه بن الجهم ، حدثنا عمرو بن أبي قيس ، عن عبد ربه بن عبد اللّه ، عن عمر بن نبهان ، عن الحسن ، عن أنس ؛ أن النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، قال : « **إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره** »(٤٢٣) .

وقال الحافظ أبو يعلى(٤٢٤) : حدثنا الفضل بن الصباح ، حدثنا أبو عبيدة ، عن محتسب ، حدثني يزيد الرقاشي ، عن أنس ؛ قال : قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس ، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن ، قال : فأتى رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، رجل ، فقال : يا رسول اللّه ، ألا أعجبك من أبي موسى ؟ إنه قعد في بيت فاجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال : فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد ؟** » . قال : نعم . قال : فخرج رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد ، فسمع قراءة أبي موسى فقال : « **إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود ، عليه السلام** » .

هذا غريب ، ويزيد الرقاشي ضعيف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا جعفر - هو ابن محمد بن علي بن الحسين - عن أبيه ، عن جابر بن عبد اللّه قال : خطبنا رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فحمد اللّه وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « **أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب اللّه ، وإن أفضل الهدي هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة** » ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ، ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة ، كأنه منذر جيش . قال : ثم يقول : « **أتتكم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا - وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى - صبحتكم الساعة ومستكم ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دَيْنًا أو ضياعًا فإليّ وعليّ** »(٤٢٥) .

---

(٤٢٢) - المسند ٢٢٩٧٠ - (٣٣٨/٥) . ورواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة (رقم : ٨٣١) . من طريق أحمد بن صالح ، عن عبد اللّه بن وهب ، به ، ورواه ابن حبان (١٧٨٦ ، ١٧٨٧) ، والطبراني في الكبير (٦٠٢٤/٦) .

(٤٢٣) - مسند البزار برقم (٢٣٢١) « كشف الأستار » ، ومختصر الزوائد (١٥٧٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٧١/٧) : رواه البزار وقال : لم يروه إلا أنس . وفيه عمر بن نبهان ضعيف .

(٤٢٤) - مسند أبي يعلى (١٣٣/٧-١٣٥) (٤٠٩٦) وفيه يزيد الرقاشي ضعيف ، ومحتسب : لين الحديث ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٠/٩) ، وقال : رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن . كذا قال !!! ، وأورده الحافظ في المطالب (٤٤٣٧) ، وكذا البوصيري في الإتحاف ، وضعف إسناده بيزيد الرقاشي .

(٤٢٥) - المسند ١٤٣٧٥ - (٣١٠/٣) . والحديث رواه : مسلم في كتاب الصلاة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة (٢١٨/٦) ، حديث ٤٣،٤٤،٤٥ - (٨٦٧). والنسائي في الصلاة ، باب : كيف =

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب - يعني ابن عطاء - أنبأنا أسامة بن زيد الليثي ، عن محمد بن المنْكَدِر ، عن جابر بن عبد الله قال : دخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المسجد ، فإذا قوم يقرءون القرآن فقال : « **اقرءوا القرآن وابتغوا به وجه الله - عز وجل - من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح[١] ، يتعجلونه[٢] ولا يتأجلونه[٣]** »(٤٢٦) .

قال أحمد - أيضًا - حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا خالد ، حدثنا حميد الأعرج ، عن محمد بن المنْكَدِر ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن ، وفينا العجمي والأعرابي قال : فاستمع فقال : « **اقرءوا فكلّ حسن ، وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح ، يتعجلونه ولا يتأجلونه** »(٤٢٧) .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا أبو كُرَيْب محمد بن العلاء ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن الأعمش ، عن المعلى الكندي ، عن عبد الله بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع ، من اتبعه قاده إلى الجنة ، ومن تركه أو أعرض عنه - أو كلمة نحوها - زجّ في قفاه إلى النار »(٤٢٨) .

= الخطبة (١٨٨/٣) . وفي كتاب العلم من الكبرىٰ ، باب : الغضب عند الموعظة والتعليم إذا رأى العالم ما يكره (٤٤٩/٣ ، ٤٥٠) حديث ٥٨٩٢. وابن ماجة في المقدمة ، باب : اجتناب البدع والجدل (١/ ١٧) ، حديث ٤٥. والحديث رواه أحمد حديث ١٤٤٧٣ - (٣١٩/٣). ورواه أحمد حديث ١٥٠٢٧ - (٣٧١/٣) .

(٤٢٦) - **صحيح - على ضعفٍ في إسناده** ، أسامة بن زيد الليثي ضعفه أحمد ويحيى القطان ، وقال ابن حجر : صدوق يهم . وقد تابعه حميد الأعرج ، وحميد الأعرج : ليس به بأس ، روى له الجماعة ، والحديث في المسند ١٤٨٨٩ - (٣٥٧/٣) ، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة حديث (٨٣٠) من حديث حميد الأعرج ، عن ابن المنكدر ، به ، ورواه أبو يعلى (٢١٩٧/٤) ، والبيهقي في الشعب (٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ هـ) .

(٤٢٧) - المسند ١٥٣١٣ - (٣٩٧/٣) ، وأبو داود (٨٣٠) ، والبيهقي في الشعب (٢٣٩٩ هـ) ، والبغوي في شرح السنة (٨٨/٣) .

(٤٢٨) - مسند البزار برقم (١٢١) « كشف الأستار » . ، وأورده ابن حجر في مختصر زوائد البزار برقم (١١٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١) وقال : رواه البزار هكذا موقوفًا على =

---

[١] - القِدْح : السهم الذي يُرْمَى به عن القوس ، بعد تقويمه واعتداله ، ويقيمونه إقامة القِدْح ؛ أي : يبالغون في تحسينه كما يبالغون في تحسين القدح واعتداله . الفتح الرباني بتصرف [١٣/١٨] .

[٢] - يتعجلونه أي : يطلبون بقراءته أجرة من عَرَض الدنيا الزائل ، ولا يقرءونه لله ليوفيهم أجورهم في الآخرة . الفتح الرباني [١٣/١٨] .

[٣] - لا يتأجلونه التأجُّل تَفَعُّل من الأجل وهو الوقت المحدود المضروب في المستقبل، أي : أنهم يتعجلون العمل بالقرآن ولايؤخرونه . نهاية [٢٦/١] .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه(٤٢٩) .

وقال الحافظ أبو يعلى(٤٣٠) : حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر ، حدثني بكر ابن يونس ، عن موسى بن علي ، عن أبيه ، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من قرأ ألف آية كتب الله له قنطارا ، والقنطار مائة رطل ، والرطل اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية ستة دنانير ، والدينار أربعة وعشرون قيراطا ، والقيراط مثل أحُد ، ومن قرأ ثلاثمائة آية قال الله لملائكته : نصب عبدي لي ، أشهدكم يا ملائكتي أنّي قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيمانًا به ورجاء ثوابه ، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك** » .

وقال أحمد (٤٣١) : حدثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنَّ الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب** » .

قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثني أبي قال : وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة ، وذلك أن الله عز وجل يقول : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ ولا يَشْقَى ﴾** [طه :

= ابن مسعود ، وروى بإسناده عن جابر أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال ... بنحوه . ورجال حديث جابر المرفوع ثقات . ورجال أثر ابن مسعود فيه المعلى الكندي وقد وثقه ابن حبان .

(٤٢٩) - البزار كما في (كشف الأستار ١٢٢) . وأورده ابن حجر في مختصر زوائد البزار برقم (١١٦) ، ورواه ابن حبان (١٢٤) ، والبيهقي (١٨٥٥/٤) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١) وقال : رجاله ثقات .

(٤٣٠) - معجم الشيوخ لأبي يعلى (٧٤) ، - مقتصرًا على أوله - وأحمد بن عبد العزيز بن مروان : ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب . وأشار إلى جهالته الخطيب كما في اللسان (٢١٥/١) . وأما بكر بن يونس فهو منكر الحديث . قاله البخاري ، وضعفه أبو حاتم . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه (الميزان ٣٤٨/١) ، و(التهذيب ٤٨٨/١) . ويحيى بن أبي كثير لم يسمع من جابر - انظر جامع التحصيل للعلائي ص ٢٩٩ - وأورده الحافظ في المطالب ٣٨٨٢ - (٤٨٠/٨) وسقط منه الصحابي وأول المتن .

(٤٣١) - المسند ١٩٤٧ - (٢٢٣/١) . ورواه الترمذي في ثواب القرآن ، باب : الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب (٢٩١٤) عن أحمد بن منيع ، عن جرير به . وقال : حسن صحيح . ونسبه شارحه أيضًا للدارمي ٣٣٠٩ - (٣٠٨/٢) ، والحاكم (٥٥٤/١) .

١٢٣] »(٤٣٢) .

وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن عمرو ابن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به** »(٤٣٣) .

وقال - أيضا - : حدثنا أبو يزيد القراطيسي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن سعيد أبي سعد البقال ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **أحسنوا الأصوات بالقرآن** »(٤٣٤) .

وروى - أيضًا - بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا : « **أشراف أمتي حملة القرآن** »(٤٣٥) .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا إبراهيم بن أبي سويد الذارع ، حدثنا صالح المري ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس قال : سأل رجل رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : أي الأعمال أحب إلى اللّٰه ؟ فقال : « **الحال المرتحل** » . قال : يا رسول اللّٰه ، ما الحال المرتحل ؟ قال : « **صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره ، وفي آخره حتى يبلغ أوله** »(٤٣٦) .

---

(٤٣٢) - المعجم الكبير ١٢٤٣٧ - (١٢/٤٨) ، وفي الأوسط ٥٤٦٦ - (٥/٣٣٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٦٩) : « فيه أبو شيبة وهو ضعيف جدًا » . وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٥٣٢٩) ، وقال : ضعيف جدًا . وعزاه للضعيفة (٤٥٣١) .

وقد ورد موقوفًا عن ابن عباس ، رواه أبو بكر بن أبي شيبة (١٠/٤٦٧ ، ٤٦٨) ، وعبد الرزاق (٣/٦٠٣٣) ، وابن جرير (١٦/٣٢٥) ، والحاكم (٢/٣٨١) ، والبيهقي في الشعب (١٨٧١ هـ) .

(٤٣٣) - المعجم الكبير ١٠٨٥٢ - (١١/٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٩) وأورده في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٠) وقال : رواه الطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وهو حسن الحديث وفيه ضعف .

(٤٣٤) - المعجم الكبير ١٢٦٤٣ - (١٢/١٨) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٣/١١٩٤ ، ٧/٢٥٢١) ، وأبو سعد البقال ضعيف بل متروك ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، وأورده في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٠) بلفظ : « **زينوا أصواتكم بالقرآن** » وفي رواية : « **أحسنوا أصواتكم بالقرآن** » . وقال : رواه الطبراني بإسنادين وفي أحدهما عبد اللّٰه بن خراش وثقه ابن حبان وقال : ربما أخطأ ، ووثقه البخاري وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٤٣٥) - المعجم الكبير ١٢٦١٢ - (١٢/١٢٥) من طريق سعد الجرجاني عن نهشل - وكلاهما ضعيف - عن الضحاك به . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٩١)وقال : رواه الطبراني وفيه سعد بن سعيد الجرجاني ، وهو ضعيف .

(٤٣٦) - **إسناده ضعيف** ، والحديث في المعجم الكبير ١٢٧٨٣ - (١٢/١٦٨) ، وعنه أبو نعيم في الحلية (٢/٢٦٠) ، ورواه الحاكم في المستدرك (١/٥٦٨) من طريق صالح المري به ، وقال : « تفرد به =

ذكر الدعاء المأثور

لحفظ القرآن وطرد النسيان

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن إبراهيم القرشي ، حدثني أبو صالح وعكرمة ، عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب : يا رسول الله ، القرآن يتفلت من صدري ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته** » . قال : قال : نعم بأبي أنت وأمي ، قال : « **صلِّ ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب والمّ تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه ، وصل على النبيين ، واستغفر للمؤمنين ، ثم قل : اللّهم ارحمني بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتني ، وارحمني من أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللّهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ[١] كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري ، وتطلق به لساني ، وتفرج به عن قلبي ، وتشرح به صدري ، وتستعمل به بدني ، وتقويني على ذلك وتعينني [على ذلك][٢] ، فإنه لا يعينني على الخير غيرك ، ولا يوفق له إلا أنت ، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسًا أو سبعا تحفظه بإذن الله وما أخطأ مؤمنا قط** » . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **مؤمن ورب الكعبة** » علم أبو الحسن[٣] ، علم أبو الحسن [٤] » هذا سياق الطبراني (٤٣٧) .

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات من جامعه (٤٣٨) : حدثنا أحمد بن الحسن ،

= صالح المري ، وهو من زهاد أهل البصرة » . وتعقبه الذهبي فقال : « صالح متروك » . ورواه الترمذي بنحوه في كتاب القراءات (٢٩٤٨) . والدارمي بنحوه في فضائل القرآن (٢/٤٦٩) . روياه من طريق صالح المري .

(٤٣٧) - المعجم الكبير ١٢٠٣٦ - (١١/٣٦٧) ، ورواه الطبراني في الدعاء (١٣٣٣) ، ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/١٣٨) ، وقال : « هذا حديث لا يصح ، ومحمد بن إبراهيم مجروح ، وأبو صالح لا نعلمه إلا إسحاق بن نجيح وهو متروك » ..

(٤٣٨) - رواه الترمذي في الدعوات ، باب : في دعاء الحفظ برقم (٣٥٧٠) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٦،٣١٧) ، وقال الذهبي : هذا حديث منكر شاذ أخاف أن يكون موضوعًا ، وقد حيرني =

---

[١] - في المعجم الكبير : « حب » . [٢] - في المعجم الكبير : « عليه » .
[٣] - في المعجم الكبير : « أبا حسن » . [٤] - في المعجم الكبير : « أبا حسن » .

حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ابن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس أنه قال : بينما نحن عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال : بأبي أنت وأمي ، تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه ، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **يا أبا الحسن ، أفلا أعلمك كلمات ينفعك اللّه بهن ، وينفع بهن من علمته ، ويثبت ما تعلمت في صدرك ؟** » قال : أجل يا رسول اللّه ، فعلمني ، قال : « **إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة ، والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخي يعقوب لبنيه : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾(٤٣٩) ، يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم في وسطها ، فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات ، تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد ، فاحمد اللّه وأحسن الثناء على اللّه ، وصل عليّ وأحسن وعلى سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل في آخر ذلك : اللّهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللّهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا اللّه يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، اللّهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام ، أسألك يا اللّه يا رحمن بجلالك ونور وجهك ، أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ، فإنه لا يعينني على الحق غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم ، يا أبا الحسن ، تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن اللّه تعالى ، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط** » . قال ابن عباس : فواللّه ما لبث عليّ إلا خمسًا أو سبعًا حتى جاء عليّ[١] رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في مثل ذلك المجلس ، فقال : يا رسول اللّه ، واللّه إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن ، فإذا قرأتُهن على نفسي تَفَلَّتْنَ وأنا أتعلّم اليوم أربعين آية أو نحوها ، فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب اللّه بين عَيْنَيّ ، ولقد كنت أسمع الحديث ، فإذا رَدَّدْتُه تَفَلَّت ، وأنا اليوم أسمع الأحاديث ، فإذا تحدثتُ

= واللّه جودة سنده ، ليس فيه إلا الوليد بن مسلم ، وقد قال : حدثنا ابن جريج . وقال في الميزان (٢/٢١٣ - ٢١٤) ، وهو مع نظافة سنده حديث منكر جدًا ، في نفسي منه شيء ، فاللّه أعلم ، فلعل سليمان شبه له كما قال فيه أبو حاتم : لو أن رجلًا وضع له حديثًا لم يفهم .

(٤٣٩) - [يوسف : ٩٨] .

---

[١] - زيادة من الترمذي

بها لم أخرِم منها حرفًا ، فقال له رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، عند ذلك : « **مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن** » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم . كذا قال : وقد تقدم من غير طريقه .

ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد ، ثم قال : على شرط الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج ، فاللَّه أعلم - فإنه في المتن غرابة بل نكارة ، واللَّه أعلم .

وقال الإمام أحمد(٤٤٠) : حدثنا وَكِيع ، حدثنا العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها ، وإن تركها ذهبت** » .

ورواه - أيضًا - عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد، عن عبيد اللَّه العمري به(٤٤١).

ورواه أيضًا عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعًا نحوه(٤٤٢) .

وقال البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا حميد بن حماد بن أبي الحوار ، حدثنا مِسْعر ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر قال : سئل رسول اللَّه صلي اللَّه عليه وسلم : أي الناس أحسن قراءة ؟ قال : « **من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى اللَّه ، عز وجل** »(٤٤٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **يقال لصاحب القرآن : اقْرأ وارْقَ ورَتِّل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »(٤٤٤) .

---

(٤٤٠) - **إسناده صحيح** والحديث في المسند ٤٧٥٩ - (٢٣/٢) .

(٤٤١) - **إسناده صحيح** والحديث في المسند ٤٦٦٥ ، ٤٨٤٥ - (١٧/٢،٣٠) .

(٤٤٢) - **إسناده صحيح** والحديث في المسند ٤٩٢٣ - (٣٥/٢) .

(٤٤٣) - رواه البزار برقم (٢٣٣٦ كشف الأستار) ، وهو في مختصر زوائد البزار (١٥٧٨) وقال البزار : لم يتابع حميد على روايته هذه ، إنما يرويه مسعر ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد مرسلًا ، ومسعر لم يحدث عن عبد اللَّه بن دينار بشيء ، ولم نسمع هذا إلا من محمد بن معمر أخرجه إلينا من كتابه ، ورواه الروياني في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، وتمام في فوائده (١٤٥٨) ، وابن عدي في الكامل (٢/ ٩٦٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حميد ابن حماد بن خوار وثقه ابن حبان ، وقال : ربما أخطأ وبقية رجال البزار رجال الصحيح .

(٤٤٤) - **إسناده صحيح** ، والحديث في المسند ٦٧٩٩ - (١٩٢/٢) .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثني حيي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن قلبك حُشِيَ الإيمان ، وإن [العبد يُعطى الإيمان]**[١] **قبل القرآن** »(٤٤٥) .

وبهذا الإسناد : أن رجلًا جاء بابن له فقال : يا رسول الله ، إن ابني هذا يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ما تنقم أن ابنك يظل ذاكرًا ويبيت سالمًا** »(٤٤٦) .

وقال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن حيي ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب ، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه** » ، قال : « **فيشفعان** »(٤٤٧) .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنا دراج ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **أكثر منافقي أمتي قراؤها** »(٤٤٨) .

---

(٤٤٥) – والحديث في المسند ٦٦٠٤ – (١٧٢/٢) . وأورده الهيثمي (٦٣/١) وقال : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة .

(٤٤٦) – والحديث في المسند ٦٦١٤ – (١٧٣/٢) . وأورده الهيثمي (٢٧٠/٢) وقال : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه كلام .

(٤٤٧) – والحديث في المسند ٦٦٢٦ – (١٧٤/٢) . ورواه الحاكم (٥٥٤/١) من طريق ابن وهب ، عن حيي بن عبد الله بهذا الإسناد ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ورواه أبو نعيم في الحلية (١٦١/٨) من طريق رشدين بن سعد ، عن حيي بن عبد الله به . ونسبه السيوطي في الجامع الصغير (٥٢٠٣) للبيهقي في الشعب (١٩٩٤ هـ) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١/٣) وقال : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ورجال الطبراني رجال الصحيح .

(٤٤٨) – والحديث في المسند ٦٦٣٤ – (١٧٥/٢) ، ورواه ابن بطة في الإبانة (٩٤٢) من طريق ابن وهب ، ثنا ابن لهيعة بسنده سواء . وقال العراقي : رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة .

ورواه البيهقي في السنن ، وفي الشعب عن ابن عمر ، وكذلك رواه ابن عدي في ترجمة الفضل بن مختار ، والحاكم في تاريخ نيسابور في ترجمة عبد الله بن خالد التميمي ، عن عصمة بن مالك ، قال الهيثمي : أحد أسانيد أحمد ثقات أثبات ، وسند الطبراني فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف ، وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف قال : حدثنا زيد بن الحارث قال : حدثني عبد الرحمن بن شريح ، =

---

[١] – في المسند : « الإيمان يعطي العبد » .

وقال أحمد(٤٤٩) : حدثنا وَكِيع ، حدثني همام ، عن قتادة ، عن يزيد بن عبد اللَّه بن الشخير ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه** » .

ورواه – أيضًا – عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن قتادة ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أبو القاسم الطبراني(٤٥٠) : حدثنا محمد بن إسحاق بن راهويه ، حدثنا أبي ، حدثنا عيسى بن يونس ، ويحيى بن أبي الحجاج التميمي ، عن إسماعيل بن رافع ، عن إسماعيل بن عبيد اللَّه بن أبي المهاجر ، عن عبد اللَّه بن عَمْرو ، عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ القرآن فكأنما استُدْرِجَتِ النبوَّةُ بين جنبيه ، غير أنه لا يُوحَى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدًا أُعْطِيَ أفضلَ مما أُعْطِيَ فقدَ عَظَّم ما صَغَّر اللَّه ، وصَغَّر ما عظم اللَّه ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يَسْفَه فيمن يَسْفَه ، أو يَغْضَب فيمن يَغْضَب ، أو يَحْتَدَّ فيمن يَحْتَدُّ ، ولكن يعفو ويصفح ، لِفضل القرآن** » .

= حدثنا شرحبيل بن يزيد العامري قال : سمعت محمد بن صدقة الصدفي يقول : سمعت عبد اللَّه بن عمرو يقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول ... فساقه .

وحديث عقبة بن عامر ؛ رواه أحمد (١٥١/٤ ، ١٥٤ ، ١٥٥) ، والفريابي في صفة المنافق (٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) ، والطبراني في الكبير (٨٥١/١٧) ، وابن عدي في الكامل (١٤٦٦/٤) .

وقد تابع الوليد بن المغيرة ، وهو ثقة ابن لهيعة عند البخاري في خلق أفعال العباد (٦١٤) ، والفريابي (٣٥) والبيهقي في الشعب (٦٥٦١ هـ) ، وأحمد (١٥٥/٤) .

(٤٤٩) – المسند ٦٨١٠ – (١٩٣/٢) ، و٦٥٣٥ ، ٦٨٤١ – (١٦٤/٢،١٩٥) ، ورواه الطيالسي (٢٢٧٥) . ورواه أبو داود في الصلاة ، باب : في كم يقرأ القرآن (١٣٩٠) ورواه الترمذي في القراءات (٢٩٤٧) وابن ماجه .

وقد جاء في كراهية قراءته في أقل من ثلاث عن جماعة من الصحابة منهم معاذ بن جبل ، قال أبو عبيد القاسم ابن سلام : حدثنا يزيد هو ابن هارون ، حدثنا هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أبي العالية ، عن معاذ أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث .

(٤٥٠) – أورده الهيثمي في المجمع (١٥٩/٧) وقال : رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن رافع وهو متروك . وأورد الهندي في تذكرة الموضوعات : « **من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدًا أوتي أفضلَ مما أوتيَ لقدَ استصغر ما عظم اللَّه تعالى** » وقال : ضعيف .

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف موقوفًا على عبد اللَّه بن عمرو ، وكذلك محمد بن نصر في كتاب قيام الليل . وأخرج ابن الأنباري في المصاحف ، والبيهقي ، وابن عساكر ، عن أبي أمامة مرفوعًا ، والخطيب عن ابن عمر كذلك : « **من قرأ ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة ، ومن قرأ نصف القرآن أعطي نصف النبوة ، ومن قرأ ثلثيه أعطي ثلثي النبوة ، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه ...** » الحديث . وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد اللَّه بن عمرو رفعه : « **من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه** » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا عباد بن ميسرة ، عن الحَسَن ، عن أبي هُرَيرةَ ؛ أنَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **من استمع إلى آية من كتاب اللَّه كُتِبَتْ له حسنةٌ مضاعفةٌ ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة** »(٤٥١) .

وقال البزار : حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا يحيى بن المتوكل ، حدثنا عَنْبَسة بن مهْران ، عن الزهري ، عن سَعِيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **مراءٌ في القرآن كفر** » . ثم قال : عنبسة هذا ليس بالقويّ . وعنده فيه إسناد آخر(٤٥٢) .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو بكر ، حدثنا ابن إدريس ، حدثنا المقبري ، عن جدِّه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه** »(٤٥٣) .

وقال الطبراني : حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا إسماعيل بن عَيّاشٍ ، عن يحيى بن الحارث الذِّماري ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن فضالة ابن عُبَيد ، وتَمِيم الداريِّ ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **من قرأ عشر آيات في ليلة كُتِب له قنطارٌ ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك ، عز وجل : اقرأ وارقَ بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه ، يقول ربك : اقبض ، فيقول العبد بيده : يا رب أنت أعلم . فيقول : بهذه الخلد وبهذه النعيم** »(٤٥٤) .

---

(٤٥١) – المسند ٨٤٧٥ – (٣٤١/٢) ، والعقيلي في الضعفاء (١٣٣/٣) ، وإسناده ضعيف لضعف عباد بن ميسرة ، ولعدم سماع الحسن من أبي هريرة . وأعله الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٢/٧) بعباد بن ميسرة ، وقد أورده الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٠٨) .

(٤٥٢) – ورواه أبو نعيم في الحلية (١٩٢/٥) من طريق محمد بن حرب الواسطي به ، وقال : « غريب من حديث مكحول ، لم نكتبه إلا من حديث ابن حرب » .

(٤٥٣) – مسند أبي يعلى ٦٥٦٠ – (٤٣٦/١١) ، وابن أبي شيبة (٤٥٦/١٠) ، والحاكم (٤٣٩/٢) ، وعنه البيهقي في الشعب (٢٠٩٣ ، ٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥ هـ) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٣/٧) : « فيه عبد اللَّه بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك » .

وأورده ابن حجر في المطالب (٣٨٧٨ . ٣٨٧٩) وكذا البوصيري في الاتحاف ، باب : إعراب القرآن ؛ قال : قال أحمد بن منيع : ثنا أبو معاوية ، ثنا عبد اللَّه بن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة . ومن حديث ابن أبي شيبة قال : ثنا عبد اللَّه بن إدريس ، عن ابن المقبري ، عن أبيه ، عن جده . وقال البوصيري : مدار إسناد حديث أبي هريرة هذا على عبد اللَّه بن سعيد وهو ضعيف .

قال العراقي : رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة .

ورواه الحاكم كذلك وقال : صحيح عند جماعة ، وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال : مجمع على ضعفه . وقال الصدر المناوي : فيه ضعيفان .

(٤٥٤) – المعجم الكبير ١٢٥٣ – (٥٠/٢) ، وفي الأوسط ( ) وقال : لا يروى هذا الحديث عن =

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة معقس بن عمران بن حطان قال : قال : دخلت مع أبي علي أم الدرداء ، رضي اللّه عنها ، فسألها أبي : ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ ؟ قالت : حدثتني عائشة قالت : جُعِلت دَرَجُ الجنة على عدد آي القرآن ، فمن قرأ ثلث القرآن ثم دخل الجنة كان على الثلث من دَرَجها ، ومن قرأ نصف القرآن كان على النصف من درَجها ، ومن قرأه كُلَّه كان في عِلِّيِّينَ ، لم يكن فوقه إلا نبي أو صديق أو شهيد(٤٥٥) .

وقال الطبراني : حدثنا مَسْعَدةُ بن سَعْد العطارُ المكي ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم مولى جميع بن حارثة الأنصاري ، حدثنا عبد اللّه بن ماهان الأزدي ، حدثني فائد مولى عُبَيد اللّه بن أبي رافع ، حدثتني سُكينة بنت الحُسَين بن علي ، عن أبيها قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **حملة القرآن عُرَفاء أهل الجنة يوم القيامة** »(٤٥٦) .

وروى الطبراني من حديث بقيَّة ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن المهاصر بن حبيب ، عن عبيدة المليكي ، عن رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، أنه كان يقول : « **يا أهل القرآن ، لا توسَّدوا القرآن ، واتلوه حَقّ تلاوته من آناء الليل والنهار ، وتغنوه وتَقَنَّوه ، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون ، ولا تستعجلوا ثوابه ، فإن له ثوابًا** »(٤٥٧) .

وفي حديث عقبة بن عامر نحوه ، كما تقدم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا ابن لَهِيعَة ، عن مِشْرَح ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم : « **لو أن القرآن جُعِل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق** »(٤٥٨) .

= فضالة ، وتميم إلا بهذا الإسناد ، تفرد به إسماعيل . وأورده في مجمع الزوائد (٢/٢٦٧) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه إسماعيل بن عياش ، ولكنه من روايته عن الشاميين وهي مقبولة .

(٤٥٥) - تاريخ دمشق (١٧/١٠ مخطوط) .

(٤٥٦) - المعجم الكبير ٢٨٩٩ - (٣/١٣٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٦١) : « فيه إسحاق المدني وهو ضعيف » ، ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/٣٢٣) ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٥٣) ، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/٢٩٣) ، والفوائد المجموعة (٣٠٧) . وأمالي الشجري (١/٨٤) ، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٣٦١) .

(٤٥٧) - **إسناده ضعيف** قال الهيثمي في المجمع (٢/٢٥٢) : « رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف » ، ورواه البيهقي في الشعب (١٨٥٢ هـ) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/٢٦٠) ، وابن عساكر في تاريخه (٤/٥٩٥ ، ٥٩٦) .

(٤٥٨) - **إسناده حسن** رواه أحمد ١٧٤١٤ - (٤/١٥١) ، ورواه أحمد ١٧٤٥٦ - (٤/١٥٤) من حديث أبي عبد الرحمن عبد اللّه بن يزيد ، عن ابن لهيعة ، ١٧٤٦٧ - (٤/١٥٥) من حديث حجاج عن ابن لهيعة ، ورواه الفريابي في فضائل القرآن ، باب : في فضل القرآن وقراءته ، من حديث =

تفرد به . قيل : معناه : أن الجسد الذي يقرأ القرآن لا تمسه النار .

وفي سُنَن ابن ماجه من طريق المغيرة بن نَهيكٍ ، عن عقبة بن عامر مرفوعًا : « **من تعلم القرآن[١] ثم تركه فقد عصاني** »(٤٥٩) .

وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق ليث ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد مرفوعًا : « **عليك بتقوى الله ، فإنها رأس كل خير ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية[٢] الإسلام ، وعليك بِذِكْرِ**

= عبد الله بن يزيد ، عن ابن لهيعة به ، ومن حديث قتيبة بن سعيد ، عن ابن لهيعة أيضًا . ورواه أيضًا أبو عبيد في فضائل القرآن (٥٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٤/٣) حديث (١٧٤٥) ، والدارمي (٤٣٠/٢) في فضائل القرآن ، باب : من قرأ القرآن ، ورواه ابن عدي (٢٤٦٠/٦) ، والطبراني (١٧/رقم ٨٥٠ ، و٤٩٨) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٥٨/٧) : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه خلاف ، وفسره بعض رواة أبي يعلى بأن من جمع القرآن ثم دخل النار ، فهو شر من الخنزير .

وأورده الذهبي في الميزان (٦٨٠/٢) ، وقال الذهبي : قال خالد بن خداش : قال لي ابن وهب : ما رفعه لنا ابن لهيعة قط في أول عمره .

ورواه ابن عدي (١٩٣٣/٥) ، والطبراني (٥٩٠١) ، وابن حبان في الضعفاء (١٤٨/٢) من حديث عبد الوهاب بن الضحاك ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد . وأورده ابن طاهر في التذكرة وقال : قال البخاري : عبد الوهاب عنده عجائب ، وقال ابن حبان : لا يحتج به وأنكر عليه هذا الحديث .

وقال ابن طاهر: وهذا لقنوه عبد الوهاب فتلقنه وحدث به . قال عبدان الأهوازي : رأيت البغداديين لقنوه عبد الوهاب بحضرتي فمنعتهم فتلقن .

ورواه ابن عدي (٢٠٤١/٦) والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسنادٍ ضعيف .

(٤٥٩) - **كذا ذكره ابن كثير** ، وقد رواه ابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب : الرمي في سبيل الله بلفظ : « **من تعلم الرمي ... الحديث** » . برقم (٢٨١٤) من حديث ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن عثمان بن نعيم الرعيني ، عن المغيرة بن نهيك ، به .

---

[١] - في سنن ابن ماجة : « الرمي » .

[٢] - رهبانية الإسلام : الرهبانية في الأصل مذهب ابتدعته النصارى ، وأصلها من الرَّهْبَة : الخوف ، كانوا يترهَّبون بالتخلِّي من أشغال الدنيا ، وتَرْك مَلاذِّها والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتَعمُّد مشاقِّها ، حتى إن منهم من كان يخصي نفسه ، ويضع السلسلة في عنقه ، وغير ذلك من أنواع التعذيب ، فنفى النبي صلى الله عليه وسلم كل هذه الأمور عن الإسلام ، ونهى المسلمين عنها ، واستبدلهم الله بخير منها ، ألا وهو الجهاد ، يريد أن الرهبان وإن تركوا الدنيا وزهدوا فيها وتخلوا عنها ، فلا تَرْك ولا زُهْد ولاتخلّي أكثر من بذل النفس في سبيل الله ، وكما أنه ليس عند النصارى عملٌ أفضل من الترهُّب ، ففي الإسلام لاعملَ أفضلُ من الجهاد .. والرُّهْبان : جمع راهب ، وقد يقع على الواحد ، ويجمع على رهابين ورهابنة ، والرهبنة فَعْلَنَة منه ، أو فَعْلَلَة على تقدير أصلية النون وزيادتها ، والرهبانية منسوبة إلى الرهبنة بزيادة الألف . نهاية بتصرف [٢٨٠/٢ ، ٢٨١] .

اللَّه وتلاوة القرآنِ ، فإنَّه نورٌ لك في الأرض وذكرٌ لك في السماء ، واخزُنْ لسانَكَ إلا من خَيرٍ ، فإنَّك بذلك تَغلِب الشيطان »(٤٦٠) .

وهكذا أذكُرُ آثارًا مرويّةً عن ابن أمِّ عَبْد - عبد اللَّه بن مسعود - أحدِ قُرَّاء القرآن مِنَ الصَّحَابةِ المأمورِ بالتلاوة على نحوهم .

روى الطبراني ، عن الدَّبَرِيّ ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن أبي إسحاق ، قال : قال ابن مسعود : كل آية في كتاب اللَّه خيرٌ مما في السماء والأرض(٤٦١) .

ومن طريق شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن مرَّة قال ابن مسعود : من أراد العلم فليثور القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين(٤٦٢) .

---

(٤٦٠) - **إسناده ضعيف** ، والحديث في مسند أبي يعلى ١٠٠٠ - (٢٨٤/٢) ، وليث بن أبي سليم ضعيف . ورواه أحمد ١١٧٩٠ - (٨٢/٣) من طريق حسين ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن الحجاج ابن مروان الكلاعي وعقيل بن مدرك السلمي ، عن أبي سعيد ، وهذا إسناده حسن . الحجاج بن مروان الكلاعي ، قال ابن حجر في « التعجيل » (ت ١٨٦) : ليس بالمشهور ، وحديثه في المسند مقرون بعقيل بن مدرك . والكلاعي بفتح الكاف . نسبة إلى قبيلة ، يقال لها : كلاع ، نزلت الشام ، وأكثرهم نزل حمص . وعقيل بن مدرك السلمي أو الخولاني ، أبو الأزهر ، الشامي ، ذكره ابن حبان في « الثقات » (٢٩٤/٧) وقال الذهبي : وثق ، وقال ابن حجر : مقبول . وإسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده ، مخلطٌ في غيرهم . وهذه الرواية عن أهل بلده فإنه حمصي . والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤/ ٢١٨) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ..... ورجال أحمد ثقات ، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم وهو مدلس » . وهي عند الطبراني في « الصغير » ، وابن الضُّريس في « فضائل القرآن » (٦٨) . من طريق يعقوب القمي ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد ، به ، وزاد فيه : « **واخزن لسانك إلا من خير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان** » - وقد سقط « مجاهد » عند ابن الضُّريس ؛ فليستدرك هناك ، واللَّه المستعان . وهذه الزيادة الأخيرة أخرجها ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٩١) من طريق إسماعيل بن عياش ، حدثني عقيل بن مُدرك أن رجلًا قال لأبي سعيد : أوصني ... فذكره موقوفًا . وذكره الهيثمي (٣٠٤/١٠) مطولًا ، وقال : رواه الطبراني في « الصغير » وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وقد وثق ، هو وبقية رجاله . وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٥٣٢/٣) : رواه الطبراني في الصغير وأبو الشيخ في الثواب ، كلاهما من رواية ليث بن أبي سليم ، ورواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ أيضًا مرفوعًا عليه مختصرًا .

وانظر الحديث في مسند أحمد (٢٦٦/٣) من مسند أنس بن مالك . وفي الباب عن أبي ذر ، عند أبي نعيم في « الحلية » (١٦٦/١-١٦٨) وصححه ابن حبان (٣٦١/٢) ، وهو عند أحمد (٢/٦٢٩) . (٥/ ١٧٨،١٧٩) مختصرًا .

(٤٦١) - **إسناده منقطع** بين أبي إسحاق ، وابن مسعود ، وهو في المعجم الكبير ٨٦٦٢ - (١٤٥/٩) ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٩٢) .

(٤٦٢) - **سنده صحيح** ، وهو المعجم الكبير ٨٦٦٥ ، ٨٦٦٦ - (١٤٦/٩) ، ورواه عبد اللَّه بن أحمد في زوائد الزهد ص (١٥٧) ، وابن أبي شيبة (٩٤/١٤) (٤٨٥/١٠) ، وابن المبارك في الزهد (٨١٤) والفريابي (٧٨) .

ومن طريق سُفيان وشعبة ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : إنّ هذا القرآن ليس فيه حرف إلّا له حدٌّ ، ولكلِّ حد مَطْلَعٌ(٤٦٣) .

ومن حديث الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سيار أبي الحكم ، عن ابن مسعودٍ أنه قال : أعربوا هذا القرآن فإنه عربيٌّ ، وسيجيءُ قوم يَثْقَفُونه وليسوا بخياركم(٤٦٤) .

والثوري ، عن عاصم ، عن زرٍّ ، عن ابن مسعود قال : أديموا النظر في المصحف ، وإذا اختلفتم في ياء أو تاء فاجعلوها ياءً ، ذكّروا القرآن فإنه مذكّر(٤٦٥) .

وقال عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن شَدَّاد بن مَعْقِل ، سَمِعْتُ ابن مسعود يقول : إن أول ما تفقدونَ من دينكم الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة ، وَلَيُصَلِّيَنَ قومٌ لا خَلَاقَ لهم ، ولينزعنَّ القرآن من بين أظهركم . قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا ؟ قال : يُسْرَى على القرآن ليلًا فَيُذْهَبُ به من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء - وفي رواية : لا يبقى في مصحف منه شيءٌ - ويصبح الناس فُقَرَاءَ كالبهائم . ثم قرأ عبد الله : ﴿ **وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا** ﴾(٤٦٦) .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيم ، حدثني شعبة ، عن علي بن بذيمةَ ، عن أبي عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه قال : من قرأ القرآن في أَقَلَّ من ثلاثٍ فهو راجز(٤٦٧) .

قال هشام عن الحسَنِ : إنه بلغه عن ابن مسعود مثلُ ذلك .

ومن طريق الأعمش ، عن أبي وائلٍ قال : كان عبد الله بن مسعود يقل الصوم ، فيقال له في

---

(٤٦٣) - **سنده صحيح** ، وهو في المعجم الكبير ٨٦٦٧ - (١٤٦/٩) .

(٤٦٤) - المعجم الكبير ٨٦٨٦ - (١٥٠/٩) . وفي إسناده عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف .

(٤٦٥) - المعجم الكبير ٨٦٩٦ ، ٨٦٩٧ - (١٥٢/٩) ، ورواه عبد الرزاق (٥٩٧٩) ، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣١) ، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٨ هـ) .

(٤٦٦) - المعجم الكبير ٨٧٠٠ - (١٥٣/٩) ، والمصنف لعبد الرزاق (٥٩٨٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢/٧ ، ٣٣٠) : رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل ، وهو ثقة ، والآية في [الإسراء : ٨٦] .

(٤٦٧) - **إسناده ضعيف لانقطاعه بين أبي عبيدة ، وابن مسعود** ، وهو في المعجم الكبير ٨٧٠١ ، ٨٧٠٢ ، ٨٧٠٣ ، ٨٧٠٤ ، ٨٧٠٥ - (١٥٤/٩) ، ورواه ابن أبي شيبة (٥٠١/٢) ، والفريابي (١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨) .

ذلك ، فيقول : إني إذا صُمْتُ ضَعُفْتُ عن القراءةِ والصلاة ، والقراءة والصلاة أحبُّ إليَّ(٤٦٨) .

(٤٦٨) – المعجم الكبير ٨٨٦٨ ، ٨٨٦٩ ، ٨٨٧٥ – (١٩٥/٩) ، ورواه ابن أبي شيبة (٥٠٩/١٠) ، وعبد الرزاق (٧٩٠٣) ، وأورده في مجمع الزوائد (١٣٥/١٠) وقال : ورجاله رجال الصحيح .

[مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة

قال أبو بكر بن الأنباري : حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدّثنا همام ، عن قتادة ؛ قال : نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران ، والنساء والمائدة ، وبراءة والرعد ، والنحل والحج ، والنور والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات والرحمن ، والحديد والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون والتغابن والطلاق و﴿ **يا أيها النبي لم تحرم** ﴾ إلى رأس العشر و ﴿ **إذا زلزلت** ... ﴾ و﴿ **إذا جاء نصر الله** ﴾ هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة .

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية ، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة آية ، وقيل : ومائتان وتسع عشرة آية ، وقيل : ومائتان وخمس وعشرون آية ، أو ست وعشرون آية ، وقيل : ومائتان وست وثلاثون ، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان(٤٦٩) .

وأما كلماته ؛ فقال الفضل بن شاذان ، عن عطاء بن يسار : سبعٌ وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه ؛ فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد : هذا ما أحصينا من القرآن ، وهو ثلثمائة ألف حرف ، وأحد وعشرون ألف حرف ، ومائة وثمانون حرفًا .

وقال الفضل عن عطاء بن يسار : ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفًا وخمسة عشرة حرفًا .

وقال سلام أبو محمد الحماني : إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ قال : فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفًا وسبعمائة وأربعون حرفًا .

قال : فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف : ﴿ **وليتلطف** ﴾

وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة ، والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء ، والثالث إلى آخره

وسُبعه الأول إلى الدال من قوله تعالى : ﴿ **فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ** ﴾ والسبع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ **أولئك حبطت** ﴾ والثالث إلى الألف الثانية من قوله

---

(٤٦٩) - تفسير القرطبي (٦٥/١) .

تعالى في الرعد: ﴿أكلها﴾، والرابع إلى الألف في الحج من قوله: ﴿جعلنا منسكًا﴾ والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾، والسادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح: ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾، والسابع إلى آخر القرآن.

قال سلام أبو محمد: علمنا ذلك في أربعة أشهر.

قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن، فالأول إلى آخر الأنعام والثاني إلى ﴿وليتلطف﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر الزمر، والرابع إلى آخر القرآن.

وقد حكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافًا في هذا كله، فالله أعلم(٤٧٠).

وأما (التحزيب والتجزئة) فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الرُّبعات بالمدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن، والحديث في مسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود وابن ماجة وغيرهم عن أوس بن حذيفة(٤٧١)؛ أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته: كيف تُحزبون القرآن؟ قالوا: ثلث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل حتى تختم.

[فصل]

واختلف في معنى السورة مما هي مشتقة فقيل: من الإبانة والارتفاع، قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكأن القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة.

وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلدان، وقيل: سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءًا

---

(٤٧٠) - انظر: تفسير القرطبي (١/٦٤).

(٤٧١) - **ضعيف**: ضعفه الشيخ الألباني. والحديث رواه أحمد ١٦٢١٤ - (٤/٩)، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: تحزيب القرآن (٢/٥٥ - ٥٦) حديث (١٣٩٣) من طريق مسدد، وعبد الله بن سعيد، عن قران بن تمام وأبي خالد، عن عبد الله به. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في كم يستحب يختم القرآن. من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو خالد الأحمر، عن عبد الله به. (١/٤٢٧) حديث (١٣٤٥). والطبراني في الكبير (١/٢٢٠) حديث (٥٩٩).

من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده أوس بن حذيفة.

وعبد الله بن عبد الرحمن الطائفي: صدوق، يخطئ ويهم. روى له البخاري في الأدب ومسلم، وغيرهما.

وعثمان بن عبد الله بن أوس: قال في التقريب: مقبول، روى له أبو داود وابن ماجه.

والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود حديث ٢٩٧.

منه مأخوذٌ من أسآر الإناء وهو البقية . وعلى هذا فيكون أصلها مهموزًا . وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوًا لانضمام ماقبلها .

وقيل : لتمامها وكمالها ؛ لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة .

(قلت) : ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره .

وجمع السورة سوَر بفتح الواو ، وقد يجمع على سورات وسوارات .

وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها ، أي : هي بائنة عن أختها ومنفردة ، قال اللّه تعالى : ﴿ **إن آية ملكه** ﴾ وقال النابغة

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل: لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه ، كما يقال : خرج القوم بآياتهم أي بجماعاتهم ، قال الشاعر(٤٧٢) :

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا

وقيل: سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها .

قال سيبويه : وأصلها أيية مثل أكمة وشجرة ، تحركت الياء وانفتح ماقبلها ؛ فقلبت ألفًا فصارت آية بهمزة بعدها مدة .

وقال الكسائي : أصلها آيية على وزن آمنة فقلبت ألفًا ثم حذفت لالتباسها .

وقال الفراء : أصلها أيّية – بتشديد الياء الأولي – فقلبت ألفًا كراهة التشديد ، فصارت آية وجمعها آي وآياي وآيات .

وأما الكلمة ؛ فهي اللفظة الواحدة ، وقد تكون على حرفين ، مثل : « ما » و« لا » ونحو ذلك . وقد تكون أكثر ، وأكثر ماتكون عشرة أحرف مثل : ﴿ **ليستخلفنهم** ﴾ و﴿ **أنلزمكموها** ﴾ و﴿ **فأسقيناكموه** ﴾ . وقد تكون الكلمة الواحدة آية ، مثل : والفجر ، والضحى ، والعصر ، وكذلك الم ، وطه ، ويس ، وحم ، في قول الكوفيين ، وحم ، وعسق ، عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول : هذه فواتح السور .

وقال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى ﴿ **مدهامتان** ﴾ بسورة الرحمن .

(٤٧٢) – البيت لبرج بن مسهر الطائي ، وهو في تفسير القرطبي (٦٦/١) .

[فصل]

قال القرطبي(٤٧٣) : أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلامًا من الأعجمية ، كإبراهيم ، ونوح ، ولوط ، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية ؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا : ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ماتوافقت فيه اللغات][١] .

(٤٧٣) - تفسير القرطبي (١/٦٨) .

[١] - هذه المقدمة التي بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

سورة الفاتحة

[بسم الله الرحمن الرحيم

يقال لها : الفاتحة ، أي : فاتحةُ الكتاب خطًّا ، وبها تفتح[١] القراءة في الصلوات[٢] ، ويقال لها أيضًا : (أم الكتاب) عند الجمهور ، كرهه[٣] أنس . والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك .

قال الحسن وابن سيرين : إنما ذلك اللوح المحفوظ .

وقال الحسن : الآيات المحكمات هن أم الكتاب . ولذا[٤] كرها أيضًا أن يقال لها : (أم القرآن).

وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي ، وصححه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الحمد لله رب العالمين أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، والقرآن العظيم** »(١) .

ويقال لها : (الحمد) ويقال لها : (الصلاة) ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ؛ قال الله : حمدني عبدي ...** »(٢) . الحديث .

فسُميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ، ويقال لها : (الشفاء) ؛ لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعًا : « **فاتحة الكتاب شفاء من كل سُم** »(٣) .

---

(١) - **صحيح** ، رواه البخاري في تفسير القرآن برقم (٤٧٠٤) ولفظه : « **أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم** » ، ورواه أبو داود باللفظ الذي أورده ابن كثير في كتاب الصلاة ، باب : فاتحة الكتاب برقم (١٤٥٧) دون قوله : « **والقرآن العظيم** » ، ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجر برقم (٣١٢٤) دون قوله : « **رب العالمين** » و « **والقرآن العظيم** » .

(٢) - **صحيح** ، رواه مسلم في الصلاة برقم (٣٩٥) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب (٨٢١) ، والترمذي في التفسير ، باب : سورة الفاتحة برقم (٢٩٥٣) ، والنسائي في الافتتاح ، باب : ترك القراءة بفاتحة الكتاب رقم (٩٠٩) ، ورواه ابن ماجه في الأدب ، باب : ثواب القرآن رقم (٣٧٨٤) ، ورواه مالك في النداء للصلاة برقم (١٨٩) ، ورواه أحمد ٧٢٨٩ ، ٧٨٢٣ ، ٩٩٣٤ - (٢٤١/٢ ، ٢٨٥ ، ٤٦٠) ، والبيهقي في الشعب ٢٣٦١ - (٤٤٥/٢ - ٤٤٦) .

(٣) - تبع الحافظُ ابن كثير - القرطبيَّ في عزوه الحديث للدارمي ، والذي في الدارمي : « **فاتحة الكتاب** =

---

[١] - في ن : تفتتح . [٢] - في ن : الصلاة .

[٣] - في الأصلين ، و "ت" : ذكره . والمثبت من نفسير القرطبي (١١١/١) .

[٤] - صوابه : كذا .

ويقال لها : (الرقية) ؛ لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وما يدريك أنها رقية ؟** »(٤) .

وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سماها : (أساس القرآن) ، قال : وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم .

وسماها سفيان بن عيينة : (بالواقية) ، وسماها يحيى بن أبي كثير : (الكافية) ؛ لأنها تكفي عما عداها ، ولا يكفي ماسواها عنها ، كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة(٥) : « **أم القرآن عِوض من غيرها ، وليس [ ][١] غيرها عوض منها** »(٦) .

= **شفاء من كل داء** » من حديث عبد الملك بن عمير ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مرسلًا . وقال السيوطي : رجاله ثقات . والحديث بلفظ : « **شفاء من كل داء** » أخرجه أحمد ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٣٧٠ - (٤٥٠/٢) من حديث عبد الملك بن عمير مرسلاً . وقال : وهذا منقطع وهو شاهد لما تقدم .

ورواه البيهقي في الشعب أيضاً برقم ٢٣٦٧ - (٤٥٠/٢) - وقال السيوطي : بسندٍ جيد - من حديث عبد الله بن جابر (*).

(*) في شعب الإيمان المطبوعة : جاء الحديث من طريق علي بن هاشم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ... « **فاتحة الكتاب فيها شفاء من كل داء** » .

والحديث بلفظ : « **فاتحة الكتاب شفاء من السم** » رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٢٣٦٨ - (٤٥٠/٢) وفي إسناده سلَّام ، وهو الطويل وهو متروك . وزيد العمي وهو ضعيف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلي سعيد بن منصور في سننه ، من حديث أبي سعيد الخدري . وإلى أبي الشيخ في كتاب الثواب من وجه آخر ، عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً ، مثله . وأورده الشوكاني بلفظ : « **شفاء من كل سقم** » . وعزاه لسعيد بن منصور ، والبيهقي في الشعب .

(٤) - أخرجه البخاري في كتاب الإجارة ، باب : ما يُعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب (٢٢٧٦) وأطرافه (٥٠٠٧، ٥٧٣٦، ٥٧٤٩) ، ومسلم في كتاب السلام ، باب : جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار برقم ٦٥ - (٢٢٠١) ، وأبو داود في كتاب البيوع ، باب : في كسب الحجام برقم (٣٤١٨) ، وكتاب الطب ، باب : كيف الرقى ؟ برقم (٣٩٠٠) ، والترمذي في كتاب الطب ، باب : ما جاء في أخذ الأجر على التعويذ برقم (٢٠٦٥) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى ، باب : ما يقول على الملدوغ (١٠٨٦٧، ١٠٨٦٨) ، (٢٥٤/٦، ٢٥٥) ، وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : أجر الراقي برقم (٢١٥٦) ، وأحمد (١٠٩٩٨ ، ١١٤١٥ ، ١١٠٨٤، ١١٤٨٨، ١١٨٠٣) (٢/٣ ، ٤٤ ، ١٠، ٥٠، ٨٣) .

(٥) - كذا قال الحافظ ابن كثير ، ولم أعرف وجه الإرسال ، فالحديث مرفوعٌ ، متصلُ الإسناد .

(٦) - أخرجه الدارقطني (٣٢٢/١) ، والحاكم (٢٣٨/١) من حديث محمد بن خلاد الإسكندراني ، عن أشهب بن عبد العزيز ، عن ابن عيينة ، عن ابن شهاب ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادة =

---

[١] - في ر : من .

ويقال لها : (سورة الصلاة) و (الكنز) ، ذكرهما الزمخشري في كشافه (٧)][١] .

وهي مكية [قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية][٢] ، وقيل : مدنية . [قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري][٣] ويقال : نزلت مرتين ، مرة بمكة ، ومرة بالمدينة . [والأول أشبه لقوله تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني** ﴾][٤] والله تعالى أعلم .

[وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ، ونصفها الآخر نزل بالمدينة ، وهو غريب جدًّا ، نقله القرطبي عنه][٥] ، وهي سبع آيات بلا خلاف ، [وقال عمرو بن عبيد : ثمانٍ . وقال حسين الجعفي : ستة ، وهذان القولان شاذان][٦] وإنما اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو المشهور [عن][٧] جمهور قرّاء الكوفة ، وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف - أو بعض آية ، أو لا تعدّ من أوّلها بالكلية ، كما هو قول أهل المدينة من القرّاء والفقهاء ؟ على ثلاثة أقوال [كما] سيأتي [تقريرها][٨] في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قالوا : وكلماتها خمس وعشرون كلمة ، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفًا .

قال البخاري في أول كتاب التفسير : وسميت (أم الكتاب) لأنه يُبدأ بكتابتها في المصاحف ، ويُبدأ بقراءتها في الصلاة . وقيل : إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ماتضمنته .

قال ابن جرير (٨) : والعرب تسمي كل جامع أمرًا أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها

= ابن الصامت ، به . وقال الدارقطني : تفرد به محمد بن خلاد ، عن أشهب ، عن ابن عيينة . وإنما المحفوظ عن الزهري بهذا السند : « **لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن** » ، والله أعلم . وقال الحاكم : قد اتفق الشيخان على إخراج هذا الحديث عن الزهري ، من أوجه مختلفة ، بغير هذا اللفظ ، ورواة هذا الحديث أكثرهم أئمة ، وكلهم ثقات وعلى شرطهما . قال : ولهذا الحديث شواهد بألفاظ مختلفة لم يخرجاه وأسانيدها مستقيمة اهـ .

وقول الحاكم رحمه الله : « ورواة هذا الحديث أكثرهم أئمة ، وكلهم ثقات ، وعلى شرطهما » . فيه نظر ؛ فإن محمد بن خلاد الإسكندراني : قال الذهبي (٥٣٧/٣) : لا يدرى من هو ، انفرد بهذا الخبر من حديث عبادة بن الصامت - مرفوعاً - **أم القرآن عوض من غيرها وما منها عوض** . وقال أبو سعيد بن يونس : يروي مناكير ، وهو إسكندراني يكنى أبا عبد الله .

(٧) - الكشاف (٤/١) .

(٨) - في تفسيره (١٠٧/١ - ١٠٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت : عند .
[٨] - في « خ ، ز » : « تفسيرها » .

إمام جامع - أُمًّا، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ : أم الرأس ، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أُمًّا ، واستشهد بقول ذي الرُّمة :

على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع أمور [ليس نعصي][١] لها أمرًا

يعني : الرمح .

قال : وسميت مكة (أمّ القرىٰ) لتقدّمها أمام جميعها وجمعها ما سواها ، وقيل : لأن الأرض دحيت منها[٢] . ويقال لها أيضًا : (الفاتحة) ؛ لأنها تفتتح بها القراءة ، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام ، وصح تسميتها بالسبع المثاني . قالوا : لأنها تثنىٰ في الصلاة ، فتقرأ في كل ركعة ، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا ، كما سيأتي بيانه في موضعه ، إن شاء اللّٰه تعالى .

قال الإمام أحمد(٩) : حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا ابن أبي ذئب ، [وهاشم بن هاشم][٣] عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ؛ أنه قال [في أمّ][٤] القرآن : « **هي أمّ القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم** » . ثم رواه عن إسماعيل بن عمر ، عن ابن أبي ذئب ، به .

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا[٥] ابن وهب ، أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **هي أمّ القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني** »(١٠) .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مردويه في تفسيره : حدّثنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدّثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدّثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي ، حدّثنا المعافى ابن عمران ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن نوح بن أبي بلال ، عن المقبري ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **الحمد للّٰه رب العالمين سبع آيات ، بسم اللّٰه الرحمن الرحيم إحداهنّ ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، وهي أمّ الكتاب وفاتحة الكتاب** »(١١) .

---

(٩) - صحيح ، رواه أحمد حديث ٩٧٨٧ ، ٩٧٨٩ - (٤٤٨/٢) . وهاشم بن هاشم ؛ صوابه : هاشم بن القاسم . واللّٰه أعلم .

(١٠) - تفسير ابن جرير ١٠٧ - (٤٧/١) .

(١١) - إسحاق بن عبد الواحد الموصلي : قال النسائي : لا أعرفه . وقال أبو علي الحافظ النيسابوري فيما نقله عنه ابن الجوزي : متروك الحديث . وقال الخطيب : لا بأس به . وقال الذهبي : بل هو واهٍ . =

---

[١] - في خ : لا نعاصي . وفي « ز » : ليس نعاصي .

[٢] - في « ز ، وخ » : من تحتها .

[٣] - في خ ، ز : « وهشام بن هشام » .

[٤] - في ز : لأم .

[٥] - في خ : « أخبرنا » .

وقد رواه الدارقطني[١٢] أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه أو مثله، وقال: كلهم ثقات. وروى البيهقي عن علي[١٣] وابن عباس[١٤] وأبي هريرة[١٥] أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿سبعًا من المثاني﴾ بالفاتحة، وأن البسملة هي الآية السابعة منها. وسيأتي تمام هذا عند البسملة.

[وقد روى الأعمش، عن إبراهيم؛ قال: قيل لابن مسعود: لِمَ لَمْ تكتب الفاتحة في مصحفك؟ فقال: لو كتبتها؛ لكتبتها في أول كل سورة[١٦]. قال أبو بكر بن أبي داود - يعني - حيث يقرأ في الصلاة؛ قال: واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها.

وقد قيل: إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن، كما ورد في حديث رواه البيهقي[١٧] في دلائل النبوة، ونقله الباقلاني - أحد أقوال ثلاثة، وقيل: ﴿يا أيها المدثر﴾ كما في حديث جابر[١٨] في

= وذكره ابن حبان في الثقات. وقال في التقريب: تكلم فيه بعضهم (الميزان ١/١٩٥، التهذيب ١/٢١٢).

(١٢) - سنن الدارقطني (١/٣١٢)، ورواه الطبراني في الأوسط ٥١٠٢ - (٥/٢٠٨)، ورواه البيهقي (٢/٤٥)، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن نوح بن أبي بلال إلا عبد الحميد بن جعفر، تفرد به علي ابن ثابت.

(١٣) - حديث علي رواه البيهقي (٢/٤٥) من حديث أسباط بن نصر، عن السدي، عن عبدِ خيرٍ، عن علي. وأسباط بن نصر: أخرج له مسلم؛ إلا أنهم تكلموا فيه. قال النسائي: ليس بالقوي. وقال أبو نعيم: ضعيف، أحاديثه عامتها سقط، مقلوب الأسانيد. وإسماعيل السدي أخرج له أيضاً مسلم. وتكلموا فيه، ضعفه ابن مهدي وابن معين، وقال السعدي: كذاب. وأساء الشعبي القول فيه.

(١٤) - حديث ابن عباس رواه أيضاً البيهقي (٢/٤٥) من حديث عبد الملك بن جريج، عن أبيه، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس. وعبد العزيز بن جريج والد عبد الملك: قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن حجر: لين.

(١٥) - حديث أبي هريرة عند البيهقي (٢/٤٥، ٢/٣٧٦ - ٣٧٧) من حديث عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد، عن أبي هريرة به مرفوعًا. وقال: كذلك رواه أبو بكر الحنفي، عن عبد الحميد بن جعفر؛ قال: ثم لقيت نوحًا فحدثني به، عن سعيد، عن أبي هريرة موقوفًا غير مرفوع. قال البيهقي: وروينا عن علي وابن عباس وغيرهما ما دل على ذلك.

وعبد الحميد بن جعفر: ضعفه القطان والثوري، وقال صاحب الجوهر النقي: وأبو بكر الحنفي أجل من عبد الحميد بلا شك.

وروى هذه الآثار عبد الرزاق في مصنفه (٢/٢٦٠٩)، والطحاوي في المشكل (٢/٩٧)، والطبري (١٤/٥٤ - ٥٥)، والبيهقي (٢١٤١، ٢١٤٢ هـ)، والحاكم (٢/٢٥٧)، وابن عبد البر (٢٠/٢١٢).

(١٦) - إبراهيم بن يزيد النخعي أحد الأئمة كان يدلس وهو مكثر من الإرسال، وجماعة من الأئمة صححوا مراسيله، وخص البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود اهـ (من جامع التحصيل للعلائي).

(١٧) - دلائل النبوة للبيهقي (٢/١٥٨) وقال البيهقي: «فهذا منقطع».

(١٨) - روى البخاري في صحيحه: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى =

الصحيح . وقيل : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في موضعه ، والله المستعان][١] .

ذكر ما ورد في فضل الفاتحة

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل(١٩) - رحمه الله تعالى - في مسنده : حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، حدّثني خُبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلىٰ ، رضي الله عنه ؛ قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أجبه حتى صليت فأتيته[٢] ، فقال : « **ما منعك أن تأتيني ؟** » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ إني كنت أصلي . قال : « **ألم يقل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ؟** » . ثم قال : « **لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد** » . قال : فأخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يا رسول الله ؛ إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن . قال : « **نعم ، ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** » .

وهكذا رواه البخاري ، عن مسدّد وعلي بن المديني - كلاهما - عن يحيى بن سعيد القطان ، به .

= ابن أبي كثير : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ؟ قال : ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ قلت : يقولون : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ، عن ذلك ، وقلت له مثل الذي قلت ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .... الحديث .

(١٩) - **صحيح** ، رواه أحمد ١٧٩٠٥ - (٢١١/٤) ، و١٥٧٧٢ - (٤٥٠/٣) ، ورواه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ما جاء في فاتحة الكتاب حديث (٤٤٧٤) ، وأطرافه (٤٦٤٧) ، (٤٧٠٣) ، (٥٠٠٦) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : فاتحة الكتاب حديث ١٤٥٨ - (٧١/٢) ، والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب : تأويل قول الله عز وجل : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ رقم ٩١٣- (٢ / ١٣٩) ، وفي الكبرى في كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل فاتحة الكتاب حديث ٨٠١٠ - (١١/٥) ، وفي كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ حديث ١١٢٧٥ - (٣٧٥/٦) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب ، باب : ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٤) حديث (٣٧٨٥) ، والدارمي ١٤٩٢ - (٤١٧/١) ، وابن حبان (٥٦/٣) ، وابن خزيمة ٨٦٢ ، ٨٦٣ - (٣٨/٢) ، وأبو يعلى ٦٨٣٧ - (٢٢٥/١٢) ، والطبراني ٧٦٨ ، ٧٦٩ - (٣٠٣/٢٢) ، والبيهقي (٧ / ٦٤) كلهم من طريق شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص ، عن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلى .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز ، خ : « وأتيته » .

[ورواه في موضع آخر من التفسير ، وأبو داود والنسائي وابن ماجة من طرق عن شعبة ، به] .

ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الأنصاري ، عن خُبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص ابن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلي ، عن أبي بن كعب فذكر نحوه (٢٠) .

وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس (٢١) - رحمه الله - ما ينبغي التنبيه عليه ، فإنه رواه مالك ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي ؛ أنّ أبا سعيد مولى ابن عامر[١] بن كريز أخبرهم ؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد ، فلما فرغ من صلاته لحقه ؛ قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « **إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتي تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن[٢] مثلها** » . قال أبي - رضي الله عنه - : فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك ، ثم قلت : يا رسول الله ؛ ما[٣] السورة التي وعدتني ؟ قال : « **كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟** » قال : فقرأت عليه ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ حتى أتيتُ على آخرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **هي هذه السورة ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت** » .

---

(٢٠) - الواقدي : متهم بالكذب ، وشيخه مجهول .

(٢١) - الموطأ (٨٣/١) ، ورواه الحاكم (٥٧٧/١) والعلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ، والحرقة : امرأة من جهينة ، وهي فخذ من أفخاذ جهينة ، ينسب إليها الحرقيون . وهو من تابعي أهل المدينة ، كان ابن معين لا يرضاه ، وليس قوله فيه بشيء . قال أحمد بن زهير : سمعت يحيى بن معين يقول : العلاء بن عبد الرحمن ليس بذاك . قال : وسمعت يحيى بن معين يقول : لم يزل الناس يتقون حديث العلاء بن عبد الرحمن . قال أبو عمر بن عبد البر : ليت شعري أين الناس الذين كانوا يتقون حديثه ، وقد حدث عنه هؤلاء الأئمة الجلة وجماعة غيرهم كثير ؟! وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : العلاء بن عبد الرحمن ثقة ، وأبو سعيد مولى عامر بن كريز : لا يوقف له على اسم ، وهو معدود في أهل المدينة ، وحديثه هذا مرسل .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢١٧/٢٠) : ولم يختلف الرواة على مالك في إسناد هذا الحديث وخالفه فيه غيره ، خالفه شعبة ، والدراوردي ، وعبد الرحمن بن إبراهيم ، وإسماعيل بن جعفر ، وإبراهيم بن طهمان ، وجماعة فرووه ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : مر النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، على أبي بن كعب ، وهو قائم يصلي ... فذكر الحديث بنحوه ، رواه النسائي في تفسيره (٢٢٥) ، والترمذي (٢٨٧٥) ، وقال : حسن صحيح ، ورواه الدارمي (٣٢٠/٢ - ٣٢١) ، وأحمد (٢/ ٤١٢ - ٤١٣) .

---

[١] - في ت : ابن عامر.

[٢] - في خ : « الفرقان » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى ، كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول(٢٢) ومن تبعه ، فإنّ ابن المعلى صحابي أنصاري ، وهذا تابعي من موالي خزاعة ، وذاك الحديث متصل صحيح ، وهذا ظاهره أنه منقطع ، إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب ، فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم ، واللّه أعلم .

على أنه قد روي عن أبي بن كعب من غير وجه ، كما قال الإمام أحمد(٢٣) :

حدثنا عفان ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا العلاء[١] بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي اللّه تعالى عنه - قال : خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على أبي بن كعب وهو يصلي ، فقال : « **يا أبي** » فالتفت ثم لم يجبه ، ثم قال : « **أُبي** » . فخفف ثم انصرف إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال : السلام عليك أي رسول اللّه . فقال : « **وعليك السلام ، ما منعك - أي أبي - إذ دعوتك أن تجيبني ؟** » . فقال : أي رسول اللّه ؛ إني كنت في الصلاة . قال : « **أو لست تجد فيما أوحي اللّه[٢] إليّ ﴿استجيبوا للّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾** ؟ » قال : بلى يا رسول اللّه ؛ لا أعود . قال : « **أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا[٣] في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟** » قلت : نعم ، أي رسول اللّه . قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **إني لأرجو أن لا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها** » . قال : فأخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بيدي يحدّثني وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث ، فلما دنونا من الباب قلت : أي رسول اللّه ؛ ما السورة التي وعدتني ؟ قال : « **ما تقرأ في الصلاة ؟** » قال : فقرأت عليه أمّ القرآن ، قال : « **والذي نفسي بيده ما أنزل اللّه[٤] في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، إنها السبع المثاني** » .

ورواه الترمذي عن قتيبة ، عن الدراوردي ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه

(٢٢) - جامع الأصول (٤٦٦/٨) .

(٢٣) - المسند (٤١٢/٢،٤١٣) ، وعبد الرحمن بن إبراهيم : قال الدوري عن ابن معين : ثقة . وقال العجلي : ثقة . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال أبو زرعة : لا بأس ، أحاديثه مستقيمة . وقال أبو حاتم : ليس بقوي . روى عن العلاء بن عبد الرحمن حديثاً منكراً . وقال أبو داود : وهو عندي منكر الحديث ، وعن ابن معين : ليس بشيء . وقال العقيلي : منكر الحديث ، وأخرج له الدارقطني حديثاً من طريقه ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، وضعفه به . وقال ابن حبان : منكر الحديث ، يروي ما لا يتابع عليه ، وليس بالمشهور في العدالة ، على أن التنكب عن أخباره أولى . إلا أنه قد توبع ، تابعه عبد العزيز بن محمد عند الترمذي ، كما في الحديث التالي ، وعبد الحميد بن جعفر عند عبد اللّه بن أحمد كما سيأتي بعد حديثين .
=

[١] - في ز ، خ : « المعلى » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

فذكره ، وعنده : « **إنها من السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته** » .

ثم قال : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن أنس بن مالك(٢٤) .

ورواه عبد الله بن الإمام[١] أحمد(٢٥) ، عن إسماعيل [ ][٢] أبي معمر ، عن أبي أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب فذكره مطوّلًا بنحوه أو قريبًا منه .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعًا(٢٦) عن أبي عمار حسين بن حريث ، عن الفضل بن موسى ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي مقسومة بيني وبين عبدي نصفين**[٣] » .

هذا لفظ النسائي . وقال الترمذي : حديث[٤] حسن غريب .

= ورواه الترمذي في أبواب ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ، رقم (٢٨٧٥) ، ورواه النسائي في تفسيره (٢٢٥) ، والدارمي (٢/٣٢٠ - ٣٢١) ، وابن جرير (١٤/٤٠) ، وابن خزيمة (٢/٣٧ - ٣٨) ، وأبو يعلى (١١/٣٦٧) ، والطحاوي في المشكل (١/٤٦٧ - ٤٦٨) .

(٢٤) - حديث أنس - صحيح - رواه النسائي في فضائل القرآن من الكبرى برقم (٨٠١١) ، وفي اليوم والليلة (٧٢٣) ، وابن حبان (١٧١٣ موارد) ، والحاكم (١/٥٦٠) ، والبيهقي في الشعب ٢٣٥٨ - (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٥) ، وزاد السيوطي في الدر (١/٥) نسبته إلى أبي ذر الهروي في فضائله ، ولفظه .... « **ألا أخبرك بأفضل القرآن ؟** » قال : فتلا عليه ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . قلت : في إسناده علي بن عبد الحميد المَعْنى - ووقع في عمل اليوم والليلة : علي بن عبد المجيد - لم يخرج له مسلم شيئًا . والحديث أورده الألباني في الصحيحة برقم (١٤٩٩) .

(٢٥) - إسماعيل بن إبراهيم بن معمر : ثقة مأمون ، وأبو أسامة هو حماد بن أسامة ، ثقة ثبت ، والحديث في زوائد المسند حديث ٢١١٧٢ - (٥/١١٤) .

(٢٦) - أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجر (٣١٢٤) . ثم ذكر نحوه بمعناه من حديث قتيبة : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . وقال الترمذي : حديث عبد العزيز بن محمد أطول وأتم ، وهذا أصح من حديث عبد الحميد بن جعفر ، وهكذا روى غير واحدٍ عن العلاء بن عبد الرحمن . ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : تأويل قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم** ﴾ (٢/ ١٣٩/رقم : ٩١٤) . ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٥٢/رقم: ٥٠٠، ٥٠١) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٥٧ ، ٢/٢٥٧ - ٢٥٨، و٢/٣٥٤) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

---

[١] - سقط من: ز ، خ . [٢] - في ت : بن .
[٣] - سقط من ز . [٤] - سقط من ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا محمد بن عُبيد ، حدّثنا هاشم - يعني بن البريد - حدّثنا عبد اللّه بن محمد بن[١] عقيل ، عن ابن جابر ؛ قال : انتهيتُ إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقد أهراق الماء ، فقلت : السلام عليك يا رسول اللّه ؛ فلم يردَّ عليَّ ، قال : فقلت : السلام عليك يا رسول اللّه ؛ فلم يردّ عليَّ ، [قال : فقلت : السلام عليك يا رسول اللّه ؛ فلم يردَّ عليَّ ، قال][٢] : فانطلق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ، ودخلت أنا المسجد ، فجلستُ كئيبًا حزينًا ، فخرج عليّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم [و][٣] قد تطهر ، فقال : « **عليك السلام ورحمة اللّه ، وعليك السلام ورحمة اللّه ، وعليك السلام ورحمة اللّه** » . ثم قال : « **ألا أخبرك - يا عبد اللّه بن جابر - بأخير [٤] سورة في القرآن؟** » . قلت : بلى يا رسول اللّه . قال : « **اقرأ الحمد للّه رب العالمين حتى تختمها** » .

هذا إسناد جيد ، وابن عقيل هذا[٥] يحتج[٦] به الأئمة الكبار ، وعبد اللّه بن جابر هذا هو الصحابي ، ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدي ، واللّه أعلم .

ويقال : إنه عبد اللّه بن جابر الأنصاري البياضي(٢٨) ، فيما ذكره الحافظ ابن عساكر .

واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض ، كما هو المحكي عن كثير من العلماء ، منهم إسحاق بن راهويه ، وأبو بكر بن العربي ، وابن « الحصار »[٧] من المالكية ، وذهبت طائفة أخرى[٨] إلى أنه لا تفاضل في ذلك ؛ لأنّ الجميع كلام اللّه ، ولئلا

(٢٧) - الحديث في المسند برقم ١٧٦٤٧ - (١٧٧/٤) ، ورواه البيهقي في الشعب (٢١٥٣ هـ) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٠/٥) ، وقال : رواه أحمد وفيه عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، وهو سيء الحفظ ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات .

(٢٨) - وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر في كتابه « تعجيل المنفعة » (٧٢٦/١ - ٧٢٧) . قال الحافظ : عبد اللّه بن جابر الأنصاري البياضي ، له صحبة ورواية ، وعنه عقبة بن أبي عائشة ... قلت : الحديث الذي رواه عقبة بن أبي عائشة أخرجه الطبراني وابن السكن ، وأما أحمد فإنما أخرج له حديثاً آخر من طريق عبد اللّه بن محمد بن عقيل ، عنه .

وقال في ترجمة عبد اللّه بن جابر العبدي : وحديثه " في فضل قراءة الحمد " رواه عنه عبد اللّه بن محمد بن عقيل . قلت - ابن حجر - : الحديث الذي في فضل قراءة الحمد هو حديث البياضي المذكور قبل هذا ، وهو الذي أخرجه له أحمد ... اهـ .

[١] - في خ : « عن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في المسند : بخير .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : « تحتج » .
[٧] - في خ : « القصال » ، وفي ز : القصار .
[٨] - في ز : أخر .

[يوهم التفضيل نقص][١] المفضل عليه ، وإن كان الجميع فاضلًا . نقله القرطبي عن الأشعري وأبي بكر الباقلاني ، وأبي حاتم بن حبان البستي ، ويحيى بن يحيى ، ورواية عن الإمام مالك أيضًا.

حديث آخر

قال البخاري في فضائل القرآن(٢٩) : حدّثنا محمد بن المثنى ، حدّثنا وهب ، حدّثنا هشام ، عن محمد ، عن معبد[٢] ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : كنا في مسير لنا فنزلنا ، فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم ، وإنّ نفرنا غُيّبٌ ، فهل منكم راقٍ ؟ فقام معها[٣] رجل ما كنا نأبنه[٤] برقية ، فرقاه فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي ؟ قال : لا ، مارقيت إلا بأمّ الكتاب . قلنا : لا تحدثوا شيئًا حتى نأتي - أو[٥] نسأل - رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : « **وماكان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم** » .

وقال أبو معمر : حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا هشام ، حدّثنا محمد بن سيرين ، حدّثني معبد ابن سيرين ، عن أبي سعيد الخدري بهذا .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام ، وهو ابن حسان ، عن ابن سيرين به(٣٠) .

وفي بعض روايات مسلم(٣١) لهذا الحديث أنّ أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم - يعني اللديغ - يسمونه بذلك تفاؤلًا .

---

(٢٩) - صحيح البخاري ، باب : فضل فاتحة الكتاب حديث رقم (٥٠٠٧) .

(٣٠) - رواه مسلم في السلام برقم (٢٢٠١) ، ورواه أبو داود في البيوع ، باب : كسب الأطباء برقم (٣٤١٩) .

(٣١) - لم أقف عليه عند مسلم ، وقد رواه أحمد برقم ١١٠٨٤ - (١٠/٣) وأخرجه الترمذي في كتاب الطب ، باب : ما جاء في أخذ الأجر على التعويذ برقم (٢٠٦٣) ، والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة - باب : ما يقول على الملدوغ . (١٠٨٦٦) ؛ (١٠٨٦٩) (٢٥٥،٢٥٤/٦) . وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : أجر الراقي (٢١٥٦) ، وعبد بن حميد (٨٦٦) ، وابن حبان في صحيحه (٦١١٢) (٤٧٧-٤٧٦/١٣) . والدارقطني (٦٤-٦٣/٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤-٥٣/٨) . من طرق عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن أبي نضرة ، به . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح [ط الدعاس ، وتحفة الأشراف] ، ورواه أحمد (٥٠/٣) .

---

[١] - في ز : يوهن الفضل القضاء . [٢] - في خ : « معد » .

[٣] - في ز ، خ : « منا » .

[٤] - أبنه : عابه ، ورماه بخلة سوء ، والمعنى : ما كنا نعلم أنه يرقي فنعيبه بذلك .

[٥] - زيادة من : ز ، خ .

حديث آخر :

روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم(٣٢) ، عن عمار بن رُزَيْق[١] ، عن عبد اللَّه بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ؛ قال : بينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وعنده جبريل ؛ إذ سمع نقيضًا فوقه ، فرفع جبريل بصره إلى السماء ، فقال : هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قَطُّ . قال : فنزل منه ملك ، فأتى النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ حرفًا منهما إلا أوتيته . وهذا لفظ النسائي ولمسلم نحوه .

حديث آخر

قال مسلم(٣٣) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي - هو ابن راهويه - حدثنا سفيان بن عيينة ، عن العلاء - يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الحُرقي - عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثًا - غير تمام** » . فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء[٢] الإمام فقال[٣] : اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : قال اللَّه عز وجل : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ماسأل** ، [**فإذا**[٤] **قال العبد** : ﴿ **الحمد للَّه رب العالمين** ﴾ قال اللَّه تعالى : حمدني عبدي . وإذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ **قال اللَّه : أثنىٰ عليَّ عبدي ، فإذا قال :** ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ **قال اللَّه : مجَّدني عبدي . وقال مرة : فوض إليَّ عبدي ، فإذا قال :** ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ **قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ماسأل**][٥] ، **فإذا قال :** ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ [ ][٦] . **قال : هذا لعبدي ولعبدي ماسأل** »

وهكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه

وقد روياه أيضًا(٣٤) ، عن قتيبة ، عن مالك ، عن العلاء ، عن أبي السائب مولى هشام بن

(٣٢) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨٠٦) ، والنسائي في الافتتاح ٩١٢ - (١٣٨/٢) .
(٣٣) - رواه مسلم في الصلاة ، حديث ٣٨ - (٣٩٥) .
(٣٤) - رواه مسلم في الصلاة ، حديث ٣٩ - (٣٩٥) ، ورواه النسائي في الكبرى برقم (٨٠١٢) ، وفي الصغرى (١٣٥/٢) .

[١] - في ر ، ز : زريق .
[٢] - في خ : خلف .
[٣] - في ز : قال .
[٤] - في ز : وإذا .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ ، ز : آمين .

زُهرة[١] ، عن أبي هريرة به ، وفي هذا السياق : « **فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ماسأل** » .

وهكذا[٢] رواه ابن إسحاق عن العلاء(٣٥) .

وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبي السائب هكذا(٣٦)

ورواه أيضًا من حديث [ابن أبي أويس][٣] عن العلاء ، عن أبيه وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة(٣٧)

وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وسألت أبا زرعة عنه ؟ فقال : كلا الحديثين صحيح ، من قال : عن العلاء ، عن أبيه ، وعن العلاء ، عن أبي السائب(٣٨) .

وقد روى هذا الحديث عبد اللّه بن الإمام أحمد(٣٩) من حديث العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب مطولًا .

وقال[٤] ابن جرير(٤٠) : حدّثنا صالح بن مسمار المروزي ، حدّثنا زيد بن الحباب ، حدّثنا عنبسة ابن سعيد ، عن مُطرف بن طريف ، عن سعد بن إسحاق بن [٥] كعب بن عجرة ، عن جابر بن عبد اللّه ؛ قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **قال اللّه تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، وله ما سأل » فإذا قال العبد : ﴿ الحمد للّه رب العالمين ﴾ قال : « حمدني عبدي » وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : « أثنى عليّ عبدي » . ثم قال :**

---

(٣٥) - رواه أحمد (٢/٢٨٦) ، والبخاري في القراءة (٧٣) ، وابن جرير (١/٨٦) ، والبيهقي في القراءة (٥٧، ٥٨) .

(٣٦) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٤٠ - (٣٩٥) .

(٣٧) - رواه مسلم في الصلاة ، حديث ٤١ - (٣٩٥) .

(٣٨) - سنن الترمذي برقم (٢٩٥٣) .

(٣٩) - لم نعثر عليه في المسند .

(٤٠) - **إسناده جيد** : تفسير ابن جرير ٢٢٤ - (١/٢٠١) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩ - (١/١٧) من طريق زيد بن الحباب ، به .

---

[١] - في ز ، خ : عروة » . [٢] - في ز ، خ : « كذا » .

[٣] - وقع في صحيح مسلم : أبو أويس . وهو عبد الله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو أويس المدني والد إسماعيل ابن أبي أويس وأبي بكر بن أبي أويس وهو ابن ابن عم مالك بن أنس وصهره على أخته ، روى له الجماعة سوى البخاري .

[٤] - في خ : « قال » . [٥] - في ت : عن .

« **هذا لي وله ما بقي** » . وهذا غريب من هذا الوجه(٤١) .

ثم الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة[١] من وجوه :

(**أحدها**) أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة ، والمراد القراءة كقوله تعالى : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا** ﴾ أي : بقراءتك ، كما جاء مصرحًا به في الحديث[٢] الصحيح عن ابن عباس(٤٢) ، وهكذا قال في هذا الحديث : « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل** » ثم بين [تفصيل[٣] هذه القسمة][٤] في قراءة الفاتحة ، فدل على عظمة[٥] القراءة في الصلاة ، وأنها من أكبر أركانها ، إذ[٦] أطلقت العبادة وأريد بها[٧] جزء واحد منها وهو القراءة ، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا** ﴾ والمراد صلاة الفجر ، كما جاء مصرحًا به في الصحيحين(٤٣) من أنه يشهدها[٨] ملائكة الليل وملائكة النهار ، فدلَّ هذا كله على أنه لابد من القراءة في الصلاة ، وهو اتفاق من العلماء ، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني ، وذلك أنه هل[٩] يتعين للقراءة في الصلاة [ ][١٠] فاتحة الكتاب أم تجزئ هي [أو غيرها][١١] ؟ على قولين مشهورين :

فعند أبي حنيفة رحمه اللّٰه ومن وافقه من أصحابه وغيرهم أنها لا تتعين ، بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة ، واحتجوا بعموم قوله تعالى : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾ وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال له : « **إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن** » . قالوا : فأمره بقراءة ما تيسر ، ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها ، فدلَّ على ما قلناه[١٢] .

---

(٤١) - قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللّٰه تعالى - في تعليقه على ابن جرير : ولعله يريد أنه لم يروه أحدٌ من حديث جابر ؛ إلا بهذا الإسناد ، وليس من ذلك بأس ، وقد ثبت معناه من حديث أبي هريرة ، فهو شاهدٌ قوي لصحته .

(٤٢) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ، رقم (٧٤٩٠) ، ومسلم في كتاب الصلاة ، حديث ١٤٥-(٤٤٦) .

(٤٣) - رواه البخاري في الأذان برقم (٦٤٩) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم (٦٤٩) .

---

[١] - في ز : بحكم الفاتحة .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - في ز : تفضيل .
[٤] - في خ : « تفضيل هذه القراءة » .
[٥] - في ز : عظم .
[٦] - في ز : إذا .
[٧] - في ز : به .
[٨] - في خ : « تشهدها » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ر : غير .
[١١] - في ز : « و غيرها » .
[١٢] - في ت : « قلنا » .

(**والقول الثاني**) أنه يتعين[١] قراءة الفاتحة في الصلاة ، ولا تجزئ الصلاة بدونها ، وهو قول بقية الأئمة : مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأصحابهم وجمهور العلماء ، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال - صلوات الله وسلامه عليه - : « **من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج** » والخداج هو الناقص كما فسر [ ][٢] في الحديث [« **غير تمام** »][٣] .

واحتجوا أيضًا بما ثبت في الصحيحين(٤٤) من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة ابن الصامت ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا صلاة لمن لم[٤] يقرأ بفاتحة الكتاب** » .

وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة (٤٥) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأمّ القرآن** » . والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، ووجه المناظرة هاهنا يطول ذكره ، وقد أشرنا إلى [مأخذهم في ذلك][٥] ، رحمهم الله .

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة .

وقال آخرون : إنما[٦] تجب قراءتها[٧] في معظم الركعات ، وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما تجب قراءتها[٨] في ركعة واحدة من الصلوات[٩] أخذًا بمطلق الحديث : « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** » . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي : لا تتعين[١٠] قراءتها ، بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى : ﴿ **فاقرءوا[١١] ما تيسر من القرآن** ﴾ [كما تقدم][١٢] ، والله أعلم .

---

(٤٤) - رواه البخاري في الأذان برقم (٧٥٦) ، ومسلم في الصلاة برقم (٣٩٤) .

(٤٥) - صحيح ابن خزيمة برقم ٤٩٠ - (٢٤٨/١) ، وصحيح ابن حبان برقم (٤٥٧ موارد) ، ورواه أحمد (٤٥٧/٢ ، ٤٧٨) ، والطحاوي في شرح المعاني (٢١٦/١) ، وفي المشكل (٢٣/٢) وقال ابن حبان : لم يقل في خبر العلاء هذا : « لا تجزئ » إلا شعبة ، ولا عنه إلا وهب بن جرير ، ومحمد بن كثير .

---

[١] - في ت : « تتعين » .
[٢] - في ت : به .
[٣] - في ت : « غير تام » .
[٤] - في ز : لا .
[٥] - في ز : مآخذهم .
[٦] - في خ : « إنها » .
[٧] - في ز ، خ : « في إنها » .
[٨] - في ز ، خ « في إنها » .
[٩] - في ز : الصلاة .
[١٠] - في خ : « يتعين » .
[١١] - في ز : فاقرأ .
[١٢] - زيادة من : ز ، خ .

وقد روى ابن ماجة من حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعًا : « **لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها** »(٤٦) . وفي صحة هذا نظر ، وموضع[١] تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير ، والله أعلم .

(والوجه الثالث) هل تجب[٢] قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

(أحدها) أنه تجب عليه قراءتها ، كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة .

(والثاني) لا تجب على المأموم قراءة بالكلية لا الفاتحة ولا غيرها لا في الصلاة الجهرية ولا السرية ، لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(٤٧) عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: « **من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة** » ، ولكن في إسناده ضعف . ورواه مالك عن وهب بن كيسان ، عن جابر من كلامه(٤٨)

وقد روي هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

(والقول الثالث) أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ، ولا تجب في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم(٤٩) عن أبي موسى الأشعري؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٤٦) – **إسناده ضعيف** ، والحديث في سنن ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : القراءة خلف الإمام برقم (٨٣٩) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٩١/١) : « هذا إسناد ضعيف ، أبو سفيان السعدي واسمه طريف بن شهاب ، وقيل : ابن سعد ، قال ابن عبد البر : أجمعوا على ضعفه » ، وأبو سفيان قد توبع ، تابعه قتادة ، فرواه عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد مرفوعًا بلفظ : « **أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر** » ، أخرجه أبو داود في السنن برقم (٨١٨) ، وابن حبان في صحيحه .

(٤٧) – **إسناده ضعيف** : والحديث رواه أحمد في المسند من حديث جابر ، وهو الجعفي – ضعيف رافضي – عن أبي الزبير – مدلس وقد عنعن – عن جابر برقم ١٤٦٨٥ – (٣٣٩/٣) ، ورواه عبد بن حميد حديث (١٠٥٠) ، وابن ماجة في كتاب إقامة السنة ، باب : إذا قرأ الإمام فأنصتوا (٢٧٧/١) ، حديث ٨٥٠ . كلاهما من طريق الحسن بن صالح ، عن جابر الجعفي ، عن أبي الزبير ، به . قال الحافظ في التلخيص الحبير (٤٢٠/١) : **فائدة** : حديث : « **من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة** » مشهور من حديث جابر وله طرق عن جماعة من الصحابة كلها معلولة .

(٤٨) – رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٠/٢) من طريق مالك ، وقال : « **هذا هو الصحيح عن جابر من قوله ، غير مرفوع** » .

(٤٩) – رواه مسلم في الصلاة برقم (٤٠٤) ، ورواه أبو داود في الصلاة ، باب : التشهد برقم (٩٧٢) ، من حديث سليمان التيمي ، عن قتادة ، عن أبي غلاب ، عن حطان ، عن أبي موسى ، به .
وقال الدارقطني : وقد خالف التيمي جماعة منهم : هشام الدستوائي ، وشعبة ، وسعيد ، وأبان ، =

[١] – في ز : وموضح . [٢] – في خ : « يجب » .

«**إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا**» . وذكر بقية الحديث .

وكذا رواه أهل السنن(٥٠) أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «**وإذا قرأ فأنصتوا**» . وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضًا(٥١) ، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول، وهو قولٌ قديمٌ للشافعي - رحمه الله - ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - والغرض من ذكر هذه المسائل هاهنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٥٢) : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدّثنا غسان بن عبيد، عن

= وهمام، وأبو عوانة، ومعمر، وعدي بن أبي عمارة . رووه عن قتادة ولم يقل أحد منهم : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» ، وقد روى عمر بن عامر متابعة التيمي، وعمر ليس بالقوي - تركه يحيى القطان - وفي اجتماع أصحاب قتادة على خلاف التيمي دليل على وهمه والله أعلم . قال في العلل : ولعله شبه عليه لكثرة من خالفه من الثقات .

(٥٠) - رواه أبو داود في الصلاة، باب : الإمام يصلي من قعود برقم (٦٠٤) ، والنسائي في الافتتاح (٢/ ١٤١،١٤٢) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة، باب : إذا قرأ الإمام فأنصتوا برقم (٨٤٦) قال أبو داود : «وهذه الزيادة : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» ليست بمحفوظة، الوهم عندنا من أبي خالد»

قال البخاري : الليث وبكر بن مضر قد رويا الحديث عن ابن عجلان، عن عدد من شيوخه ولم يذكرا عنه هذه الزيادة . وأن سهيل بن أبي صالح، وأبا سلمة، وهمامًا، وأبا يونس وغير واحد عن أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، رووا هذا الحديث فلم يذكر أحد منهم هذه الزيادة .

وقال ابن خزيمة : إن الأخبار المتواترة عن أبي هريرة بالأسانيد الصحيحة الثابتة المتصلة بهذه القصة ليس في شيء منها : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» إلا خبر أبي خالد، ولا يعتد أهل الحديث بروايته .

قال البيهقي : والحديث في الصحيح من حديث أبي صالح وأبي الزناد، عن الأعرج، وأبي يونس وهمام، وأبي علقمة الهاشمي، كلهم عن أبي هريرة، ليس في شيء من روايات هؤلاء : «**وإذا قرأ فأنصتوا**» . وذكر البيهقي أن الأحاديث في الصحيح - حديث عائشة، وجابر وأنس - ليس فيها كلها هذه الزيادة .

وقال الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول في حديث أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان : «وإذا قرأ فأنصتوا» قال : ليس بشيء ولم يثبته ووهنه .

(٥١) - ذكر ذلك مسلم عقب حديث ٦٣ - (٤٠٤) : .... قال أبو إسحاق : قال أبو بكر ابن أخت أبي النضر في هذا الحديث؛ فقال مسلم : تريد أحفظ من سليمان؟ فقال له أبو بكر : فحديث أبي هريرة؟ فقال : هو صحيح - يعني : «وإذا قرأ فأنصتوا» فقال : هو عندي صحيح . فقال له : لِمَ لَمْ تضعه ههنا؟ قال : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه .

(٥٢) - رواه البزار، كما في كشف الأستار برقم (٣١٠٩) وفيه غسان بن عبيد، قال ابن عدي : «الضعف على أحاديثه بيِّنٌ» . وقال عباس وآخر عن يحيى : ثقة، يروي جامع سفيان . وروى الجنيد عن يحيى : ضعيف . وقال الدارقطني : صالح، وضعفه أحمد (الميزان٣/٣٣٤ - ٣٣٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٢١) وقال : رواه البزار، وفيه غسان بن عبيد، وهو ضعيف ووثقه ابن حبان .

أبي عمران الجوني ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت** » .

[الكلام على][١] تفسير الاستعاذة [وأحكامها][٢]

قال الله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾.

فهذه ثلاث آيات ليس لهنّ رابعة في معناها ، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدوّ الإنسي والإحسان إليه ؛ ليردّه عنه[٣] طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة[٤] والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدوّ الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم ؛ لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل ، كما قال تعالى : ﴿ **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوًّا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ وقال : ﴿ **أفتتخذونه وذريّته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلاً** ﴾ وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له[٥] لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون** ﴾ .

قالت طائفة من القرّاء وغيرهم : يتعوّذ[٦] بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة ، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما ذكره ابن قلوقا[٧] عنه وأبو حاتم السجستاني ، حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبارة الهذلي المغربي في كتابه "الكامل" ، وروي عن أبي هريرة أيضًا وهو غريب ، [ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال : وهو قول إبراهيم النخعي وداود بن علي الأصبهاني الظاهري .

---

[١] - سقط من ر .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : الموادة .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : نتعوذ .
[٧] - في خ : « ملوما » ، وفي ز : فلوفا .

وحكى القرطبي(٥٣) ، عن أبي بكر بن العربي ، عن المجموعة ، عن مالك - رحمه الله - أنّ القارئ يتعوّذ بعد الفاتحة . واستغربه ابن العربي(٥٤) ! . وحكى قولاً ثالثًا وهو الاستعاذة أوّلا وآخرًا جمعًا بين الدليلين ، نقله الرازي][١] . والمشهور الذي عليه الجمهور أنّ الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الوساوس فيها ، ومعنى الآية عندهم ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ [أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى : ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم**﴾ . الآية][٢] . أي إذا أردتم القيام ، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .

قال الإمام أحمد بن حنبل(٥٥) - رحمه الله - : حدثنا محمد بن الحسن [بن أتش][٣] ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن علي بن علي الرفاعي اليشكري ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال : « **سبحانك اللّهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدّك ، ولا إله غيرك - ويقول : لا إله إلا الله - ثلاثًا - ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه [ويقول الله أكبر ثلاثاً ، ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه]**[٤] » .

---

(٥٣) - تفسير القرطبي (٨٨/١) .

(٥٤) - أحكام القرآن (١١٧٦/٣) .

(٥٥) - المسند برقم ١١٤٨٩ - (٥٠/٣) ، **والحديث صحيح** : محمد بن الحسن بن أَتَش اليَماني ، قال أحمد : كان من القدرية الكبار ، ووثقه أبو حاتم وأحمد بن صالح ، وذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ٦٩) ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال مرة : متروك ، قال ابن حجر في التهذيب (١٠٠/٩) : كلام النسائي فيه غير مقبول ، لأن أحمد ، وعلي بن المديني لا يرويان إلا عن مقبول مع قول أحمد بن صالح فيه ، وفي « التقريب » صدوق فيه لين رمي بالقدر . وجعفر بن سليمان هو الضبعي أبو سليمان البصري ، صدوق زاهد . وعلي بن علي ؛ قال أحمد : لم يكن به بأس ؛ إلا أنه رفع أحاديث ، ووثقه يحيى بن معين وأبو زرعة ، وقال النسائي : لا بأس به ، وتكلم فيه يحيى بن سعيد ، وفي التقريب : لا بأس به رمي بالقدر . والحديث أخرجه أبو داود : كتاب الصلاة ، باب : من رأى الاستفتاح « بسبحانك اللّهم وبحمدك » (٧٧٥) ، والترمذي : كتاب الصلاة ، باب : ما يقول عند افتتاح الصلاة (٢٤٢) ، والنسائي : كتاب الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة (١٣٢/٢) ، وفي الكبرى (٩٧٢،٩٧٣) (٣١٣/١،٣١٤) . وابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الصلاة ، باب : فيما يفتتح به الصلاة (٢٦٣/١) ، وعنه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : افتتاح الصلاة (٨٠٤) ، وعبد الرزاق في المصنف (٢٥٥٤) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٩٧/١-١٩٨) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤٦٧) ، وأبو يعلى في مسنده (١١٠٨) (٣٥٨/٢) ، والبيهقي =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٤] - زيادة من المسند .

وقد رواه أهل السنن الأربعة(٥٦) من رواية جعفر بن سليمان، عن علي بن علي، وهو الرفاعي.

وقال الترمذي: هو أشهر حديث في هذا الباب، وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر.

كما رواه أبو داود وابن ماجة(٥٧) من حديث شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن عاصم العنزي، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه؛ قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه [وعلى آله][١] وسلم حين دخل في الصلاة قال: «**الله أكبر كبيرًا - ثلاثًا - [الحمد لله كثيرًا ثلاثًا][٢]، سبحان الله بكرة وأصيلاً - ثلاثًا - اللّهم؛ إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه**». قال عمرو: همزه الموتة، ونفخه الكبر، ونفثه الشعر.

= في الكبرى (٣٤/٢،٣٥) والمزي في تهذيب الكمال (٧٦/٢١) ترجمة علي بن علي. وقال الترمذي: «حديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب .... وقد تُكلم في إسناد حديث أبي سعيد، كان يحيى ابن سعيد يتكلم في علي بن علي الرفاعي، وقال أحمد: لا يصح الحديث. وأجاب الشيخ الألباني عن ذلك في الإرواء (٥١/١-٥٢) فقال: ولعل هذا لا ينفي أن يكون حسنًا؛ فإن رجاله كلهم ثقات، وعلي هذا وإن تكلم فيه يحيى بن سعيد فقد وثقه يحيى بن معين ووكيع وأبو زرعة ..... قلت «أي الألباني»: وهذا لا يوجب إهدار حديثه، بل يحتج به حتى يظهر خطؤه، وهنا ما روى شيئًا منكرًا».

قلت: وهناك علة أخرى للحديث أشار إليها أبو داود بعد إخراجه الحديث فقال: «وهذا الحديث يقولون: هو عن علي بن علي، عن الحسن مرسلًا، الوهم من جعفر».

لكن يشهد لبعضه حديث جبير بن مطعم الآتي وهو عند أبي داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧).

وصححه ابن خزيمة (٤٦٨)، وابن حبان (١٧٧٨)، والحاكم (٢٣٥/١)، ووافقه الذهبي. وحديث عبد الله بن مسعود عند ابن ماجه (٨٠٨)، والطيالسي (٣٩٦)، وأبي يعلى (٤٩٩٤) وصححه ابن خزيمة (٤٧٢)، وفي الباب أيضًا عن ابن عمر عند مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة (١٥٠) (٦٠١)، وعن عائشة عند أبي داود (٧٧٦)، والترمذي (٢٤٣)، وابن ماجه (٨٠٦)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٣٤١).

(٥٦) - انظر الحديث السابق.

(٥٧) - رواه أبو داود في الصلاة، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء برقم (٧٦٤)، وابن ماجة في إقامة الصلاة، باب: الاستعاذة في الصلاة برقم (٨٠٧)، ورواه أحمد (٨٥/٤)، وابن خزيمة (٤٦٨)، والبخاري في التاريخ (٤٨٨/٢/٣ - ٤٨٩)، والطيالسي (٩٤٧)، وأبو يعلى (٧٣٩٨/١٣)، وابن الجارود (١٨٠)، والطبراني في الكبير (١٥٦٨/٦)، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٤٣)، والحاكم (٢٣٥/١)، والبيهقي (٣٥/٢) من طريق شعبة، به، ورواه المزي في تهذيبه في ترجمة عاصم العنزي. قال الحاكم: صحيح الإسناد، وعاصم العنزي: مجهول، ما وثقه إلا ابن حبان. قال ابن حبان: عاصم العنزي يروي عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: كان النبي، صلى الله عليه وسلم، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وقال ابن ماجة(٥٨) : حدّثنا علي بن المنذر ، حدّثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « **اللّهم ؛ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه** » .

قال : همزه الموتة ، [ونفخه الكبر ، ونفثه الشعر][١] .

وقال الإمام أحمد(٥٩) : حدّثنا إسحاق بن يوسف ، حدّثنا شريك ، عن يعلى بن عطاء ، عن

= إذا دخل في الصلاة قال : ... فذكره . كذا قال شعبة عن عمرو بن مرة ، عن عاصم العنزي ، وقال مسعر : عن عمرو ابن مرة ، عن رجل من عنزة ، رواه أبو داود (٧٦٥) ، وأحمد (٨٠/٤ - ٨١) ، والطبراني (١٥٦٩) ، والخطيب في تاريخه (١٣گ٤٣٦ - ٤٣٧) . وقال ابن إدريس : عن حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن عباد بن عاصم ، عن نافع بن جبير ، رواه ابن أبي شيبة (٢٣١/١ ، ٢٣٨ ، ١٠/ ١٩٢) ، وأحمد (٨٣/٤) ، وابن خزيمة (٤٦٩) ، والطبراني (٥٧٠/٢) ، وقال عباد بن العوام : عن حصين ، عن عمرو بن مرة ، عن عمار بن عاصم ، عن نافع بن جبير ، ذكره البخاري ، وهو عند ابن عياش ، عن عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب ، عن عبد الرحمن بن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه بطوله . وقال البخاري : وهذا لا يصح . قال الحافظ في التهذيب : قلت : وقال البزار : اختلفوا في اسم العنزي ، رواه وهو غير معروف . وقال ابن خزيمة : وعاصم العنزي ، وعباد بن عاصم مجهولان ، لا يدرى من هما ولا يعلم الصحيح ما روى حصين ، أو شعبة - هكذا فرق بينهما ابن خزيمة ، وكذا البخاري ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان (التاريخ الكبير ٤٨٨/٦، الثقات ٤٣٨/٥ ، ٢٥٨/٧ ، تهذيب التهذيب ٤٨/٥، تهذيب الكمال ٥٣٤/١٣) .

(٥٨) - رواه ابن ماجة برقم (٨٠٨) ، ورواه أحمد ٣٨٣٠ - (٤٠٤/١) ، وابن أبي شيبة (١٨٥/١٠ - ١٨٦) ، وأبو يعلى (٤٩٩٤/٨ ، ٥٠٧٧/٩) والحاكم (٢٠٧/١) ، والبيهقي (٢٦/٢) ، وابن خزيمة في صحيحه برقم (٤٧٢) ، من طريق محمد بن فضيل به ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٨٥/١) : في إسناده مقال ؛ فإن عطاء بن السائب اختلط بآخر عمره ، وسمع منه محمد بن فضيل بعد الاختلاط ، وفي سماع أبي عبد الرحمن السلمي من ابن مسعود كلام . قال شعبة : لم يسمع . وقال أحمد : أرى قول شعبة وهمًا ، وقال البخاري في الكبير (٧٣/١/٣) ، وفي الصغير (٢٠١/١) سمع عليًا وعثمان وابن مسعود . وقال أبو عمرو الداني : أخذ أبو عبد الرحمن القراءة عرضًا عن عثمان وعلي وابن مسعود ا هـ . وقال الحاكم : صحيح وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب .

وقد تابع ابن فضيل ورقاء بن عمر ، وعمرو بن رزيق ، فروياه عن عطاء بن السائب ، رواه أحمد ٣٨٢٨ - (٤٠٣/١) من طرق عمرو ، وأبو يعلى (٥٣٨٠/٩) من طريق عمرو ، والبيهقي (٣٦/٢) من طرق عمرو ، وورقاء ، وقد سمعا منه بعد الاختلاط أيضًا .

وخالفهم حماد بن سلمة فرواه عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود أنه كان يتعوذ في الصلاة من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه ، رواه الطيالسي (٣٧١ ص ٤٩) وعنه البيهقي (٣٦/٢) ، ورواه الطبراني في الكبير (٩٣٠٢/٩) وحماد روى عن عطاء قبل الاختلاط وبعده .

(٥٩) - المسند برقم ٢٢٢٧٥ - (٢٥٣/٥) . =

[١] - في ز ، خ : « نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر » .

رجل حدثه ؛ أنه سمع أبا أمامة الباهلي ؛ يقول : كان رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثًا ثم قال : « **لا إله إلا اللَّه** » . ثلاث مرات و « **وسبحان اللَّه وبحمده** » ثلاث مرات . ثم قال : « **أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه** » .

وقال الحافظ أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي في مسنده(٦٠) : حدثنا عبد اللَّه بن عُمر ابن أبان الكوفي ، حدثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب - رضي اللَّه عنه - قال : تلاحى رجلان عند النبي صلى اللَّه عليه وسلم فتمزع أنف أحدهما غضبًا ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **إني لأعلم شيئًا لو قاله لذهب[١] عنه ما يجد : أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم** »

وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة(٦١) ، عن يوسف بن عيسى المروزي ، عن الفضل بن موسى ، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد ، به .

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل ، عن أبي سعيد ، عن زائدة ، وأبو داود عن يوسف ابن موسى ، عن جرير بن عبد الحميد ، والترمذي والنسائي في اليوم والليلة عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن الثوري ، والنسائي أيضًا من حديث زائدة بن قدامة - ثلاثتهم ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه - قال : استب رجلان عند النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فغضب أحدهما غضبًا شديدًا حتى خيل إليَّ أنّ أحدهما يتمزع أنفه من شدّة غضبه ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب** » . فقال : ما هي يارسول اللَّه ؟ قال : « **يقول : اللَّهم ؛ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم** » . قال : فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضبًا . وهذا لفظ أبي داود(٦٢) .

= **والحديث إسناده ضعيف** ، لجهالة شيخ يعلى بن عطاء ، وشريك القاضي - رحمه الله تعالى - : تُكلم فيه لسوء حفظه ، لكن تابعه حماد بن سلمة عند أحمد (٥/٢٥٣) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٦٥) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه من لم يسم » .

(٦٠) - لم نعثر على هذا الحديث في مسند أبي يعلى ، ولا في المطالب العالية ، ولا في مجمع الزوائد ، وقد أورده الضياء في المختارة من طريق أبي يعلى ١٢٣٦ - (٣/٤٣٦) .

(٦١) - سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٢٢٣) .

(٦٢) - المسند (٥/ ٢٤٠ ، ٢٤٤) ، ورواه أبو داود في الأدب ، ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٨٠) والترمذي في الدعوات برقم (٣٤٥٢) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٢٢١،١٠٢٢٢) ، وابن السني في اليوم والليلة (٤٥٤) ، والضياء في المختارة (١٢٣٧) وعزاه في الدر المنثور (٥/٣٦٥) لابن مردويه . وأعله الترمذي بالإرسال لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذاً .

---

[١] - في ز ، خ : « ذهب » .

وقال الترمذي : مرسل ، يعني أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل فإنه مات قبل سنة عشرين .

(قلت) : وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدّم ، وبلغه عن معاذ بن جبل ، فإنّ هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضي اللّه عنهم .

قال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عدي بن ثابت ؛ قال : قال سليمان بن صرد - رضي اللّه عنه - : استب رجلان عند النبي صلى اللّه عليه وسلم ونحن عنده جلوس ، فأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمرّ وجهه ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « **إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجده ، لو قال : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم** » . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟! قال : إني لست بمجنون(٦٣) .

وقد رواه أيضًا مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الأعمش ، به(٦٤) .

وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هاهنا ، وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال ، واللّه أعلم .

وقد روي أن جبريل - عليه السلام - أوّل ما نزل بالقرآن على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمره بالاستعاذة ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٦٥) :

حدّثنا أبو كريب ، حدثنا[١] عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمارة ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد اللّه بن عباس ؛ قال : أوّل ما نزل جبريل على محمد صلى اللّه عليه وسلم ؛ قال : « يا محمد ؛ استعذ » قال : « **أستعيذ [باللّه السميع][٢] العليم من الشيطان الرجيم** » ثم

---

(٦٣) - رواه البخاري في الأدب ، باب : الحذر من الغضب برقم (٦١١٥) .

(٦٤) - رواه مسلم في البر والصلة ، والآداب برقم (٢٦١٠) ، وأبو داود في الأدب ، باب : ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٨١) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٢٢٤،١٠٢٢٥) .

(٦٥) - تفسير ابن جرير ١٣٧ - (١١٣/١) . وبشر بن عمارة : قال أبو حاتم : ليس بالقوي في الحديث . وقال البخاري تعرف وتنكر . وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن حبان : كان يخطىء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد . وقال ابن عدي : لم أر في أحاديثه حديثًا منكرًا وهو عندي حديثه إلى الاستقامة أقرب . قلت : وقال البرقاني عن الدارقطني : متروك . وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه . وقال الساجي مثل البخاري . وأما أبو روق واسمه عطية بن الحارث : فثقة .

وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير ، فهو بين الضحاك وابن عباس .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - في ز : بالسميع .

قال : « قل : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم » ثم قال ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ قال عبد اللّٰه : وهي أوّل سورة أنزلها اللّٰه على محمد صلى اللّٰه عليه وسلم بلسان جبريل .

وهذا الأثر غريب ، وإنما ذكرناه ليُعرف فإنّ في إسناده ضعفًا وانقطاعًا ، واللّٰه أعلم .

[مسألة]

وجمهور العلماء على أنّ الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها ، وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة ، قال : وقال ابن سيرين : إذا تعوّذ مرّة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب ، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية ﴿ **فاستعذ** ﴾ وهو أمر ظاهره الوجوب ، وبمواظبة النبي صلى اللّٰه عليه وسلم عليها ؛ ولأنها تدرأ شر الشيطان ، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ ولأنّ الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب .

وقال بعضهم : كانت واجبة على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم دون أمّته ، وحكي عن مالك أنه لا يتعّوذ في المكتوبة ويتعوّذ لقيام رمضان في أوّل ليلة منه .

مسألة

وقال الشافعي في الإملاء : يجهر بالتعوّذ وإن أسرّ فلا يضر ، وقال في الأمّ بالتخيير ؛ لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة ، واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى ، هل يستحب التعوّذ فيها على قولين ، ورجح عدم الاستحباب ، واللّٰه أعلم .

فإذا قال المستعيذ : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة ، وزاد بعضهم : أعوذ باللّٰه السميع العليم ، وقال آخرون : بل يقول : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم ، إن اللّٰه هو السميع العليم ، قاله الثوري والأوزاعي ، وحُكي عن بعضهم أنه يقول : أستعيذ باللّٰه من الشيطان الرجيم ؛ لمطابقة أمر الآية ؛ ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور ، والأحاديث الصحيحة كما تقدّم أولى بالاتباع من هذا ، واللّٰه أعلم .

مسألة

ثم الاستعاذة في الصلاة إنما هي للتلاوة وهو قول أبي حنيفة ومحمد . وقال أبو يوسف : بل للصلاة فعلى هذا يتعوذ المأموم ، وإن كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الإحرام ، وقبل تكبيرات العيد ، والجمهور بعدها قبل القراءة . ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له ، وتهيؤ لتلاوة كلام اللّٰه ، وهي استعانة باللّٰه ، واعتراف له بالقدرة ، وللعبد

بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدوّ المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا اللَّه الذي خلقه ، ولا يقبل مصانعة ، ولا يدارىٰ بالإحسان ، بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني ، وقال تعالى : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا** ﴾ . وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري ، فمن قتله العدو الظاهري البشري كان شهيدًا ، ومن قتله العدو الباطني كان طريدًا ، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورًا ، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونًا أو موزورًا ، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان .

فصل

والاستعاذة هي الالتجاء إلى اللَّه تعالى ، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر ، والعياذة تكون لدفع الشر ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير ، كما قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به ممن أحاذره
[لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره] (٦٦) [١]

ومعنى أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم ، أي : أستجير بجناب اللَّه من الشيطان الرجيم[٢] أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه ، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا اللَّه ؛ ولهذا أمر اللَّه تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليردّه طبعه عما هو فيه من الأذى ، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجنّ ؛ لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل ؛ لأنه شرير بالطبع ، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه ، وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة ، قوله تعالى في الأعراف : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر ثم قال : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللَّه إنه سميع عليم** ﴾ وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ وقال تعالى في سورة حم السجدة : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا**

---

(٦٦) – ذكر البيتين الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٥/١١) ، وقال : « وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – رحمه اللَّه – أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول : إنما يصلح هذا لجناب اللَّه – سبحانه وتعالى – وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم – رحمه اللَّه – أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول : ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو اللَّه بما تضمناه من الذل والخضوع » .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – سقط من ز .

وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ .

والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعُد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب، قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه الصلاة والسلام:

أيما شاطن عصاه عكاه   ثم يُلقى[١] في السجن والأغلال[٢]

فقال: أيما شاطن، ولم يقل: أيما شائط. وقال النابغة الذبياني، وهو زياد بن عمرو بن معاوية ابن جابر بن ضباب[٣] بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان:

نأتْ بسعاد عنك نوى شطون   فبانت والفؤاد بها رهين

يقول: بعدت بها طريق بعيدة. و [قال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان، إذا فَعَلَ فِعْلَ الشياطين، ولو كان من شاط، لقالوا: تشيط][٤] فالشيطان[٥] مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل ما تمرّد من جني وإنسي وحيوان شيطانًا، قال الله تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا﴾** .

وفي مسند الإمام أحمد(٦٧) عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(٦٧) - رواه أحمد في المسند برقم ٢١٦٢٩، ٢١٦٣٥ - (١٧٨/٥، ١٧٩) في حديث طويل. ورواه النسائي (٢٧٥/٨)، والطيالسي (٤٧٨)، والبزار كما في كشف الأستار (١٦٠)، والبيهقي في الشعب (٣٥٧٦ هـ)، رووه مطولاً ومختصراً من طرقٍ عن المسعودي، عن أبي عمر، ويقال: أبو عمرو - عن عبيد بن الخشخاش، ويقال: الحسحاس- عن أبي ذر، وأبو عمر هذا تركه الدارقطني، وكذا عبيد أيضاً، ووثقه ابن حبان، وقال البخاري: عبيد بن الخشخاش لم يذكر سماعاً من أبي ذر. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥٩، ١٦٠) وقال «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه، وعند النسائي طرف منه، وفيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط.

ورواه أحمد من حديث أبي أمامة ٢٢٣٣٨ - (٢٦٥/٥) ثنا أبو المغيرة، ثنا معان بن رفاعة، حدثني عليّ بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة ... فذكره في حديثٍ طويل. وأخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٢٥٨، ٢٥٩ / رقم: ٧٨٧١) من نفس طريق أحمد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٩) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف».

---

[١] - في ز: يلقي بي.
[٢] - في حاشية ز: في نسخة: والأكبال. [٣] - في ز، خ: «صباب».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٥] - في ز، خ: «والشيطان».

وسلم: « **يا أبا ذر، تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن** » فقلت: أو للإنس شياطين؟ قال: « **نعم** »

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **يقطع الصلاةَ المرأة، والحمار، والكلب الأسود** ». فقلت: يارسول الله؛ ما بال الكلب الأسود من الأحمر من[١] الأصفر؟ فقال: « **الكلب الأسود شيطان** »(٦٨).

وقال ابن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه؛ أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ركب برذونًا فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا، فنزل عنه وقال: ماحملتموني إلا على شيطان، مانزلت عنه حتى أنكرت نفسي. إسناده صحيح(٦٩).

والرجيم فعيل بمعنى مفعول، أي: إنه مرجوم مطرود عن الخير كله، كما قال تعالى: ﴿**ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا من كل شيطان مارد لا يسمّعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورًا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾ وقال تعالى: ﴿**ولقد جعلنا في السماء بروجًا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين**﴾ إلى غير ذلك من الآيات، [وقيل: رجيم بمعنى راجم؛ لأنه يرجم الناس بالوساوس والربائث(٧٠)، والأول أشهر وأصح][٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١)

افتتح بها الصحابة كتاب الله، واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل، ثم اختلفوا هل هي آية مستقلة في أول كل سورة، أو من [أول] كل سورة كتبت في أوّلها، أو أنها بعض آية من أول[٣] كل سورة، أو أنها[٤] كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها إنما[٥] كتبت للفصل لا أنها آية على أقوال للعلماء سلفًا وخلفًا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع.

---

(٦٨) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٢٦٥ - (٥١٠).

(٦٩) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٣٦ - (١١١/١) من طريق يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، به.

(٧٠) - يقال: ربثته عن الأمر: إذا حبسته وثبطته، والربائث: جمع ربيثة، وهي الأمر يحبس الإنسان عن مهامّه. النهاية (١٨٢/٢).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٣] - زيادة من ز، خ.

[٤] - سقط من ز. [٥] - سقط من: خ.

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس(٧١) -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه[١] ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾.

وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه أيضًا، ورُوي مرسلًا عن سعيد بن جبير.

وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة(٧٢) - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي، وفيه ضعف، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عنها.

وروى له الدارقطني(٧٣) متابعًا[٢] عن أبي هريرة مرفوعًا، وروى مثله(٧٤) عن علي وابن عباس وغيرهما، وممن حُكي عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وعلي. ومن التابعين: عطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وبه يقول

---

(٧١) - رواه أبو داود في الصلاة، باب: من جهر بها برقم (٧٨٨)، ورواه البيهقي في الكبرى (٢/٤٢)، وفي الشعب (٢١٢٥ هـ) من طريق أبي داود، ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٢٠/٢١٠) من طريق أبي داود، عن قتيبة بسنده موصولاً، والبزار (٢١٨٧)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢٥٥ - ٢٥٦)، والحاكم (١/٢٣١)، وعنه البيهقي في المعرفة (٢/٣٦٥ - ٣٦٦)، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك بعد أن ذكر الحديث عن ابن عباس: أما هذا فثابت. وقال الهيثمي: رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. وقد رواه أبو داود في المراسيل (٣٦) عن سعيد بن جبير، وقال: المرسل أصح، ورواه الحميدي مرسلاً (٥٢٨)، وكذا الطحاوي في المشكل (١٣٧٦)، وعبد الرزاق (٢٦١٧).

(٧٢) - **إسناده ضعيف**، عمر بن هارون: قال ابن حبان: كان ممن يروي عن الثقات المعضلات، ويدعى شيوخًا لم يرهم، وكان ابن مهدي حسن الرأي فيه. قال ابن الجنيد: سمعت يحيى بن معين يقول: عمر ابن هارون كذاب، وعن يحيى بن معين قال: عمر بن هارون البلخي ليس بشيء. قال أبو حاتم: كان عمر بن هارون صاحب سنة وفضل وسخاء، وكان أهل بلده يبغضونه لتعصبه في السنة وذبه عنها، ولكن كان شأنه في الحديث ما وصفت، وفي التعديل ما ذكرت، والمناكير في روايته تدل على صحة ما قال يحيى بن معين فيه. وقد حسن القول فيه جماعة من شيوخنا، كان يصلهم في كل سنة بصلات كثيرة من الدراهم والثياب وغيرها، يبعث إليهم من بلخ إلى بغداد.

والحديث في صحيح ابن خزيمة برقم (٤٩٣). ورواه الحاكم في المستدرك (١/٢٣٣)، ورواه البيهقي (٢/٤٤) وقال الحاكم: عمر بن هارون أصل في السنة. ولم يخرجاه وإنما خرجته شاهداً.

(٧٣) - سنن الدارقطني ١٧ - (١/٣٠٦).

(٧٤) - سنن الدارقطني (١/٣٠٢) عن علي بن أبي طالب، وطرقه كلها ضعيفة، (١/٣٠٣) عن ابن عباس من طريقين ضعيفين، وسيأتي كلام العلماء على الجهر بالبسملة.

---

[١] - سقط من: خ. [٢] - في خ: «متابعة».

عبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله.

وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما: ليست آية من الفاتحة، ولا من غيرها من السور.

وقال الشافعي في قول في[١] بعض طرق مذهبه: هي آية من الفاتحة وليست من غيرها، وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان.

وقال داود: هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها، وهذا رواية عن الإمام أحمد [بن حنبل][٢] وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله(٧٥).

هذا ما يتعلق بكونها آية[٣] من الفاتحة أم لا.

فأما[٤] ما يتعلق بالجهر بها فمفرعٌ على هذا، فمن رأى أنها ليست [من الفاتحة][٥] فلا يجهر بها، وكذا من قال: إنها آية من أولها، وأما من قال: بأنها من أوائل السور فاختلفوا، فذهب الشافعي - رحمه الله - إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة، وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفًا وخلفًا، فجهر بها من الصحابة أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، ومعاوية؛ وحكاه ابن عبد البر والبيهقي عن عُمر وعلي، ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهو غريب. ومن التابعين عن سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبي قلابة، والزهري، وعلي بن الحسين وابنه محمد، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وسالم، ومحمد بن كعب القرظي، [ومحمد بن عبيد][٦]، وأبي بكر ابن[٧] محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد، ونافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، وعمر بن عبد العزيز، والأزرق بن قيس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، ومكحول، وعبد الله بن معقل ابن مقرن. زاد البيهقي: وعبد الله بن صفوان، ومحمد بن الحنفية. زاد ابن عبد البر: وعمرو بن دينار.

والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة، فيجهر بها كسائر أبعاضها. وأيضًا فقد روى النسائي في

(٧٥) - ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل في هذه المسألة، فراجعه في الفتاوى (٢٢/٤٣٨-٤٤٣).

[١] - سقط من: خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في خ: «وأما».
[٥] - في ز: منها.
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - سقط من: خ.

سننه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما[١] (٧٦)، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة؛ أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة، وقال بعد أن فرغ: إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم. وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم.

وروى أبو داود والترمذي، عن ابن عباس(٧٧)؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال الترمذي: وليس إسناده[٢] بذاك.

وقد رواه الحاكم في مستدركه، عن ابن عباس(٧٨)؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه

(٧٦) - **صحيح**، رواه النسائي في كتاب الافتتاح، باب: قراءة بسم الله الرحمن الرحيم برقم ٩٠٥ - (٢/ ١٣٤)، وابن الجارود (١٨٤)، وابن خزيمة برقم (٤٩٩)، وابن حبان برقم (٤٥٠ «موارد»)، والحاكم في المستدرك (٢٣٢/١)، والبيهقي (٤٦/٢، ٥٨).

(٧٧) - **ضعيف**، وكذا عزاه المزي في التحفة (٢٦٥/٥)، ورواه الترمذي في الصلاة، باب: من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم برقم (٢٤٥)، والدارقطني (٣٠٤/١)، والبيهقي (٤٧/٢)، ورواه العقيلي (١/ ٨٠ - ٨١)، وابن عدي (٣٠٥/١) - جميعاً من حديث معتمر بن سليمان؛ قال: حدثني إسماعيل بن حماد، عن أبي خالد، عن ابن عباس، به. أما العقيلي فرواه في ترجمة إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان وقال: حديثه غير محفوظ ويحكيه عن مجهول ثم ذكر الحديث. وأما ابن عدي فرواه في ترجمة إسماعيل من طريق إسماعيل، عن أبي خالد، عن ابن عباس، ومن طريق إسماعيل، عن عمران، عن ابن عباس، وقال: وهذا الحديث لا يرويه إلا معتمر وهو غير محفوظ، سواء قال: عن أبي خالد، أو عن عمران بن خالد جميعاً مجهولين. أما الزيلعي فقال (٣٤٦/١، ٣٤٧): أبو خالد هو الوالبي. واسمه هرمز. وقال المارديني في الجوهر النقي (٤٧/١): مجهول. وأما ابن حجر فقال (في التلخيص): قال البزار، وابن حبان: هو الوالبي، وقيل: لا يصح ذلك.

ويقال: هرم؛ قال عنه ابن حجر في التقريب: مقبول. وقال الذهبي في الكاشف: صدوق. وقال الخزرجي في الخلاصة: قال ابن عدي: في حديثه لين. وقال أبو حاتم: صالح الحديث.

(٧٨) - **ضعيف جداً**، والحديث في المستدرك (٢٠٨/١) وفي إسناده عبد الله بن عمرو بن حسان، كذبه الدارقطني، وقال علي بن المديني: يضع الحديث. وقال العقيلي: أحاديثه مقلوبة. وقال أبو حاتم: ليس بشيء، ضعيف الحديث، كان لا يصدق (الميزان ٤٦٨/٢) (الجرح ١١٩/٥) لذلك تعقب الذهبي الحاكم على تصحيحه فقال: «عبد الله بن عمرو بن حسان المذكور في إسناده كذبه غير واحد، ومثل هذا لا يخفى على المصنف» - أي الحاكم. وقال الزيلعي: هذا الحديث غير صريح، ولا صحيح. فأما كونه غير صريح فإنه ليس فيه أنه في الصلاة، وأما غير صريح فإن فيه عبد الله بن عمرو الواقعي ثم ذكر أقوال العلماء فيه.

وقد روى الطحاوي في المشكل (١٣٧٥) بإسنادٍ جيد عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان جبريل عليه السلام إذا نزل على رسول، الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ علم أن السورة قد انقضت.

[١] - في ت: «صحيحهما». [٢] - سقط من: خ.

وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال: صحيح.

وفي صحيح البخاري، عن أنس بن مالك(٧٩)؛ أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمدّ بسم الله، ويمدّ الرحمن، ويمدّ الرحيم.

وفي مسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم، عن أمّ سلمة(٨٠) - رضي الله عنها - أنها[١] قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين**﴾. وقال الدارقطني إسناده صحيح.

وروى [الإمام أبو عبد الله][٢] الشافعي - رحمه الله - والحاكم في مستدركه عن أنس(٨١)؛ أن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره[٣] من المهاجرين ذلك، فلما صلى المرة الثانية بسمل.

وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفايةٌ ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها. فأمّا المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر.

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد ابن حنبل. وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرًّا، واحتجوا بما في صحيح

---

(٧٩) - رواه البخاري في فضائل القرآن، باب: مد القراءة برقم (٥٠٤٦).

(٨٠) - رواه أحمد في المسند ٢٦٦٩٢ - (٣٠٢/٦)، وأبو داود في سننه في كتاب الحروف والقراءات - أول الكتاب (٤٠١). والترمذي في جامعه في كتاب القراءات، باب: في فاتحة الكتاب (٢٩٢٧). والحاكم في المستدرك (٢٣٢/١).

(٨١) - رواه الحاكم في المستدرك (٢٣٣/١)، من حديث عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج، أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم، أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبر أن أنس بن مالك قال: صلى معاوية ... فذكر الحديث بطوله. ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم؛ فقد احتج بعبد المجيد ابن عبد العزيز، وسائر الرواة متفق على عدالتهم، وهو علة لحديث شعبة وغيره عن قتادة - على علو قدره - يدلس ويأخذ عن كل أحد، وإن كان قد أدخل في الصحيح حديث قتادة فإن في ضده شواهد أحدها ما ذكرنا، ورواه الدارقطني (٣١١/١).

---

[١] - زيادة من: ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في ز: حضر.

مسلم عن عائشة (٨٢) - رضي اللّه عنها - قالت: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد للّه رب العالمين، وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك (٨٣)؛ قال: صليت خلف النبي صلى اللّه عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون[١] بالحمد للّه رب العالمين. ولمسلم: لا يذكرون بسم اللّه الرحمن الرحيم في أوّل قراءة ولا في[٢] آخرها، ونحوه في السنن [ ][٣] عن عبد اللّه بن مغفل (٨٤) - رضي اللّه عنه - فهذه مآخذ الأئمة - رحمهم اللّه - في هذه المسألة[٤]، وهي قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسرَّ، وللّه الحمدُ والمنّة.

---

(٨٢) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٢٤٠ - (٤٩٨).

(٨٣) - رواه البخاري في الأذان، باب: ما يقول بعد التكبير برقم (٧٤٣)، ومسلم في الصلاة برقم ٥٠ - (٣٩٩). وليس عند البخاري: « وعثمان ».

(٨٤) - رواه الترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في ترك الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم برقم (٢٤٤)، والنسائي في الافتتاح، باب: ترك قراءة بسم اللّه الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ٩٠٨ - (١٣٥/٢) وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: افتتاح القراءة برقم (٨١٥)، ورواه أحمد (٨٥/٤، ٥/ ٥٤ - ٥٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٠٢/١)، والبيهقي (٥٠/٢).

قال الزيلعي في نصب الراية (٣٣٢/١): حديث آخر: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث أبي نعامة الحنفي واسمه قيس بن عباية، ثنا بن عبد اللّه بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا أقول: بسم اللّه الرحمن الرحيم فقال: أي بني إياك والحدث قال: ولم أر أحدًا من أصحاب رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، كان أبغض إليه الحدث في الإسلام يعني منه قال: وصليت مع النبي، صلى اللّه عليه وسلم، ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقولها فلا تقلها أنت، إذا صليت فقل: الحمد للّه رب العالمين انتهى

قال الترمذي: حديث حسن والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي، صلى اللّه عليه وسلم، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق: لا يرون الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم في الصلاة، ويقولها في نفسه، انتهى.

قال النووي في الخلاصة: وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب وقالوا: إن مداره على ابن عبد اللّه بن مغفل وهو مجهول، انتهى

ورواه أحمد في مسنده من حديث أبي نعامة، عن بني عبد اللّه بن مغفل قالوا: كان أبونا إذا سمع أحدًا منا يقول: بسم اللّه الرحمن الرحيم يقول: أي بني، صليت مع النبي، صلى اللّه عليه وسلم، وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدًا منهم يقول: بسم اللّه الرحمن الرحيم، انتهى.

ورواه الطبراني في معجمه عن عبد اللّه بن بريدة عن ابن عبد اللّه بن مغفل عن أبيه مثله.

ثم أخرجه عن أبي سفيان طريف بن شهاب، عن يزيد بن عبد اللّه بن مغفل، عن أبيه قال: صليت =

---

[١] - في ت: يفتتحون.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: [و].
[٤] - في ز: البسملة.

= خلف إمام فجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم ، فلما فرغ من صلاته قلت : ما هذا ؟! غُيِّب عنا هذه التي أراك تجهر بها فإني قد صليت مع النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا بها انتهى .

فهؤلاء ثلاثة رووا هذا الحديث عن ابن عبد اللّه بن مغفل ، عن أبيه ، وهم أبو نعامة الحنفي قيس بن عباية وقد وثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن عبد البر : هو ثقة عند جميعهم . وقال الخطيب : لا أعلم أحدًا رماه ببدعة في دينه ، ولا كذب في روايته ، وعبد اللّه بن بريدة ، وهو أشهر من أن يثنى عليه ، وأبو سفيان السعدي وهو إن تكلم فيه ولكنه يعتبر به ، ما تابعه عليه غيره من الثقات ، وهو الذي سمى ابن عبد اللّه بن مغفل : يزيد ، كما هو عند الطبراني فقط ، فقد ارتفعت الجهالة عن ابن عبد اللّه بن مغفل برواية هؤلاء الثلاثة عنه .

وقد تقدم في مسند الإمام أحمد ، عن أبي نعامة ، عن بني عبد اللّه بن مغفل ، وبنوه الذي يروي عنهم يزيد وزياد ومحمد ، والنسائي وابن حبان وغيرهما يحتجون بمثل هؤلاء مع أنهم ليسوا مشهورين بالرواية ، ولم يرو واحد منهم حديثًا منكرًا ، ليس له شاهد ولا متابع ، حتى يجرح بسببه ، وإنما رووا ما رواه غيرهم من الثقات ، فأما يزيد فهو الذي سُمي في هذا الحديث ، وأما محمد فروى له الطبراني عنه عن أبيه ؛ قال : سمعت النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، يقول : « **ما من إمام يبيت غاشًا لرعيته إلا حرم اللّه عليه الجنة** » وزياد أيضًا روى له الطبراني عنه ، عن أبيه ، مرفوعًا : « **لا تخذفوا فإنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ العدو ولكنه يكسر السن ويفقأ العين** » انتهى

وبالجملة فهذا حديث صريح في عدم الجهر بالتسمية ، وهو وإن لم يكن من أقسام الصحيح فلا ينزل عن درجة الحسن ، وقد حسنه الترمذي ، والحديث الحسن يحتج به ، لا سيما إذا تعددت شواهده ، وكثرت متابعاته ، والذين تكلموا فيه وتركوا الاحتجاج به لجهالة ابن عبد اللّه بن مغفل قد احتجوا في هذه المسألة بما هو أضعف منه ، بل احتج الخطيب بما يعلم هو أنه موضوع ، ولم يحسن البيهقي في تضعيف هذا الحديث ، إذ قال بعد أن رواه في كتاب المعرفة من حديث أبي نعامة بسنده المتقدم ومتن السنن : هذا حديث تفرد به أبو نعامة قيس بن عباية ، وأبو نعامة وابن عبد اللّه بن مغفل لم يحتج بهما صاحبا الصحيح .

فقوله : « تفرد به أبو نعامة » ، ليس بصحيح ، فقد تابعه عبد اللّه بن بريدة وأبو سفيان كما قدمناه ، وقوله : « وأبو نعامة وابن عبد اللّه بن مغفل لم يحتج بهما صاحبا الصحيح » ليس هذا لازمًا في صحة الإسناد ، ولئن سلمنا فقد قلنا : إنه حسن ، والحسن يحتج به ، وهذا الحديث مما يدل على أن ترك الجهر عندهم كان ميراثًا عن نبيهم ، صلى اللّه عليه وسلم ، يتوارثه خلفهم عن سلفهم ، وهذا وحده كاف في المسألة لأن الصلوات الجهرية دائمة صباحًا ومساءًا ، فلو كان عليه السلام يجهر بها دائمًا لما وقع فيه اختلاف ، ولا اشتباه ، ولكان معلومًا بالاضطرار ، ولما قال أنس : لم يجهر بها ، عليه السلام ، ولا خلفاؤه الراشدون ، ولا قال عبد اللّه بن مغفل ذلك أيضًا ، وسماه حدثًا ، ولما استمر عمل أهل المدينة في محراب النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، ومقامه على ترك الجهر يتوارثه آخرهم عن أولهم ، وذلك جار عندهم مجرى الصاع والمد ، بل أبلغ من ذلك ؛ لاشتراك جميع المسلمين في الصلاة ، ولأن الصلاة تتكرر كل يوم وليلة ، وكم من إنسان لا يحتاج إلى صاع ولا مد ، ومن يحتاجه يمكث مدة لا يحتاج إليه ، ولا يظن عاقل أن أكابر الصحابة والتابعين وأكثر أهل العلم كانوا يواظبون على خلاف ما كان رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم يفعله .

فصل في فضلها

قال الإمام العالم الحبر العابد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره(٨٥) : حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدّثنا زيد بن المبارك الصنعاني ، حدّثنا سلّام بن وهب الجَنَدي ، حدّثنا أبي ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ أنّ عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال : « **هو اسم من أسماء الله ، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب** » .

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه ، عن سليمان بن أحمد ، عن علي بن المبارك ، عن زيد بن المبارك ، به .

وقد روى الحافظ ابن مردويه من طريقين(٨٦) ، عن إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن مسعر ، عن عطية ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنّ عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته أمّه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال[١] له المعلم : اكتب . فقال[٢] : ما أكتب ؟ قال : باسم الله . قال له عيسى : [وما باسم][٣] الله ؟ قال المعلم : ما أدري . قال له عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته[٤] ، والله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة** » .

وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء[٥] الملقب زبريق[٦] ، عن إسماعيل بن عياش ،

(٨٥) - **موضوع** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٥ - (١٢/١) ، ورواه الخطيب في تاريخه (٣١٣/٧) ، والحاكم في المستدرك (٥٥٢/١) ، والبيهقي في الشعب (٢١٢٣ هـ) من طريق زيد بن المبارك ، به . ورواه العقيلي في ترجمة سلام بن وهب الجندي وقال : لا يتابع على حديثه ، ولا يعرف إلا به . وقال الذهبي في ترجمة سلام بن وهب في الميزان (١٨٢/٢ ت ٣٣٥٨) : « أتى بخبر منكر ، بل كذب » ثم ساق هذا الخبر .

(٨٦) - **موضوع** ، رواه ابن جرير ١٤٠ - (١٢١/١) ، وانظر ١٤٥ ، ١٤٧ - (١٢٥/١ ، ١٢٧) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٣٠٣/١) بمثل طريق ابن جرير ، وقال ابن عدي : « هذا حديث باطل الإسناد لا يرويه غير إسماعيل . وقال : إسماعيل هذا يحدث عن الثقات بالبواطيل » . ا.هـ . ومن طريقه - أي ابن عدي - أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٨٦) - وقال : موضوع ، ثم قال : ما يصنع مثل هذا الحديث إلا ملحد ، يريد شين الإسلام ، أو جاهل في غاية الجهل ، وقلة المبالاة بالدين - وأخرجه ابن حبان (١٢٦/١ - ١٢٧) وقال : إسماعيل يروي الموضوعات عن الثقات ، وما لا أصل له عن الأثبات ، لا يحل الرواية عنه ، ولا الاحتجاج به بحال .

[١] - في ز ، خ : « قال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « وما لباسم » .
[٤] - في ز ك ملكته .
[٥] - في ز : المعلى .
[٦] - في ت ، ر : ابن زبريق .

عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مليكة، عمن حدّثه، عن ابن مسعود.

ومسعر، عن عطية، عن أبي سعيد؛ [قال: قال رسول][١] اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم... فذكره. وهذا غريب جدًّا، وقد يكون صحيحًا إلى من دون رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وقد[٢] يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات، واللَّه أعلم.

وقد روى جويبر(٨٧) عن الضحاك نحوه من قِبَله.

وقد روى ابن مَرْدُوَيْه من حديث يزيد بن أبي خالد، عن سليمان بن بريدة. وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية، عن ابن[٣] بريدة، عن أبيه؛ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم؛ قال: «**أنزلت عليَّ آية لم تنزل[٤] على نبي غير سليمان بن داود وغيري، وهي بسم اللَّه الرحمن الرحيم**»(٨٨).

وروى بإسناده عن عبد الكبير[٥] بن المعافى بن عمران، عن أبيه، عن عمر بن ذرّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد اللَّه؛ قال: لما نزل ﴿**بسم اللَّه الرحمن الرحيم**﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف اللَّه تعالى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه(٨٩).

[وقال وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود؛ قال: من أراد أن ينجيه اللَّه من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿**بسم اللَّه الرحمن الرحيم**﴾ فيجعل اللَّه له من كل حرف منها جُنَّة من كل واحد. ذكره ابن عطية والقرطبي، ووجهه ابن عطية(٩٠) [ونظّره] بحديث: «**لقد**

---

(٨٧) - جويبر: متروك.

(٨٨) - عبد الكريم أبو أمية: ضعيف، قاله في التقريب.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٠٦/٩) من طريق عبد الكريم أبي أمية، عن ابن بريدة، عن أبيه، به، مرفوعًا.

ورواه الدارقطني في السنن ٢٩ - (٣١٠/١) من طريق سلمة بن صالح، عن يزيد بن أبي خالد، عن عبد الكريم أبي أمية، عن ابن بريدة نحوه، ورواه البيهقي (٦٢/١٠) وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن بريدة إلا عبد الكريم، ولا عنه إلا يزيد، تفرد به سلمة.

وسلمة هو ابن صالح: قال الذهبي: تركوه. وسيأتي قول الحافظ ابن كثير: «هذا حديث غريب، وإسناده ضعيف» عند تفسير الآية: ٣٠ من سورة النمل.

(٨٩) - وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦/١) للثعلبي في تفسيره.

(٩٠) - المحرر الوجيز لابن عطية (٥٤/١).

---

[١] - في ز، خ: «عن النبي». [٢] - سقط من: خ.

[٣] - في خ: «أبي». [٤] - في ز: ينزل.

[٥] - في ر: عبد الكريم الكبير. وفي ز: عبد الكريم. وعبد الكبير: ثقة.

رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها»⁽⁹¹⁾ . لقول الرجل: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفًا وغير ذلك][1] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده⁽⁹²⁾ : حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن عاصم؛ قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي صلى اللّه عليه وسلم، قال: عُثر بالنبي صلى اللّه عليه وسلم [ ][2] فقلت: تَعِسَ الشيطان. فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تعاظم وقال: بقوّتي صرعتُه، وإذا قلتَ: باسم اللّه، تصاغر حتى يصير مثل الذباب**». هكذا وقع في رواية الإمام أحمد.

وقد روى النسائي في اليوم والليلة⁽⁹³⁾ ، وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء، عن أبي تميمة - وهو الهجيمي[3] - عن أبي المليح بن أسامة بن عُمير، عن أبيه؛ قال: كنت رديف النبي صلى اللّه عليه وسلم فذكره، وقال: «**لا تقل هكذا، فإنه يتعاظم حتى يكون كالبيت، ولكن قل: باسم اللّه، فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة[4]**».

فهذا من تأثير بركة باسم اللّه؛ ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول، فتستحب في أول الخطبة لما جاء: «**كلُّ أمرٍ[5] لا يبدأ فيه ببسم اللّه [الرحمن الرحيم][6] فهو أجذم**»⁽⁹⁴⁾ .

(٩١) - رواه البخاري في كتاب الأذان، باب: (١٢٦) برقم (٧٩٩) من حديث رفاعة بن رافع، رضي اللّه عنه.

(٩٢) - أبو تميمة الهجيمي: هو طريف بن مجالد - قال الذهبي في الكاشف: وثق. والحديث رواه أحمد برقم ٢٠٦٤٨، ٢٠٦٤٩، ٢٠٧٤٧ - (٥٩/٥، ٧١)، (٣٦٥/٣)، وعبد الرزاق (٢٠٨٩٩/١١)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥٩/١)، والبغوي في شرح السنة (٣٥٣/١٢ - ٣٥٤)، ورواه الحاكم (٢٩٢/٤) من طريق يزيد بن زريع، عن خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن رديف النبي، صلىٰ اللّه عليه وسلم، مثله، وصححه الحاكم، وردَّه الذهبي بالمخالفة، وقد خالف وهب بن بقية؛ يزيد بن زريع في إسناده، فرواه عن خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن أبي المليح، عن رجل كان ردف النبي، صلىٰ اللّه عليه وسلم، وساق الحديث. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٣١، ١٣٢)، وعزاه لأحمد وقال: «رواه أحمد بأسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح». ورواه أبو داود من حديث خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن عامر، ويقال: عمير أبو المليح بن أسامة الهذلي، عن رجل فذكره، في كتاب الأدب، باب: (٨٥) حديث رقم (٤٩٨٢).

(٩٣) - رواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٣٨٩) ورواه من طريق ابن المبارك عن خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن أبي المليح، عن ردف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وقال النسائي: «وهو الصواب».

(٩٤) - **ضعيف جداً**، رواه بهذا اللفظ الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٢٨/٢) =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط منز، خ.
[٢] - في المسند: حمارُه.
[٣] - في خ: «الجهمي»، في ز: الجهيم.
[٤] - في خ: «كالذباب».
[٥] - في ز، خ: «خطبة».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[وتستحب البسملة عند دخول الخلاء ؛ لما ورد من الحديث في ذلك(٩٥)][١] ، وتستحب في أول الوضوء ؛ لما جاء في مسند الإمام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد

= من طريق مبشر بن إسماعيل ، عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٩٥) - روي من حديث علي ، وأنس ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، رضي الله عنهم ، أما حديث علي ، فقد رواه الترمذي في كتاب الصلاة ، باب : ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء برقم (٦٠٦) ، وابن ماجه في الطهارة وسننها ، باب : ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء - كلاهما من طريق محمد بن حميد الرازي ، حدثنا الحكم بن بشير بن سليمان ، ثنا خلاد الصفار ، عن الحكم بن عبد الله النصري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جحيفة ، عن علي ، رضي الله عنه ، مرفوعًا بلفظ : « **ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول : بسم الله** » . وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بذاك القوي . وقال : وقد رُوي عن أنس ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أشياء غير هذا . قال الألباني : وله ثلاث علل - أي حديث علي - : الأولى : عنعنة أبي إسحاق ، واختلاطه . الثانية : الحكم بن عبد الله النصري : فإنه مجهول الحال . الثالثة : محمد بن حميد الرازي فإنه وإن كان موصوفاً بالحفظ فهو مطعون فيه حتى كذبه بعضهم كأبي زرعة وغيره ، وأشار البخاري لتضعيفه جداً بقوله : فيه نظر . اهـ باختصار (الإرواء ٨٨/١ - ٨٩) .

وحديث أنس - الذي أشار إليه الترمذي - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٥/١) بلفظ : « **ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا وضعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله** » . وقال : رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٦٦) بإسنادين أحدهما فيه سعيد بن مسلمة الأموي ، ضعفه البخاري وغيره ، ووثقه ابن حبان وابن عدي ، وبقية رجاله موثقون . وأخرجه ابن السني (ص ٨) . وأخرجه ابن عدي (٣٨٠/٣) .

ولابن أبي شيبة عن أنس : كان إذا دخل الكنيف قال : « بسم الله ، اللَّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث .

وأخرج ابن السني (ص ٨) عن أنس ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : « **هذه الحشوش محتضرة ، فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل : بسم الله** » .

وروى أحمد بن منيع في مسنده - كما عزاه له ابن حجر في المطالب العالية (٤٠) ، والبوصيري في الإتحاف - من حديث محمد بن الفضل بن عطية ، عن زيد العمي ، عن جعفر العبدي ، عن أبي سعيد الخدري : « **سترة ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا وضع الرجل ثوبه أن يقول : بسم الله** » . وقال ابن حجر : محمد ضعيف . وقد خالفه سعيد بن مسلمة ، عن الأعمش ، عن زيد العمي ، عن أنس أخرجه ابن عدي في الكامل (٣٨٠/٣) ، والطبراني في الدعوات (٣٦٨/٢) ، والأوسط (٧٠٦٦) وأما البوصيري فقال : قلت : زيد العمي ضعيف .

وروى ابن السني - كما في الكنز ١٧٦٠ - (٨٤/٥) - من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « **هذه الحشوش محتضرة فإذا دخل أحدكم فليقل : بسم الله** .

وعن أبي العالية قال : ستر بين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل : بسم الله . أخرجه سعيد بن منصور - كما في الكنز ٢٥٩٣ - (١٢٦/٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.

مرفوعًا: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»(٩٦) . وهو حديث حسن.

---

(٩٦) – حديث أبي هريرة رواه الإمام أحمد : (٤١٨/٢) . وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب : التسمية على الوضوء (رقم : ١٠١) . وفي العلل الكبير للترمذي : باب : ١٢ – في التسمية عند الوضوء . وابن ماجه : كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية على الوضوء (١ / ١٤٠/ رقم : ٣٩٩) . والدارقطني : (١ / ٧٩) . والحاكم : (١ / ١٤٦) . والبيهقي : (٤١/١) . من طريق محمد بن موسى المخزومي ، عن يعقوب بن سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بلفظ : « **لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه** » . قال ابن حجر : ورواه الحاكم من هذا الوجه ، فقال : يعقوب بن أبي سلمة ، وادعى أنه الماجشون وصححه لذلك ، والصواب أنه الليثي ، قال البخاري : لا يعرف له سماع من أبيه ، ولا لأبيه من أبي هريرة ، وأبوه ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ وهذه عبارة عن ضعفه ؛ فإنه قليل الحديث جدًّا ، ولم يروِ عنه سوى ولده ؛ فإذا كان يخطيء مع قلة ما روى ، فكيف يوصف بكونه ثقة ! . قال ابن الصلاح : انقلب إسناده على الحاكم ، فلا يحتج لثبوته بتخريجه له . وتبعه النووي ، وقال ابن دقيق العيد : لو سلم للحاكم أنه يعقوب بن أبي سلمة الماجشون ، واسم أبي سلمة : دينار ، فيحتاج إلى معرفة حال أبي سلمة ، وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال ، فلا يكون أيضًا صحيحًا .

قال في البدر المنير : وحاصل ما يعلل به هذا الحديث : الضعف والانقطاع ؛ أما الضعف : فيعقوب بن سلمة لا أعرف حاله ، وقال الذهبي في الميزان (٢٥٢/٤) : شيخ ، ليس بعمدة . وأما أبوه : فلم يعرف حاله المزي ، ولا الذهبي ، وإنما قال في الميزان : لم يرو عنه غير ولده . وأما الانقطاع : فقال الترمذي في علله : سألت محمدًا – يعني البخاري – عن هذا الحديث فقال : محمد بن موسى المخزومي : لا بأس به مقارب الحديث ، ويعقوب بن سلمة المدني لا يعرف له سماع من أبيه ، ولا يعرف لأبيه سماع من أبي هريرة .

قال : وأغرب ابن الجوزي فقال في كتابه التحقيق : هذا حديث جيد . ا هـ من البدر .

قال ابن حجر : وله طريق أخرى عند الدارقطني (٧١/١) ، والبيهقي (٤٤/١) من طريق محمود بن محمد الظفري ، عن أيوب بن النجار ، عن يحيى ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة بلفظ : « **ما توضأ من لم يذكر اسم الله عليه ، وما صلى من لم يتوضأ** » ومحمود ليس بالقوي ، وأيوب قد سمعه يحيى بن معين يقول : لم أسمع من يحيى بن أبي كثير إلا حديثًا واحدًا : « **التقى آدم وموسى ...**» .

وقد ورد الأمر بذلك من حديث أبي هريرة ، ففي الأوسط للطبراني – : (رقم : ٤٠١) من مجمع البحرين – من طريق عليّ بن ثابت ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **يا أبا هريرة ؛ إذا توضأت فقل : باسم الله والحمد لله ، فإن حَفَظَتَك لا تزال تكتب لك الحسنات ، حتى تحدث من ذلك الوضوء** » ، قال : تفرد به عمرو بن أبي سلمة ، عن إبراهيم بن محمد ، عنه ، وفيه أيضًا (٢ / ل ٢٨٤) كما هو في مجمع البحرين (رقم : ٤٠٠) من طريق الأعرج ، عن أبي هريرة رفعه : « **إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ، ويسمي قبل أن يدخلها** » ، تفرد بهذه الزيادة عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة ، وهو متروك ، عن هشام بن عروة ، عن أبي الزناد ، عنه .

أما حديث سعيد بن زيد : فسئل أحمد عن حديث سعيد بن زيد فقال : لا يثبت . (الضعفاء للعقيلي ١/ ١٧٧) . وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٣٧/١) : هذا حديث لا يثبت عن رسول الله =

ومن العلماء من أوجبها عند الذكر هاهنا ، ومنهم من قال بوجوبها مطلقًا ، وكذا تستحب عند

= صلى اللّٰهلله عليه وسلم . وقال البخاري : أبو ثفال المري ؛ عن رباح بن عبد الرحمن : في حديثه نظر .
وقال الترمذي : قال البخاري : أحسن شيء في هذا الباب : هذا الحديث .

والحديث رواه الترمذي أبواب الطهارة ، باب : ما جاء في التسمية عند الوضوء (رقم : ٢٥) . والبزار ، وأحمد (٧٠/٤) ، وابن ماجة كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية في الوضوء (رقم : ٣٩٨) ، والدارقطني (١ / ٧٢ ، ٧٣) ، والعقيلي (١ / ١٧٧) ترجمة : ثمامة بن حصين الشاعر ، والحاكم (٤ / ٦٠) . من طريق عبد الرحمن بن حرملة ، عن أبي ثفال ، عن رباح بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب ، عن جدته ، عن أبيها ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : ... فذكره . لفظ الترمذي قال : وقال محمد : أحسن شيء في هذا الباب حديث رباح ، ولابن ماجة بزيادة « **لا صلاة لمن لا وضوء له** » وصرح العقيلي ، والحاكم بسماع بعضهم من بعض ، وزاد « **ولا يؤمن بالله من لا يؤمن بي ، ولا يؤمن بي من لا يحب الأنصار** » وزاد الحاكم في روايته : حدثتني جدتي أسماء بنت سعيد بن زيد بن عمرو ، أنها سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ... فأسقط منه ذكر أبيها ، وقال الدارقطني في العلل : اختلف فيه ، فقال وهيب ، وبشر بن المفضل ، وغير واحد هكذا ، وقال حفص ابن ميسرة ، وأبو معشر ، وإسحاق بن حازم : عن ابن حرملة ، عن أبي ثفال ، عن رباح ، عن جدته : أنها سمعت ... ولم يذكروا أباها ، ورواه الدراوردي ، عن أبي ثفال ، عن رباح ، عن ابن ثوبان مرسلاً ، ورواه صدقة مولى آل الزبير ، عن أبي ثفال ، عن أبي بكر بن حويطب مرسلًا ، وأبو بكر بن حويطب هو رباح المذكور ، قاله الترمذي . قال الدارقطني : والصحيح قول وهيب وبشر بن المفضل ومن تابعهما . وفي المختارة للضياء من مسند الهيثم بن كليب من طريق وهيب ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، سمع أبا غالب سمعت رباح بن عبد الرحمن ، حدثتني جدتي : أنها سمعت أباها ... كذا قال . قال الضياء : المعروف أبو ثفال ، بدل أبي غالب ، وهو كما قال . وصحح أبو حاتم وأبو زرعة في العلل روايتهما أيضًا ، بالنسبة إلى من خالفهما ، لكن قالا : إن الحديث ليس بصحيح ؛ أبو ثفال ورباح مجهولان ، وزاد ابن القطان : أن جدة رباح أيضًا لا يعرف اسمها ، ولا حالها .كذا قال . فأما هي فقد عرف اسمها من رواية الحاكم ، ورواه البيهقي أيضًا مصرحًا باسمها . وأما حالها فقد ذكرت في الصحابة ، وإن لم يثبت لها صحبة فمثلها لا يسأل عن حالها . وأما أبو ثفال فروى عنه جماعة ، وقال البخاري : في حديثه نظر . وهذه عادته فيمن يضعفه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، إلا أنه قال : لست بالمعتمد على ما تفرد به . فكأنه لم يوثقه . وأما رباح فمجهول ، قال ابن القطان : فالحديث ضعيف جدًا . وقال البزار : أبو ثفال مشهور ، ورباح وجدته لا نعلمهما رويا إلا هذا الحديث ، ولا حدث عن رباح إلا أبو ثفال ، فالخبر من جهة النقل لا يثبت .

أما حديث أبي سعيد : فرواه أحمد (٣ / ٤١) ، والدارمي (١ / ١٨٧ / رقم : ٦٩١) ، والترمذي في العلل باب : ١٢ / باب في التسمية عند الوضوء . وابن ماجه كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية في الوضوء (رقم : ٣٩٧) ، وابن عدي (٦ / ٦٧) ترجمة : كثير بن زيد . وابن السكن والبزار ، والدارقطني (١ / ٧١) ، والحاكم (١ / ١٤٧) ، والبيهقي (١ / ٤٣) ، من طريق كثير بن زيد ، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، بلفظ حديث الباب ، وزعم ابن عدي أن زيد بن الحباب تفرد به عن كثير ، وليس كذلك ، فقد رواه الدارقطني (١ / ٧١) من حديث أبي عامر العقدي ، وابن ماجه كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في التسمية في الوضوء (رقم : ٣٩٧) . من حديث =

الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر، ومطلقًا في قول بعضهم، كما سيأتي بيانه في موضعه [إن شاء الله.

وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث، منها: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**إذا أتيتَ أهلك فسمِّ الله، فإنه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسناتٌ**». وهذا لا أصل له، ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها][١].

وهكذا تستحب عند الأكل؛ لما في صحيح مسلم؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال لربيبه عُمر بن أبي سلمة: «**قل: باسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»(٩٧).

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه، وكذلك تستحب عند الجماع؛ لما في الصحيحين(٩٨) عن ابن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**لو أن أحدهم[٢] [إذا أراد أن يأتي][٣] أهله قال: باسم الله، اللهم، جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا**».

ومن هاهنا ينكشف لك أن القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء - في قولك: ﴿**باسم الله**﴾ هل هو اسم أو فعل - متقاربان، وكلٌّ قد ورد به القرآن، أما من قدره باسم، تقديره (باسم الله) ابتدائي فلقوله[٤] تعالى: ﴿**وقال: اركبوا فيها بسم الله مجريها[٥] ومرساها**

= أبي أحمد الزبيري، وأما حال كثير بن زيد، فقال ابن معين: ليس بالقوي. وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين. وقال أبو حاتم: صالح الحديث ليس بالقوي يكتب حديثه. ورُبيح؛ قال أبو حاتم: شيخ، وقال الترمذي عن البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: ليس بالمعروف، وقال المروزي: لم يصححه أحمد، وقال: ليس فيه شيء يثبت. وقال البزار: روى عنه فُليح بن سليمان، وكثير بن زيد، وكثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، وكل ما روي في هذا الباب فليس بقوي، ثم ذكر أنه روى عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة، وقال العقيلي: الأسانيد في هذا الباب فيها لين. وقد قال أحمد بن حنبل: إنه أحسن شيء في هذا الباب. وقال السعدي: سئل أحمد عن التسمية، فقال: لا أعلم فيه حديثًا صحيحًا، أقوى شيء فيه حديث كثير بن زيد، عن رُبيح، وقال إسحاق بن راهويه: هو أصح ما في الباب.

(٩٧) - رواه مسلم في كتاب الأشربة برقم ١٠٨ - (٢٠٢٢)، ولفظه: «**يا غلام! كل بيمينك، وكل مما يليك**»، وهو عند البخاري في الأطعمة، باب: التسمية على الطعام، والأكل باليمين برقم (٥٣٧٦).

(٩٨) - رواه البخاري في الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع برقم (١٤١). ومسلم في كتاب النكاح برقم ١١٦ - (١٤٣٤).

[١] - سقط من ز، خ.
[٢] - في خ: أحدكم.
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «أتي».
[٤] - في خ: «فكقوله».
[٥] - في خ: «مجراها».

إن ربي لغفور رحيم﴾ . ومن قدره بالفعل [أمرًا أو خبرًا نحو : ابدأ باسم الله ، أو ابتدأت باسم الله][١] ، فلقوله تعالى : **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾** وكلاهما صحيح ؛ فإن الفعل لابد له من مصدر ، فلك أن تقدر الفعل ومصدره ، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله ، إن كان قيامًا أو قعودًا ، أو أكلاً أو شربًا ، أو قراءة أو وضوءًا أو صلاة ، فالمشروع ذكر اسم[٢] الله في الشروع في ذلك كله تبركًا وتيمُّنًا واستعانة على الإتمام والتقبل ، والله أعلم .

ولهذا روى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إن أول ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا محمد ؛ قل : أستعيذ بالله[٣] السميع[٤] العليم من الشيطان الرجيم . ثم قال : قل : **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** . قال : قال له جبريل : قل[٥] باسم الله يا محمد . يقول : اقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله تعالى . لفظ ابن جرير(٩٩) .

وأمّا مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال : [أحدها : أنّ الاسم هو المسمى ، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه ، واختاره الباقلاني وابن فورك ، وقال الرازي – وهو محمد ابن عمر المعروف بابن خطيب الري – في مقدّمات تفسيره : قالت الحشوية والكرامية والأشعرية : الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية . وقالت المعتزلة : الاسم غير المسمى و غير التسمية . والمختار عندنا أنّ الاسم غير المسمى وغير التسمية ، ثم نقول : إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة ، فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى ، وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى ، فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث ، فثبت أنّ الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث .

ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجودًا والمسمى مفقودًا ، كلفظة المعدوم ، وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعدّدة كالمترادفة ، وقد يكون الاسم واحدًا والمسميات متعدّدة ، كالمشترك ، وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى ، وأيضًا فالاسم لفظ وهو عرض ، والمسمى قد يكون ذاتًا ممكنة أو واجبة بذاتها ، وأيضًا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوَجد اللافظ بذلك حرَّ النار أو بردَ الثلج ونحو ذلك ، ولا يقوله عاقل ، وأيضًا فقد قال الله تعالى : **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إنّ لله تسعة وتسعين**

---

(٩٩) – **في سنده ضعف وانقطاع** ، والحديث في تفسير ابن جرير ١٣٩ – (١١٧/١) ، وابن أبي حاتم ٦ – (١٣/١) وبشر بن عمارة تقدمت ترجمته برقم (٥٩) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – سقط من : ز ، خ .
[٣] – سقط من : ز ، خ . [٤] – في ز ، خ : « بالسميع » .
[٥] – سقط من : ز ، خ .

اسمًا » . فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو اللَّه تعالى ، وأيضًا فقوله : ﴿ **وللَّه الأسماء** ﴾ أضافها إليه كما قال : ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ ونحو ذلك فالإضافة تقتضي المغايرة ، وقوله تعالى : ﴿ **فادعوه بها** ﴾ أي فادعوا اللَّه بأسمائه ، وذلك دليل على أنها غيره ، واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالى : ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ والمتبارك هو اللَّه تعالى ، والجواب أنّ الاسم معظم لتعظيم الذات المقدّسة ، وأيضًا فإذا قال الرجل : زينب طالق . يعني : امرأته ؛ طلقت ، ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق .

والجواب أن المراد أنّ الذات المسماة بهذا الاسم طالق .

قال الرازي : وأمّا التسمية فإنها جعل الاسم معينًا لهذه الذات فهي غير الاسم أيضًا ، واللَّه أعلم][١] .

﴿ **اللَّه** ﴾ عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى ، يقال : إنه الاسم الأعظم ؛ لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى : ﴿ **هو اللَّه الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو اللَّه الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان اللَّه عما يشركون * هو اللَّه الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى * يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ . فأجرىٰ الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى : ﴿ **وللَّه الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل ادعوا اللَّه أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾.

وفي الصحيحين(١٠٠) عن أبي هريرة ؛ أنّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **إنّ للَّه تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة** » .

[وجاء تعدادها في رواية الترمذي وابن ماجة(١٠١) ، وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان ، وقد

---

(١٠٠) – رواه البخاري في كتاب الشروط ، باب : ما يجوز من الاشتراط ، وفي الدعوات ، باب : للَّه مائة اسم غير واحدة ، وفي التوحيد ، باب : إن للَّه مائة اسم إلا واحدة برقم (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢) ، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم ٦ – (٢٦٧٧) .

(١٠١) – رواه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : أسماء اللَّه الحسنى بالتفصيل برقم (٣٥٠٢) ، رواه عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، حدثني صفوان بن صالح ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، به . وقال : هذا حديث غريب . حدثنا به غير واحدٍ ، عن صفوان بن صالح ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث . قال : وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسنادٍ غير هذا عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح . =

---

[١] – بياض في ز ، خ ، وكتب ناسخ ز : كذا بالأصل .

ذكر الرازي في تفسيره عن بعضهم أنّ للّه خمسة آلاف اسم، ألف في الكتاب والسنة الصحيحة، وألف في التوراة، وألف في الإنجيل، وألف في الزبور، وألف في اللوح المحفوظ][١].

وهو اسم لم يُسَمَّ به غيره تبارك وتعالى؛ ولهذا لا يعرف في كلام العرب له[٢] اشتقاق من فعل

= ورواه البغوي (١٢٥٧) من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم.

ورواه الحاكم (١٦/١) من حديث موسى بن أيوب النصيبي، وصفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم.

ورواه البيهقي (٢٧/١٠) من طريق جعفر بن محمد الفريابي، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، ثنا شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. وفي الأسماء والصفات.

والحديث رواه ابن حبان في صحيحه ٨٠٨ - (٣/٨٨ - ٩٠) من ثلاث طرق، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم.

وقال الحاكم: هذا حديث قد خرجاه في الصحيحن بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه والعلة فيه عنهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله، وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره، وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ، وأعلم وأجل من أبي اليمان، وبشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وأقرانهم من أصحاب شعيب.

ثم نظرنا فوجدنا الحديث قد رواه عبد العزيز بن الحصين، عن أيوب السختياني وهشام بن حسان جميعاً عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم بطوله.

ورواه ابن ماجة في الدعاء، باب: أسماء اللّه عز وجل برقم (٣٨٦١). عن هشام بن عمار، ثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني، ثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي، ثنا موسى بن عقبة، حدثني عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة فذكره.

ورواه الحاكم (١٦/١) من طريق خالد بن مخلد، عن عبد العزيز بن حصين بن الترجمان، ثنا أيوب السختياني، وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة. وقال الحاكم: فيه عبد العزيز بن الحصين، وهو ثقة. قال الذهبي: بل ضعفوه.

وقال البوصيري في الزوائد (٢٠٧/٣): لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء اللّه الحسنى من حديث أبي هريرة، ولا من غيره سوى ابن ماجه والترمذي لكن طريق الترمذي بغير هذا السياق، وبزيادة ونقص وتقديم وتأخير، وطريق الترمذي أصح شيء في هذا الباب، قلت - البوصيري -: رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة أيضاً، وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف؛ لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني. اهـ كلامه.

وأما طريق الحاكم ففيها عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، قال البخاري: ليس بالقوي عندهم. وقال ابن معين: ضعيف. وقال مسلم: ذاهب الحديث. وقال ابن عدي: الضعف على روايته بين. وأورد له العقيلي في الضعفاء حديث الأسماء، وقال: لا يتابع عليه وفيه لين، واضطراب. وقال الآجري: سألت أبا داود عنه فقال: متروك الحديث. وقال البغوي: ضعيف الحديث. وضعفه علي بن المديني جداً،=

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - سقط من ز.

يفعل[١] ، فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له ، [وقد نقله القرطبي(١٠٢) عن جماعة من العلماء ، منهم : الشافعي ، والخطابي ، وإمام الحرمين ، والغزالي ، وغيرهم . ورُوي عن الخليل وسيبويه أنّ الألف واللام فيه لازمة ، قال الخطابي : ألا ترى أنك تقول : ياالله ، ولا تقول : يا الرحمن ، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام][٢] ، وقيل : إنه مشتق . واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج :

لله درّ الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي(١٠٣)

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر ، وهو التأله من أله يأله إلاهة وتألهًا ، كما روي [عن ابن عباس أنه][٣] قرأ : (ويذرك وإلاهتك) قال : عبادتك . أي أنه كان يُعبد ولا يَعبد ، وكذا قال مجاهد وغيره ، [وقد استدل بعضهم على كونه مشتقًا بقوله تعالى : ﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض**﴾ كما قال تعالى : ﴿**وهو الذى في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ ونقل سيبويه عن الخليل أنّ أصله إلاه مثل فعال ، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة . قال سيبويه : مثل الناس أصله أناس . وقيل : أصل الكلمة لاه ، فدخلت الألف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه . قال الشاعر :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني(١٠٤)

قال القرطبي : بالخاء المعجمة ؛ أي فتسوسني .

وقال الكسائي والفرّاء : أصله الإله ، حذفوا الهمزة ، وأدغموا اللام الأولى في الثانية ، كما قال : ﴿**لكنا هو الله ربي**﴾ أي : لكن أنا ، وقد قرأها كذلك الحسن .

قال القرطبي : ثم قيل : هو مشتق من وله إذا تحير . والوله : ذهاب العقل ، يقال : رجل واله وامرأة ولهى [وماء موله][٤] ، إذا أرسل في الصحراء ، فالله تعالى يحير أولئك في الفكر في حقائق صفاته ، فعلى هذا يكون [أصل إلاه][٥] ولاه فأبدلت الواو همزة ، كما قالوا في وشاح :

= وقال النسائي في التمييز : ليس بثقة . ولا يكتب حديثه . قال ابن حجر : وأعجب من كل ما تقدم أن الحاكم أخرج له في المستدرك وقال : إنه ثقة . (الميزان ٦٢٧/٢ ، اللسان ٢٨/٤ ، ٢٩) .

(١٠٢) - تفسير القرطبي (١٠٣/١) .

(١٠٣) - البيت في اللسان ، مادة « مده » وفي تفسير ابن جرير (١٢٣/١) .

(١٠٤) - البيت لذي الإصبع العدواني ، وهو من شواهد ابن عقيل على شرح الألفية برقم (٢٠٨) ، ولسان العرب ، مادة « ل و ه » .

---

[١] - في خ : « تفعل » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : أن ابن عباس قرأ .

[٤] - في ر : مولوهة .

[٥] - زيادة من القرطبي .

إشاح ووسادة إسادة .

وقال الرازي : وقيل : إنه مشتق من ألهت إلى فلان ، أي : سكنت إليه ، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره ، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته ؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره ، قال الله تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ قال : وقيل : من لاه يلوه إذا احتجب .

وقيل : اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمّه ، والمعنى أن العباد مألوهون[١] مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال . قال : وقيل : مشتق من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به ، فألهه أي أجاره ، فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾ وهو المنعم لقوله تعالى : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ وهو المطعم لقوله تعالى : ﴿ **وهو يُطْعِم ولا يُطْعَم** ﴾ وهو الموجد ؛ لقوله تعالى : ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق ألبتة ، قال : وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء .

ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه ؛ منها : أنه لو كان مشتقًا لاشترك في معناه كثيرون .

ومنها : أن بقية الأسماء تذكر صفات له ، فتقول : الله الرحمن الرحيم الملك القدوس . فدل على أنه ليس بمشتق ، قال : فأما قوله تعالى : ﴿ **العزيز الحميد الله** ﴾ على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **هل تعلم له سميًا** ﴾ وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتق نظر ، والله أعلم

وحكى الرازي عن بعضهم أن اسم الله تعالى عبراني لا عربي ، ثم ضعفه وهو حقيق بالتضعيف كما قال ، وقد حكى الرازي هذا القول ثم قال : واعلم أن الخلائق قسمان ؛ واصلون إلى ساحل بحر المعرفة ، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة ، فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم ، وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور ، وفسحة الكبرياء والجلال ، فتاهوا في ميادين الصمدية ، وبادوا في عرصة الفردانية ، فثبت أن الخلائق كلّهم والهون في معرفته ، ورُوي عن الخليل بن أحمد أنه قال : لأن الخلق يألهون إليه بفتح اللام وكسرها لغتان .

وقيل : إنه مشتق من الارتفاع ، فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع : لاها . وكانوا يقولون : إذا طلعت الشمس : لاهت . وقيل : إنه مشتق من أله الرجل إذا تعبد ، وتأله إذا تنسك . وقرأ ابن عباس ﴿ **ويذرك وإلاهتك** ﴾][٢] وأصل ذلك الإله فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة ، فالتقت اللام التي هي[٣] عينها مع اللام الزائدة في أولها للتعريف ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، فصارتا

---

[١] - في اللسان : مولهون .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - سقط من : ز ، خ .

في اللفظ لامًا واحدة مشدّدة، وفخمت تعظيمًا فقيل: اللّٰه.

﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة. ورحمن أشدّ مبالغة من رحيم، [وفي كلام ابن جرير][١] ما يفهم منه[٢] حكاية الاتفاق على هذا، وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك، كما تقدّم في الأثر عن عيسى - عليه السلام - أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة.

[وزعم بعضهم أنه غير مشتق؛ إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم وقد قال: ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيمًا** ﴾ وحكى ابن الأنبارى في الزاهر عن المبرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي، وقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن: وقال أحمد بن يحيى: الرحيم عربي والرحمن عبراني؛ فلهذا جمع بينهما.

قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوب عنه.

وقال القرطبي: والدليل على أنه مشتق ما خرّجه الترمذي(١٠٥) وصححه عن عبد الرحمن ابن عوف - رضي اللّٰه عنه - أنه سمع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم يقول: «**قال اللّٰه تعالى أنا الرحمن، خلقت الرَّحِم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**».

قال: وهذا نصٌّ في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق. قال: وإنكار العرب لاسم الرحمن

(١٠٥) - رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في قطيعة الرحم برقم (١٩٠٧) من طريق سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف، رضي اللّٰه عنه، وقال الترمذي: حديث سفيان، عن الزهري، حديث صحيح، وروى معمر هذا الحديث، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن رداد الليثي، عن عبد الرحمن بن عوف - ومعمر، كذا يقول البخاري: وحديث معمر خطأ. وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي سعيد، وابن أبي أوفى، وعامر بن ربيعة، وأبي هريرة، وجبير بن مطعم.

ورواه أبو داود في الزكاة، باب: صلة الرحم حديث (١٦٩٤).

والطريق الأول: اختلف في سماع أبي سلمة بن عبد الرحمن من أبيه، والصحيح أنه لم يسمع كما قال يحيى ابن معين، والبخاري (العلائي ص ٢١٣).

والطريق الثاني: رداد الليثي: لم يروه عنه إلا أبو سلمة، ولم يوثقه معتبر.

ورواه أحمد (١٩١/١) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن إبراهيم بن عبد اللّٰه بن قارظ أن أباه حدثه أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف ....

قال ابن حجر: وللمتن متابع، رواه أبو يعلى بسند صحيح من طريق عبد اللّٰه بن قارظ، عن عبد الرحمن بن عوف من غير ذكر أبي الرداد فيه، وأخرجه أحمد (٤٩٨/٢) من حديث أبي هريرة بسند حسن.

[١] - في خ: وفي كلامه - أي ابن جرير. [٢] - سقط من: خ.

لجهلهم بالله وبما وجب له .

قال القرطبى : ثم قيل : هما بمعنى واحد كندمان ونديم . قاله أبو عبيد ، وقيل : ليس بناء فعلان كفعيل ؛ فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك : رجل غضبان للرجل الممتلئ غضبًا ، وفعيل قد يكون بمعنىٰ الفاعل والمفعول .

قال أبو علي الفارسي : الرحمن اسم عام فى جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى ، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيمًا** ﴾ .

وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر . أى أكثر رحمة ، ثم حكى عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة ، وقالوا : لعله أرفق كما فى الحديث : « **إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ، وإنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف** »(١٠٦) .

وقال ابن المبارك : الرحمن إذا سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يسأل يغضب . وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبى صالح الفارسي الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من لم يسأل الله يغضب عليه** »(١٠٧) .

---

(١٠٦) - رواه مسلم في البر والصلة ، والآداب برقم ٧٧ - (٢٥٩٣) من حديث عائشة ، رضي الله عنها ، ورواه أبو داود في الأدب ، باب : في الرفق برقم (٤٨٠٧) من حديث عبد الله بن مغفل ، رضي الله عنه . ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة (٣٦٨٨) .

(١٠٧) - رواه الترمذي في الدعوات ، باب : من لم يسأل الله يغضب عليه ، برقم (٣٣٧٣) ، وابن ماجة في الدعاء ، باب : فضل الدعاء برقم (٣٨٢٧) .

وأخرجه أحمد ٩٦٩٩ ، ٩٧١٧ ، ١٠١٨١ - (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣ ، ٤٧٧) من حديث مروان الفزاري ووكيع عن أبي المليح - صبيح - عن أبي صالح .

والبخاري في الأدب (٦٥٨) والبزار والحاكم (٤٩١/١) كلهم من طريق أبي صالح الخوزي - بضم الخاء المعجمة وسكون الواو ثم زاي - عن أبي هريرة . وقال الترمذي : وقد روى وكيع وغير واحد عن أبي المليح هذا الحديث ولا نعرفه إلا من هذا الوجه . وأبو المليح اسمه صبيح . سمعت محمداً يقول وقال : يقال له الفارسي .

ورواه أحمد ٩٧١٧ ، ١٠١٨١ - (٤٤٣/٢ ، ٤٧٧) ، وابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب : فضل الدعاء برقم (٣٨٢٧) بلفظ : من لم يدعُ الله ... .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٥/١١) : « وهذا الخوزى مختلف فيه ، ضعفه ابن معين ، وقواه أبو زرعة ، وظن الحافظ ابن كثير - [سورة غافر آية ٦٠](*) - أنه أبو صالح السمان فجزم بأن أحمد تفرد بتخريجه ، وليس كما قال ، فقد جزم شيخه المزي في الأطراف بما قلته . ووقع في رواية البزار والحاكم عن أبي صالح الخوزي سمعت أبا هريرة .

(*) - قال الحافظ ابن كثير [في سورة غافر آية ٦٠] : تفرد به أحمد ، وهذا إسناد لا بأس به . =

وقال بعض الشعراء

لا تطلبن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تغلق
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب(١٠٨)[١]

وقال ابن جرير(١٠٩) : حدّثنا السري بن يحيىٰ التميمي ، حدّثنا عثمان بن زفر ، سمعت العرزمي يقول : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : ﴿ الرحمن ﴾ لجميع الخلق ، ﴿ الرحيم ﴾ قال : بالمؤمنين .

قالوا : ولهذا قال : ﴿ ثم استوىٰ على العرش الرحمن ﴾ ، وقال : ﴿ الرحمن على العرش استوىٰ ﴾ فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [فخصهم باسمه الرحيم][٢] ، قالوا : فدلّ على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه ، والرحيم خاصة بالمؤمنين .

لكن جاء في الدعاء المأثور: « رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما »(١١٠) . [واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يُسَمَّ به غيره ، كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ ولما تجهر مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة ، كساه الله جلباب الكذب وشهره به ، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب ، فصار يُضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر ، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب][٣] .

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن ؛ لأنه أكد به ، والمؤكِّد[٤] لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد . والجواب : أن هذا ليس من باب التوكيد ، وإنما هو من باب النعت ، ولا يلزم فيه

= ولم أره ذكر أن أبا صالح هو السمان بل قال : وأبو صالح هذا هو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البزار في مسنده .

(١٠٨) - ذكره القرطبي في التفسير (١٠٦/١) غير منسوب .

(١٠٩) - الأثر في تفسير ابن جرير ١٤٦ - (١٢٧/١) .

(١١٠) - دعاء : « رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما » رواه الحاكم (٥١٥/١) وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : قلت : الحكم ليس بثقة . وقال الحافظ المنذري في الترغيب (٦١٦/٢) : رواه البزار (٣١٧٧/٤) ، والحاكم والأصبهاني في الترغيب (١٢٤٥) ، والطبراني في الدعاء (١٠٤١) ، والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٧١ ، ١٧٢) كلهم من طريق الحكم بن عبد الله الأيلي . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . قال المنذري : كيف والحكم متروك متهم ؟! . والقاسم مع ما قيل فيه لم يسمع من عائشة - كذا قال - وقد جاء مصرحاً في المستدرك أنه ابن محمد وليس فيه كلام ، وهو كثير الرواية عن عائشة . وأورد الهيثمي (١٨٦/١٠) فقال : فيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز ، خ : « والتأكيد » .

ما ذكروه، وعلى هذا فيكون تقدير[١] اسم اللّٰه الذي لم يسم به[٢] أحد غيره، ووصفه أولًا بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره، كما قال تعالى: ﴿**قل ادعوا اللّٰه أو ادعوا الرحمن أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾. وإنما تجمهر مسيلمة اليمامة في التسمي به، ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلالة[٣].

وأما الرحيم فإنه [تعالى وصف][٤] به غيره، حيث قال: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾. كما وصف غيره بغير ذلك من أسمائه [كما قال تعالى][٥]: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا**﴾. والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيرُه، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم[٦] اللّٰه والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك، فلهذا بدأ باسم اللّٰه ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف[٧] الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص.

فإن قيل: فإذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفي به عن الرحيم؟. فقد روي عن عطاء الخراساني ما معناه، أنه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن، جيء بلفظ الرحيم ليقطع التوهم بذلك، فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا اللّٰه تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء، ووجَّهَه بذلك واللّٰه أعلم.

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن، حتى رد اللّٰه عليهم ذلك بقوله: ﴿**قل: ادعوا اللّٰه أو ادعوا الرحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾؛ ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية، لما قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم لعلي: «**اكتب «بسم اللّٰه الرحمن الرحيم»** فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم. رواه البخاري(١١١).

وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. وقال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورًا**﴾. والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعنّت في كفرهم؛ فإنه[٨] قد[٩] وجد في [أشعارهم في][١٠] الجاهلية تسمية اللّٰه تعالى بالرحمن.

---

(١١١) - رواه البخاري في كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد ... برقم (٢٧٣١،٢٧٣٢).

---

[١] - في ز: تقديم.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - في ز: الضلال.
[٤] - في خ: «وصف تعالى».
[٥] - في ز، خ: في «قوله».
[٦] - في ز ،خ: كاسمه.
[٧] - في ز، خ: بأشهر.
[٨] - في ز، خ: «وإنه».
[٩] - سقط من: ز، خ.
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز، خ: «أشعار».

قال ابن جرير: وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمن ربي يمينها(١١٢)

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عَجِلْتُم علينا عَجْلَتَيْنا[١] عليكم وما يشأِ الرحمنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ(١١٣)

وقال ابن جرير(١١٤): حدّثنا أبو كريب، حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا بشر بن عمارة، حدّثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد اللَّه بن عباس قال: الرحمن: الفعلان من الرحمة، هو من كلام العرب. وقال ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ الرفيق الرقيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماؤه كلها.

وقال ابن جرير(١١٥) أيضًا[٢]: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا حماد بن مسعدة، عن عوف عن الحسن قال: الرحمن اسم ممنوع.

وقال ابن أبي حاتم(١١٦): حدّثنا أبو سعيد بن[٣] يحيى بن سعيد القطان، حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثني أبو الأشهب، عن الحسن قال: [الرحمن] اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى.

[وقد جاء في حديث أم سلمة(١١٧) أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان يقطع قراءته حرفًا حرفًا ﴿**بسم اللَّه الرحمن الرحيم* الحمد للَّه رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم**

---

(١١٢) - تفسير ابن جرير (١/١٣١).

(١١٣) - تفسير ابن جرير (١/١٣١).

(١١٤) - **إسناده ضعيف لضعف بشر بن عمارة. والضحاك لم يلق ابن عباس**. والحديث في تفسير ابن جرير ١٤٨ - (١/١٢٩).

(١١٥) - تفسير ابن جرير ١٥٠ - (١/١٣٤).

(١١٦) - **إسناده حسن**، أبو سعيد هو أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، وأبو الأشهب هو جعفر ابن حيان السعدي العطاردي ثقة، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٧ - (١/١٣).

(١١٧) - رواه أحمد في المسند ٢٦٦٩٢ - (٦/٣٠٢)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحروف والقراءات أول الكتاب (رقم: ٤٠٠١) والترمذي في جامعه في كتاب القراءات، باب: في فاتحة الكتاب (رقم: ٢٩٢٧) كلهم من طريق يحيى بن سعيد الأموي، به.

---

[١] - في ز، خ: «عجلتنا». [٢] - زيادة من: ز، خ.

[٣] - زيادة من خ، وتفسير ابن أبي حاتم.

الدين ﴾ فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة ، ومنهم من وصلها بقوله ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ وكُسِرت الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور . وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها كما قُرئ قوله تعالى : ﴿ **الم * الله لا إله إلا هو** ﴾ قال ابن عطية : ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت][١] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

[القراء السبعة على ضم الدال في قوله : ﴿ **الحمدُ لله** ﴾ هو مبتدأ وخبر ، وروي عن سفيان ابن عيينة ، ورؤبة بن العجاج أنهما قالا : ﴿ **الحمدَ لله** ﴾ بالنصب وهو على إضمار فعل . وقرأ ابن أبي عبلة ﴿ **الحمدُ لُله** ﴾ بضم الدال واللام إتباعًا للثاني الأول ، وله شواهد لكنه شاذ . وعن الحسن وزيد بن علي ﴿ **الحمدِ لله** ﴾ بكسر الدال إتباعًا للأوّل الثاني][٢] .

قال أبو جعفر بن جرير [رحمه الله] : معنى[٣] ﴿ **الحمد لله** ﴾ الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحد ؛ في تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرًا .

[وقال ابن جرير رحمه الله : ﴿ **الحمد لله** ﴾ ثناء أثنى به على نفسه ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد لله][٤] قال : وقد قيل : إن قول القائل : [الحمد لله][٥] ، ثناء عليه [بأسمائه الحسنى وصفاته العلى][٦] ، وقوله : (الشكر لله) ثناء عليه بنعمه وأياديه . ثم شرع في ردّ ذلك بما حاصله : أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلاً من الحمد والشكر مكان الآخر ، [وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية .

وقال ابن عباس : ﴿ **الحمد لله** ﴾ كلمة كل شاكر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يعني » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « بأسمائه العلى وصفاته الحسنى » .

وقد استدل القرطبي(١١٨) لابن جرير بصحة قول القائل : الحمد لله شكرًا][١] . وهذا الذي ادعاه [ابن جرير][٢] فيه نظر ؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجَنان واللسان والأركان ، كما قال الشاعر :

أفادتكم[٣] النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم[٤] اختلفوا أيهما أعم ، الحمد أو الشكر ؟ على قولين ، والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا ، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدته لفروسيته ، وحمدته لكرمه ، وهو أخص ؛ لأنه لا يكون إلا بالقول . والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه[٥] ؛ لأنه يكون بالقول والفعل[٦] والنية كما تقدّم ، وهو أخص ؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية ، لا يقال شكرته لفروسيته . وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه إليَّ . هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين ، والله أعلم .

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : الحمد نقيض الذم ، تقول : حمدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدة فهو حميد ومحمود ، والتحميد أبلغ من الحمد ، والحمد أعم من الشكر . وقال في الشكر : هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف ، يقال : شكرته وشكرت له . وباللام أفصح .

[وأما المدح فهو أعم من الحمد ؛ لأنه يكون للحي وللميت وللجماد أيضًا ، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ، ويكون قبل الإحسان وبعده وعلى الصفات المتعدية واللازمة أيضًا فهو أعم][٧] .

ذكر أقوال السلف في الحمد

قال ابن أبي حاتم(١١٩) : حدثنا أبي ، حدّثنا أبو معمر القطيعي ، حدّثنا حفص ، عن حجاج عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال عمر - رضي الله عنه - : قد عَلِمْنَا

(١١٨) - تفسير القرطبي (١٣٤/١) .
(١١٩) - **إسناده ضعيف لتدليس الحجاج بن أرطاة** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ١٢ - (١٤/١) .

[١] - سقط من :ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : أفادتهم .
[٤] - في ز : ولكن .
[٥] - في ز ، خ : « به » .
[٦] - في ز : والعمل .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز ، خ .

سبحان الله [....][١] ولا إله إلا الله فما الحمد لله ؟ فقال علي : كلمة رضيها الله لنفسه .

ورواه غير أبي معمر ، عن حفص فقال : قال عمر لعلي - وأصحابه عنده - : لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها ، فما الحمد لله ؟ قال علي : كلمة أحبها [الله تعالى] لنفسه ، ورضيها لنفسه ، وأحب أن تقال (١٢٠) .

وقال علي بن زيد بن جدعان(١٢١) ، عن يوسف بن مهران قال : قال ابن عباس : ﴿الحمد لله﴾ : كلمة الشكر وإذا قال العبد : الحمد لله ، قال : شكرني عبدي . رواه ابن أبي حاتم .

وروى أيضًا هو وابن جرير ، من حديث بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : الحمد لله هو الشكر لله ، [والاستخذاء له][٢] ، والإقرار له بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك .

وقال كعب الأحبار(١٢٢) : الحمد لله ثناء الله . وقال الضحاك : الحمد ؛ رداء الرحمن . وقد ورد الحديث بنحو ذلك .

قال ابن جرير(١٢٣) : حدّثنا[٣] سعيد بن عمرو السكوني ، حدّثنا بقية بن الوليد ، حدّثني عيسىٰ ابن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عمير - وكانت له صحبة - قال : قال

---

(١٢٠) - قال أبو حاتم ١٣ - (١/١٥) ، و٣٤٧ - (١/١١٧) : كذا رواه أبو معمر القطيعي ، عن حفص . وحدثنا به الأشج ؛ فقال : ثنا حفص - وخالفه فيه - فقال فيه : قال عمر لعلي ، رضي الله عنهما ، وأصحابه عنده ... لا إله إلا الله ، والحمد لله ، والله أكبر ؛ قد عرفناها ، فما سبحان الله ؟ فقال علي : كلمة أحبها لنفسه ، ورضيها لنفسه ، وأحب أن تقال . كذا هو عند ابن أبي حاتم - السؤال فيه عن سبحان الله - والذي نقله ابن كثير - رحمه الله - ذكر فيه أن السؤال عن الحمد لله ، فانتبه لذلك .

(١٢١) - تفسير ابن جرير (١٥١) ، وابن أبي حاتم (٩) .

(١٢٢) - تفسير ابن جرير (١٥٣) ، وابن أبي حاتم (١٠) .

(١٢٣) - **إسناده ضعيف جدًا** ، والحديث في تفسير ابن جرير ١٥٢ - (١/١٣٦) .

عيسى بن إبراهيم : قال البخاري والنسائي : منكر الحديث . وقال يحيى : ليس بشيء . وقال أبو حاتم متروك الحديث . وقال النسائي أيضاً متروك . قال الذهبي في الميزان : عيسى متروك (الميزان ٣/٣٠٨) .

وقال : موسى بن أبي حبيب ضعفه أبو حاتم ، وله عن الحكم بن عمير - رجل قيل له صحبة - والذي أرى أنه لم يلقه ، وموسى مع ضعفه متأخر عن لقي صحابي كبير ، وإنما أعرف له رواية عن علي بن الحسين ، يروي عنه إبراهيم بن إسحاق الصيني أحد التلفى - (الميزان ٤/٢٠٢) .

والحكم بن عُمير ، ذكره أبو نعيم في الصحابة (١/١٥٦) وقال : تفرد بالرواية عنه موسى بن أبي حبيب =

---

[١] - في خ : « والحمد لله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٣] - في خ : « حدثني » .

رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **إذا قلتَ : الحمد للّٰه رب العالمين فقد شكرت اللّٰه ، فزادك** » .

وقد روى الإمام أحمد بن حنبل(١٢٤) : حدّثنا روح ، حدّثنا عوف ، عن الحسن ، عن الأسود ابن سريع ، قال : قلت : يا رسول اللّٰه ؛ ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى ؟ فقال : « **أما إنّ ربك يحب الحمد** » .

ورواه النسائي عن علي بن حجر ، عن ابن علية ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن الأسود ابن سريع ، به .

وروى [أبو عيسى الحافظ][1] الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث موسىٰ بن إبراهيم بن كثير ، عن طلحة بن خراش[2] عن جابر بن عبد اللّٰه ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « **أفضل الذكر لا إله إلا اللّٰه ، وأفضل الدعاء الحمد للّٰه** »(١٢٥) . وقال الترمذي : حسن غريب .

= وذكره الحافظ في الإصابة ، وقال : قال ابن أبي حاتم عن أبيه : روى عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أحاديث منكرة يرويها عيسى بن إبراهيم - وهو ضعيف - عن موسى بن أبي حبيب - وهو ضعيف - عن عمه الحكم .

(١٢٤) - **حسن ، إسناده ضعيف** ، الحسن البصري مدلس ، وقد عنعن هنا ، ولم يصرح بالسماع ، وقد نقل العلائي عن علي بن المديني : أن الحسن البصري لم يسمع من الأسود بن سريع ، وعليه فيكون الحديث فيه انقطاع ، بين الحسن والأسود .

ورواه أحمد ١٥٦٢٨ - (٤٣٥/٣) ، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٨٥٩) ، والحاكم (٦١٤/٣) ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في « صحيح الأدب المفرد » .

وأخرجه النسائي في كتاب النعوت من الكبرى ، باب : الحب والكراهية حديث ٧٧٤٥ - (٤١٦/٤) .

ورواه ابن أبي حاتم (١١٥٩) ، وابن جرير (١٥٤) ، والطبراني في الكبير (٨٢٠/١ - ٨٢٥ ، ٨٣٦) وفي الأوسط ، وأبو نعيم في المعرفة (٨٩٧) ، والطحاوي في شرح المعاني (٢٩٨/٤) ، والبيهقي في الشعب (٤٠٥٧) ، وابن عدي (١٧٦٣/٥) ، والحاكم (٦١٤/٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٨٢) ، وقد تابع الحسنَ عبدُ الرحمن بن أبي بكرة : رواه الحاكم (٦١٥/٣) ، والطبراني في الكبير (٨٤٤/١) ، وعنه أبو نعيم في المعرفة (٨٩٩) ، وفي الحلية (٤٦/١) ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا إبراهيم بن سعد ، تفرد به معمر بن بكار ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، فردّه الذهبي بقوله : معمر له مناكير » .

(١٢٥) - **حسنه الترمذي** ، وموسى بن إبراهيم بن كثير : وثقه ابن حبان (٤٤٩/٧) وقال : كان ممن يخطئ ، وذكره الذهبي في الميزان وقال : مدني صالح . وفي التقريب : صدوق يخطئ . والحديث رواه الترمذي في الدعوات ، باب : ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، برقم (٣٣٨٠) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٦٦٧) ، وابن ماجه في كتاب الأدب ، باب : فضل الحامدين برقم (٣٨٠٠) ، ورواه ابن حبان ٨٤٦ - (١٢٦/٣) ، والحاكم (١/ ٤٩٨، ٥٠٣) وصححه ، ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في خ : « حراش » .

[وروى ابن ماجة عن أنس بن مالك(١٢٦) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ** ».

وقال القرطبي في تفسيره: وفي نوادر الأصول عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **لو أنّ الدنيا بحذافيرها في يد رجل من أمّتي، ثم قال: الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك** »(١٢٧).

قال القرطبي وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا؛ لأنّ ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى.

قال الله تعالى: ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملاً** ﴾.

وفي سنن ابن ماجة عن ابن عمر(١٢٨): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم: « **أن عبدًا**

= في الشكر (١٠٢)، والطبراني في الدعاء (١٤٨٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/٤٢ - ٤٣)، والبيهقي في الشعب (٤٠٦١ هـ)، وفي الأسماء والصفات (١/١٧٩)، وفي الدعوات الكبير (١١٧)، والأصبهاني في الترغيب (٢٤٨١)، والبغوي في شرح السنة (٥/٤٩).

(١٢٦) - الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب: فضل الحامدين برقم (٣٨٠٥) من طريق أبي عاصم، عن شبيب بن بشر، عن أنس، به. ورواه الطبراني في الأوسط (١٣٧٩)، والبيهقي في الشعب (٤٠٩١ هـ)، وشبيب بن بشر: وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم وغيره: لين الحديث (الميزان ٢/ ٢٦٣). وقال البوصيري في الزوائد (٣/١٩٢): « هذا إسناد حسن، شبيب بن بشر مختلف فيه ». وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن شبيب إلا عاصم.

(١٢٧) - قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/٢٦٧): « موضوع »، ورواه ابن عساكر (١٥/٢٧٦/٢) عن أبي المفضل - محمد بن عبد الله بن محمد بن همام بن المطلب الشيباني: حدثني محمد بن عبد الحي بن سويد الحربي الحافظ، نا زريق، نا عمران بن موسى الجند يسابوري - نزيل بردعة - نا سورة بن زهير الغامري - من أهل البصرة - حدثني هشيم، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك مرفوعًا. وهذا موضوع آفته أبو المفضل هذا، قال الخطيب (٥/٤٦٦،٤٦٧): « كان يروى غرائب الحديث وسؤالات الشيوخ، فكتب الناس عنه، بانتخاب الدارقطني، ثم بان كذبه، فمزقوا حديثه، وأبطلوا روايته، وكان بعد يضع الأحاديث للرافضة. قال حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق: كان يضع الحديث، وكان له سمت ووقار. وقال لي الأزهري: كان أبو المفضل دجالًا كذابًا ». ورواه ابن عساكر عنه في ترجمة أبي المفضل هذا، ومن بينه وبين هشيم لم أعرفهم غير زريق، والظاهر أنه ابن محمد الكوفي، روى عن حماد بن زيد، قال الذهبي: « ضعفه الأمير ابن ماكولا ». اهـ من الضعيفة

(١٢٨) - **إسناده ضعيف**، رواه ابن ماجة في كتاب الأدب، باب: فضل الحادمين برقم (٣٨٠١) =

من عباد الله قال: يا رب؛ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا؛ إنّ عبدًا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها. قال الله - وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب، إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها».

وحكى القرطبي(١٢٩) عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد: الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله: لا إله إلا الله؛ لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد.

وقال آخرون: لا إله إلا الله أفضل؛ لأنها تفصل بين الإيمان والكفر، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، كما ثبت في الحديث المتفق عليه(١٣٠).

وفي الحديث الآخر [ ](١٣١): «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**». وقد تقدّم عن جابر مرفوعًا: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**». وحسنه الترمذي][١].

= من طريق صدقة بن بشير، عن قدامة بن إبراهيم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه الطبراني في الكبير (١٣٢٩٧/١٢)، والبيهقي في الشعب (٤٠٧٧هـ)، وقال البوصيري في الزوائد (١٩١/٣): «هذا إسناد فيه مقال، قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات، وصدقة بن بشير لم أر من جرحه ولا من وثقه، وباقي رجال الإسناد ثقات. قال: ورواه أحمد من هذا الوجه».

(١٢٩) - القرطبي (١٣٢/١).

(١٣٠) - رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة ١٣٩٩، وله طرف في كتاب الجهاد، ورواه مسلم ٣٢: ٣٥ - (٢٠، ٢١).

(١٣١) - رواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٨٥) من طريق حماد بن أبي حميد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده به، بلفظ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**». وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس بالقوي عند أهل الحديث. قال الألباني وإسناده فيه ضعف.

وأخرج الأصبهاني في الترغيب: عن أبي مروان، ثنا عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب مرسلاً مختصراً بلفظ: «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وإن أفضل ما أقوله أنا وما قال النبيون من قبلي: لا إله إلا الله**».

قال الألباني (الصحيحة ١٥٠٢): وهذا مرسل حسن الإسناد، المطلب هو ابن عبد الله بن حنطب صدوق، ومن دونه ثقات رجال مسلم غير أبي مروان، وهو محمد بن عثمان بن خالد الأموي صدوق يخطئ كما قال في التقريب. قال حفظه الله: وجملة القول أن الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد والله أعلم

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث(١٣٢) : « **اللّهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله** ». الحديث.

﴿رَبِّ العَالَمِين﴾

والربُّ هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح. وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى، [ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا. وأما الرب فلا يقال إلا للّه عزَّ وجلَّ، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم][١] والعالمين جمع عالَم،

= وروى الطبراني في فضائل عشر ذي الحجة من حديث قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن علي مرفوعاً: « **أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير** ». قال الألباني: وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد. رجاله ثقات غير قيس بن الربيع فهو سيىء الحفظ فحديثه حسن بما له من الشواهد.

(١٣٢) - وَرَدَ من حديث حذيفة، وأبي سعيد، وسعد بن أبي وقاص، رضي اللّه عنهم،

فحديث حذيفة رواه أحمد ٢٣٤٦٢ - (٣٩٦/٥): ثنا عفان، ثنا همام، ثنا الحجاج بن فرافصة، حدثني رجل، عن حذيفة بن اليمان: أنه أتى النبي صلّى اللّه عليه وسلم فقال: بينما أنا أصلي، إذ سمعت متكلمًا يقول: **اللّهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، بيدك الخير كله، إليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهل أن تحمد، إنك على كل شيءٍ قدير، اللّهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني عملًا زاكيًا ترضى به عني**. فقال النبي، صلّى اللّه عليه وسلم: « **ذاك مَلَك أتاك يعلمك تحميد ربك** ». وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن حذيفة. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥/١٠، ٩٦) وعزاه لأحمد، وقال: « وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات ».

وأما حديث أبي سعيد، فرواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٤٠٠) والديلمي في الفردوس (٦٨١٧) من طريق خالد بن يزيد، عن ابن أبي ذئب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء، عن أبي سعيد الخدري.

وقال البيهقي: قال أبو عبد اللّه - يعني الحاكم - تفرد به خالد بن يزيد العمري، عن ابن أبي ذئب.

وخالد بن يزيد هذا كذبه أبو حاتم، ويحيى، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات واستنكر له ابن عدي في الكامل عدة أحاديث ثم قال: ولخالد بن يزيد، عن الثوري وابن أبي ذئب وغيرهم غير ما ذكرت وعامتها مناكير.

وأما حديث سعد، فرواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٣٩٩) من طريق أبي بلج، عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص. وأبو بلج: يحيى بن سليم وثقه جماعة، وضعفه آخرون وقال البخاري: فيه نظر.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[وهو كل موجود سوى اللَّه عز وجل][١] ، والعالَم جمعٌ لا واحد له من لفظه ، والعوالم أصناف المخلوقات [في السموات][٢] وفي البر والبحر ، وكل قرن منها وجيل يسمى[٣] عالمًا أيضًا.

قال بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **الحمد للَّه رب العالمين** ﴾ . الحمد للَّه الذي له الخلق كله ، السموات والأرضون ، وما[٤] فيهنّ وما بينهنّ ، مما نعلم ومما[٥] لا نعلم .

وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس - رب الجنّ والإنس ؛ وكذلك قال سعيد ابن جبير ومجاهد وابن جريج ، وروي عن علي [نحوه][٦] .

وقال ابن أبي حاتم : بإسناد لا يعتمد عليه .

[واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ **ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ . وهم الجنّ والإنس .

قال الفراء وأبو عبيد : العالم عبارة عما يعقل وهم : الإنس والجنّ ، والملائكة والشياطين ، ولا يقال للبهائم عالم .

وعن زيد بن أسلم وأبي محيصن : العالم كل ماله روح ترفرف][٧] وقال قتادة : ﴿ **رب العالمين** ﴾ كل صنف عالَم . [وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد - وهو أحد خلفاء بني أمية ، وهو يعرف بالجعد ، ويلقب بالحمار - أنه قال : خلق اللَّه سبعة عشر ألف عالم ؛ أهل السموات وأهل الأرض عالم واحد ، وسائرهم لا يعلمهم إلا اللَّه عزَّ وجلَّ][٨] .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ **رب العالمين** ﴾ قال الإنس عالم ، والجن عالم ، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - من[٩] الملائكة على الأرض ، وللأرض أربع زوايا ، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم ، وخمسمائة عالم خلقهم اللَّه[١٠] لعبادته .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . [وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح][١١] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من: ز ، خ. [٤] - في ز : ومن .
[٥] - في ز : ما . [٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من: ز ، خ. [١٠] - سقط من: ز، خ.
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال ابن أبي حاتم(١٣٣) : حدثنا أبي ، حدّثنا هشام بن خالد ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا الفرات - يعني ابن الوليد - عن مغيث[١] بن سمي ، عن تُبَيع - يعني الحميري - في قوله تعالى : ﴿رب العالمين﴾ قال : العالمين ألف أمّة فستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر .

[وحكي مثله عن سعيد بن المسيب][٢] ، وقد روي نحو هذا مرفوعًا .

كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنىٰ في مسنده : حدّثنا محمد بن المثنىٰ ، حدّثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد ، حدّثني محمد بن عيسىٰ بن كيسان ، حدّثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللّه قال : قلّ[٣] الجراد في سنة من سني عمر التي وليَ فيها فسأل عنه ، فلم يخبر بشيء ، فاغتم لذلك ، فأرسل راكبًا يضرب إلى اليمن[٤] وآخر إلى الشام ، وآخر إلى العراق ، يسأل هل رُئيَ من الجراد شيءٌ أم لا ؟ قال : فأتاه الراكب الذي من قِبَل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه ، فلما رآها كبر ثم قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **خلق اللّه ألف أمّة ؛ ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر ، فأوّل شيء [يهلك][٥] من هذه الأمم الجراد ، فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه** »(١٣٤) .

---

(١٣٣) - رواه ابن أبي حاتم ١٦ - (١/١٦) . وجاء في النسخ وأصل تفسير ابن أبي حاتم « معتب » ، وفي كتب الرجال « مغيث » . [التاريخ (٨/٢٤) ، تهذيب الكمال (٢٨/٣٤٨) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٨) ، الكاشف (٢/٢٨٤)] .

(١٣٤) - رواه أبو يعلى كما في مسنده - لعله - الكبير ، ومن طريقه ابن حبان في « المجروحين » (٢/٢٥٦ ، ٢٥٧) وكذا ذكره المصنف من طريقه في « البداية والنهاية » (١/٣٠) . وذكره في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٥) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٥/١٩٩٠) (٦/٢٢٤٩) وأبو الشيخ في « العظمة » (٥/رقم ١٢٨٥) والخطيب في تاريخه (١١/٢١٧ ، ٢١٨) - ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٣/ ١٣،١٤) - والبيهقي في « الشعب » (٧/١٠٣٢،١٠٣٣) من طريق عبيد بن واقد به ، وقال ابن حبان : « وهذا شيء لاشك أنه موضوع ليس هذا من كلام رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم ».

وعلته عبيد بن واقد وشيخه ، قال المصنف في « البداية » : عبيد بن واقد أبو عباد البصري ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وشيخه أضعف منه . قال الفلاس والبخاري : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : لا ينبغي أن يحدث عنه ، وضعفه ابن حبان والدارقطني وأنكر عليه ابن عدي هذا الحديث بعينه وغيره واللّه أعلم » .

وضعف إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (١/٣٦) وتعقب ابن الجوزي في إيراد هذا الحديث في « الموضوعات » فقال في « اللآلىء » (١/٨٢) « لم يتهم محمد بن عيسى بكذب ، بل وثقه بعضهم فيما نقله الذهبي ، وقال ابن عدي : أنكر عليه هذا الحديث ، وحديث آخر أخرجه أبو الشيخ =

---

[١] - في ز ، خ ، ر : معتب .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « قتل » .
[٤] - في ز ، خ : « كذا » .
[٥] - في خ : « هلكت » .

[و][١] محمد بن عيسى هذا[٢] - وهو الهلالي - ضعيف .

[وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال : للَّه ألف عالم ؛ ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر . وقال وهب بن منبه : للَّه ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا عالم منها . وقال مقاتل : العوالم ثمانون ألفًا وقال كعب الأحبار : لا يعلم عدد العوالم إلا اللَّه عز وجل . نقله كله البغوي .

وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : إن للَّه أربعين ألف عالم ، الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها .

وقال الزجاج : العالم كل ما خلق اللَّه في الدنيا والآخرة .

قال القرطبي : وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله : ﴿**قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين**﴾ والعالم مشتق من العلامة قلت : لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته ، كما قال ابن المعتز :

فيا عجبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد][٣]

وقوله تعالى :

= في « العظمة » والبيهقي في « شعب الإيمان » - واقتصر الحافظ - يعني ابن حجر - على تضعيفه ، وتابع السيوطي في تعقبه ابن عَرّاق في « تنزيه الشريعة » (١٩٠/١) ويبدو أن المصنف يذهب إلى تضعيفه فحسب أيضًا فإنه قال : محمد بن عيسى هذا - وهو الهلالي - ضعيف » وكذا ضعفه الهيثمي حيث قال في « المجمع » : فيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف ، وضعفه أيضاً البوصيري فقال - في الاتحاف (٣٤٥/٦ هامش المطالب - قرطبة) - « إسناده ضعيف ؛ لضعف محمد بن عيسى بن كيسان » والحق أن هذا الحديث إن لم يكن موضوعًا ، فهو ضعيف جدًّا ، فإن محمد بن عيسى هذا - فوق ما نقله ابن كثير من كلام الأئمة فيه - فقد اتهمه ابن طاهر المقدسي في « معرفة التذكرة » (٤٢٠) وقال فيه ابن حبان : يروى عن محمد ابن المنكدر العجائب ، وعن الثقات الأوابد ، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، وقال الذهبي في « المغني » (٦٦٢/١) : « ضعفوه بمرّة » وأما ما نقله ابن عدي : إسناده إلى نعيم بن حماد ، حدثني عبيد بن واقد ، عن محمد بن عيسى أبو يحيى الهلالي وكان ثقة » وهذا ما عناه الذهبي في « الميزان » (٥/ ت ٨٠٣) - ونقله عنه السيوطي في كلامه المتقدم - بقوله : « ووثقه بعضهم » فإنه مردود لأنه توثيق من ضعيف يحتاج إلى من يُعدِّله ، ولم يوجد فكيف يقبل تعديل لغيره !! وباللَّه التوفيق وانظر « التهذيب » (٣/ ٤١ - الرسالة).

[١] - زيادة من خ . [٢] - في ز ، خ : « هكذا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾

تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنىٰ عن إعادته .

[قال القرطبي إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله : رب العالمين ؛ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب . كما قال تعالى : ﴿ **نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ .

قال : فالربُّ فيه ترهيب ، والرحمن الرحيم ترغيب .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لو يعلم المؤمن ما عند اللَّه من العقوبة ما طمع في جنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند اللَّه من الرحمة ما قنط من رحمته أحد** »(١٣٥)][١] .

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾

قرأ بعض القراء ﴿ **مالك** ﴾ وقرأ آخرون ﴿ **مَلِك** ﴾ .

وكلاهما صحيح متواتر في السبع .

[ويقال : ملك بكسر اللام وبإسكانها . ويقال : مليك أيضا ، وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ : (ملكي يوم الدين) وقد رجَّح كلا من القراءتين مرجِّحون من حيث المعنى ، وكلاهما صحيحة حسنة . ورجح الزمخشري ملك ؛ لأنها قراءة أهل الحرمين ، ولقوله : ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **قوله الحق وله الملك** ﴾ وحكي عن أبي حنيفة أنه قرأ ﴿ **مَلَكَ يوم الدين** ﴾ على أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جدًا][٢] .

وقد روىٰ أبو بكر بن أبي داود(١٣٦) في ذلك شيئًا غريبًا حيث قال : حدّثنا أبو عبد الرحمن

---

(١٣٥) – رواه مسلم في التوبة برقم ٢٣ – (٢٧٥٥) .

(١٣٦) – رواه أبو بكر بن أبي داود في المصاحف (ص ٩٣) ، وعدي بن الفضل : ساقط . وروى الحاكم في المستدرك (٢/٢٣٢) من طريق ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم قرأ : « مَلِكِ يوم الدين »

وروى أبو بكر بن أبي داود في المصاحف (ص ٩٤) عن هشام بن يونس ، عن حفص – يعني : ابن غياث =

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأَذْرميُّ ، حدّثنا عبد الوهاب عن[١] عدي بن الفضل ، عن أبي المطرف ، عن ابن شهاب – أنه بلغه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرءون : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ قال ابن شهاب : وأول من أحدث « ملك » مروان .

(قلت) : مروان عنده علم بصحة ما قرأه ، لم يطلع عليه ابن شهاب ، واللَّه أعلم .

وقد روي من طرق متعدّدة(١٣٧) أوردها ابن مردويه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان يقرؤها : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ، ومالك مأخوذ من المِلك كما قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون** ﴾ وقال : ﴿ **قل أعوذ برب الناس * ملك الناس** ﴾ ، وملك مأخوذ من المُلك كما قال تعالى : ﴿ **لمن الملك اليوم للّه الواحد القهار** ﴾ وقال : ﴿ **قوله الحق وله الملك** ﴾ ، وقال : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا** ﴾ .

وتخصيص[٢] الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ؛ لأنه قد تقدّم الإخبار بأنه رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة ، وإنما أضيف إلى يوم الدين ؛ لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه . كما قال تعالى : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلّا همسًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد** ﴾ .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ يقول : لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا ، كملكهم في الدنيا . قال : ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة ، يدينهم[٣] بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ، إلا من عفا عنه . وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر .

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى [أن][٤] تفسير مالك يوم الدين – أنه القادر على

= عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن أم سلمة قالت : **قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم من الليل فقرأ الحمد للّه فقطعها وقرأ** « **مَلِكِ يوم الدين** » . وروى نحوه (ص ٩٤) عن بعض أزواج النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وروى الحاكم في المستدرك (٢٣٢/٢) من طريق ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن أم سلمة أنها كانت تقرأ : « مَلِكِ يوم الدين » .

قال أبو بكر بن أبي داود : سمعت أبي يقول في هذا الحديث : إنما هو حديث تقطيع القراءة والترسل فيها وأما قوله ﴿ مَلِكِ ﴾ فيقال : إنها قراءة ابن جريج لا أنه رواها عن ابن أبي مليكة .

(١٣٧) – انظر كتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود ص ٩٣ .

---

[١] – في الأصلين : بن . والمثبت من المصاحف . [٢] – في ز ، خ : « وتخصص » .
[٣] – في ز : يدنيهم . [٤] – زيادة من ز .

إقامته، ثم شرع يضعفه

والظاهر أنه لا منافاة بين هذا القول وما تقدّم، وأن كلًّا من القائلين هذا[١] القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره، ولكن السياق أدل على المعنى الأوّل من هذا. كما قال تعالى: ﴿**الملك يومئذ الحق للرحمن**﴾. والقول الثاني يشبه[٢] قوله تعالى: ﴿**ويوم يقول كن فيكون**﴾، والله أعلم.

[والملك في الحقيقة هو الله عزَّ وجلَّ قال الله تعالى: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام**﴾.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة(١٣٨) -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**أخنع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك، ولا مالك إلا الله**».

وفيهما(١٣٩) عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**». وفي القرآن العظيم ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾ فأمّا تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز. كما قال تعالى: ﴿**إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا**﴾ ﴿**وكان وراءهم ملك**﴾ ﴿**إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا**﴾.

وفي الصحيحين(١٤٠): «**مثل الملوك على الأسرة**».

---

(١٣٨) - رواه البخاري في الأدب من صحيحه، باب: أبغض الأسماء إلى الله برقم (٦٢٠٦). ومسلم في الآداب برقم (٢١٤٣)، وأبو داود في الأدب، باب: في تغيير الاسم القبيح برقم (٤٩٦١)، والترمذي في الأدب، باب: ما يكره من الأسماء برقم (٢٨٣٧)، ورواه أحمد (٧٢٨٥)، جميعاً من حديث أبي هريرة.

(١٣٩) - رواه البخاري في التفسير، باب: قوله تعالى ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات﴾ برقم (٤٨١٢)، وأطرافه في الرقاق (٦٥١٩)، وفي التوحيد (٧٣٩٢)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٧)، وابن ماجه في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية برقم (١٩٢)، وأحمد (٨٦٤٦)، والدارمي في الرقاق (٢٧٩٩)، جميعاً من حديث أبي هريرة.

(١٤٠) - رواه البخاري في الجهاد والسير، باب: الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء برقم (٢٧٨٩). وفي الجهاد والسير برقم (٢٨٧٨)، وفي الاستئذان (٦٢٦٢)، وفي التعبير (٧٠٠٢)، ورواه مسلم في الإمارة برقم (١٩١٢)، والترمذي في فضائل الجهاد عن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، باب: ما جاء في غزو البحر (١٦٤٥)، والنسائي في الجهاد، باب: فضل الجهاد في البحر (٣١٧١)، وأحمد (٣/ ٢٤٠)، ومالك في الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد (١٠١١). جميعاً من حديث أنس بن مالك في حديث طويل.

---

[١] - في ز، خ: «بهذا». [٢] - في خ: «شبه».

والدين: الجزاء والحساب. كما قال تعالى: ﴿**يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق**﴾ وقال: ﴿**أئنا لمدينون**﴾ أي: مجزيون محاسبون، وفي الحديث: «**الكيِّس من دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت**»(١٤١). أي: حاسب نفسه. كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾][١].

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥

[قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من «إياك»، وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر، وهي قراءة شاذة مردودة؛ لأن «إيا» ضوء الشمس، وقرأ بعضهم «أياك» بفتح الهمزة وتشديد الياء، وقرأ بعضهم: هياك بالهاء بدل الهمزة، كما قال الشاعر:

فهياك والأمر الذي إن تراحبت مواردِه ضاقت عليك مصادره

و«نستعين» بفتح النون أوّل الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب، والأعمش فإنهما كسراها. وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم][٢].

والعبادة في اللغة من الذلة يقال: طريق معبّد وبعير معبد أي مذلَّل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

وقدّم المفعول وهو إياك وكرّر للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة. والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين. وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ فالأوّل تبرؤ من الشرك،

---

(١٤١) - **ضعيف**، رواه الترمذي (٢٤٥٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (١٢٤/٤)، وفي الزهد ص (٣٨)، وابن المبارك في الزهد (١٧١)، والطيالسي (١١٢٢)، والطبراني في الكبير (٧١٤٣/٧)، وفي مسند الشاميين (١٤٨٥)، والحاكم (٥٧/١، ٢٥١/٤)، والبيهقي في الكبرى (٣٦٩/٣)، وفي الشعب (١٠٥٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٧/١، ٢٦٨، ١٧٤/٨)، والخطيب في التاريخ (٥٠/١٢) من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس مرفوعاً، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي فقال: لا، والله، في سنده أبو بكر بن أبي مريم، وهو واهٍ. وقال ابن عدي (٤٧٣/٢): ولأبي بكر بن أبي مريم غير ما ذكرت من الحديث، والغالب على حديثه الغرائب، وقل ما يوافقه الثقات، وأحاديثه صالحة، وهو ممن لا يحتج بحديثه، وله متابعة عند الطبراني بسندٍ ضعيف جدًّا (٧١٤١/٧).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

والثاني تبرؤ من الحول والقوّة والتفويض إلى اللّه عزَّ وجلَّ ، وهذا المعنى في غير آية من القرآن ، كما قال تعالى : ﴿ **فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون**[١] ﴾ . ﴿ **قل : هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا** ﴾ . ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ . وكذلك هذه الآية الكريمة : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

وتحوّل الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب ، وهو مناسبه ؛ لأنه لما أثنى على اللّه تعالى فكأنه اقترب وحضر بين يدي اللّه تعالى ، فلهذا قال : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ . وفي هذا دليل على أن أوّل السورة خبر من اللّه تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى ، وإرشاد لعباده بأن[٢] يثنوا عليه بذلك ؛ ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه . كما جاء في الصحيحين(١٤٢) ، عن عبادة بن الصامت أنَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة[٣] الكتاب** » .

وفي صحيح مسلم(١٤٣) ، من حديث العلاء بن عبد الرحمن [مولى الحُرَقة][٤] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **يقول اللّه تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : ﴿ الحمد للّه رب العالمين ﴾ قال اللّه[٥] : حمدني عبدي . وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال اللّه[٦] : أثنى عليَّ عبدي . فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال اللّه : مجدني عبدي . فإذا[٧] قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** » .

وقال الضحاك عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ يعني إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك ﴿ **وإياك نستعين** ﴾ [على طاعتك وعلى أمورنا كلها .

وقال قتادة ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾][٨] يأمركم أن تخلصوا له العبادة ، وأن تستعينوه على

(١٤٢) - رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب (٩٥) برقم (٧٥٦) ، ومسلم في الصلاة برقم (٣٩٤) ، والحديث رواه أبو داود في الصلاة ، باب : من ترك القراءة في صلاته برقم (٨٢٢) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب برقم (٢٤٧) . وفي باب : ما جاء في القراءة خلف الإمام برقم (٣١١) . والنسائي في الافتتاح برقم (٩١٠ ، ٩١١) .

(١٤٣) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٢٨ - (٣٩٥) .

[١] - في ت : « تعملون » .
[٢] - في ز : أن .
[٣] - في ز : فاتحة .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ،خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : وإذا .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

أموركم[١] . وإنما قدّم : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ على ﴿ **وإياك نستعين** ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة ، والاستعانة وسيلة إليها ، والاهتمام والحزم هو[٢] تقديم[٣] ما هو الأهم فالأهم واللّه أعلم .

[فإن قيل : فما معنى النون في قوله تعالى : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فإن كانت للجمع فالداعي واحد ، وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام . وقد أجيب بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد ، والمصلي فرد منهم ، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها ، وتوسط لهم بخير .

ومنهم من قال : يجوز أن تكون للتعظيم كأن العبد قيل له : إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف ، وجاهك عريض فقل : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ . وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ، ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلى اللّه عزَّ وجلَّ وفقرهم إليه .

ومنهم من قال : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ ألطف في التواضع من إياك عَبَدْنا ؛ لما في الثاني من تعظيم نفسه ، من جعله نفسه وحده أهلاً لعبادة اللّه تعالى الذي لايستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ، ولا يثني عليه كما يليق به ، والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب اللّه تعالى كما قال بعضهم :

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

وقد سمى اللّه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعبده في أشرف مقاماته فقال : ﴿ **الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾ ﴿ **وأنه لما قام عبد اللّه يدعوه** ﴾ ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً** ﴾ فسماه عبدًا عند إنزاله عليه ، وعند قيامه في الدعوة ، وإسرائه به ، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ .

وقد حكىٰ الرازي في تفسيره عن بعضهم : أنّ مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة ؛ لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق ، والرسالة من الحق إلى الخلق . قال : ولأن اللّه يتولّىٰ مصالح عبده والرسول يتولّىٰ مصالح أمته .

وهذا القول خطأ ، والتوجيه أيضًا ضعيف لا حاصل له ، ولم يتعرّض له الرازي بتضعيف ولا ردّ . وقال بعض الصوفية : العبادة إما لتحصيل ثواب أو درء عقاب . قالوا : وهذا ليس بطائل إذ

---

[١] - في ز ، خ : « أمركم » .
[٢] - سقط من : م .
[٣] - في ز ، خ : « أن يقدم » .

مقصوده تحصيل مقصوده، وإما للتشريف بتكاليف الله تعالى.

وهذا أيضا عندهم ضعيف، بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال قالوا: ولهذا يقول المصلي: أصلي لله. ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة.

وقد ردّ ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة لله عزّ وجلّ لا ينافي أن يطلب معها ثوابًا ولا أن يدفع عذابًا، كما قال ذلك الأعرابي: أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، إنما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**حولها ندندن**»(١٤٤).

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

قراءة الجمهور بالصاد وقرىء السراط، وقرئ بالزاي، قال الفراء: وهي لغة بني عذرة وبني كلب][١] . لما تقدّم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال: «**فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل**». وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسئوله، ثم يسأله حاجته [وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾][٢] لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل.

وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى - عليه السلام -: ﴿**رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير**﴾ وقد يتقدّمه مع ذلك وصف المسئول كقول ذي النون: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾. وقد يكون بمجرّد الثناء على المسئول، كقول الشاعر:

---

(١٤٤) - **صحيح**، رواه أحمد في المسند ١٥٩٤٣ - (٤٧٤/٣)، وأبو داود في الصلاة، باب: في تخفيف الصلاة برقم (٧٩٢)، كلاهما من حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي صالح، عن بعض أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

ورواه ابن ماجه في الصلاة، باب: في التشهد، والصلاة على النبي، صلىٰ الله عليه وسلم (٩١٠) وفي الدعاء، باب: الجوامع من الدعاء (٣٨٤٧) وابن حبان في صحيحه برقم (٥١٤ موارد) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه. وقال البوصيري في زوائده: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح أبي داود حديث ٧١٠. وصحيح ابن ماجه حديث ٧٤٢.

وقوله: «حولها ندندن» وروي: «عنهما ندندن» الدَّنْدَنة: أن يتكلم الرجل بالكلام تُسمَع نغمته ولا يُفْهَم، وهو أرفع من الهينمة قليلاً. والضمير في حولهما للجنة والنار: أي حولهما ندندن وفي طلبهما، ومنه دندن الرجل إذا اختلف في مكان واحدٍ مجيئًا وذهابًا. وأمّا عنهما ندندن فمعناه أن دندنتنا صادرة عنهما وكائنة بسببهما. نهاية [١٣٧/٢].

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

أأذكرُ حاجتي أم قد كفانِي حياؤك إنَّ شيمتَك الحياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا كفاهُ مِنْ تعرضِه الثناءُ

والهداية هاهنا الإرشاد والتوفيق، وقد تُعدى الهداية بنفسها كما [ها هنا][١] : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا، ﴿**وهديناه النجدين**﴾ أي: بينا له الخير والشر وقد تعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿**اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم**﴾. ﴿**فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾ وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ وقد تُعدى باللام كقول أهل الجنة: ﴿**الحمد للّه الذي هدانا لهذا**﴾ أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلًا[٢] .

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أميرُ المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجّ الموارد مستقيم

قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر. قال: ثم تستعيرُ العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وُصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة للّه وللرسول، فروي أنه كتاب اللّه.

قال ابن أبي حاتم(١٤٥) : حدّثنا الحسن بن عرفة، حدّثني يحيى بن يمان، عن حمزة الزيات، عن سعد - [وهو أبو[٣] المختار الطائي][٤] - عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، عن علي ابن أبي طالب [- رضي اللّه عنه -] قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**الصراط المستقيم كتاب اللّه**».

وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة بن حبيب الزيات، [وقد تقدّم في فضائل القرآن][٥] وقد رواه أحمد والترمذي(١٤٦) من رواية الحارث الأعور، عن علي مرفوعًا «**وهو حبل اللّه**

(١٤٥) - **ضعيف جداً**: في سنده ابن أخي الحارث مجهول، والحارث: ضعيف، وسعد الطائي مجهول. والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢ - (٢٠/١).

(١٤٦) - **ضعيف جدًا كالذي قبله**، رواه أحمد (٩١/١) ورواه الترمذي في فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن برقم (٢٩٠٦). وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده =

[١] - في خ: هنا.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: ابن.
[٤] - سقط من: خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم».

وقد روي هذا موقوفًا عن علي -رضي اللّٰه عنه-، وهو أشبه(١٤٧)، واللّٰه أعلم.

وقال الثوري عن منصور عن أبي وائل، عن عبد اللّٰه قال(١٤٨): الصراط المستقيم كتاب اللّٰه. وقيل: هو الإسلام. وقال الضحاك: عن ابن عباس قال: قال جبريل لمحمد عليهما السلام: قل يا محمد: اهدنا الصراط المستقيم. يقول: اهدنا الطريق[١] الهادي، وهو دين اللّٰه الذي لا عوج فيه.

وقال ميمون بن مهران(١٤٩): عن ابن عباس، في قوله تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** قال: ذاك الإسلام.

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** قالوا: هو الإسلام(١٥٠).

= مجهول وفي الحارث مقال.

(١٤٧) - رواه موقوفًا ابن جرير في تفسيره ١٧٥ - (١٧٢/١) وقد سبق الكلام على هذا الحديث في فضائل القرآن.

(١٤٨) - ورواه ابن جرير (١٧٧)، والحاكم (٢٥٨/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. كذا قال، وبالنظر إلى تمام الإسناد يتبين لك عدم صحة قوله - رحمه الله - فقد رواه من طريق الحسن بن علي بن عفان، عن أبي داود الحفري عمر بن سعد، عن الثوري، فالحفري من رجال مسلم دون البخاري، والحسن بن علي من رجال ابن ماجه وحده.

(١٤٩) - تفسير ابن جرير برقم ١٨٠ - (١٧٤/١) من حديث موسى بن سهل الرازي، عن يحيى بن عوف، عن الفرات بن السائب، عن ميمون، به. الفرات بن السائب: أبو سليمان وقيل: أبو المعلى الجزري، عن ميمون بن مهران، قال البخاري: منكر الحديث تركوه. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال أحمد بن حنبل: قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك. وقال أحمد: كذاب أعور يضع الحديث. وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، منكر الحديث. وقال الساجي: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال عباس: عن يحيى بن معين: منكر الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن عدى: له أحاديث غير محفوظة، وعن ميمون مناكير (اللسان ٤٣٠/٤، الكشف الحثيث ٢٠٨. التاريخ الكبير ١٣٠/٧، الكامل ٢٢/٦).

(١٥٠) - ابن جرير برقم (١٦٨، ١٨٢)، والحاكم (٢٥٨/٢)، وأبو صالح هو مولى أم هانئ، واسمه باذام، ويقال: باذان، وفيه كلام كثير، والصواب في حاله أنه ضعيف، وهو يروي في التفسير =

---

[١] - في ز، خ: «الصراط».

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر(١٥١) : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قال : الإسلام ، هو أوسع مما بين السماء والأرض .

وقال ابن الحنفية(١٥٢) في قوله تعالى : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قال : هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(١٥٣) : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قال : هو الإسلام .

وفي معنى هذا ؛ الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، حيث قال : حدّثنا الحسن بن سوار أبو العلاء ، حدّثنا ليث - يعني ابن سعد - عن معاوية بن صالح - أنّ عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، حدّثه عن أبيه ، عن النواس بن سمعان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي[١] الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ، ادخلوا الصراط [جميعًا ولاتعوجوا . وداع يدعو من فوق[٢] الصراط][٣] ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك ! لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلِجْه . فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط[٤] واعظ الله في[٥] قلب كل مسلم** » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد به(١٥٤) .

ورواه الترمذي والنسائي جميعًا(١٥٥) ، عن علي بن حجر ، عن بقية ، عن بحير بن سعد ، عن

= ما لم يتابعه أهل التفسير عليه فيما قاله ابن عدي ، لكنه متابع بأبي مالك الغفاري .

(١٥١) - ابن نصر في السنة (٢٥) ، وابن جرير (١٧٨) ، والحاكم (٢/٢٥٨ - ٢٥٩) ، وإسناده حسن ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

(١٥٢) - ابن جرير بإسنادٍ ضعيف (١٨١) .

(١٥٣) - ابن جرير (١٨٥) .

(١٥٤) - المسند ١٧٦٨٥ - (٤/١٨٢) ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٣ - (١/٢١) مختصراً ، وتفسير ابن جرير ١٨٦ ، ١٨٧ - (١/١٧٦) مختصراً . والبيهقي في الشعب (٧٢١٦) ، والأصبهاني في الترغيب (٧٤٣) ، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/٤٢٣) ، (٣/٣٥) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٩) . والحسن ابن سوار : صدوق .

(١٥٥) - رواه الترمذي في الأمثال ، باب : ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده بنحوه =

---

[١] - في خ : « جانبي » . [٢] - في المسند : جوف .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : من .

خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن النوّاس بن سمعان، به.

وهو إسناد حسن صحيح، والله أعلم.

وقال مجاهد(١٥٦) : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: الحق. وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدّم.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير(١٥٧)، من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، حدثنا[١] حمزة ابن المغيرة، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية، ونصح.

وكل هذه الأقوالِ صحيحةٌ، وهي متلازمة؛ فإنّ من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر - فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدّق بعضها بعضًا، ولله الحمد.

وقال الطبراني(١٥٨) : حدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال ﴿الصراط المستقيم﴾ الذي تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير - رحمه الله -: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي - أعني - ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أن يكون معنيًّا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأنّ من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين[٢] فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبي

= حديث ٢٨٥٩، النسائي في الكبرى برقم (١١٢٣٣)، وأحمد ١٧٦٨٧ - (١٨٢/٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الإيمان (٧٣/١).

(١٥٦) - ابن أبي حاتم (٣٥).

(١٥٧) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٤ - (٢١/١)، وتفسير ابن جرير ١٨٤ - (١٧٥/١)، وأورده السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن عدي، وابن عساكر. ورواه الحاكم عن أبي العالية عن ابن عباس وصححه (٢٥٩/٢).

(١٥٨) - المعجم الكبير ١٠٤٥٤ - (٢٤٥/١٠) وسنده صحيح.

---

[١] - في خ: أنبأنا. [٢] - سقط من: ز، خ.

صلى اللّه عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

(فإن قيل) : فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل[١] هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب أن لا، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده اللّه تعالى إلى ذلك، فإنّ العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى اللّه تعالى، في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها، فإنّ العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء اللّه، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه اللّه تعالى لسؤاله، فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار.

وقد قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا باللّه ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾**. الآية. فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس [ذلك من باب][٢] تحصيل الحاصل؛ لأنّ المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، واللّه أعلم.

[وقال تعالى، آمرًا لعباده المؤمنين أن يقولوا: **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾** وقد كان الصدّيق - رضي اللّه عنه - يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرًّا، فمعنى قوله تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** استمرّ بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره][٣] (١٥٩).

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

قد تقدّم الحديث فيما إذا قال العبد: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها أن اللّه يقول: **« هذا لعبدي ولعبدي ما سأل »**. وقوله تعالى: **﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾** مفسر للصراط المستقيم، وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان، واللّه أعلم.

والذين [أنعم اللّه][٤] عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى: **﴿ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين**

(١٥٩) - مالك في الموطأ، وعبد الرزاق (٢٦٩٨/٢)، وابن المنذر في الأوسط (١١٢/٣).

[١] - في ز: وهل.
[٢] - في ز، خ: في ذلك.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «أنعمت».

وحسن أولئك رفيقًا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا﴾ .

وقال الضحاك(١٦٠) : عن ابن عباس : صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك ، وعبادتك ، من ملائكتك ، وأنبيائك ، والصدّيقين ، والشهداء ، والصالحين ، وذلك نظير ما قال ربنا تعالى : **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾** الآية .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس : **﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾** قال : هم النبيُّون .

وقال ابن جريج(١٦١) : عن ابن عباس : هم المؤمنون . وكذا قال مجاهد . وقال وكيع : هم المسلمون . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم : النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه .

والتفسير المتقدّم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أعم[١] وأشمل ، [والله أعلم][٢] .

وقوله تعالى : **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** [قرأ الجمهور **﴿غير﴾** بالجر على النعت . قال الزمخشري : وقرىء بالنصب على الحال ، وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ، ورويت عن ابن كثير ، وذو الحال الضمير في عليهم ، والعامل أنعمت عليهم][٣] يعني اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدّم وصفهم ونعتهم ، وهم : أهل الهداية والاستقامة ، والطاعة لله ورسله ، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره - غير صراط المغضوب عليهم - وهم[٤] الذين فسدت إرادتهم[٥] ، فعلموا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين [وهم الذين][٦] فقدوا[٧] العلم ، فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق . وأكد الكلام بـ " لا " ، ليدل على أن ثَمَّ مسلكين فاسدين ، وهما طريقتا اليهود والنصارى .

وقد زعم بعض النحاة أنَّ غير هاهنا استثنائية ، فيكون على هذا منقطعًا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم ، وما أوردناه أولى لقول[٨] الشاعر(١٦٢) :

كأنك من جِمال بني أقيش يقعقع عند رجليه بشنِّ

(١٦٠) - رواه ابن جرير (١٨٨) ، وابن أبي حاتم (٣٨) ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس فهو ضعيف .

(١٦١) - ابن جريج لم يسمع من ابن عباس ، فهو منقطع ، ورواه الطبري (١٩٠) .

(١٦٢) - هو النابغة الذبياني ، والبيت في تفسير ابن جرير (١٧٩/١) ، وهو في ديوانه (١٩٨) .

[١] - في خ : أشد .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : إراداتهم .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : «فقد» .
[٨] - في ز ، خ : كقول .

أي : كأنك جمل من جمال بني أقيش ، فحذف الموصوف واكتفى بالصفة ، وهكذا غير المغضوب عليهم [أي : غير صراط المغضوب عليهم][١] اكتفي بالمضاف إليه عن ذكر المضاف ، وقد دلَّ عليه سياق الكلام وهو قوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ . ومنهم من زعم أنّ « لا » . في قوله تعالى : ﴿ **ولا الضالين** ﴾ زائدة ، وأنّ تقدير الكلام : عنده غير المغضوب عليهم والضالين ، واستشهد ببيت العجاج :

في بئر لا حور[٢] سعىٰ[٣] وما شعر(١٦٣)

أي في بئر حور[٤] ، والصحيح ما قدمناه ؛ ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن(١٦٤) عن [أبي معاوية][٥] ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - أنه كان يقرأ ﴿ **غير المغضوب عليهم وغير الضالين** ﴾ . [وهذا إسناد صحيح ، وكذلك حكي عن أبيّ بن كعب أنه قرأ كذلك][٦] ، وهو محمول على أنه صدر منهما[٧] على وجه التفسير .

فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء - « بلا[٨] » - لتأكيد النفي [لئلا يتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم][٩] ، وللفرق بين الطريقتين لتجتنب كل واحد[١٠] منهما ، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ، واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ؛ ولهذا كان الغضب لليهود ، والضلال للنصارىٰ ؛ لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم . والنصارىٰ لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه[١١] ؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه ، وهو اتباع الرسول الحق - ضلوا ، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب ، [كما قال تعالى عنهم : ﴿ **من لعنه اللّه وغضب عليه** ﴾][١٢] ، وأخص أوصاف النصارى الضلال [كما قال تعالى عنهم : ﴿ **قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواءِ السبيل** ﴾][١٣] . وبهذا جاءت الأحاديث والآثار .

---

(١٦٣) - البيت في تفسير ابن جرير (١/١٩٠) .

(١٦٤) - فضائل القرآن (ص ٢٨٩ - ٢٩٠) ، وسعيد بن منصور (١٧٧) ، وابن أبي داود (٥١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « جور » .
[٣] - في خ : سرى .
[٤] - في ز ، خ : « جور » . [٥] - في الفضائل : معاوية .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٧] - في ز : منه .
[٨] - في ز ، خ : « بها » . [٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ . [١١] - في خ : « طريقة » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[وذلك واضح بيّن فيما][١] قال الإمام أحمد :

حدّثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة قال[٢] سمعت سماك بن حرب ، يقول[٣] : سمعت عباد بن حبيش ، يحدّث عن عدي بن حاتم قال : جاءت خيلُ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فأخذوا عمتي وناسًا ، فلما أتوا بهم إلى[٤] رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم صُفوا له ، فقالت : يا رسول اللَّه ؛ ناء الوافد ، وانقطع الولد ، وأنا عجوز كبيرة . ما بي من خدمة ، فمُنَّ عليَّ مَنَّ اللَّه عليك ! قال : **« من وافدك ؟ »** . قالت : عدي بن حاتم . قال : **« الذي فرّ من اللَّه ورسوله »** . قالت : فمنّ علي ، فلما رجع ، ورجل إلى جنبه ، ترى أنه علي ، قال : سليه حملانا[٥] ، فسألته ، فأمر لها قال : فأتتني فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك[٦] يفعلها ، فإنه [قد] أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه ، فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي ، وذكر قربهم من النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال : فعرفت أنه ليس بملك كسرىٰ ولا قيصر ، فقال : **« يا عدي ؛ ما أفرك ؟ أن يقال : لا إله إلاّ اللَّه ؟ فهل من [ ][٧] إله إلا اللَّه ؟ قال : ما أفرك أن يقال : اللَّه أكبر ؟ فهل شيء أكبر من اللَّه عزَّ وجلّ ؟ »** . قال : فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال : **« إن المغضوب عليهم[٨] اليهود ، وإنّ الضالين النصارىٰ »**(١٦٥) . وذكر الحديث .

ورواه الترمذي من حديث سماك بن حرب ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه .

---

(١٦٥) - المسند ١٩٤٣٨ - (٣٧٨/٤) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة فاتحة الكتاب برقم (٢٩٥٣) ، وابن حبان في صحيحه (٧٢٠٦) (١٨٣/١٦-١٨٤) بنحوه مختصرًا . والطبراني في الكبير (٢٣٦) ورقم (٢٣٧) والمزي في تهذيب الكمال (١١٠/١٤) (٩٨/١٧-٩٩،١٠٠) ، والبيهقي في الدلائل (٣٣٩/٥-٣٤٠) من طرق عن سماك بن حرب ، عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب . وذكره الهيثمي في المجمع (٢١١/٦) مطولًا وقال : « رواه أحمد والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش ، وهو ثقة ، وفي الصحيح وغيره بعضه . اهـ

قلت : عباد بن حبيش : ذكره الذهبي في الميزان (٧٩/٣) ت (٤١١٢) وقال : « شيخ لسماك بن حرب . لا يعرف ، له عن عدي بن حاتم » . وقال الحافظ ابن حجر في التهذيب (٧٩/٥) (١٥٢) : جهله ابن القطان . وقال في التقريب ت (٣١٢٤) : مقبول . وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٣٣/٦) ت (١٥٩٨) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧٨/٦) ت (٤٠١) ، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا . ومثل هذا لا يُحسَّن حديثه إلا إذا توبع ، ولم أقف على متابعة له بذكر الحديث بطوله هكذا ، =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ : [٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « حملا » . [٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : لا . [٨] - سقط من : خ .

(قلت) : وقد رواه حماد بن سلمة(١٦٦) ، عن سماك ، عن مُرِّي بن قَطَرِيّ ، عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عن قوله اللَّه تعالى : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ قال : « هم اليهود » ﴿ **ولا الضالين** ﴾ قال : « **النصارىٰ هم الضالون** » .

وهكذا رواه سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم ، به(١٦٧) .

وقد روي حديث عدي هذا من طرق ، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها .

وقال عبد الرزاق (١٦٨) : أخبرنا معمر ، عن بُدَيل العُقَيلي ، أخبرني عبد اللَّه بن شقيق أنه أخبره من سمع [رسول اللَّه][١] صلى اللَّه عليه وسلم وهو بوادي القُرىٰ ، وهو على فرسه ، وسأله رجل من بني القين ، فقال : يا رسول اللَّه ؛ من هؤلاء ؟ قال : « **المغضوب عليهم** – وأشار إلى اليهود – **والضالون هم النصارىٰ** » .

وقد رواه الجُرَيري وعروة وخالد الحَذَّاء عن عبد اللَّه بن شقيق ، فأرسلوه (١٦٩) ، ولم يذكروا من سمع النبي صلى اللَّه عليه وسلم .

ووقع في رواية عروة تسمية عبد اللَّه بن عمر ، فاللَّه أعلم .

وقد روى ابن مَرْدُويه من حديث إبراهيم بن طهمان ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبد اللَّه بن شقيق عن أبي ذرّ قال : سألت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم عن المغضوب عليهم؟ قال : « **اليهود** » . قال : قلت : [ ][٢] الضالين[٣] ؟ قال : « **النصارى** »(١٧٠) .

= ولكن بعض فقرات الحديث صحيحة . والحديث أخرجه مختصرًا جدًّا الترمذي (٢٩٥٤) (١٨٧/٥) . وأبو داود الطيالسي (١٠٤٠) ولم يذكر عباد بن حبيش ، وإنما قال : « عمن سمع عدي بن حاتم » ، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٦) (١٣٩/١٤-١٤٠) ، (٧٣٦٥) (٣٦٥/١٦-٣٦٦) .

(١٦٦) – رواه ابن جرير في تفسيره ١٩٥ – (١٨٦/١) . وإسناده حسن .

(١٦٧) – رواه الحميدي في مسنده (٤٠٦/٢) عن سفيان ، به .

(١٦٨) – تفسير عبد الرزاق (٣٧/١) ، ورواه من طريقه ابن جرير في تفسيره ١٩٨ – (١٨٧/١) ، ورواه أحمد (٣٢/٥ – ٣٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١١/٦) وقال : رجاله رجال الصحيح .

(١٦٩) – رواه ابن جرير في تفسيره (١٨٦/١،١٨٧) .

(١٧٠) – قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٥٩/٨) : « أخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر » .

---

[١] – في خ : « النبي » . [٢] – في ز ، خ : قال .
[٣] – في ز ، خ : « الضالون » .

وقال السُّدي: عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم **﴿غير المغضوب عليهم﴾**: هم اليهود، **﴿ولا الضالين﴾**: هم النصارى.

وقال الضحاك وابن جريج، عن ابن عباس: **﴿غير المغضوب عليهم﴾**: اليهود[١]، **﴿ولا الضالين﴾**: النصارى.

وكذا[٢] قال الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد. وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا.

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون، الحديث المتقدم، وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في [سورة][٣] البقرة: **﴿بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل اللّه بغيًا أن ينزل اللّه من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾**. وقال في المائدة: **﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند اللّه من لعنه اللّه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانًا [وأضل عن سواء السبيل][٤]﴾**. وقال تعالى: **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾**.

وفي السيرة(١٧١) عن زيد بن عمرو بن نفيل - أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف، قالت له اليهود: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب اللّه. فقال: أنا من غضب اللّه أفر، وقالت له النصارى: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط اللّه. فقال: لا أستطيعه. فاستمرَّ على فطرته، وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارىٰ.

وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية؛ لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه اللّه بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي، رضي اللّه عنه.

[**مسألة**: والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب

---

(١٧١) - انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٢٤)، وأخرجه البخاري مطولاً (٧/١٤٢ - ١٤٣)، وعزاه في الإصابة بهذا السياق لأبي يعلى والبغوي، والروياني والطبراني والحاكم.

---

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في ز: وكذلك.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: وأضل سبيلًا.

مخرجيهما وذلك أنّ الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا؛ ولأن كلًّا من الحرفين من الحروف المجهورة، ومن الحروف الرخوة، ومن الحروف المطبقة، فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك، والله أعلم. وأما حديث: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**»(١٧٢) فلا أصل له، والله أعلم][١].

[فصل]

اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده والثناء عليه، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا[٢]، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين، وعلى إرشاده[٣] عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبرؤ من حولهم وقوّتهم، وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل، لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون. وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم**﴾. الآية.

وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به، وإن كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى: ﴿**من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا**﴾، وقال: ﴿**من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقول الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه، ويحتجون على بدعتهم[٤] بمتشابه من القرآن، ويتركون ما يكون فيه صريحًا في الرد عليهم.

وهذا حال أهل الضلال والغي، وقد ورد في الحديث الصحيح: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»(١٧٣). يعني في قوله تعالى: ﴿**فأما الذين في**

(١٧٢) - كشف الخفا (١/٢٠٠ - ٢٠١)، ونقل عن السيوطي أنه قال في اللآلئ: معناه صحيح، ولكن لا أصل له، وهو في الفوائد المجموعة (ص ٣٢٧).

(١٧٣) - رواه البخاري في تفسير القرآن من صحيحه، باب: منه آيات محكمات برقم (٤٥٤٧)، =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - في ز: العلى.
[٣] - في ز، خ: «إرشاد». [٤] - في ز: بدعهم.

قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ فليس - بحمد الله - لمبتدع في القرآن حجة صحيحة ؛ لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل ، مفرقًا بين الهدى والضلال ، وليس فيه تناقض ولا اختلاف ؛ لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد .

[فصل]

يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين ، [مثل يس][١] ، ويقال : أمين بالقصر أيضًا ، ومعناه : اللهم ؛ استجب ، والدليل على [استحباب التأمين][٢] ماروواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر(١٧٤) ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فقال : « **آمين** » . مدّ بها صوته ، ولأبي داود : رفع بها صوته . وقال

= ومسلم في العلم من صحيحه برقم (٢٦٦٥) ، ورواه أبو داود برقم (٤٥٩٨) ، والترمذي برقم (٢٦٦٥) ، وابن ماجه في المقدمة (٤٧) ، ورواه أحمد كلهم من حديث عائشة ، رضي الله عنها .

(١٧٤) - المسند ١٨٨٩٥ ، ١٨٨٩٦ - (٤/ ٣١٥ و ٣١٦) ثنا وكيع ، ثنا سُفْيان ، عن سَلَمَة بن كهيل ، عن حجر بن عنبس ، عن وائل بن حجر ، قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلم قرأ : ﴿ **ولا الضالين** ﴾ **فقال:** « **آمين** » يمد بها صوته . - حَدَّثَنا عبد الله ، حدثني أَبِي ، ثنا عبدالرحمٰن قال: وقال شعبة: وخفض بها صوته . والحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : التأمين وراء الإمام - (١/ ٢٤٦/ح ٩٣٢) . والترمذي في سننه ، أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في التأمين (٢/ ٢٧/ ح ٢٤٨ ، ٢٤٩) وقال أبو عيسى : حديث وائل بن حجر حديث حسن . ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : قول المأموم إذا عطس خلف الإمام (٢/ ١٤٥) وله في الكبرى (٩١٤) . وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الجهر بآمين (١/ ٢٧٨/ح ٨٥٥) وكتاب الأدب ، باب : فضل الحامدين (٢/ ١٢٤٩/ح ٣٨٠٢) . ورواه الدارمى أيضًا (١٢٥٠) ، والدارقطني (١/ ٣٣٤ ، ٣٣٥) . وقال أبو عيسى : وسمعت محمدًا يقول : حديث سفيان أصح من حديث شعبة في هذا ، وأخطأ شعبة في مواضع من هذا الحديث ، فقال عن حجر أبي العنبس ، وإنما هو حجر بن عنبس ويكنى أبا السكن ، وزاد فيه عن علقمة بن وائل ، وليس فيه عن علقمة ، وإنما هو : عن حجر بن عنبس عن وائل بن حجر ، وقال : وخفض بها صوته ، وإنما هى ومد بها صوته .

قال الحافظ في التلخيص الحبير : حديث وائل بن حجر : صليت خلف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : ولا الضالين ، قال : « **آمين** » ومد بها صوته ، الترمذي ، وأبو داود والدارقطني وابن حبان ، من طريق الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن حجر بن عنبس ، عنه ، وفي رواية أبي داود ، ورفع بها صوته ، وسنده صحيح وصححه الدارقطني ، وأعله ابن القطان ، بحجر بن عنبس ، وأنه لا يعرف ، وأخطأ في ذلك ، بل هو ثقة معروف ، قيل : له صحبة ، ووثقه يحيى بن معين وغيره ، وتصحف اسم أبيه على ابن حزم ، فقال فيه : حجر بن قيس ، وهو مجهول ، وهذا غير مقبول منه ، ورواه ابن ماجة من طريق أخرى ، عن عبد الجبار بن وائل ، عن أبيه ، قال : صليت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : « **ولا الضالين** » ، قال « **آمين** » فسمعناها منه ورواه أحمد والدارقطني من هذا الوجه بلفظ « **مد بها صوته** » =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « ذلك » .

الترمذي: هذا حديث حسن. وروي عن علي وابن مسعود وغيرهم (١٧٥).

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ قال: «**آمين**»، حتى يسمع من يليه من الصف الأوّل. رواه أبو داود وابن ماجة وزاد

= **قال الترمذي في جامعه**: رواه شعبة عن سلمة بن كهيل، فأدخل بين حجر، ووائل، علقمة بن وائل، فقال: «**وخفض بها صوته**» قال: وسمعت محمدًا يقول: حديث سفيان أصح، وأخطأ فيه شعبة في مواضع، قال: عن حجر أبي العنبس، إنما هو أبو السكن، وزاد فيه علقمة وليس فيه علقمة، وقال: «**خفض بها صوته**» وإنما هو «**ومد بها صوته**» وكذا قال أبو زرعة. قال الترمذي: وروى العلاء بن صالح، عن سلمة نحو رواية سفيان، وقال أبو بكر الأثرم: اضطرب فيه شعبة، في إسناده ومتنه، ورواه سفيان فضبطه، ولم يضطرب في إسناده ولا في متنه. **وقال الدارقطني**: يقال: وهم فيه شعبة، وقد تابع سفيان، محمد بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، وقال ابن القطان: اختلف شعبة، وسفيان فيه، فقال شعبة: خفض، وقال الثوري: رفع، وقال شعبة: حجر أبي العنبس، وقال الثوري: حجر بن عنبس، وصوب البخاري، وأبو زرعة، قول الثوري، وما أدري لِمَ لَمْ يصوبا القولين حتى يكون حجر بن عنبس هو أبو العنبس؟ قلت: وبهذا جزم ابن حبان في الثقات، أن كنيته كاسم أبيه، ولكن قال البخاري: إن كنيته أبو السكن، ولا مانع أن يكون له كنيتان، قال: واختلفا أيضًا في شيء آخر، فالثوري يقول: حجر، عن وائل، وشعبة يقول: حجر، عن علقمة بن وائل، عن أبيه، قلت: لم يقف ابن القطان على ما رواه أبو مسلم الكجي في سننه: حدثنا عمرو بن مرزوق، ثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن حجر، عن علقمة بن وائل، عن وائل، قال: وقد سمعه حجر من وائل قال: صلى النبي، صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة، عن سلمة، سمعت حجرًا أبا العنبس، سمعت علقمة بن وائل، عن وائل، قال: وسمعته من وائل، فبهذا تنتفي وجوه الاضطراب عن هذا الحديث، وما بقي إلا التعارض الواقع بين شعبة، وسفيان فيه في الرفع والخفض، وقد رجحت رواية سفيان بمتابعة اثنين له بخلاف شعبة، فلذلك جزم النقاد بأن روايته أصح، والله أعلم.

(**تنبيه**) احتج الرافعي بحديث وائل على استحباب الجهر بآمين، وقال في أماليه: يجوز حمله على أنه تكلم بها على لغة المد، دون القصر من جهة اللفظ، ولكن رواية من قال: رفع صوته، تبعد هذا الاحتمال، ولهذا قال الترمذي عقبه: وبه يقول غير واحد، يرون أنه يرفع صوته.

(**فائدة**) قال ابن أبي حاتم في العلل: سألت أبي عن حديث، حدثناه أحمد بن عثمان بن حكيم، ثنا بكر بن عبد الرحمن، عن عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن سلمة بن كهيل، عن حجية بن عدي، عن علي: أنه سمع النبي، صلى الله عليه وسلم يقول: «**آمين**» حين يفرغ من قراءة فاتحة الكتاب، فقال: هذا عندي خطأ، إنما هو حجر بن عنبس، عن وائل، وهذا من ابن أبي ليلى فإنه كان سيئ الحفظ، قلت: وروى المطلب بن زياد، عن ابن أبي ليلى أيضًا، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي نحوه، فقال: هذا خطأ.

(١٧٥) – حديث علي رواه ابن ماجه (٨٥٤)، وابن أبي حاتم في العلل (٢٥١/١)، وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف، وفيه مقال، وابن أبي ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن ضعفه الجمهور، وله شاهد من حديث وائل بن حجر .. اهـ. =

فيه[١] : يرتج بها المسجد(١٧٦) . والدارقطني وقال: هذا إسناد حسن.

وعن بلال أنه قال: يا رسول الله؛ لا تسبقني بآمين. رواه أبو داود(١٧٧) .

[ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق، أنهما شدّدا الميم من آمين مثل **﴿آمِّين البيت الحرام﴾**][٢] . قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلي، وسواء كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا وفي جميع الأحوال؛ لما جاء في الصحيحين(١٧٨) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا أمّن الإمام فأمّنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**».

ولمسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين والملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدّم من ذنبه**»(١٧٩) .

[قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان، وقيل: في الإجابة، وقيل: في صفة الإخلاص][٣] .

وفي صحيح مسلم(١٨٠) عن أبي موسى مرفوعًا: «**إذا[٤] قال - يعني - الإمام: ﴿ولا الضالين﴾ فقولوا: آمين، يجبكم[٥] الله**».

= وقال أبو حاتم: هذا عندي خطأ إنما هو سلمة، عن حجر أبي العنبس، عن وائل بن حجر، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم قال أبو حاتم: كان ابن أبي ليلى سيئ الحفظ.

(١٧٦) - رواه أبو داود في الصلاة، باب: التأمين وراء الإمام برقم (٩٣٤)، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: الجهر بآمين برقم (٨٥٣)، وابن عبد البر في التمهيد (١٣/٧)، وأبو يعلى (١١/ ٦٢٢٠)، وقال البوصيري (٢٩٦/١): هذا إسناد ضعيف، أبو عبد الله لا يعرف حاله، وبشر ضعفه أحمد، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات. .

(١٧٧) - منقطع رواه أبو داود في الصلاة، باب: التأمين وراء الإمام برقم (٩٣٧)، ورواه أحمد ٢٣٩٩٠ - (١٢/٦)، وابن خزيمة (٥٧٣/١).

(١٧٨) - رواه البخاري في الأذان برقم (٧٨٠)، وأطرافه (٧٨١، ٧٨٢، ٤٤٧٥، ٦٤٠٢) ومسلم في الصلاة برقم (٤١٠).

(١٧٩) - رواه مسلم في الصلاة برقم ٧٤ - (٤١٠).

(١٨٠) - رواه مسلم ٦٢ - (٤٠٤)، وأبو داود (٩٧٢)، وأحمد برقم ١٩٦٤٩ - (٤٠١/٤).

---

[١] - سقط من ز.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: وإذا.
[٥] - في ز: يحبكم.

وقال جويبر[١] : عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ، ما معنى آمين ؟ قال : **« رب افعل »** (١٨١) .

[وقال الجوهري : معنى آمين : كذلك فليكن .

وقال الترمذي : معناه لا تخيب رجاءنا . وقال الأكثرون : معناه اللّهم ، استجب لنا .

وحكى القرطبي (١٨٢) عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى .

وروي عن ابن عباس مرفوعًا ولا يصح ، قاله أبو بكر بن العربي المالكي][٢] .

وقال أصحاب مالك : لا يؤمّن الإمام ويؤمّن المأموم ؛ لما رواه مالك عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [**« وإذا قال - يعني الإمام - : ﴿ ولا الضالين ﴾ فقولوا : آمين »** (١٨٣) . الحديث][٣] .

واستأنسوا أيضًا بحديث أبي موسى عند مسلم : **« وإذا قرأ ﴿ ولا الضالين ﴾ فقولوا : آمين »** . وقد قدّمنا في المتفق عليه **« إذا أمّن الإمام فأمّنوا »** ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤمّن إذا قرأ **﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾** .

وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية ، وحاصل الخلاف أنّ الإمام إن نسي التأمين جهر المأموم به قولاً واحدًا ، وإن أمّن الإمام جهرًا فالجديد أنه لا يجهر المأموم ، وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك ؛ لأنه ذكرٌ من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة . والقديم أنه يجهر به وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، والرواية الأخرى عن مالك لما تقدّم : **« حتى يرتج المسجد »** .

ولنا قول آخر ثالث : أنه إن كان المسجد صغيرًا لم يجهر المأموم ؛ لأنهم يسمعون قراءة الإمام ،

---

(١٨١) - جويبر هالك ، والضحاك : قيل : لم يسمع من ابن عباس . ورواه الثعلبي في تفسيره كما في الدر المنثور (٤٥/١) من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس مثله ، وهو ضعيف جدًا ؛ لأن الكلبي تالف .

(١٨٢) - تفسير القرطبي (١٢٨/١) .

(١٨٣) - الموطأ (٨٧/١) ، ورواه البخاري في صحيحه برقم (٧٩٦) ، ومسلم في صحيحه برقم (٤٠٩) من طريق مالك ، به .

---

[١] - في ز : جوهر . [٢] - سقط من ز .
[٣] - بياض في ز ، وقال الناسخ : كذا بالأصل .

وإن كان كبيرًا جهر ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد ، والله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة (١٨٤) - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليهود فقال : « **إنهم لن[١] يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها[٢] وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين** » .

ورواه ابن ماجة(١٨٥) ، ولفظه : « **ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين** » .

وله عن ابن عباس (١٨٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول : آمين ، فأكثروا من قول : آمين** » . وفي إسناده طلحة بن عمرو ، وهو ضعيف .

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة ؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **آمين : خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين** »(١٨٧) .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء ، لم يعط أحد قبلي إلا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمّن ، فاختموا الدعاء بآمين ، فإنّ الله يستجيبه لكم** »(١٨٨) .

---

(١٨٤) - المسند (١٣٥/٦) ، والبيهقي (٥٦/٢) مطولاً ، والبخاري في التارسخ (٢٢/١/١) مختصراً.

(١٨٥) - رواه ابن ماجة برقم (٨٥٦) من طريق حماد بن سلمة ، عن سهيل ، عن أبي صالح ، عن أبيه ، عن عائشة مرفوعًا ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٩٧/١) : « هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته » .

(١٨٦) - رواه ابن ماجة برقم (٨٥٧) من طريق يزيد بن صبيح ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس مرفوعًا . وقال البوصيري (٢٩٨/١) : هذا إسنادٌ ضعيف لاتفاقهم على ضعف طلحة بن عمرو .

(١٨٧) - **ضعيف جدًا** ، ورواه ابن عدي في الكامل (٤٤٠/٦) من طريق مؤمل ، عن أبي أمية بن يعلى عن المقبري ، عن أبي هريرة به ، وقال ابن عدي : « لا يرويه عن أبي أمية بن يعلى - وإن كان ضعيفًا - غير مؤمل هذا » . ورواه الطبراني في الدعاء (٢١٩) .

(١٨٨) - ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في « بغية الباحث ١٦٧» من طريق عبد العزيز بن أبان ، ثنا زربي - مولى خالد - عن أنس بن مالك ، به ، وزربي بن عبد الرحمن واهٍ ضعيف ، وعبد العزيز بن أبان متروك ؛ إلا أنه توبع من حرمي بن عمارة ، وعبد الصمد بن عبد الوارث - كلاهما عن زربي ، رواه ابن خزيمة (١٥٨٦) .

---

[١] - في ز : لم . [٢] - سقط من : ز ، خ .

(**قلت**) : ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون** ﴾ . فذكر الدعاء عن موسى وحده ، ومن سياق الكلام ما يدل على أنّ هارون أمّن ، فنزل منزلة من دعا ، لقوله تعالى : ﴿ **قد أجيبت دعوتكما** ﴾ فدلَّ ذلك على أنّ من أمّن على دعاء فكأنما قاله ، فلهذا قال من قال : إنّ المأموم لا يقرأ ؛ لأنّ تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ، [ولهذا جاء في الحديث : « **من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة** » [رواه أحمد في مسنده][1] ، وكان بلال يقول : لا تسبقني بآمين [يا رسول الله ؛][2] فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية ، والله أعلم][3] .

ولهذا قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن محمد بن سلام ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن ليث بن أبي سليم ، عن كعب ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال : آمين ، فتوافق آمين أهل الأرض آمين أهل السماء ، غفر الله للعبد ما تقدّم من ذنبه ، ومثل من لا يقول : آمين ، كمثل رجل غزا مع قوم ، فاقترعوا فخرجت سهامهم ، ولم يخرج سهمه ، فقال : لِمَ لم يخرج سهمي ؟ فقيل : إنك لم تقل آمين** »(١٨٩) .

---

(١٨٩) - **إسناده ضعيف** ، ورواه أبو يعلى في مسنده ٦٤١١ - (٢٩٦/١١) عن أبي خيثمة ، عن جرير ، به ، وليث ابن أبي سليم ضعيف ، وقال السيوطي في الدر المنثور : إسناده جيد .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

بسم الله الرحمن الرحيم

[تفسير][١] سورة البقرة

[مدنية وآياتها ست وثمانون ومائتان][٢]

ذكر ماورد في فضلها :

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارم ، حدّثنا معتمر ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبيه ، عن معقل ابن يسار : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **البقرة سنام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون مَلَكًا ، واستخرجت ﴿اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ من تحت العرش ، فوصلت**[٣] **بها ، أو فوصلت**[٤] **بسورة البقرة ، ويس : قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد اللَّه والدار الآخرة إلا غفر له ، واقرءوها على موتاكم** »(١) . انفرد به أحمد .

وقد رواه أحمد أيضًا ، عن عارم ، عن عبد اللَّه بن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان - وليس بالنهدي - عن أبيه ، عن معقل بن يسار ، قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **اقرءوها على موتاكم** »(٢) يعني يس .

فقد تبيّنا[٥] بهذا الإسناد معرفة المبهم في الرواية الأولى . وقد أخرج هذا الحديث على هذه

---

(١) - **إسناده ضعيف** ، والحديث رواه أحمد حديث ٢٠٨٥١ - (٢٥/٥) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣١/رقم : ٥١١، ٥٤١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١١/٦) وقال : « قلت : في سنن أبي داود منه طرف ، رواه أحمد ، وفيه راوٍ لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني وأسقط المبهم » .

وأخرج النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥) منه : « **يس قلب القرآن** ... » عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر ، عنه ، به ، وأخرج الروياني من أوله إلى « ... **تحت العرش** » (١٣٠٧) عن عمرو بن علي ، عن معتمر ، عنه ، به ، وأخرج أبو الشيخ في الأمثال (٢٧٤) : « **البقرة سنام القرآن وذروته** » ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر ، عنه ، به ، ورواه الطيالسي (٩٣١) من حديث ابن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن رجل ، عن أبيه ، عن معقل بن يسار مرفوعًا : « **اقرأوا يس على موتاكم** » . وأخرجه الروياني بتمامه (١٢٨٤) دون ذكر والد شيخ سليمان التيمي . إلا أن محققه زاده من عنده .

(٢) - **إسناده ضعيف** ، والحديث رواه أحمد حديث ٢٠٨٥٢ - (٢٥/٥) .

---

[١] - زيادة من ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - عند الروياني : فُضِّلت .

[٤] - عند الروياني : فُضِّلت .

[٥] - في ز ، خ : بينا .

الصفة في الرواية الثانية أبو داود، والنسائي، وابن ماجة(٣).

وقد روى الترمذي من حديث حكيم بن جبير - وفيه ضعف - عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لكل شيء سنامٌ، وإن سنام القرآن سورة**[١] **البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي**»(٤).

---

(٣) - **ضعيف**، أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب: القراءة عند الميت رقم (٣١٢١). والنسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب: ما يقرأ على الميت رقم (١٠١٩٣، ١٠٩١٤)، وابن ماجة في كتاب الجنائز، باب: ما جاء فيما يقال عن المريض إذا حضر رقم (١٤٤٨)، كلهم من حديث معقل بن يسار. وأبو عثمان لم يوثقه سوى ابن حبان، وقال الذهبي في الميزان: لا يعرف، قال ابن المديني: مجهول لم يرو عنه غير سليمان التيمي. وأبوه لا يعرف أيضًا. قال ابن القطان: أبو عثمان هذا لا يعرف، ولا روى عنه غير سليمان التيمي، وإذا لم يكن هو معروفًا فأبوه أبعد من أن يعرف، وهو إنما روى عنه. وقال الدارقطني كما في التلخيص: هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. والحديث رواه أيضًا ابن أبي شيبة (٧٤/٤) والحاكم (٥٦٥/١) والبيهقي (٣٨٣/٣) والطيالسي (٩٣١) والطبراني في الكبير (٢١٩/٢٠) وابن حبان (٣/٥) - بعضهم يقول: عن أبي عثمان، عن أبيه، وبعضهم يقول: عن أبي عثمان، عن معقل. وقال الحاكم: أوقفه يحيى بن سعيد، وغيره، عن سليمان التيمي، والقول فيه قول ابن المبارك، إذ الزيادة من الثقة مقبولة.

(٤) - **إسناده ضعيف**، رواه الترمذي برقم (٢٨٧٨)، وعبد الرزاق (٦٠١٩)، وابن نصر في قيام الليل (ص ١١٧)، والحميدي (٩٩٤)، ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٥٦٠/١ - ٥٦١) (٢٥٩/٢)، وابن عدي في الكامل (٦٣٧/٢) والبيهقي في الشعب (٢٣٧٥) من طريق حكيم بن جبير، به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه. وأما الحاكم فقال: صحيح الإسناد، والشيخان لم يخرجا عن حكيم بن جبير لوهم في رواياته؛ إنما لغلوه في التشيع.

وحكيم بن جبير الأسدي ويقال: مولى الحكم بن أبي العاص الثقفي الكوفي؛ قال أحمد: ضعيف الحديث مضطرب. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال ابن المديني: سألت يحيى بن سعيد عنه فقال: كم روى إنما روى شيئًا يسيرًا قلت: من تركه؟ قال: شعبة، من أجل حديث الصدقة - وقال معاذ بن معاذ: قلت لشعبة: حدثني بحديث حكيم بن جبير، قال: أخاف النار. وقال القطان عن شعبة نحو ذلك. وقال يعقوب بن شيبة: ضعيف الحديث. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: في رأيه شيء. قلت: ما محله؟ قال: الصدق إن شاء الله. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث له رأي غير محمود نسأل الله السلامة، غال في التشيع. وقال البخاري: كان شعبة يتكلم فيه. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال الدارقطني: متروك. قلت: وقول شعبة فيه يدل على أنه ترك الرواية عنه. وقال ابن مهدي: إنما روى أحاديث يسيرة وفيها منكرات. وقال الفلاس: كان يحيى يحدث عنه. وكان عبد الرحمن لا يحدث عنه. وقال البخاري في التاريخ: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه. وقال الساجي: غير ثبت في الحديث، فيه ضعف. وروى عنه الحسن بن صالح حديثًا منكرًا. وقال الآجري عن أبي داود: ليس بشيء.

---

[١] - سقط من: ز، خ.

وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة [رضي الله عنه]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، فإن البيت الذي يقرأ[١] فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**»(٥) وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام(٦): حدثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه**».

سنان بن سعد، ويقال بالعكس، وثقه ابن معين، واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وغيره.

---

(٥) - صحيح، والحديث في المسند (٢/٢٨٤، ٣٣٧، ٣٧٨، ٣٨٨)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢١٢ - (٧٨٠)، وسنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، وآية الكرسي برقم (٢٨٧٧) وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠١٥). ورواه ابن حبان (٦٣٥ موارد)، وابن أبي شيبة مختصرًا (٢/٢٥٦).

(٦) - هو في فضائل القرآن (ص ٢٢٨). وابن لهيعة: ضعيف. وقد تابعه عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب بسنده سواء، رواه الفريابي (٣٨) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، وابن لهيعة. وهذا بالإضافة إلى متابعة عمرو بن الحارث فهو من رواية ابن وهب، عن ابن لهيعة، وقد حسنها بعض أهل العلم.

وسعد بن سنان ويقال: سنان بن سعد الكندي المصري، روى عن أنس، وعنه يزيد بن أبي حبيب وحده، فالليث بن سعد يقول: عن يزيد، عن سعد بن سنان، وعمرو بن الحارث وابن لهيعة يقولان: عن يزيد، عن سنان بن سعد، وروى ابن إسحاق عن يزيد عنه أحاديث، سماه في بعضها سعد بن سنان، وفي بعضها سنان بن سعد، وفي بعضها سعيد بن سنان، وقال ابن حبان في الثقات: حدث عنه المصريون وأرجو أن يكون الصحيح سنان بن سعد، وقد اعتبرت حديثه فرأيت ما روى عن سنان بن سعد يشبه أحاديث الثقات، وما روى عن سعد بن سنان وسعيد بن سنان فيه المناكير كأنهما اثنان. وقال محمد بن علي الوراق عن أحمد ابن حنبل: لم أكتب أحاديث سنان بن سعد لأنهم اضطربوا فيها؛ فقال بعضهم: سعد بن سنان، وبعضهم: سنان بن سعد، وقال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: تركت حديثه لأنه مضطرب غير محفوظ قال: وسمعته مرة أخرى يقول: يشبه حديثه حديث الحسن لا يشبه حديث أنس. وقال ابن أبي خيثمة: سألت ابن معين عن سعد بن سنان الذي روى عنه يزيد بن أبي حبيب؛ فقال: ثقة. وقال أبو داود: قلت لأحمد بن صالح: سنان بن سعد سمع أنسًا فغضب من إجلاله له. وقال الجوزجاني: سعد بن سنان أحاديثه واهية. وقال النسائي: منكر الحديث. قلت: وقال ابن سعد: سنان بن سعد منكر الحديث. وقال البخاري: سنان بن سعد، وعنه أحمد بن حنبل، وحكى البخاري الخلاف في اسمه ثم قال: والصحيح سنان، وكذا صوبه ابن يونس، وذكر أن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي روى عنه أيضًا، وقال ابن معين: سمع عبد الله بن يزيد من سنان بن سعد بعدما اختلط.

---

[١] - في ن: تقرأ.

وقال أبو عبيد(٧) : حدّثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه - يعني ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : **إن الشيطان يفرّ من البيت يسمع فيه سورة البقرة** .

ورواه النسائي(٨) في « اليوم والليلة » . وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ، ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال ابن مَرْدُويه : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي ، حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال ، حدثني أبو بكر بن أبي أويس ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يضع إحدى رجليه على الأخرى يتغنّىٰ ، ويدع سورة البقرة يقرؤها ، فإن الشيطان ينفر**[١] **من البيت الذي**[٢] **تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت الجَوْف ، الصِّفْر من كتاب اللَّه** »(٩) . وهكذا رواه النسائي في « اليوم والليلة » عن محمد بن نصر ، عن أيوب بن سليمان به .

[وروى الدارمي في مسنده[٣] (١٠) ، عن ابن مسعود قال : **ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة**

---

(٧) - **رجاله رجال الصحيح** ، أبو الأحوص هو عوف بن مالك ، والحديث في فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢٩) .

(٨) - النسائي في الكبرى برقم (١٠٨٠٠) . والحاكم في المستدرك (٥٦١/١ ، ٢٦٠/٢) .

(٩) - أيوب بن سليمان بن بلال : ثقة ، لينه الساجي بلا حجة . وأبو بكر بن أبي أويس - واسمه عبد الحميد ابن عبد اللَّه - : ثقة مشهور بكنيته . وسليمان بن بلال : ثقة . ورواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٩٧٧) ، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٢٢٤٨) (٧٧٦٦) من طريق حلو بن السرى ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه به مرفوعًا ، وقال : لم يرو هذا الحديث عن حلو بن السري إلا الحارث بن محمد ، تفرد به يعقوب بن إسحاق أبو يوسف القلوسي وخالفهما - أي ابن عجلان وحلو بن السرى - شعبة ، فرواه عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه فوقفه ، أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (١٧٥) وشعبة أوثق الناس في أبي إسحاق ، ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (١٦٤) من طريق إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه موقوفًا . وكذا رواه الدارمي من حديث إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه موقوفًا أيضًا برقم (٣٤٩٧) . ورواه البيهقي في الشعب (٢٣٧٩) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٢/٦ - ٣١٣) وقال : رواه الطبراني في الصغير وفيه **ابن إسحاق** وهو مدلس ، ومن لم أعرفهم . ثم أورده (٣١٣/٦) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لا أعرفهم .

(١٠) - سنن الدارمي برقم (٣٣٧٨) من طريق فطر ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه ، به . وإسناده حسن .

---

[١] - في ز ، خ : « يفر » .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - كذا في ت ، ز ، خ .

إلا خرج منه الشيطان وله ضراط .

وقال(١١) : **إن لكل شيء سنامًا ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، وإن لكل شيء لبابًا ، وإن لباب القرآن المفصل .**

وروى(١٢) أيضًا من طريق الشعبي قال : قال عبد الله بن مسعود : **من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة : أربع من أولها ، وآية الكرسي ، وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخرها .**

وفي رواية (١٣) : **لم يقربه ولا أهله يومئذٍ شيطان ، ولا شيء يكرهه ، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق]**[١] .

وعن سهل بن سعد[٢] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن لكل شيء سنامًا ، وإن[٣] سنام القرآن البقرة ، وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله شيطان[٤] ثلاث ليال ، ومن قرأها في بيته نهارًا لم يدخله شيطان[٥] ثلاثة أيام** » .

رواه أبو القاسم الطبراني(١٤) وأبو حاتم بن حبان في صحيحه [وابن مردويه من حديث الأزرق

---

(١١) - سنن الدارمي برقم (٣٣٨٠) من طريق حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، به . ورواه من طرق حماد به ابن الضريس في فضائل القرآن رقم (١٧٨) . ورواه الطبراني (٨٦٤٤) والحاكم وصححه . والبيهقي (٢٣٧٦) دون قوله : « **وإن لكل شيء لبابًا** ... » وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/٧) وقال : رواه الطبراني ، وفيه عاصم بن بهدلة ، وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١٢) - **منقطع** ، والحديث في سنن الدارمي برقم (٣٣٨٥) . من طريق جعفر بن عون ، عن أبي العميس ، عن الشعبي به . والشعبي لم يسمع من ابن مسعود ، وأخرجه الطبراني (٨٦٧٣) .

(١٣) - سنن الدارمي برقم (٣٣٨٦) . من طريق عمرو بن عاصم ، عن حماد ، عن عاصم ، عن الشعبي به . ورواه ابن الضريس (١٧٩) بمعناه ، من طريق حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن عامر الشعبي ، به .

(١٤) - **ضعيف** ، خالد بن سعيد : قال العقيلي : لا يتابع على حديثه . وأورد له هذا الحديث . والحديث في المعجم الكبير ٥٨٦٤ - (١٦٣/٦) ، ورواه أبو يعلى (٧٥٥٤) ، وابن حبان برقم (١٧٢٧ موارد) . ورواه العقيلي (٦/٢) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٠١/١) ، والبيهقي في الشعب (٢٣٧٨) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١١/٦- ٣١٢) وقال : رواه الطبراني ، وفيه سعيد بن خالد الخزاعي المدني ، وهو ضعيف - كذا قال : سعيد بن خالد ، وكذلك هو في الطبراني - .

وأورده الحافظ في المطالب من طريق أبي يعلى (٣٩١٨) وقال : ورواه من طريقه ابن حبان .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « سعيد » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت ، ش : « الشيطان » .

[٥] - في ت ، ش : « الشيطان » .

ابن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن سعيد المدني، عن أبي حازم، عن سهل، به. وعند ابن حبان: خالد بن سعيد المديني][١] .

وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث عبد الحميد بن جعفر، عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: بعث[٢] رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بعثًا[٣] وهم ذوو عددٍ فاستقرأهم، فاستقرأ كل واحدٍ منهم - يعني - ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنًّا، فقال: «**ما معك يا فلان ؟**». فقال[٤]: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «**أمعك سورة البقرة ؟**» . قال: نعم. قال: «**اذهب فأنت أميرهم**». فقال رجل من أشرافهم: واللَّه ما منعني أن أتعلم سورة[٥] البقرة إلا أني خشيت أن لا أقوم بها. فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**تعلموا القرآن واقرءوه؛ فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوّ مسكًا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب [أوكي على][٦] مسك**» (١٥) .

هذا لفظ رواية[٧] الترمذي، ثم قال: هذا حديث[٨] حسن. ثم رواه من حديث الليث، عن سعيد، عن عطاء مولى أبي أحمد مرسلًا، فاللَّه أعلم.

وقال البخاري (١٦) : وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أسيد

---

(١٥) - **ضعيف**، عطاء مولى أبي أحمد؛ أورده الذهبي في الميزان (٣/٢٠٩) . وقال الذهبي: لا يكاد يعرف. وقال ابن عدي: بعض حديثه عن سعيد مما لا يتابع عليه. وقال الحافظ: مقبول - أي عند المتابعة - والحديث في سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي برقم (٢٨٧٦) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٧٤٩) ، وابن ماجه في المقدمة برقم (٢١٧) . وابن خزيمة (١٥٠٩) ، وعنه ابن حبان (١٧٨٩ موارد) ، والبزار، وابن نصر (ص ٢٥) ، والحاكم (١/٤٤٣) والحديث رواه ابن عدي (٥/١٧٠٣) من حديث عمر بن طلحة بن علقمة بن وقاص الليثي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، به مختصرًا. وقال البزار: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، إلا من حديث أبي هريرة بهذا الإسناد، وعطاء مولى أبي أحمد لا نعلمه حدث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ولا حدث عنه إلا سعيد المقبري. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه !!! . وهو في ضعيف الجامع (٢٤٥٢) وضعاف السنن المذكورة.

وقول الحاكم رحمه اللَّه: " صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " خطأ بَيِّن؛ فعطاء لم يرو له الشيخان، وعبد الحميد لم يحتج به البخاري.

(١٦) - صحيح البخاري في فضائل القرآن باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن برقم (٥٠١٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز، خ: «ساو».
[٤] - في ز: قال.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - في خ: «حشى»، وفي ز: أولي.
[٧] - في ز: رواة.
[٨] - سقط من ز.

ابن حُضير[١] - رضي اللَّه عنه - قال: بينما[٢] هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبي صلى اللَّه عليه وسلم فقال: «**اقرأ يا ابن حُضير**». قال: فأشفقت يا رسول اللَّه؛ أن تطأ يحيىٰ وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: «**وتدري ما ذاك؟**» قال: لا. قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارىٰ منهم**».

وهكذا رواه الإمام العالم[٣] أبو عبيد القاسم بن سلام(١٧)، في كتاب فضائل القرآن عن عبد اللَّه بن صالح[٤] ويحيى بن بكير، عن الليث، به.

وقد رُوي من [وجه آخر][٥] عن أسيد بن حضير كما تقدم(١٨)، واللَّه أعلم.

وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن شماس[٦] - رضي اللَّه عنه - وذلك فيما رواه أبو عبيد(١٩) - حدّثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن عمه[٧] جرير بن زيد[٨]: أن أشياخ أهل المدينة حدّثوه أن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيحَ؟!. قال: «**فلعله قرأ سورة البقرة**».

قال: فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة. وهذا إسناد جيد، إلا أن فيه إبهامًا، ثم هو مرسل، واللَّه أعلم.

ذكر[٩] ما ورد في فضلها مع آل عمران

---

(١٧) - الحديث في فضائل القرآن (ص ٦٣)، ورواه البيهقي في الدلائل (٨٤/٧)، وأبو نعيم في المعرفة رقم ٨٧٦ - (٢٥٥/٢) والحافظ في تغليق التعليق (٣٨٧/٤).

(١٨) - فضائل القرآن لأبي عبيد ص (٦٥).

(١٩) - فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٦٥ - ٦٦).

---

[١] - في ز: الحضير.

[٢] - في ز: بينا.

[٣] - في ز: العلم.

[٤] - في الفضائل: عبد الله بن صباح.

[٥] - في ز: وجوه أخر.

[٦] - في ز: الشماس.

[٧] - سقط من: ز، خ.

[٨] - في ز، خ: يزيد.

[٩] - سقط من ز.

قال[١] الإمام أحمد(٢٠) : حدّثنا أبو نعيم ، حدّثنا بشير بن المهاجر ، حدّثني عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كنت جالسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : « **تعلموا سورة البقرة ؛ فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة** » .

قال[٢] : ثم سكت ساعة ثم قال : « **تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان(٢١) ، أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك . فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى المُلك بيمينه والخُلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويُكسى والداه حلتين لا يقوم[٣] لهما أهل الدنيا ، فيقولان : بمَ كُسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود مادام يقرأ هذًا[٤] كان أو ترتيلًا** » .

وروى ابن ماجة(٢٢) من حديث بشير بن المهاجر [ ][٥] بعضه ، وهذا إسناد حسنٌ على شرط مسلم ؛ فإن بشيرًا هذا أخرج له مسلم ووثقه ابن معين ، وقال النسائي : ليس به بأس . إلا أن الإمام أحمد قال فيه : هو منكر الحديث ، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تجيء بالعجب . وقال البخاري : يخالف في بعض حديثه . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن عدي :

(٢٠) – الحديث في المسند برقم ٢٣٠٥٦ – (٣٤٨/٥) ، ورواه الدارمي (٣٢٤/٢) ، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩٢ – ٤٩٣) ، ومن طريقه ابن الضريس في الفضائل (٩٩) ، والعقيلي في الضعفاء (١٤٤/١) ، والبيهقي في الشعب (١٨٣٥ هـ) وقال العقيلي : لا يصح في هذا الباب شيء – يعني : « **وإن القرآن يلقى صاحبه** » ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩) وقال : « وروى ابن ماجة منه طرفًا – رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » . وأخرجه ابن عدي في ترجمة بشير (٤٥٤/٢) وقال : ولبشير أحاديث غير ما ذكرت عن ابن بريدة وغيره ، وقد روى ما لا يتابع عليه ، وهو ممن يكتب حديثه ، وإن كان فيه بعض الضعف ، وأورده الحافظ ابن طاهر في الذخيرة (١١٥٧/٢) وقال : وبشير لا يتابع على أكثر أحاديثه ، وهو متروك الحديث . وقد رُوي من حديث ابن عباس ، رواه ابن عدي في الكامل (١٨٧٤/٥) من طريق عاصم بن هلال ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وعاصم ضعيف .

(٢١) – الغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (النهاية ٤٠٣/٣) .

(٢٢) – أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : ثواب القرآن (رقم : ٣٧٨١) من طريق علي بن محمد ، عن وكيع ، به . وبشير لم يرو له مسلم إلا حديثًا واحدًا في الحدود ، وخالفه في سياقه سليمان بن بريدة .

[١] – في ز ، خ : وقال .
[٢] – في خ : ثم قال .
[٣] – في خ : « تقوم » .
[٤] – في خ : « هذا » .
[٥] – في ز ، خ : به .

روى ما لا يتابع عليه . وقال الدراقطني : ليس بالقوي .

(**قلت**) : ولكن لبعضه شواهد ، فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي ، قال الإمام أحمد (٢٣) : حدّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدّثنا هشام ، عن يحيى بن أبي[١] كثير ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **اقرءوا القرآن ؛ فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة ، اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من[٢] طير صواف يُحاجان عن أهلهما** » ثم قال : « **اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة** » .

وقد رواه مسلم (٢٤) في الصلاة من حديث معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، عن جده أبي سلام - ممطور الحبشي - عن أبي أمامة - صدي بن عجلان الباهلي[٣] - به .

الزهراوان : المنيران[٤] ، والغياية[٥] : ما أظلك من فوقك . والفرق : القطعة من الشيء ، والصواف : المصطفة المتضامة . والبطلة : السحرة . ومعنى لا تستطيعها ؛ أي : لا يمكنهم حفظها . وقيل : لا تستطيع النفوذ[٦] في قارئها ، واللّه أعلم .

ومن ذلك حديث النواس بن سمعان ، قال الإمام أحمد (٢٥) : حدّثنا يزيد بن عبد ربه ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي ، عن جبير بن نفير قال : سمعت النواس بن سمعان الكلابي ، يقول : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « **يؤتىٰ بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران** » . وضرب لهما رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعدُ ، قال : « **كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرقٌ ، أو كأنهما فرقان من طير صواف[٧] يحاجان عن صاحبهما** » .

---

(٢٣) - **صحيح** ، وهو في المسند حديث ٢٢٢٤٦ - (٥/٢٤٩) ، و(٥/٢٥٥ ، ٢٥٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/١٨) لابن زنجويه في فضائل القرآن ، ومن طريق رواه البغوي في شرح السنة ١١٩٣ - (٤/ ٢٥٦) ، والطبراني (٨/٧٥٤٢، ٧٥٤٣) ، وابن الضريس (٩٨) ، والحاكم (١/٥٦٤) ، والروياني في مسنده ١٢٥٤ - (٢/٣٠٥) والبيهقي في الشعب (١٨٢٧هـ) .

(٢٤) - رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها برقم ٢٥٢ - (٨٠٤) .

(٢٥) - المسند حديث ١٧٦٨٨ - (٤/١٨٣) ، والبخاري في الكبير (٤/٢/١٤٧ - ١٤٨) ، والبيهقي في الشعب (٢١٥٧ هـ) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ن : المنيرتان .
[٥] - في ز ، خ : « الغاية » .
[٦] - في ز ، خ : « التفرد » .
[٧] - في ز : صاف .

ورواه مسلم(٢٦) عن إسحاق بن منصور، عن يزيد[١] بن عبد ربه، به.

والترمذي(٢٧)، من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، به. وقال: حسن غريب.

وقال أبو عبيد(٢٨): حدّثنا حجاج، عن حماد بن سلمة[٢]، عن عبد الملك بن عمير، قال: قال حماد: أحسبه عن أبي منيب، عن عمه[٣]، أن رجلًا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب: أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال: نعم. قال: فوالذي نفسي بيده إن فيهما اسم اللَّه الذي إذا دُعي به استجاب. قال: فأخبرني به. قال: لا، واللَّه لا أخبرك به، ولو أخبرتك به لأوشكت أن تدعوه بدعوة أَهْلَكُ فيها أنا وأنت.

وحدّثنا(٢٩) عبد اللَّه بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر، أنه سمع أبا أمامة يقول: إن أخًا لكم أُرِي في المنام أن الناس يسلكون في صدع جبل وعر طويلٍ، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان تهتفان[٤]: هل فيكم من يقرأ سورة البقرة؟ [ ][٥] هل فيكم من يقرأ سورة آل عمران؟ قال: فإذا قال الرجل: نعم دنتا[٦] منه بأعذاقهما حتى يتعلق بهما فتخطران[٧] به الجبل.

وحدّثنا(٣٠) عبد اللَّه بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن أبي عمران، أنه سمع أم الدرداء تقول: إن رجلًا ممن [قد][٨] قرأ القرآن أغار على جار له فقتله، وإنه أقيد منه[٩] فقتل، فمازال القرآن ينسل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة، ثم إن آل عمران انسلت منه، وأقامت البقرة جمعة، فقيل لها: **﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾** قال: فخرجت

---

(٢٦) - رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة رقم ٢٥٣ - (٨٠٥).

(٢٧) - سنن الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة آل عمران حديث (٢٨٨٣).

(٢٨) - فضائل القرآن (ص ٢٣٥ - ٢٣٦). ورواه ابن الضريس في فضائله (٨٥).

(٢٩) - فضائل القرآن (ص ٢٣٦)، والدارمي (٢/٣٢٤).

(٣٠) - فضائل القرآن (ص ٢٣٦)، وسنده حسن وأبو عمران؛ مختلف في اسمه، وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم: صالح.

---

[١] - في ز: محمد.

[٢] - في ز: سلم.

[٣] - ف ز: عمر.

[٤] - في ز، خ: «يهتفان».

[٥] - في ت: [و].

[٦] - في ز، خ: «دنيا».

[٧] - في خ: «فيخطران».

[٨] - زيادة من ز ومن الفضائل.

[٩] - في ت، خ: به.

كأنها السحابة العظيمة .

قال أبو عبيد : أراه يعني أنهما كانتا معه في قبره تدفعان[١] عنه وتؤنسانه ، فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن .

وقال أيضًا(٣١) : حدّثنا أبو مسهر الغساني ، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، أن يزيد بن الأسود الجُرَشي كان يحدث أنه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى يمسي ، ومن قرأهما في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح . قال : فكان يقرؤهما كل يوم وليلة سوى جزئه .

وحدّثنا(٣٢) يزيد ، عن وقاء[٢] بن إياس ، عن سعيد بن جبير قال : قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كان - أو كتب - من القانتين .

فيه انقطاع ، ولكن ثبت في الصحيح[٣] (٣٣) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [وآله وسلم][٤] قرأ بهما في ركعة واحدة .

(ذكر[٥] ما ورد في فضل السبع الطول[٦])

قال أبو عبيد(٣٤) : حدّثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي ، عن محمد بن شعيب ، عن سعيد ابن بشير ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(٣١) - فضائل القرآن (ص ٢٣٧) .

(٣٢) - فضائل القرآن (ص ٢٣٧) ، ورواه سعيد بن منصور في تفسيره (٤٨٥) ، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٢٠١ هـ) ، وسعيد بن جبير لم يدرك عمر ، ووقاء بن إياس : قال أبو حاتم : صالح الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالمتين عندهم ، وقال يحيى بن سعيد : ما هو بالذي يعتمد عليه . وقال آخر : صدوق . وقال النسائي : ليس بالقوي . (الميزان ٤/٣٣٥) .

(٣٣) - الحديث في صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٢٠٣ - (٧٧٢) ، والنسائي برقم ١٠٠٩ - (١٧٧/٢) ، ١٦٦٤ - (٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦) من حديث حذيفة ، رضي الله عنه .

(٣٤) - **حسن** ، سعيد بن بشير ؛ ضعيف في قتادة ، وقد تابعه عمران بن داور ، عن قتادة ، كما هو عند أحمد وغيره ، والحديث في فضائل القرآن (ص ٢٢٥) ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٢٦ - (١/١٠٠) من طريق رواد بن الجراح ، عن سعيد بن بشير ، به ، ورواه أحمد ١٧٠٣٢- (٤/١٠٧) : ثنا سليمان بن داود - أبو داود الطيالسي ؛ قال : أنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي المليح الهذلي ، عن واثلة بن الأسقع ، ورواه الطيالسي ١٠١٢ - (١٣٦) ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٢٦ - (١/١٠٠) من طريق الطيالسي ، عن عمران - أبي العوام - عن قتادة ، به ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٢٩ - (١/١٠١) من طريق ليث بن أبي

---

[١] - في ت : « يدفعان » .
[٢] - في خ : ورقاء
[٣] - في خ : الصحيحين .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « الطوال » وهي ساقطة من ز .

« أعطيت السبع الطول[١] مكان التوراة، وأعطيت المئين[٢] مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل».

هذا حديث غريب، وسعيد بن [ ][٣] بشير، فيه لين.

وقد رواه أبو عبيد(٣٥) عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن سعيد بن أبي هلال، قال: بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال... فذكره، والله أعلم.

ثم قال(٣٦): حدّثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله ابن حنطب، عن حبيب بن هند الأسلمي، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«من أخذ السبع فهو حَبْر»**.

وهذا أيضًا غريب، وحبيب بن هند بن أسماء بن هند بن حارثة الأسلمي، روى عنه عمرو بن أبي عمرو، وعبد الله بن أبي بكرة[٤]، وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحًا، فالله أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد(٣٧) عن سليمان بن داود وحسين، كلاهما عن إسماعيل بن جعفر، به.

سليم، عن أبي بردة، عن أبي المليح؛ به نحوه، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٥ - ٧٦) حديث (١٨٥ - ١٨٧)، والحميدي في مسنده (١٩١٨)، وأورده الهيثمي (١٥٨/٧)، وقال: رواه أحمد والطبراني بنحوه. وأورده (٤٦/٧) وقال: رواه أحمد، وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات، ورواه ابن الضريس في فضائله - مرسلًا - من حديث عبد الأعلى، عن وهيب، عن خالد، عن أبي قلابة مرفوعًا ص (٨٢، ١٢٧)، وابن جرير أيضًا ١٢٧ - (١/١٠٠).

(٣٥) - **معضل**، والحديث في فضائل القرآن (ص ٢٢٥ - ٢٢٦). ثم قال بعده: قال عبد الله: لم يحفظ الليث عن سعيد إلا ثلاثة أحاديث هذا أحدها.

(٣٦) - حبيب بن هند ترجمه البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحًا، ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في الثقات (ت الكبير ٣٢٧/٢، والجرح ١١٠/٣، والثقات ١٤١/٤، ١٧٧/٦، والتعجيل ٤٢٥/١) والحديث في فضائل القرآن (ص ٢٢٦).

(٣٧) - المسند حديث ٢٤٥٥٣ - (٧٣/٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٦٤/١)، والبزار كما في كشف الأستار (٩٥/٣/رقم: ٢٣٢٧)، والطحاوي في المشكل (١٥٤/٢)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٦٨)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠٨/١٠)، كلهم عن عمرو بن أبي عمرو، به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٢/٧) وقال: «رواه أحمد والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح غير حبيب ابن هند الأسلمي، وهو ثقة، ورواه بإسناد آخر رجاله رجال الصحيح، ورواه بإسناد آخر عن أبي هريرة، عن النبي، صلى الله عليه وسلم قال... مثله، ولكن سقط من الإسناد رجل».

---

[١] - سقط من: خ ز.
[٢] - في خ: «المئن».
[٣] - في خ: أبي.
[٤] - في ز: بكر.

ورواه أيضًا عن أبي سعيد(٣٨) ، عن سليمان بن بلال ، عن حبيب بن [هند ، عن][١] عروة ، عن عائشة ؛ أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حَبْر** » .

قال أحمد(٣٩) : وحدّثنا حسين ، حدثنا ابن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ، مثله .

قال عبد اللّه بن أحمد : وهذا أرى فيه ، عن أبيه ، عن الأعرج ، ولكن كذا كان في الكتاب فلا أدري [أغفله أبي][٢] أو كذا هو مرسل .

[وروى الترمذي (٤٠) ، عن أبي هريرة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعث بعثًا وهم ذوو عدد ، وقدّم عليهم أحدثهم سنًّا لحفظه سورة البقرة ، وقال له : « **اذهب فأنت أميرهم** » . وصححه الترمذي][٣]

ثم قال أبو عبيد(٤١) : حدّثنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿**ولقد آتيناك سبعًا من المثاني**﴾ قال : هي السبع الطول : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس . قال : وقال مجاهد : هي السبع الطول[٤] .

وهكذا قال مكحول وعطية بن قيس وأبو محمد الفارسي [و][٥] شداد بن [عبيد اللّه][٦] ويحيىٰ بن الحارث الذماري في تفسير الآية بذلك ، وفي تعدادها ، وأنّ يونس هي السابعة .

فصل

[البقرة نزلت بالمدينة][٧]

(٣٨) - المسند حديث ٢٤٦٤٢ - (٨٢/٦) .

(٣٩) - **إسناده ضعيف** ، وهو في المسند حديث ٢٤٥٥٤ - (٧٣/٦) .

(٤٠) - الحديث في سنن الترمذي ، أبواب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي برقم (٢٨٧٦) . وتقدم برقم (١٥) .

(٤١) - فضائل القرآن لأبي عبيد ص (٢٢٧) ، وابن جرير (٥٣/٤) ، والبيهقي في الشعب (٢١٩٥ هـ) .

[١] - في ز : عبد .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في خ : « الطوال » .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ن : أوس .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف ، [وهي من أوائل ما نزل بها ، لكن قوله تعالى فيها : ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله** ﴾ الآية ، يقال : إنها آخر ما نزل من القرآن ويحتمل أن تكون منها ، وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل ، وكان خالد بن معدان يسمي البقرة فسطاط القرآن][١].

قال بعض العلماء : وهي مشتملة على ألف خبر ، وألف أمر ، وألف نهي .

وقال العادّون : آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات ، وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائة وإحدى وعشرون كلمة ، وحروفها خمسة وعشرون ألفًا وخمسمائة حرف ، فالله أعلم .

قال ابن جريج(٤٢) : عن عطاء ، عن ابن عباس : نزلت بالمدينة سورة البقرة .

وقال خصيف(٤٣) : عن مجاهد ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : نزلت[٢] بالمدينة سورة البقرة .

وقال الواقدي(٤٤) : حدثني الضحاك بن عثمان ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، قال : نزلت البقرة بالمدينة . وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه .

وقال ابن مردويه : حدّثنا محمد بن معمر ، حدّثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي[٣] ، حدّثنا خلف بن هشام ، وحدّثنا عبيس[٤] بن ميمون ، عن موسى بن أنس بن مالك ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ، ولكن قولوا : السورة[٥] التي يذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله** »(٤٥) .

---

(٤٢) – رواه ابن الضريس (١٨) ، وعزاه في الدر المنثور (١٧/١) لأبي جعفر النحاس ، في الناسخ والمنسوخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل من طرقٍ عن ابن عباس ، وعطاء الخرساني لم يسمع من ابن عباس .

(٤٣) – خصيف هو ابن عبد الرحمن : ضعيف ، والحديث عزاه في الدر المنثور (١٧/١) لابن مردويه .

(٤٤) – الواقدي : متروك .

(٤٥) – منكر ، والحديث رواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٤٥٠ مجمع البحرين) ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٥٨٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤١٨/٣) ، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٥٠/١) من طريق عبيس ابن ميمون ، عن موسى بن أنس ، به ، وهو في اللآلئ المصنوعة (٢٣٩/١) ، وقال البيهقي : « عُبيس بن

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] – في ز : انزل .

[٣] – سقط من ز .

[٤] – في ز ، خ : عيسى ، وهو تحريف .

[٥] – في ز ، خ : « سورة » .

هذا حديث غريب لا يصح رفعه، وعبيس[١] بن ميمون هذا هو أبو[٢] سلمة الخوّاص، وهو ضعيف الرواية، لا يحتج به، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي، فجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه، ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة. أخرجاه (٤٦).

وروى ابن مردويه(٤٧)، من حديث شعبة، عن عقيل بن طلحة، عن عتبة بن فرقد[٣]، قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه تأخرًا فقال: «**يا أصحاب سورة البقرة**». وأظنّ هذا كان يوم حنين حين ولوا مدبرين، أمر العباس فناداهم - «**يا أصحاب الشجرة**» - يعني: أهل بيعة الرضوان - وفي رواية: «**يا أصحاب سورة[٤] البقرة**» - لينشطهم[٥] بذلك، فجعلوا يقبلون من كل وجه.

وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة، جعل الصحابة يفرون لكثافة [جيش بني][٦]

ميمون منكر الحديث، وهذا لا يصح، وإنما روى عن ابن عمر من قوله». وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧/٧) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عُبيس بن ميمون وهو متروك.

(٤٦) - صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: رمي الجمار من بطن الوادي برقم (١٧٤٧)، ومسلم في كتاب الحج، برقم ٣٠٥ - (١٢٩٦).

(٤٧) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٣/١٧) من طريق علي بن قتيبة، عن شعبة، عن عقيل بن طلحة، به، ورواه ابن أبي عاصم، من طريق أسد بن قتيبة، عن عقيل بن طلحة، به، وأورده الهيثمي (٣٣٧/٥) وقال: رواه الطبراني، وفيه علي بن قتيبة وهو ضعيف.

ورواه عبد الرزاق (٩٧٤١/٥)، ومن طريق عبد الرزاق رواه مسلم ٧٦ - (١٧٧٥)، وأحمد (١٧٧٥) من حديث كثير بن العباس، عن أبيه.

ورواه أحمد ١٧٧٦ - (٢٠٧/١) من حديث كثير بن عباس قال: كان عباس وأبو سفيان - يعني ابن الحارث - معه - يعني النبي، صلى الله عليه وسلم، فخطبهم وقال: «**الآن حمي الوطيس - وقال - : نادِ يا أصحاب سورة البقرة**».

ورواه أحمد في فضائل الصحابة ١٧٧٦ - (٩٢٨/٢) من حديث كثير بن العباس، به.

ورواه أبو يعلى - من حديث أنس - في مسنده ٣٦٠٦ - (٢٨٩/٦)، والطبراني في الأوسط (٢٧٥٨) من طريق عمرو بن عاصم، عن أبي العوام، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، رضي الله عنه. وأورده الهيثمي (١٨١/٦) وعزاه لأبي يعلى والطبراني وقال: رجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داور القطان، وهو أبو العوام، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره.

---

[١] - في ز، خ: عيسى.
[٢] - في ز: ابن.
[٣] - في ز، خ: «مربد».
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز: ينشطهم.
[٦] - في خ: «حسدى»، وفي ز: حشري

حنيفة، فجعل المهاجرون والأنصار يتنادون يا أصحاب سورة البقرة! حتى فتح الله عليهم(٤٨)، رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور؛ فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردّوا علمها إلى الله ولم يفسروها.

[حكاه القرطبي في تفسيره(٤٩) عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خُثيم، واختاره أبو حاتم بن حبان][١].

ومنهم من فسرها، واختلف هؤلاء في معناها؛ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما هي أسماء السور. [قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره(٥٠): وعليه إطباق الأكثر. ونقل عن سيبويه أنه نص عليه][٢] ويعتضد لهذا[٣] بما ورد في الصحيحين(٥١) عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الم ﴾ السجدة، و ﴿ **هل أتىٰ على الإنسان** ﴾.

وقال سفيان الثوري(٥٢): عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، أنه قال: ﴿ الم ﴾، و ﴿حم﴾، و

(٤٨) – رواه عبد الرزاق (٩٤٦٥/٥) عن معمر، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٠٢/١٢) عن وكيع، وسعيد بن منصور، عن يعقوب بن عبد الرحمن، ثلاثتهم، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: «كان شعار أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم مسيلمة: يا أصحاب سورة البقرة».

(٤٩) – تفسير القرطبي (١٥٤/١).

(٥٠) – الكشاف (١٠/١).

(٥١) – رواه البخاري في الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة برقم (٨٩١)، ومسلم في الجمعة برقم ٦٥، ٦٦ – (٨٨٠).

(٥٢) – رواه ابن جرير برقم (٢٣٠)، وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر، وأبي الشيخ، وقد قيل: إن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد، قاله يحيى بن سعيد القطان، ولكن الواسطة بينهما هو القاسم بن أبي بزة، وهو ثقة، قال ابن حبان: لم يسمع التفسير من مجاهد غير القاسم، وكل من يروي عن مجاهد

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٣] – في ز: هذا.

﴿المص﴾، و ﴿ص﴾ فواتح افتتح اللّٰه بها القرآن .

وكذا قال غيره عن مجاهد(٥٣) ، وقال مجاهد (٥٤) في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عنه أنه قال : ﴿ الم ﴾ اسم من أسماء القرآن .

وهكذا قال قتادة وزيد بن أسلم(٥٥) .

ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد [بن أسلم][١] : إنه اسم من أسماء السور ؛ فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن ، فإنه يبعد أن يكون المص اسمًا[٢] للقرآن كله ؛ لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول : قرأت المص ، إنما ذلك عبارة عن[٣] سورة الأعراف لا لمجموع القرآن ، واللّٰه أعلم .

وقيل : هي اسم من أسماء اللّٰه تعالى ، فقال الشعبي : فواتح السور من أسماء اللّٰه تعالى . وكذلك قال سالم بن عبد اللّٰه ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير . وقال شعبة : عن السدي : بلغني أن ابن عباس قال : ﴿ الم ﴾ اسم من أسماء اللّٰه الأعظم . هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة .

ورواه(٥٦) ابن جرير عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن شعبة ، قال : سألت السدي عن حم و طس و الم ؛ فقال : قال ابن عباس : هي اسم اللّٰه الأعظم .

وقال ابن جرير (٥٧) : وحدّثنا محمد بن المثنى ، حدّثنا أبو النعمان ، حدّثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن مرة الهمداني قال : قال عبد اللّٰه : ... فذكر نحوه .

[وحكي مثله عن علي وابن عباس][٤] . وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس(٥٨) : هو

التفسير إنما أخذه من كتاب القاسم .

(٥٣) - رواه ابن جرير برقم (٢٢٨ ، ٢٣١) ، وابن أبي حاتم برقم (٥١) من طريق ابن جريج .

(٥٤) - رواه ابن جرير برقم (٢٢٦) .

(٥٥) - رواه عبد الرزاق (٣٩/١) ، ومن طريقه ابن جرير (٢٢٥) .

(٥٦) - تفسير ابن جرير ٢٣٣ - (٢٠٦/١) . وفيه (محمد بن المثنى) بدل (بندار - محمد بن بشار) .

(٥٧) - تفسير ابن جرير ٢٣٤ - (٢٠٦/١) .

(٥٨) - رواه ابن جرير برقم (٢٣٦) ، وعلي بن طلحة لم يسمع من ابن عباس ، ولم يره .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : اسم .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قسم أقسم اللَّه به ، وهو من أسماء اللَّه تعالى .

وروى ابن أبي حاتم(٥٩) وابن جرير من حديث ابن عُليّة عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، أنه قال : ﴿ الم ﴾ قسم .

ورويا(٦٠) أيضًا من حديث شريك بن عبد اللَّه ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس : ﴿ الم ﴾ قال : أنا اللَّه أعلم .

وكذا قال سعيد بن جبير(٦١) .

وقال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني[١] عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم(٦٢) : ﴿ الم ﴾ قال : أما[٢] الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء[٣] اللَّه تعالى .

وقال أبو جعفر الرازي(٦٣) : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ الم ﴾ قال : هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفًا دارت فيها الألسن كلها ، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه ، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام[٤] وآجالهم .

قال عيسىٰ ابن مريم – عليه السلام – وعجب فقال : وأعجب أنهم ينطقون بأسمائه ، ويعيشون في رزقه ، فكيف يكفرون به . فالألف مفتاح اسمه اللَّه . واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، فالألف آلاء اللَّه ، واللام لطف اللَّه ، والميم مجد اللَّه ، والألف ستة[٥] واللام ثلاثون [ ][٦] ، والميم أربعون [ ][٧] .

---

(٥٩) – **إسناده صحيح** ، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٥٢ – (٣٠/١) ، وتفسير ابن جرير ٢٣٧ – (٢٠٧/١).

(٦٠) – **إسناده ضعيف** ؛ لضعف شريك ، واختلاط عطاء ، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٤٣ – (٢٧/١) وتفسير ابن جرير ٢٣٨ – (٢٠٧/١) .

(٦١) – رواه ابن جرير (٢٣٩) .

(٦٢) – رواه ابن جرير (٢٤٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٥/١) .

(٦٣) – تفسير ابن أبي حاتم ٤٩ – (٢٨/١) .

---

[١] – في خ : الهمذاني .
[٢] – سقط من ز .
[٣] – في ز ، خ : « اسم » .
[٤] – في ز : قوم .
[٥] – في ت ، وابن جرير : « سنة » .
[٦] – في ت وابن جرير : سنة .
[٧] – في ت وابن جرير : سنة .

هذا لفظ ابن أبي حاتم .

ونحوه رواه ابن جرير(٦٤) ، ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال ويوفق بينها ، وأنه لا منافاة بين كل[١] واحد منها وبين الآخر ، وأن الجمع ممكن ، فهي أسماء للسور ، ومن أسماء اللَّه تعالى يفتتح بها السور ، فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته ، كما افتتح سورًا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه .

قال : ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء اللَّه ، وعلى صفة من صفاته ، وعلى مدة وغير ذلك ، كما ذكره الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ؛ لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة ، كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد به الدين ، كقوله تعالى : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ﴾ ، وتطلق ويراد بها الرجل المطيع للَّه كقوله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتًا للَّه حنيفًا ولم يك من المشركين** ﴾ . وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله : ﴿ **وجد عليه أمة من الناس يسقون** ﴾ وقوله : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا** ﴾ وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى : ﴿ **وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة** ﴾ أي بعد حين على أصح القولين ، قال : فكذلك هذا .

هذا حاصل كلامه موجهًا ، ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية ، فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا ، وعلى هذا معًا ، ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام ، فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ، ليس هذا موضع البحث فيها ، واللَّه أعلم .

ثم إن لفظة[٢] الأمة تدل[٣] على كل [من معانيها][٤] في سياق الكلام بدلالة الوضع ، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره ، فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف ؛ والمسألة مختلف فيها ، وليس فيها إجماع حتى يحكم به .

وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة ، فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا ، كما قال الشاعر :

قلنا لها قفي لنا فقالت قاف لاتحسبي أنا نسينا الإيجاف[٥]

---

(٦٤) - تفسير ابن جرير ٢٤٣ - (٢٠٨/١) موقوفًا على الربيع بن أنس .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : لفظ .
[٣] - في ز : يدل .
[٤] - في ز : معانيه .
[٥] - في ز ، خ : « الإلحاف » . والإيجاف : حث الدابة على سرعة السير ، وهو الوجيف .

تعني وقفت .

وقال الآخر :

ما للظليم عَالَ[١] كَيْفَ لا يا ينقَدُّ عنه جلده إذا يا

فقال ابن جرير : كأنه أراد أن يقول : إذا يفعل كذا وكذا ، فاكتفى بالياء من يفعل .

وقال الآخر :

بالخير خيرات وإن شرًّا فا ولا أريد الشرَّ إلا أن تا

يقول : وإن شرًّا فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تشاء ، فاكتفىٰ بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ، ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام ، والله أعلم .

[قال القرطبي(٦٥) : وفي الحديث **« من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة »** الحديث قال سفيان : هو أن يقول في اقتل « اق »][٢] .

(٦٥) - تفسير القرطبي (١٥٦/١) ، والحديث رواه ابن ماجة في الديات ، باب : التغليظ في قتل مسلم ظلمًا برقم (٢٦٢٠) ، والبيهقي (٢٢/٨) ، وأبو يعلى ٥٩٠٠ - (٣٠٦/١٠) ، ورواه العقيلي (٣٨٢/٤) ، وابن الجوزي في الموضوعات (١٠٤/٣) ، وابن عدي (٢٧١٤/٧ - ٢٧١٥) ، والبيهقي في الكبرى (٢٢/٨) ، من طريق يزيد بن أبي زياد ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، به ، مرفوعًا ، وقال البوصيري في الزوائد (٣٣٤/٢) : « هذا إسناد ضعيف ، يزيد بن أبي زياد الدمشقي قال فيه البخاري وأبو حاتم : منكر الحديث » ، ونقل الذهبي في الميزان (٤٢٥/٤) وابن حجر في التلخيص (١٨٧٠) أن أبا حاتم الرازي قال : « باطل ، موضوع » ، ونقل ابن الجوزي عن أحمد قال : ليس هذا الحديث بصحيح . وقال ابن عدي : ليس بمحفوظ ، وكل رواياته مما لا يتابع عليه .

ورواه الطبراني في الكبير ١١١٠٢ - (٧٩/١١) من حديث العوام بن حوشب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« من شرك في دمِ حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله »** .

ورواه البيهقي (٢٢/٨) من حديث نوح بن الهيثم ، عن الفرج بن فضالة ، عن الضحاك ، عن الزهري - معضلًا - يرفعه . وفرج : مُضعف .

وقد رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٧٤) من طريق حكيم بن نافع ، عن خلف بن حوشب ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن المسيب ، سمعت عمر فذكره . وقال : تفرد به حكيم ، عن خلف .

قال الحافظ : وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٠٤/٣) من طرق أخرى ، منها عن أبي سعيد الخدري بلفظ : **« يجيء القاتل يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه : آيس من رحمة الله »** . وأعله بعطية ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة ، ومحمد لا يستحق أن يحكم على أحاديثه بالوضع - وثقه صالح جزرة ، وقال ابن

[١] - في ز ، خ : « غال » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال خصيف[٦٦] : عن مجاهد أنه قال : فواتح السور كلها ﴿ق وص وحم وطسم والر﴾ وغير ذلك هجاء موضوع .

وقال بعض أهل العربية : هي حروف من حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفًا ، كما يقول القائل : ابني يكتب في ا ب ت ث ، أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين ، فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها . حكاه ابن جرير[٦٧] .

قلت : مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفًا ، وهي - ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن - يجمعها قولك : نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ لهُ سرٌّ . وهي نصف الحروف عددًا والمذكور منها أشرف من المتروك ، وبيان ذلك من صناعة التصريف .

[قال الزمخشري[٦٨] : وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ، ومن الرخوة والشديدة ، ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ، ومن حروف القلقلة . وقد سردها مفصلة ثم قال : فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته . وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها ، وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله][١] ، ومن هاهنا لخص[٢] بعضهم في هذا المقام كلامًا فقال : لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثًا ولا سدىً ، ومن قال من الجهلة : إنه في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأً كبيرًا ، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر ، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به ، وإلا ، وقفنا حيث وقِفنا وقلنا : ﴿آمنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ ربِّنا﴾ . ولم يجمع العلماء فيها على[٣] شيء معين ، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين . هذا مقام .

المقام الآخر في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ، ما هي ؟ مع قطع

عدي : لم أر له حديثًا منكرًا وهو على ما وصف لي أنه لا بأس به . وأما عبد الله بن أحمد بن حنبل فقال : كذاب . وقال ابن خراش : كان يضع الحديث . وقال البرقاني : لم أزل أسمعهم يذكرون أنه مقدوح فيه . (الميزان ٦٤٢/٣) - وأما عطية فضعيف ، لكن حديثه يحسنه الترمذي إذا توبع .

(٦٦) - رواه ابن جرير (٢٤٢) ، وعزاه السيوطي في الدر (٢٣/١) لابن المنذر .

(٦٧) - تفسير ابن جرير (٢٠٩/١) .

(٦٨) - الكشاف (١٣/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : لحظ .

[٣] - سقط من ز .

النظر عن معانيها في أنفسها ؛ فقال بعضهم : إنما ذكرت ليعرف[١] بها أوائل السور .

حكاه ابن جرير (٦٩) وهذا ضعيف ؛ لأن الفصل حاصل بدونها ، فيما لم تذكر فيه ، وفيما ذكرت فيه البسملة[٢] تلاوة وكتابة .

وقال آخرون : بل ابتدئ بها لتُفْتَحَ لاستماعها أسماع المشركين ، إذ[٣] تواصوا بالإعراض عن القرآن ، حتى إذا استمعوا له تُلي[٤] عليهم المؤلَّف منه .

حكاه ابن جرير أيضًا (٧٠) ، وهو ضعيف أيضًا ؛ لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها ، بل غالبها ليس كذلك ، ولو كان كذلك أيضًا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم ، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك .

ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدنيتان ليستا خطابًا للمشركين ، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه .

وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانًا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب[٥] من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها .

وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين .

وحكىٰ القرطبيُّ عن الفراء وقطرب نحو هذا .

وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية .

[قال الزمخشري : ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن ، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت ، كما كررت قصص كثيرة ، وكرر التحدي بالصريح في أماكن .

قال : وجاء منها على حرف واحد كقوله - ﴿ص﴾ ﴿ن﴾ ﴿ق﴾ - وحرفين مثل ﴿**حم**﴾ وثلاثة مثل ﴿**الم**﴾ وأربعة مثل ﴿**المر**﴾ ﴿**والمص**﴾ وخمسة مثل ﴿**كهيعص**﴾ ﴿**وحم**

(٦٩) - تفسير ابن جرير (١/٢٢٠ - ٢٢٤) .
(٧٠) - تفسير ابن جرير (١/٢١٠) .

[١] - في ز : لنعرف .
[٢] - في ز : بالبسملة .
[٣] - في خ : « إذا » .
[٤] - في ز : تلا .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

عسق﴾ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ، ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك .

(قلت [1]) : ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن ، وبيان إعجازه وعظمته ، وهذا معلوم بالاستقراء ، وهو الواقع [في تسع وعشرين سورة][2] ، ولهذا يقول تعالى : ﴿**الم * ذلك الكتاب لاريب فيه**﴾ ﴿**الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه**﴾ ، ﴿**المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه**﴾ ، ﴿**الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم**﴾ ، ﴿**الم * تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين**﴾ ، ﴿**حم * تنزيل من الرحمن الرحيم**﴾ ﴿**حم * عسق * كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم**﴾ وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر ، والله أعلم .

وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم ، فقد ادعى ما ليس له ، وطار في غير مطاره ، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف ، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته ، وهو ما رواه محمد بن إسحاق ابن يسار – صاحب المغازي(٧١) – : حدّثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر ابن عبد الله بن رئاب[3] قال : مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة : ﴿**الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه**﴾ فأتى أخاه حُيي بن أخطب في رجال من اليهود فقال : تعلمون والله لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه : ﴿**الم * ذلك الكتاب** ﴾ فقال : أنت سمعته ؟ قال : نعم . قال : فمشى حُيي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود[4] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، ألم تذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك : ﴿**الم * ذلك الكتاب**﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بلى** » . فقالوا : جاءك[5] بهذا جبريل من عند الله ؟ فقال : « **نعم** » قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيّن لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك ، فقام[6] حُييّ بن أخطب وأقبل على من كان معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، [أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ؟][7] ثم أقبل على رسول

---

(٧١) – رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٠٧ – ٢٠٨) ، وابن جرير في تفسيره ٢٤٦ – (١/٢١٦ – ٢١٨) من طريق ابن إسحاق ، وهو في السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٩٤ – ١٩٥) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] – في خ : « زياب » .
[٤] – في ز : يهود .
[٥] – في ز : أجاءك .
[٦] – في ز : فقال .
[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم فقال : يا محمد ! هل مع هذا غيره ؟ فقال : « نعم » قال : ماذاك ؟ قال : ﴿ المص ﴾ قال : هذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد سبعون[١] ، فهذه إحدى وثلاثون[٢] ومائة[٣] سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : « نعم » قال : ما ذاك[٤] ؟ قال ﴿ الر[٥] ﴾ .قال : هذا[٦] أثقل وأطول الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا[٧] سنة . [فهل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : « نعم » ، [قال : ماذا ؟ قال][٨] ﴿ المر ﴾ قال : هذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتان][٩] . ثم قال : لقد لُبِّسَ علينا أمرك يا محمد ؛ حتى ما ندري أقليلًا أعطيت أم كثيرًا ، ثم قال : قوموا عنه ، ثم قال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار : ما يدريكم ؟ لعله قد جمع هذا لمحمد كله ، إحدى وسبعون ، وإحدى وثلاثون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع سنين .

فقالوا : لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : **﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾.**

فهذا الحديث[١٠] مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن[١١] لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحًا أن يحسب[١٢] ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة ، وإن حُسبت مع التكرر فأطم[١٣] وأعظم ، واللَّه أعلم .

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

قال ابن جريج(٧٢) : قال ابن عباس : ذلك الكتاب أي[١٤] : هذا الكتاب ، وكذا[١٥] قال

---

(٧٢) - **منقطع** ، ابن جريج لم يسمع من ابن عباس .

---

[١] - في ن : تسعون .
[٢] - هكذا وجد في خ ، م ، والأصح « إحدى وأربعون ومائة » .
[٣] - مكررة في خ .
[٤] - في خ : « ماذا » .
[٥] - في ز : ﴿ المر ﴾
[٦] - في ز ، خ : « هذه » .
[٧] - في خ : « إحد وسبعون ومائتان » .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[١٠] - سقط من ز .
[١١] - في ز ، خ : « مما » .
[١٢] - في ز : بحسب .
[١٣] - في ت : فأتم .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .
[١٥] - سقط من : خ .

مجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير والسدى، ومقاتل بن حيان[١] وزيد بن أسلم، وابن جريج أن ذلك بمعنى هذا، والعرب تقارض بين اسمي[٢] الإشارة، فيستعملون كلًا منهما مكان الآخر، وهذا معروف في كلامهم. [وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة وقال الزمخشري ذلك إشارة إلى ﴿الم﴾ كما قال تعالى: ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ وقال تعالى: ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ وقال: ﴿ذلكم الله﴾ وأمثال ذلك مما أشير به إلى ما تقدم ذكره، والله أعلم.

وقد ذهب بعض المفسرين فيما حكاه القرطبى(٧٣) وغيره إلى أن ذلك إشارة إلى القرآن الذي وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بإنزاله عليه أو التوراة أو الإنجيل أو نحو ذلك فى أقوال عشرة. وقد ضعف هذا المذهب كثيرون، والله أعلم][٣].

والكتاب: القرآن.

ومن قال: إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلي التوراة والإنجيل كما حكاه ابن جرير[٤] (٧٤) وغيره فقد أبعد النجعة، وأغرق فى النزع، وتكلّف ما لا علم له به.

والريب: الشك.

قال السديُّ: عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم(٧٥): ﴿لا ريب فيه﴾: لا شك فيه.

وقال أبو الدرداء(٧٦) وابن عباس(٧٧)، ومجاهد وسعيد بن جبير، وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر، وعطاء وأبو العالية، والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان[٥]، والسديُّ وقتادة، وإسماعيل بن أبي خالد - وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا خلافًا.

---

(٧٣) - تفسير القرطبي (١/١٥٧، ١٥٨).

(٧٤) - تفسير ابن جرير (١/٢٢٧ - ٢٢٨).

(٧٥) - تفسير ابن جرير (٢٥٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥٥).

(٧٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٥٥)، وأحمد في الزهد (١١).

(٧٧) - تفسير ابن جرير (٢٥٥، ٢٥٦)، بإسنادين ضعيفين.

---

[١] - في ز، خ: «مقاتل بن حبان». [٢] - في ز: هذين الاسمين.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٤] - في ز، خ: «ابن جبير».

[٥] - في خ: «مقاتل بن حبان».

[وقد يستعمل الريب فى التهمة قال جميل :

بثينة قالت يا جميل أربتني فقلت كلانا يا بثين مريب

واستعمل أيضًا فى الحاجة كما قال بعضهم :

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا][١]

ومعنى الكلام هنا[٢] أن هذا الكتاب [و][٣] هو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند الله كما قال الله تعالى فى السجدة : ﴿**الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين**﴾ . [وقال بعضهم : هذا خبر ومعناه النهي أي : لا ترتابوا فيه][٤] ومن القرّاء من يقف على قوله تعالى : ﴿**لا ريب**﴾ ويبتدئ بقوله تعالى : ﴿**فيه هدىً للمتقين**﴾ والوقف على [قوله تعالى] : ﴿**لا ريب فيه**﴾ أولى للآية التي ذكرناها[٥] ؛ ولأنه يصير قوله تعالى : ﴿**هدىً**﴾ صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون فيه هدىً .

وهدًى يحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعًا على النعت ومنصوبًا على الحال وخصت الهداية المتقين كما قال : ﴿**قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد**﴾ . ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا**﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة[٦] على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن ؛ لأنه هو[٧] في نفسه هدى ولكن لا يناله إلا الأبرار كما قال تعالى : ﴿**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**﴾ .

وقد قال السدي عن أبي مالك ، و[٨] عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن أناس[٩] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم(٧٨) : ﴿**هدى للمتقين**﴾ يعني نورًا للمتقين .

وقال الشعبي : هدى من الضلالة .

وقال سعيد بن جبير : تبيان للمتقين . وكل[١٠] ذلك صحيح .

---

(٧٨) - تفسير ابن جرير (٢٦٠ ، ٢٦٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - زيادة من ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز ، خ .
[٥] - في ز : ذكرنا .
[٦] - سقط من: ز ، خ.
[٧] - سقط من: م.
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز ، خ: «ناس».
[١٠] - مكررة في خ.

وقال السدى : عن أبى مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : ﴿ هدى للمتّقين ﴾ قال : هم المؤمنون .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد [بن أبي محمد][١] مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن[٢] سعيد بن جبير ، عن ابن عباس(٧٩) : ﴿ للمتقين ﴾ : أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به .

وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس : ﴿ للمتقين ﴾ قال : المؤمنين[٣] الذين يتقون الشرك بي ، ويعملون بطاعتي .

وقال سفيان الثوري : عن رجل ، عن الحسن البصري قوله تعالى(٨٠) : ﴿ **للمتقين** ﴾ قال : اتقوا ما حرم اللّٰه[٤] عليهم ، وأدّوْا ما افترض اللّٰه[٥] عليهم .

وقال أبو بكر بن عياش : سألني الأعمش عن ﴿ **المتقين** ﴾ ، قال : فأجبته . فقال لي : سل عنها الكلبي ، فسألته ، فقال : الذين يجتنبون كبائر الإثم قال[٦] : فرجعت إلى الأعمش، فقال : نرَى[٧] أنه كذلك ولم ينكره .

وقال قتادة : ﴿ **للمتقين** ﴾ هم الذين نعتهم اللّٰه[٨] بقوله : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** ﴾ الآية و[٩] التي بعدها .

واختار ابن جرير(٨١) أن الآية تعم ذلك كله ، وهو كما قال .

وقد روى الترمذي وابن ماجة(٨٢) من رواية أبي عقيل عبد اللّٰه بن عقيل ، عن عبد اللّٰه بن

(٧٩) - تفسير ابن جرير (٢٦٢) ، وابن أبي حاتم (٦٢) ، وإسناده ضعيف .
(٨٠) - تفسير ابن جرير (٢٦١) .
(٨١) - تفسير ابن جرير (١/٢٣٣ - ٢٣٤) .
(٨٢) - **ضعيف** ، والحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة برقم (٢٤٥١) ، وابن ماجة في الزهد ، باب الورع والتقوى برقم (٤٢١٥) ، ورواه عبد بن حميد (٤٨٤) ، والبخاري في التاريخ (٣/١/١٥٨) ، وابن

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - زيادة من ز ، خ .
[٣] - في ز : للمؤمنين .
[٤] - سقط من: ز ، خ .
[٥] - سقط من: ز ، خ .
[٦] - سقط من: م .
[٧] - في ز : ترى : أي .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - سقط من: ز ، خ .

يزيد ، عن ربيعة بن يزيد ، وعطية بن قيس ، عن عطية السعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما[1] به بأس** » . ثم قال الترمذي : حسن غريب .

وقال ابن أبي حاتم(٨٣) : حدّثنا أبي ، حدّثنا عبد الله بن عمران ، حدثنا إسحاق بن سليمان - يعني الرازي - عن المغيرة بن مسلم ، عن ميمون أبي حمزة قال : كنت جالسًا عند أبي وائل ، فدخل علينا رجل يقال له : أبو عفيف - من أصحاب معاذ ، فقال له شقيق بن سلمة : يا أبا عفيف ؛ ألا تحدّثنا عن معاذ بن جبل ! قال : بلىٰ ، سمعته يقول : يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد فينادي مناد : أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر . قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة ، فيمرون إلى الجنة .

[ويطلق الهدىٰ ويراد به ما يقرّ في القلب من الإيمان ، وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله عزَّ وجلَّ .

قال الله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ . وقال : ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ .

وقال : ﴿ **من يضلل الله فلا هادي له** ﴾ وقال : ﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه ، قال الله تعالى : ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ وقال : ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ وقال : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ على تفسير من قال : المراد بهما الخير والشر . وهو الأرجح ، والله أعلم ، وأصل التقوى : التوقي مما يكره ، لأن أصلها وقىٰ من الوقاية قال النابغة :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

أبي حاتم في التفسير (٦٠) ، والطبراني في الكبير (٤٤٦/١٧) ، والحاكم (٣١٩/٤) ، والبيهقي في سننه (٥/ ٣٣٥) ، وفي الشعب (٥٣٦١ هـ) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٠٩ : ٩١٢) ، وعزاه السيوطي في الدر (٢٤/١) لأحمد ، ولم نقف عليه ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، قال ابن القطان : عبد الله بن يزيد لا أعرف روى عنه إلا أبو عقيل ومحمد بن سعد ، ولا تعرف حاله . وفي الميزان : قال الجوزجاني : أحاديثه منكرة .

(٨٣) - **ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٦١ - (٣٣/١) في إسناده ميمون القصاب ، قال أحمد : متروك الحديث ، وقال الدارقطني ضعيف . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . وقال البخاري : ليس بالقوي عندهم . وقال النسائي : ليس بثقة .

---

[١] - في ز : لما .

وقال الآخر:

فألقت قناعًا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم

وقد قيل: إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سأل أبي بن كعب عن التقوىٰ، فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت. قال: فذلك التقوىٰ. وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إنّ الجبال من الحصى

وأنشد أبو الدرداء يومًا:

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى اللَّه إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى اللَّه أفضل ما استفادا

وفي سنن ابن ماجة(٨٤) عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما استفاد المرء بعد تقوىٰ الله خيرًا من زوجة صالحة؛ إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**»][١].

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾

قال أبو جعفر الرازي، عن العلاء بن المسيب بن رافع، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله(٨٥) قال: الإيمان التصديق.

---

(٨٤) - **ضعيف**، والحديث رواه ابن ماجة في النكاح، باب: أفضل النساء برقم (١٨٥٧) من طريق عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه الطبراني (٨/٧٨٨١)، وقال البوصيري في الزوائد (٢/٧٠): «هذا إسناد فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف - **كذا قال** - وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه». وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو، رواه مسلم وغيره. ورواه النسائي من طريق أبي هريرة، وأبو داود في سننه، وأبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث ابن عباس رض الله عنهما .اهـ - وفي المطبوعة من سنن ابن ماجه: «علي بن يزيد»، وهو الصواب، وهو الألهاني، وقول البوصيري السابق: إنه علي بن زيد بن جدعان، ليس بصحيح، وانظر تحفة الأشراف (١/١٧٩)، وتهذيب الكمال (١٩/٣٩٧).

(٨٥) - تفسير ابن جرير (٢٧١).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وقال علي بن أبي طلحة وغيره: عن ابن عباس(٨٦) رضي اللَّه عنهما: ﴿**يؤمنون**﴾: يصدّقون.

وقال معمر، عن الزهري: الإيمان: العمل(٨٧).

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس(٨٨): ﴿**يؤمنون**﴾: يخشون.

قال ابن جرير(٨٩) وغيره: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولًا واعتقادًا وعملًا. قال: وقد تدخل الخشية للَّه في معنى الإيمان، الذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمة جامعة للإقرار باللَّه وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل.

(**قلت**): أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك، كما قال تعالى: ﴿**يؤمن باللَّه ويؤمن للمؤمنين**﴾ وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾ وكذلك إذا استعمل مقرونًا مع الأعمال كقوله تعالى: ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ فأما إذا استعمل مطلقًا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولًا وعملًا، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعًا أن الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص. وقد ورد فيه آثار كثيرة، وأحاديث أوردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري، وللَّه الحمد والمنة.

ومنهم[١] من فسره بالخشية كقوله[٢] تعالى: ﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب**﴾ وقوله: ﴿**من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب**﴾ والخشية خلاصة الإيمان والعلم، كما قال تعالى[٣]: ﴿**إنَّما يخشى اللَّه من عباده العلماء**﴾.

[وقال بعضهم: يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة، وليسوا كما قال تعالى: عن المنافقين: ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون**﴾ وقال: ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول اللَّه واللَّه يعلم إنك لرسوله واللَّه يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ فعلى هذا يكون قوله: بالغيب حالًا، أي: في حال كونهم غيبًا عن

---

(٨٦) - تفسير ابن جرير (٢٦٨).

(٨٧) - تفسير ابن جرير (٢٧٠).

(٨٨) - تفسير ابن جرير (٢٦٩).

(٨٩) - تفسير ابن جرير (١/٢٣٥).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في ز، خ: «لقوله».

[٣] - سقط من: خ.

الناس][١] .

وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه ، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد .

قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية(٩٠) في قوله تعالى : ﴿ **يؤمنون بالغيب** ﴾ قال : يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث ، فهذا غيب كله . وكذا قال قتادة بن دعامة .

وقال السُّدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر في القرآن .

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو عن سعيد بن جبير - عن ابن عباس(٩١) : ﴿ **بالغيب** ﴾ قال : بما جاء منه - يعني من الله تعالى . وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر قال : الغيب : القرآن .

وقال عطاء بن أبي رباح(٩٢) : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : ﴿ **يؤمنون بالغيب** ﴾ قال : بغيب الإسلام .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ قال بالقدر .

فكل هذه متقاربة [في معنى][٢] واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به .

وقال سعيد بن منصور(٩٣) : حدّثنا : أبو[٣] معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسًا ، فذكرنا

---

(٩٠) - تفسير ابن جرير (٢٧٦) ، وابن أبي حاتم (٦٧) .

(٩١) - تفسير ابن جرير (٢٧٣) .

(٩٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٧٠) .

(٩٣) - سنن سعيد بن منصور برقم (١٨٠) ، وابن أبي حاتم (٦٦) ، وابن منده في الإيمان (٢٠٩) ، والحاكم (٢٦٠/٢) وقال : على شرط الشيخين .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « بمعنى » .

[٣] - في ز ، خ : « ابن معاوية » .

أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وما سبقونا[١] به ، قال : فقال عبد اللّٰه : إن أمر محمد صلى اللّٰه عليه وسلم كان بيّنًا لمن رآه ، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بغيب . ثم قرأ : ﴿**الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب**﴾ إلى قوله ﴿**المفلحون**﴾ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طرق ، عن الأعمش به(٩٤) . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفي معنى هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٩٥) : حدّثنا أبو المغيرة ، أخبرنا[٢] الأوزاعي ، حدّثني أسيد[٣] بن عبد الرحمن ، عن خالد بن دريك ، عن ابن مُحَيريز[٤] قال : قلت لأبي جمعة : حدّثنا حديثًا سمعته من رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ، قال : نعم ، أحدّثك حديثا جيدًا ، تغدينا مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ، فقال : يا رسول اللّٰه ؛ [هل][٥] أحد خير منّا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك ؟ قال : « **نعم ، قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني** » .

طريق أخرى : قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره (٩٦) :

---

(٩٤) - تفسير ابن أبي حاتم ٦٦ - (٣٤/١) ، والمستدرك (٢٦٠/٢) .

(٩٥) - المسند حديث ١٧٠٢٧ - (١٠٦/٤) ، ورواه الدارمي حديث (٢٧٤٧) بنفس الإسناد ، وأخرجه الطبراني في الكبير حديث (٣٥٣٧ - ٣٥٣٩) (٢٢/٤ - ٢٤) ، والحاكم في المستدرك (٨٥/٤) ، وأبو يعلى في مسنده ١٥٥٩ - (١٢٨/٣) ، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد صـ ٥٠ برقم (١٢٤) ، وفي التاريخ (٣١١/٢/١) ، وابن أبي عاصم (٢١٣٦) ، وابن عساكر (١٨٧/٨ - ١٨٨) من حديث عبد اللّٰه بن صالح قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن ابن جبير قال : قدم علينا أبو جمعة الأنصاري ... فذكره نحوه . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠ / ٦٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، والطبراني بأسانيد ، وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات . اهـ . وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣٣/٤) : « واختلف فيه على الأوزاعي ، فقال الأكثر : عن أسيد ، عن خالد بن دريك ، عن ابن محيريز . وقال ابن شماسة : عن الأوزاعي ، عن أسيد ، عن صالح بن محمد : حدثني أبو جمعة به » قال الحافظ : وأغرب البزار فزعم أن الأوزاعي تفرد بالرواية عنه وذكر ابن عساكر : أن الأوزاعي روى عن أسيد بن عبد الرحمن عنه ؛ فسمى أباه : محمدًا ؛ قال : والصواب صالح بن جبير . (التهذيب ٣٨٣/٤ - ٣٨٤) . وقال في فتح الباري (٦/٧) : « إسناده حسن » .

(٩٦) - رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٥٤٠ - (٢٣/٤) عن بكر بن سهل ، عن عبد اللّٰه بن صالح به ، ومن طريق ضمرة بن ربيعة به ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/١٠ - ٦٦) وقال : رواه الطبراني واختلف في رجاله .

---

[١] - في ز ، خ : « سبقوا » .
[٢] - في ز ، خ : « حدثنا » .
[٣] - في ت : « أسد » .
[٤] - في ز ، خ : « ابن جبير » .
[٥] - سقط من : خ .

حدّثنا عبد الله بن صالح، حدّثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، حدّثنا عبد الله بن جعفر، حدّثنا معاوية بن صالح، [عن صالح][١] بن جبير قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ليصلي فيه، ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة [رضي الله عنه] فلما انصرف[٢] خرجنا نشيعه، فلما أراد الانصراف قال: إن لكم جائزة وحقًّا أحدّثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلنا: هات رحمك الله! قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة، فقلنا: يا رسول الله، هل من قوم أعظم منّا أجرًا[٣]، آمنا بالله[٤] واتبعناك؟ قال: **«ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء، بل قوم من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجرًا»**. مرتين

ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة، عن مرزوق بن نافع (٩٧)، عن صالح بن جبير، عن أبي جمعة بنحوه.

وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث كما قررته في أول شرح البخاري؛ لأنه مدحهم على ذلك، وذكر أنهم أعظم أجرًا من هذه الحيثية لا مطلقًا.

وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي، حدّثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن المغيرة بن قيس التميمي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟»** قالوا الملائكة. [قال: **«وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟»**. قالوا: فالنبيون.][٥] قال **«وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟»**. قالوا: فنحن. قال: **«وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟»**. قال: فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«ألا إن أعجب الخلق إليّ إيمانًا لقومٌ يكونون من بعدكم يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها»**(٩٨).

---

(٩٧) - رواه الطبراني (٣٥٤١)، ومرزوق بن نافع: ذكره ابن حبان في الثقات (١٨٩/٩).

(٩٨) - جزء الحسن بن عرفة برقم (١٩)، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٣٥٨/٦)، ورواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٦١)، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب (٤٨)، وإسناده ضعيف لعلتين: الأولى: إسماعيل بن عياش رواه عن المغيرة بن قيس، وهو من روايته عن غير الشاميين - أهل بلده - وهي ضعيفة، والثانية: المغيرة؛ قال ابن أبي حاتم (٢٢٧/٨): منكر الحديث.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - في ز: انصرفنا.

[٣] - في ز، خ: «أجرًا منا». [٤] - في ز: بك.

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

قال أبو حاتم الرازي : المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث .

[**قلت**] : ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده (٩٩) ، وابن مردويه في تفسيره ، والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن أبي حميد - وفيه ضعف - عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقد رُوي نحوه عن[١] أنس بن مالك مرفوعًا(١٠٠) ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٠١) : [حدّثنا أبي][٢] حدّثنا عبد الله بن محمد المسندي ، حدّثنا إسحاق ابن إدريس ، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري ، أخبرني جعفر بن محمود ، عن جدته نُوَيلة[٣] بنت أسلم قالت : صليت الظهر - أو العصر - في مسجد بني حارثة ، فاستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا سجدتين ، ثم جاءنا من يخبرنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت[٤] الحرام ، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلو[٥] البيت الحرام .

قال إبراهيم : فحدثني رجال من بني حارثة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك

---

(٩٩) - **ضعيف** ، وهو في مسند أبي يعلى ١٦٠ - (١/١٤٧) ، والمستدرك (٤/٨٥) ، والبزار (٣/٢٨٣٩) ، والعقيلي (٤/٢٣٨) ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث (٣٦ - ٣٧) ، وابن عساكر (١٦/٥٤٨) ، وقال البزار : إنما نعرف هذا من حديث محمد بن أبي حميد ، وهو مدني ، ليس بالقوي ، حدث بهذا وبحديث آخر لم يتابع عليه . وتعقب الذهبي الحاكمَ فقال : « بل محمد بن أبي حميد ضعفوه » .

(١٠٠) - رواه البزار في مسنده برقم (٢٨٤٠كشف الأستار) وهو في مختصر زوائد البزار (٢٠٧١) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه ، وقال : « غريب من حديث أنس » . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٥) وقال : رواه البزار ، وفيه سعيد بن بشير ، وقد اختلف فيه ، فوثقه قوم وضعفه آخرون وبقية رجاله ثقات .

(١٠١) - **إسناده ضعيف جدًا** ، وهو تفسير ابن أبي حاتم ٧٣ - (١/٣٦) وفي إسناده إسحاق بن إدريس قال البخاري « تركه الناس » . وقال ابن معين : « يضع الحديث » ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٥٣٠ - (٢٤/٢٠٧) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٧/٤٤) ، من طريق إبراهيم بن حمزة الزبيري - وهي متابعة لإسحاق بن إدريس - عن إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، به نحوه ، وأورده في مجمع الزوائد (٢/١٤) وقال : ورجاله موثقون .

---

[١] - زيادة من ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٣] - ويقال: تويلة . ويقال : بديلة .
[٤] - في ز : بيت .
[٥] - في ز ، خ : مستقبلون ، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم .

قال : « **أولئك قوم آمنوا بالغيب** » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

قال ابن عباس : ﴿ **ويقيمون الصلاة** ﴾ أي يقيمون الصلاة بفروضها .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : إقامة الصلاة إتمام[١] الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها .

وقال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها .

وقال مقاتل بن حيان[٢] : إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها ، والتشهد والصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فهذا إقامتها .

وقال علي بن أبي طلحة وغيره : عن ابن عباس : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ قال : زكاة أموالهم .

وقال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ قال : [هي[٣]] نفقة الرجل على أهله ، وهذا قبل أن تنزل الزكاة .

وقال جويبر(١٠٢) عن الضحاك : كانت النفقات قرباتٍ[٤] يتقربون بها إلى اللّه تعالى على قدر ميسرتهم وجهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات في سورة براءة ، مما يذكر فيهنّ الصدقات هنّ الناسخات المثبتات .

وقال قتادة : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم اللّه هذه الأموال ، عواري وودائع عندك يا بن آدم ؛ يوشك أن تفارقها .

واختار ابن جرير أنّ الآية عامة في الزكاة والنفقات ، فإنه قال : وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم ، مؤدين زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته ، من أهلٍ أو[٥] عيال وغيرهم ، ممن يجب[٦] عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك ؛ لأنّ اللّه تعالى عم

---

(١٠٢) - جويبر : تالف ، وهو عند ابن جرير في تفسيره (٢٨٧) .

---

[١] - في خ : « تمام » .
[٢] - في خ : « مقاتل بن حبان » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : قرباناً .
[٥] - في ز ، خ : « و » .
[٦] - في ز ، خ : « تجب » .

وصفهم ومدحهم بذلك، وكل من الإنفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه.

(**قلت**) : كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال ؛ فإن الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه، وتمجيده والابتهال إليه، ودعائه والتوكل عليه، والإنفاق هو [ ][١] الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك ثم الأجانب، فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾، ولهذا ثبت في الصحيحين(١٠٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **بُني الإسلام على خمس : شهادةِ أن لا إله إلا الله،** [**وأن محمدًا رسول الله،**][٢] **وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصومِ رمضانَ، وحجِ البيتِ الحرام**[٣] » . والأحاديث في هذا كثيرة .

وأصل الصلاة في كلام العرب : الدعاء، قال الأعشى :

لها حارس لا يبرحُ الدّهر بيتها وإن ذُبِحَت صلّى عليها وَزَمْزَما

وقال أيضا[٤] :

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم

أنشدهما ابن جرير مستشهدًا على ذلك .

وقال الآخر [وهو الأعشى أيضا] [٥] :

تقول بنتي[٦] وقد قَرّبتُ مرتحلًا يارب جنِّب أبي الأوصابَ والوَجَعَا
عليكِ مثلُ الذي صليت[٧] فاغتمضي نومًا فإن لجَنبِ المرء مُضطجعًا[٨]

يقول : عليك من الدعاء مثل الذي دعوت[٩] لي، وهذا ظاهر. ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة، وصفاتها وأنواعها المشهورة.

---

(١٠٣) - صحيح البخاري في كتاب الإيمان، باب : دعاؤكم إيمانكم برقم (٨)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، برقم ١٩ - (١٦) .

---

[١] - في ن : من .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٣] - زيادة في : خ .
[٤] - في ز، خ : « الآخر » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : بنيتي .
[٧] - في م : « ضليت » .
[٨] - في خ : « معتطجعًا » .
[٩] - في ز، خ : « دعيت » .

قال ابن جرير : وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة ؛ لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله ، مع ما يسأل ربه فيها[١] من حاجته[٢] .

[وقيل : هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود ، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب .

ومنه سمي المصلي وهو التالي للسابق في حلبة الخيل ، وفيه نظر .

وقيل : هي مشتقة من الصلي وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى : ﴿**لا يصلاها**﴾ أي لا يلزمها ويدوم فيها : ﴿**إلا الأشقى**﴾ .

وقيل : مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوّم ، كما أن المصلي يقوّم عوجه بالصلاة : ﴿**إن الصلاة تنهَى عن الفحشاء والمنكر ولذكر اللّه أكبر**﴾ واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر ، واللّه أعلم][٣] .

وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه إن شاء اللّه تعالى .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

قال ابن عباس(١٠٤) :﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾ أي : يصدّقون بما جئت به من اللّه ، وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرّقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم

﴿**وبالآخرة هم يوقنون**﴾ أي بالبعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان .

وإنما سميت الآخرة ؛ لأنها بعد الدنيا ، وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هاهنا هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى : ﴿**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ ومن هم ؟ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير :

أحدها أن الموصوفين أوّلًا هم الموصوفون ثانيا ، وهم كل مؤمن ، مؤمنو العرب ومؤمنو[٤] أهل الكتاب وغيرهم . قاله مجاهد وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة .

---

(١٠٤) - رواه ابن جرير (٢٨٩) ، وابن أبي حاتم (٨٠) بإسنادٍ ضعيف .

---

[١] - زيادة من خ .
[٢] - في ز ، خ : « حاجاته » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .

والثاني: هما واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب.

وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى**﴾.

وكما قال الشاعر:

إلى الملك القَرْم وابن الهُمام وليثِ الكتيبة[١] في المُزْدَحَم

فعطف الصفات بعضها على بعض، والموصوف واحد.

والثالث: أن الموصوفين أوّلًا مؤمنو العرب، والموصوفون ثانيًا بقوله: ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾. الآية مؤمنو[٢] أهل الكتاب. نقله السدي في تفسيره عن ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من الصحابة[٣]، واختاره ابن جرير - رحمه الله - ويستشهد لما قال بقوله تعالى: ﴿**وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله**﴾. الآية. وبقوله تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا، ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون**﴾، وبما[٤] ثبت في الصحيحين (١٠٥) من حديث الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي، ورجل مملوك أدّى حق الله وحق مواليه، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها**».

وأما ابن جرير فما استشهد على صحة ما قال إلا بمناسبة، وهي أن الله تعالىٰ وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين، فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين: كافر، ومنافق، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين: عربي، وكتابي.

(**قلت**): والظاهر قول مجاهد، فيما رواه الثوري عن رجل، عن مجاهد. ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، أنه قال: أربع آيات من أوّل[٥] سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين.

---

(١٠٥) - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله رقم (٩٧) وصحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم ٢٤١ - (١٥٤) بمعناه.

---

[١] - في ز: الكثيبة.

[٢] - في ز، خ: «المؤمنى».

[٣] - في ز، خ: «أصحابه».

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - سقط من ز.

فهذه الآيات الأربع عامة[١] في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي، وكتابي من إنسي وجني، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى، بل كل واحدة مستلزمة للأُخرىٰ وشرط معها، فلا يصح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول [صلى الله عليه وسلم] وما جاء به من قبله من [الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين][٢] والإيقان بالآخرة، كما أنّ هذا لا يصح إلا بذاك.

وقد أمر الله تعالىٰ المؤمنين بذلك، كما قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾. الآية. وقال تعالى: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم**﴾. الآية وقال تعالى: ﴿[**يا أيها الذين أوتوا الكتاب**][٣]؛ **آمنوا بما نزلنا مصدّقًا لما معكم**﴾. وقال تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم**﴾. وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم[٤] بذلك فقال تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله [لا نفرق بين أحد من رسله]**[٥] ﴾ وقال تعالى: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم**﴾. إلى[٦] غير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه.

لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية، وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم[٧] مفصلًا، فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلًا كان لهم على ذلك الأجر مرتين، وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجملًا. كما جاء في الصحيح(١٠٦): «**إذا حدّثكم أهل الكتاب [فلا تكذبوهم ولا تصدّقوهم]**[٨]، **و[لكن]**[٩] **قولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم**».

(١٠٦) – صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿**قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا**﴾ برقم (٤٤٨٥) وانظر (٧٣٦٢، ٧٥٤٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وليس في واحدٍ منهم «**إذا حدثكم أهل الكتاب**»، ولفظه: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم** ﴿**وقولوا آمنا بالله**﴾ **الآية**. وروى أبو داود نحوه برقم (٣٦٤٤) من حديث أبي نملة – رضي الله عنه – وكذلك أحمد (١٣٦/٤)، وعبد الرزاق (٢٠٠٥٩/١١)، وابن حبان (١١٠ موارد).

[١] – في ن: عامات.
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] – في ز، خ: «يا أهل الكتاب».
[٤] – سقط من: خ.
[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] – في ز، خ: و.
[٧] – في خ: «في أيديهم».
[٨] – في ز، خ: «فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم».
[٩] – سقط من: ز، خ.

ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام [الذي][١] بعث به محمد صلى اللّه عليه وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام ، فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيثية ، فغيرهم [قد][٢] يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصلا لهم ، واللّه أعلم .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾

يقول اللّه تعالى ﴿ أولئك ﴾ أي المتصفون بما تقدّم من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة ، والإنفاق من الذي رزقهم اللّه ، والإيمان بما أنزل اللّه [٣] إلى الرسول ومن قبله من الرسل ، والإيقان بالدار الآخرة ، وهو يستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرّمات - ﴿ على هدى ﴾ أي : على[٤] نور وبيان وبصيرة من اللّه تعالى . ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي في الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد(١٠٧) ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ أي : على نور من ربهم ، واستقامة على ما جاءهم به[٥] . ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ . أي الذين أدركو ما طلبوا ، ونجوا من شرّ ما منه هربوا .

وقال ابن جرير(١٠٨) : وأمّا معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ فإنّ معنى ذلك : أنهم[٦] على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديده[٧] إياهم وتوفيقه لهم .

وتأويل قوله تعالى : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي المنجحون المدركون ما طلبوا عند اللّه بأعمالهم وإيمانهم باللّه وكتبه ورسله ، من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنات ، والنجاة مما أعدّ اللّه لأعدائه من العقاب .

وقد حكى ابن جرير قولاً عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى : ﴿ أولئك على

(١٠٧) - محمد بن أبي محمد : قال الذهبي في الميزان (٢٦/٤) : لا يعرف ، وهو عند ابن جرير (٢٩٣ ، ٢٩٤) ، وابن أبي حاتم (٨٤ ، ٨٨) .

(١٠٨) - تفسير ابن جرير (٢٤٩/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في م : « فإنهم » .
[٧] - في ز : بتسدسد الله .

هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ إلى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله تعالى[١] : ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك**﴾ . الآية .

على ما تقدم من الخلاف .

[ ][٢] : وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله تعالى ﴿**والذين يؤمنون بما أنزل إليك**﴾ منقطعًا[٣] مما[٤] قبله ، وأن يكون[٥] مرفوعًا على الابتداء وخبره ﴿[**أولئك على هدًى من ربهم**][٦] ﴾ ﴿**أولئك هم المفلحون**﴾ . واختار أنه عائد إلى[٧] جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب ؛ لما رواه السدّي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : أما الذين يؤمنون بالغيب ، فهم المؤمنون من العرب والذين يؤمنون بما أنزل إليك [وما أنزل من قبلك هم][٨] المؤمنون من أهل الكتاب ، ثم جمع الفريقين فقال : ﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ .

وقد تقدّم من الترجيح أنّ ذلك صفة للمؤمنين[٩] عامّة ، والإشارة عائدة عليهم ، واللَّه أعلم .

وقد نقل هذا عن مجاهد وأبي العالية والرّبيع بن أنس وقتادة ، رحمهم اللَّه .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٩) : حدّثنا أبي ، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري ، حدّثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة ، حدّثني عبيد اللَّه بن المغيرة ، عن أبي الهيثم - واسمه سليمان بن عمرو[١٠] - عن عبد اللَّه بن عمرو ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم وقيل له : يا رسول اللَّه ! إنا نقرأ من القرآن فنرجو ، ونقرأ من القرآن فنكاد أن نيأس - أو كما قال - قال : فقال : « **أفلا[١١] أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار ؟** » قالوا : بلى يا رسول اللَّه ، قال : ﴿**الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾ إلى - قوله تعالى- ﴿**المفلحون**﴾ **هؤلاء أهل الجنة** » . قالوا : إنا نرجو أن نكون

---

(١٠٩) - تفسير ابن أبي حاتم ٨٦ - (١/٤٠) . وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو متكلم فيه . وعثمان بن صالح المصري : أورد له الذهبي (٣/٤٠) في الميزان حديثين ، ثم نقل عن أبي حاتم قوله : هذا كذب . وقال الذهبي : صدوق ، لينه أحمد بن صالح المصري ؛ فإن أحمد بن صالح قال : دعه ، دعه .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز قال .
[٣] - في ز : متقطعاً .
[٤] - في خ : « عما » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٧] - في ز : على .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : للمؤمنين .
[١٠] - في ز ، خ : « عبيد » .
[١١] - في ز ، خ : « ألا » .

هؤلاء. ثم قال: « ﴿ **إنّ الذين كفروا سواء عليهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **عظيم** ﴾ هؤلاء أهل النار». قالوا لسنا هم يا رسول اللّه. قال: « **أجل** ».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾

يقول تعالى: ﴿ **إنّ الذين كفروا** ﴾ أي غطوا الحقّ[١] وستروه، وقد كتب اللّه تعالى عليهم ذلك، سواء عليهم إنذارُك وعدمُه، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم، به. كما قال تعالى: ﴿ **إنّ الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ وقال تعالى: في حق المعاندين من أهل الكتاب: ﴿ **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك** ﴾. الآية. أي إنّ من كتب اللّه عليه الشقاوة فلا مُسْعِدَ له، ومن أضلّه فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وبلغهم الرسالة، فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر، ومن تولى فلا تحزن عليهم [ولا يهمنك ذلك][٢] ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ و ﴿ **إنما أنت نذير واللّه على كل شيء وكيل** ﴾.

وقال علي[٣] بن أبي طلحة: عن ابن عباس(١١٠) في قوله تعالى: ﴿ **إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يحرصُ أن يؤمن جميع الناس ويُتابعوه على الهدى، فأخبره اللّه تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من اللّه السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من اللّه الشقاوة[٤] في الذكر الأول.

وقال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن أبي محمد(١١١)، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس: ﴿ **إنّ الذين كفروا** ﴾ أي بما أنزل إليك، وإن قالوا: إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك ﴿ **سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾. أي: إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق، وقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذارًا وتحذيرًا وقد كفروا بما عندهم من علمك.

وقال أبو[٥] جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: نزلت هاتان الآيتان في

---

(١١٠) - رواه ابن جرير (٢٩٧)، والبيهقي (١٤٦) في الأسماء والصفات، والطبراني (١٢/١٣٠٢٥)، وسنده ضعيف لانقطاعه.

(١١١) - محمد بن أبي محمد: مجهول، والأثر عند ابن جرير في تفسيره (٢٩٥)، وابن أبي حاتم (٩٢).

---

[١] - في ز: الكفر.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز: الشقاء.
[٥] - في ز: ابن.

قادة الأحزاب، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمةَ الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار [جهنم يصلونها]**[١] ﴾ والمعنى الذي ذكرناه أوّلا، وهو المروي عن ابن عباس في رواية علي[٢] ابن أبي طلحة - أظهر، ويفسر ببقية الآيات التي في معناها والله أعلم.

وقد ذكر ابن أبي حاتم(١١٢) هاهنا حديثًا، فقال: حدثنا أبي، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري، حدثنا أبي، حدّثنا ابن لهيعة، حدثني عبيد الله[٣] بن المغيرة، عن أبي الهيثم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قيل: يا رسول الله! إنا نقرأ من القرآن نرجو[٤]، ونقرأ فنكاد أن نيأس. فقال: «**ألا أخبركم**». ثم قال: ﴿**إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم**[٥] **أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾ **هؤلاء أهل النار**». قالوا: لسنا هم يا رسول الله؟ قال: «أجل».

[وقوله تعالى ﴿**لا يؤمنون**﴾ محله من الإعراب أنه جملة مؤكدة للتي قبلها.

﴿**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**﴾ أي هم كفار في كلا الحالين؛ فلهذا أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿**لا يؤمنون**﴾، ويحتمل أن يكون لا يؤمنون خبرًا لأنّ تقديره: إن الذين كفروا لا يؤمنون، ويكون قوله تعالى: ﴿**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم**﴾ جملة معترضة والله أعلم][٦].

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

قال السدّي: ختم الله؛ أي: طبع الله.

وقال قتادة في هذه الآية: استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه، فختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، فهم لا يبصرون هدًى، ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون.

وقال ابن جريج(١١٣): قال مجاهد: ﴿**ختم الله على قلوبهم**﴾ قال: [نبئت أن][٧]

---

(١١٢) - تفسير ابن أبي حاتم ٩١ - (٤٢/١). وإسناده ضعيف.

(١١٣) - تفسير ابن جرير (٢٥٩/١). ونقل العلائي في جامع التحصيل: قال ابن الجنيد: سألت يحيى بن معين سمع ابن جريج من مجاهد؟ قال: في حرف أو حرفين في القراءة لم يسمع غير ذلك، وكذلك قال البرديجي.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - سقط من: ز، خ.

[٣] - في ز، خ: عبد الله. والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم.

[٤] - في ت: «فنرجوا». [٥] - في ز: أنذرتهم.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٧] - في ز: الطبع ينبت، والمثبت من تفسير الطبري.

الذنوب على القلب تحف[١] به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه، فالتقاؤها عليه الطبع، والطبع الختم. قال ابن جريج: الختم على القلب والسمع.

قال ابن جريج: وحدّثني عبد اللّه بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشدّ من[٢] ذلك كله.

وقال الأعمش: أرانا مجاهد بيده، فقال: كانوا يُرَون أنّ القلب في مثل هذه[٣] - يعني الكف، فإذا أذنب العبد ذنبًا ضم منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضم، وقال بإصبع أخرى، فإذا أذنب ضم، وقال بأصبع أخرى هكذا، حتى ضم أصابعه كلها، [قال: ثم][٤] يطبع عليه بطابع.

[وقال مجاهد][٥]: كانوا يُرَون أنّ ذلك الرين[٦]. ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، بنحوه.

قال ابن جرير: وقال بعضهم: إنما معنى قوله تعالى: ﴿ **ختم اللّه على قلوبهم** ﴾ إخبار من اللّه عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دُعوا إليه من الحق، كما يقال: إنّ فلانًا لأصم عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبرًا.

قال: وهذا لا يصح؛ لأن اللّه تعالى قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم.

[(قلت): وقد أطنب الزمخشري(١١٤) في تقرير ما ردّه ابن جرير هاهنا، وتأوّل الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدًّا، وما جرّأه على ذلك إلا اعتزاله؛ لأنّ الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده، يتعالى اللّه عنه في اعتقاده، ولو فهم قوله تعالى: ﴿ **فلما زاغوا أزاغ اللّه قلوبهم** ﴾، وقوله: ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾، وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم، وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقًا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح، فلو أحاط علمًا بهذا لما قال ما قال، واللّه أعلم.

قال القرطبي: وأجمعت الأمّة على أنّ اللّه عز وجل قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب

---

(١١٤) - تفسير الزمخشري (١/٢١).

---

[١] - في ز: فتحف، والمثبت من تفسير الطبري.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - في ز: هذا.
[٤] - في خ: ثم قال.
[٥] - في ز: قال مجاهد: و.
[٦] - في خ: «الدين».

الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال: ﴿**بل طبع الله عليها بكفرهم**﴾. وذكر حديث تقليب القلوب(١١٥) : و «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**» (١١٦) ، وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح(١١٧) ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا(*) فلا تضره فتنة ما دامت السمٰوٰتُ والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مُجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا**» الحديث][١] .

قال [ابن جرير(١١٨)][٢] : والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما حدّثنا به محمد بن بشار، حدّثنا صفوان بن عيسى، حدّثنا ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنّ المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستعتب[٣] صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**».

---

(١١٥) - يعني حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «**مثل القلب مثل ريشة يقلبها الرياح بفلاةٍ**»، رواه أحمد (١٩٧١٦) من حديث عفان، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا عاصم الأحول، عن أبي كبشة، قال: سمعت أبا موسى يقول على المنبر: قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، فذكره، ورواه ابن ماجه (٨٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٨) كلاهما من طريق يزيد الرقاشي - : وهو ضعيف - عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى مرفوعًا، ورواه أحمد (١٩٨١١) (٤١٩/٤)، وعبد بن حميد (٥٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٢/١) حديث (٢٢٧)، والبغوي في شرح السنة (١٦٤/١) (٨٧) من حديث يزيد بن هارون، عن الجريري، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى مرفوعًا، وقال أحمد: ولم يرفعه إسماعيل، عن الجريري. وقال الألباني في تعليقه على السنة: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، على شرط مسلم.

(١١٦) - رواه النسائي في الكبرى (٤١٤/٤)، وابن ماجه (١٩٩)، وأحمد (١٨٢/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩، ٢٣٠)، وابن حبان (٢٤١٩) موارد، والحاكم (٢٨٩/٢، ٣٢١/٤)، والطبراني في الدعاء (١٢٦٢).

(١١٧) - حديث حذيفة رواه مسلم في الإيمان ٢٣١ - (١٤٤)، وأحمد (٣٨٦/٥، ٤٠٥).

(*) - قال القاضي عياض رحمه الله: ليس تشبيهه للصفا بيانًا لبياضه، لكن لصفة أخرى: لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به، ولم تؤثر فيه، كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

(١١٨) - تفسير ابن جرير ٣٠٤ - (٢٦٠/١)، ورواه أحمد ٧٩٣٩ - (٢٩٧/٢)، ورواه الحاكم (٥١٧/٢).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.

[٣] - في الطبري: واستغفر

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي(١١٩) ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد وابن ماجة عن هشام بن عمار ، عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم ، ثلاثتهم عن محمد ابن عجلان ، به .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال ابن جرير : فأخبر رسول[١] الله صلى الله عليه وسلم : أنّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قِبل الله تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها[٢] مخلص ، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكر[٣] في قوله تعالى : ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها ، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحله رباطها عنها .

واعلم أنّ الوقف التام على قوله تعالى : ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**﴾ وقوله : ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ جملة تامة ؛ فإنّ الطبع يكون على القلب وعلى السمع ، والغشاوة - وهي الغطاء - تكون على البصر ، كما قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول[٤] الله صلى الله عليه وسلم(١٢٠) في قوله : ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**﴾ [ ][٥] يقول : فلا يعقلون ولا يسمعون ، يقول وجعل على أبصارهم غشاوة ، يقول : على أعينهم فلا يبصرون .

وقال ابن جرير(١٢١) : حدّثني محمد بن سعد ، حدّثنا أبي ، حدّثني عمي الحسين بن الحسن ،

(١١٩) - الترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة ويل للمطففين برقم (٣٣٣٤) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١٦٥٨) ، وابن ماجة في الزهد ، باب : ذكر الذنوب برقم (٤٢٤٤) ، وابن حبان (١٧٧١ موارد) ، والحاكم (٥١٧/٢) ، والبيهقي (١٨٨/١٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم على شرط مسلم .

(١٢٠) - رواه ابن جرير (٣٠٨) ، ورواه ابن أبي حاتم (٩٥) موقوفًا على السدي .

(١٢١) - **ضعيف** ، والحديث في تفسير ابن جرير ٣٠٥ - (٢٦٣/١) . وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، محمد ابن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي : لين ، وأبوه سعد بن محمد بن الحسن ضعيف جدًا . والحسين بن الحسن بن عطية ضعيف كذلك . والحسن بن عطية ضعيف أيضًا ، وكذلك عطية بن سعد العوفي .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « منها » .
[٣] - في ز : ذكره الله .
[٤] - في خ : « النبي » .
[٥] - في خ : و .

عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عباس ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**﴾، والغشاوة على أبصارهم.

وقال(١٢٢) و[١] حدّثنا القاسم، حدّثنا الحسين - يعني ابن داود وهو سنيد - حدثني حجاج - وهو ابن محمد الأعور - حدّثني ابن جريج قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى: ﴿**فإن يشأ الله يختم على قلبك**﴾، وقال: ﴿**وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة**﴾.

قال ابن جرير: ومن نصب غشاوة من قوله تعالى: ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾، فيحتمل[٢] أنه نصبها بإضمار فعل، تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوة، ويحتمل أن يكون نصبها على الإتباع على محل: ﴿**وعلى سمعهم**﴾ كقوله تعالى: ﴿**وحور عين**﴾ وقول الشاعر:

عَلَفْتُها[٣] تبنًا وماء باردًا حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عيناها

وقال[٤] الآخر:

ورأيت زَوْجَكِ في الوغى متقلِّدًا سيفًا ورُمْحا

تقديره: وسقيتها ماء باردًا، ومعتقلًا رمحًا.

لما تقدّم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين، شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعدّدة، كلٌّ منها نفاق، كما أنزل سورة براءة فيهم، وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور؛ تعريفًا لأحوالهم لتجتنب، ويجتنب من تلبس بها أيضًا فقال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب، كما سيأتي تفصيله في موضعه، إن شاء الله تعالى، وهذا

(١٢٢) - تفسير ابن جرير ٣٠٦ - (١/٢٦٥).

[١] - زيادة من: ز، خ.
[٢] - في ت: «يحتمل».
[٣] - في ز: فَعَلَفْتُها.
[٤] - في ز: وقول.

كما قال ابن جريج : المنافق يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مَغِيبهُ .

وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية ؛ لأنّ مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه ، من الناس من كان يظهر الكفر مُسْتَكْرَهًا وهو في الباطن مؤمن ، فلما هاجر رسول اللَّه صلى اللَّه تعالى[١] عليه وعلى آله[٢] وسلم إلى المدينة ، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج ، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام ، على طريقة مشركي العرب ، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم ، وكانوا ثلاث قبائل ؛ بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فلما قدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم المدينة ، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج ، وقل من أسلم من اليهود إلا عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضًا ؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف ، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وَادَعَ اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة ، فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر اللَّه كلمته وأعلى[٣] الإسلام وأهله ، قال عبد اللَّه بن أبي ابن سلول ، وكان رأسًا في المدينة ، وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية ، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم ، فجاءهم الخيرُ وأسلموا واشتغلوا عنه ، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله ، فلما كانت وقعة بدر - قال : هذا أمر قد تَوَجَّه . فأظهر الدخول في الإسلام ، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونِحلته وآخرون من أهل الكتاب ، فمن ثَمَّ وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ، فأمّا المهاجرون فلم يكن فيهم أحد [نافق] ، لأنه لم يكن أحد يهاجر مُكرَهًا ، بل يهاجر فيترك[٤] ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند اللَّه في الدار الآخرة .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد(١٢٣) ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم . وكذا فسرها بالمنافقين [من الأوس والخزرج][٥] أبو العالية والحسن وقتادة والسدّي .

ولهذا نبّه اللَّه سبحانه على صفات المنافقين ؛ لئلا يغتر بظواهر[٦] أمرهم المؤمنون ، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ، ومن اعتقاد إيمانهم ، وهم كفار في نفس الأمر ، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير ، فقال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ أي يقولون ذلك قولًا ليس وراءه شيء آخر ، كما قال تعالى :

---

(١٢٣) - محمد بن أبي محمد مجهول ، وهو عند ابن جرير (٣١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٤) .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « وأعز » .
[٤] - في ز : ويترك .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : بظاهر .

﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول اللّه [واللّه يعلم إنك لرسوله][١] ﴾ أي : إنما يقولون[٢] ذلك إذا جاءوك فقط ، لا في نفس الأمر ، ولهذا يؤكدون في[٣] الشهادة بإن ولام التأكيد في خبرها . كما أكدوا قولهم : آمنا باللّه وباليوم الآخر ، وليس الأمر كذلك ، كما [كذبهم اللّه][٤] في شهادتهم ، وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم ، بقوله تعالى : ﴿واللّه يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ ، وبقوله : ﴿وما هم بمؤمنين﴾ .

وقوله تعالى : ﴿يخادعون اللّه والذين آمنوا﴾ أي بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر ، يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون اللّه بذلك ، وأنّ ذلك نافعهم عنده ، وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿يوم يبعثهم اللّه جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ . ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله : ﴿وما يخدعون[٥] إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ . يقول : وما يغرّون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿إنّ المنافقين يخادعون اللّه وهو خادعهم﴾ .

ومن القرّاء من قرأ : ﴿ وما يخدعون[٦] إلا أنفسهم ﴾ وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد .

قال ابن جرير : فإن قال قائل : كيف يكون المنافق للّه وللمؤمنين مخادعًا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية ؟ .

قيل : لا تمتنع العرب من أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف مخادعًا ، فكذلك المنافق سُمي مخادعًا للّه وللمؤمنين ، بإظهاره ما أظهره[٧] بلسانه تقية ، بما يخلص[٨] به من القتل والسبي[٩] والعذاب العاجل ، وهو لغير ما أظهره[١٠] مستبطن وذلك من فعله - وإن كان خداعًا للمؤمنين في عاجل الدنيا - فهو لنفسه بذلك من فعله خادعٌ ؛ لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيتها ، ويسقيها كأس سرورها ، وهو موردها [ ][١١] حياض عطبها ، ومجرعها به كأس عذابها ، ومُزيرُها من غضب اللّه وأليم عقابه ما لا قِبَلَ لها به ، فذلك خديعته نفسه ظنًّا منه - مع إساءته إليها في أمر معادها - أنه[١٢] إليها محسن ، كما قال تعالى :

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : نقول .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - في ز : أكذبهم .
[٥] - في ز ، خ : « يخادعون » .
[٦] - في ت : « يخادعون » .
[٧] - في ز ، خ : « أظهر » .
[٨] - في ز ، خ : « تخلص » .
[٩] - في ز ، خ : « السبا » .
[١٠] - في ز : أظهر .
[١١] - في تفسير الطبري به .
[١٢] - في خ : « أن » .

﴿ **وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ إعلامًا منه عباده المؤمنين أنّ المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسخاطهم عليها ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين، ولكنهم على عمياء[١] من أمرهم مقيمون .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٤) : أنبأنا علي بن المبارك [فيما كتب إلي ، حدثنا زيد بن المبارك][٢] ، حدثنا محمد بن ثور ، عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ **يخادعون الله** ﴾ قال : يظهرون لا إله إلا الله يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم ، وفي أنفسهم غير ذلك .

وقال سعيد : عن قتادة : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون**[٣] **إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ نعت المنافق عند كثير خَنِعُ الأخلاق ، يصدّق بلسانه وينكر بقلبه ، ويخالف بعمله ، يصبح على حال ويمسي على غيره ، ويمسي على حال ويصبح على غيره ، و[٤] يتكفأ تكفأ السفينة كلما هبت ريح هبّ معها .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قال السدي : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول[٥] الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ قال : شك ، ﴿ **فزادهم الله مرضًا** ﴾ قال : شكًا(١٢٥) .

وقال ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ قال : شك(١٢٦) .

وكذلك قال مجاهد وعكرمة ، والحسن البصري وأبو العالية ، والربيع بن أنس وقتادة .

وعن عكرمة وطاوس ، ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ يعني : الرياء[٦] .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ قال : نفاق : ﴿ **فزادهم الله مرضا** ﴾

---

(١٢٤) - تفسير ابن أبي حاتم ١٠٧ - (٤٦/١) وسنده جيد .

(١٢٥) - رواه ابن جرير (٣٢٤) .

(١٢٦) - رواه ابن جرير (٣٢٢) ، وابن أبي حاتم (١١٢ ، ١١٤) وسنده ضعيف .

---

[١] - في ت : « عمى »

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ت : « يخدعون » .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في خ : « النبي » .

[٦] - في ز : الزنا .

قال : نفاقًا . وهذا كالأول[١٢٧] .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **في قلوبهم مرض** ﴾ قال : هذا مرض في الدين وليس مرضًا في الأجساد ، وهم المنافقون .

والمرض : الشك الذي دخلهم في الإسلام : ﴿ **فزادهم الله مرضًا** ﴾ قال : زادهم رجسًا ، وقرأ : ﴿ **فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم** ﴾ . قال : شرًّا إلى شرهم ، وضلالة إلى ضلالتهم .

وهذا الذي قاله عبد الرحمن - رحمه الله - حسنٌ ، وهو الجزاء من جنس العمل ، وكذلك قاله الأوّلون ، وهو نظير قوله تعالى أيضًا : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم** ﴾ .

[وقوله : ﴿ **بما كانوا يكذبون** ﴾ وقرئ : ﴿ **يكذِّبون** ﴾ وقد كانوا متصفين بهذا وهذا ، فإنهم كانوا كذبة ، ويكذِّبون بالغيب يجمعون بين هذا وهذا .

وقد سئل القرطبي وغيره من المفسرين عن حكمة كفه - عليه الصلاة والسلام - عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان بعضهم ؟ وذكروا أجوبة عن ذلك ؛ منها ما ثبت في الصحيحين[١٢٨] أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر - رضي الله عنه - : « **أكره أن يتحدث العرب أن محمدًا يقتل أصحابه** »

ومعنى هذا خشية أن يقع بسبب ذلك تغير لكثير من الأعراب عن الدخول في الإسلام ، ولا يعلمون حكمة قتله لهم ، وأنّ قتله إياهم إنما هو على الكفر ، فإنهم إنما يأخذونه بمجرّد ما يظهر لهم ، فيقولون : إن محمدًا يقتل أصحابه .

قال القرطبي : وهذا قول علمائنا وغيرهم ، كما كان يعطي المؤلفة مع علمه بسوء اعتقادهم .

قال ابن عطية : وهي طريقة أصحاب مالك نص عليه محمد بن الجهم والقاضي إسماعيل والأبهري وعن ابن الماجشون .

ومنها ما قال مالك : إنما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبين لأمّته أن

---

(١٢٧) - رواه ابن جرير (٣٢٣) ، وابن أبي حاتم (١١١) ، وسنده ضعيف .

(١٢٨) - رواه البيهقي (١٩٨/٨ ، ٣٢/٩ - ٣٣) ، وفي الدلائل (٢٥٧/٥ - ٢٥٨) من طريق ابن إسحاق معضلًا ، وروى نحوه البخاري (٥٤٦/٦ ، ٦٤٨/٨ ، ٦٥٢ الفتح) ، ومسلم ٦٣ - (٢٥٨٤) ، وأحمد (٣٣٨/٣ ، ٣٩٢ - ٣٩٣) ، وأبو يعلى (١٨٢٤ ، ١٩٥٧) ، وابن حبان (٥٩٩٠ ، ٦٥٨٢) ، والطحاوي في المشكل (٢٣٩/٤) من حديث جابر .

الحاكم لا يحكم بعلمه .

قال القرطبي : وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أنّ القاضي لا يقتل بعلمه . وإن اختلفوا في سائر الأحكام .

قال : ومنها ما قال الشافعي : إنما مَنَعَ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم ؛ لأنّ ما يظهرونه يَجُبُّ ما قبله .

ويؤيد هذا قوله - عليه الصلاة والسلام - في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين(١٢٩) وغيرهما : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا اللّه ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على اللّه عز وجل** » .

ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرًا ، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة ، وإن لم يعتقدها لم ينفعه [في الآخرة] جريان الحكم عليه في الدنيا ، وكونه كان خليط أهل الإيمان ﴿ **ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر اللّه** ﴾ الآية . فهم يخالطونهم في بعض المحشر ، فإذا حقت المحقوقية تميزوا منهم وتخلفوا بعدهم ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ ولم يمكنهم أن يسجدوا معهم ، كما نطقت بذلك الأحاديث .

ومنها : ما قاله بعضهم أنه إنما لم يقتلهم لأنه كان يخاف[١] من شرهم مع وجوده - عليه الصلاة والسلام - بين أظهرهم يتلو عليهم آيات اللّه مبينات ، فأما بعده فيقتلون إذا أظهروا النفاق وعلمه المسلمون .

قال مالك : المنافق في عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم هو الزنديق اليوم .

(**قلت**): وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق إذا أظهر الكفر ، هل يستتاب أم لا ؟ أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا ؟ أو يتكرّر منه ارتداده أم لا ، أو يكون إسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه ، أو بعد أن ظُهِر عليه ؟ على أقوال متعدّدة ، موضع بسطها وتقريرها وعزوها كتاب « الأحكام » .

[**تنبيه**] : قول من قال : كان - عليه الصلاة والسلام - يعلم أعيان بعض المنافقين ، إنما مستنده حديث حذيفة بن اليمان(١٣٠) في تسمية أولئك الأربعة عشر منافقًا في غزوة تبوك ، الذين

(١٢٩) - البخاري في كتاب الإيمان برقم (٢٥) ومسلم في الإيمان برقم ٣٦ - (٢٢) من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما .

(١٣٠) - رواه مسلم ٩ : ١١ - (٢٧٧٩) ، وأحمد (٣٩٠/٥) .

[١] - في ن : لا يخاف .

هموا أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلماء الليل عند عقبة هناك ، عزموا على أن ينفروا به الناقة ليسقط عنها ، فأوحى الله إليه أمرهم فأطلع على ذلك حذيفة ولعل الكف عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك أو لغيرها ، والله أعلم .

فأمّا غير هؤلاء فقد قال الله تعالى : ﴿**ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلًا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلًا**﴾ ففيها دليل على أنه لم يغر بهم ولم يدرك على أعيانهم ، وإنما كان تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم ، كما قال تعالى : ﴿**ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**﴾

وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين ، ومع هذا لما مات صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين ، وقد عاتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه فقال : « **إني أكره أن تتحدّث العرب أنّ محمدًا يقتل أصحابه** » .

وفي رواية في الصحيح : « **إني خيرت فاخترت** » . وفي رواية(١٣١) : « **لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت**][١] » .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك و[عن][٢] أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مُرّة الطَّيّب الهمداني[٣] ، عن ابن مسعود ، وعن أناس[٤] من أصحاب النبي[٥] صلى الله عليه وسلم : ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ [قال : هم المنافقون][٦] ، أمّا ﴿**لا تفسدوا في الأرض**﴾ قال : الفساد هو الكفر ، والعمل بالمعصية .

وقال أبو جعفر: عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿**وإذا قيل لهم لا**

---

(١٣١) - رواه البخاري برقم (١٣٦٦) من حديث ابن عمر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : « ناس » .
[٥] - في خ : « رسول الله » .
[٦] - سقط من: ز ، خ .

تفسدوا في الأرض﴾ قال : يعني لا تعصوا في الأرض ، وكان فسادهم ذلك معصية الله ؛ لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته[١] فقد أفسد في الأرض ؛ لأنّ صلاح الأرض والسماء بالطاعة .

وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة .

وقال ابن جريج : عن مجاهد : **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾** قال : إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا ، قالوا : إنما نحن على الهدى ، مصلحون .

وقد قال وكيع وعيسى بن يونس وعَثّام[٢] بن علي ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي(١٣٢) ، عن سلمان الفارسي : **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾** قال سلمان : لم يجئ أهل هذه الآية بعد .

وقال ابن جرير(١٣٣) : حدّثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، حدّثنا عبد الرحمن بن شريك ، حدثني أبي ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب وغيره ، عن سلمان الفارسي[٣] في هذه الآية ، قال : ما جاء هؤلاء [بَعْدُ[٤]] .

قال ابن جرير (١٣٤) : يحتمل أن سلمان [- رضي الله عنه -] أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن[٥] النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أنه عنى أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد .

قال ابن جرير (١٣٥) : فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه وشكهم في دينه الذي لا يُقْبَلُ من أحد عملٌ إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته ، وكذبِهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون[٦] من الشك

(١٣٢) - رواه ابن جرير (٣٣٧) ، وابن أبي حاتم (١٢٣) ، وعباد بن عبد الله الأسدي : أورده الذهبي في الميزان (٣٦٨/٢) وقال : قال البخاري : سمع منه المنهال بن عمرو ، فيه نظر . قال ابن المديني : ضعيف الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(١٣٣) - تفسير ابن جرير ٣٣٨ - (٢٨٨/١) ، وعبد الرحمن بن شريك ذكره ابن حبان في الثقات . وقال أبو حاتم : واهي الحديث .

(١٣٤) - تفسير ابن جرير (٢٨٩/١) .

(١٣٥) - تفسير ابن جرير (٢٨٩/١) .

[١] - في ز : بمعصية لله .
[٢] - في ز ، خ : « غنام » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ ، وهي مثبتة عند الطبري .
[٥] - في ز : زمان .
[٦] - في ز ، خ : « مقيمين » .

والريب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلًا، فذلك إفساد المنافقين في الأرض، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها.

وهذا الذي قاله حسن؛ فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾ فقطع الله الموالاة بين [المؤمنين والكافرين] كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا**﴾، ثم قال: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا**﴾، فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين، فكأن الفساد من جهة المنافق حاصلٌ؛ لأنه هو الذي غرّ المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له، ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شره أخف، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح، ولهذا قال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ أي نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء، كما قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد(١٣٦)، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله: ﴿**ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾ يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادًا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى: وإذا قيل للمنافقين: آمنوا كما آمن الناس، أي كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك، مما أُخبر المؤمنون[١] به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿**قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**﴾ يعنون - لعنهم الله - أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنهم - قاله أبو العالية والسدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة(١٣٧)، وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم، يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟!.

(١٣٦) - محمد بن أبي محمد: مجهول، ورواه ابن جرير (٣٤١)، وابن أبي حاتم (١٢٤).
(١٣٧) - رواه ابن جرير (٣٤٤).

[١] - في ت: «المؤمنين».

والسفهاء جمع سفيه ، كما أن الحكماء جمع حكيم [والحلماء جمع حليم][١] ، والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي ، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ، ولهذا سمى اللَّه النساء والصبيان سفهاء في قوله تعالى : ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل اللَّه لكم قيامًا**﴾ ، قال عامة علماء التفسير[٢] : هم النساء والصبيان .

وقد تولى اللَّه سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال : ﴿**ألا إنهم هم السفهاء**﴾ فأكد وحصر السفاهة فيهم .

﴿**ولكن لا يعلمون**﴾ يعني ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل ، وذلك أردى لهم ، وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى .

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى : وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا : ﴿**آمنا**﴾ أي أظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة ، غرورًا منهم للمؤمنين ونفاقًا ومصانعة وتقية ، وليَشْركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم ، ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم**﴾ يعني : و[٣] إذا انصرفوا و[٤] ذهبوا و[٥] خلصوا إلى شياطينهم ، فضمَّن ﴿**خلوا**﴾ معنى انصرفوا ، لتعديته بإلى ، ليدل على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به . ومنهم من قال : « إلى » هنا[٦] بمعنى « مع » ، والأول أحسن وعليه يدور كلام ابن جرير .

وقال السدّي عن أبي مالك : ﴿**خلوا**﴾ يعني مضوا ، و ﴿**شياطينهم**﴾ يعني : سادتهم [وكبراءهم ورؤساءهم][٧] من أحبار اليهود ورءوس المشركين والمنافقين .

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني[٨] ، عن ابن مسعود ، وعن[٩] ناس من أصحاب النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم**﴾ يعني[١٠] : هم رءوسهم في الكفر .

وقال الضحاك عن ابن عباس : وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز ، خ : « السلف » .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - في ز : أو .
[٥] - في ز : أو .
[٦] - في ز : ههنا .
[٧] - في ز : وكبراؤهم ورؤساؤهم .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

وقال محمد بن إسحاق: عن محمد بن أبي محمد(١٣٨) ، عن عكرمة أو[١] سعيد بن جبير، عن ابن عباس : ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم**﴾ من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال مجاهد : ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم**﴾ إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين.

وقال قتادة: ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم**﴾ قال : إلى رءوسهم وقادتهم في الشرك والشر.

وبنحو ذلك فسره أبو مالك وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس.

قال ابن جرير : وشياطين كل شيء[٢] مَرَدَتُه ، ويكون الشيطان من الإنس والجن، كما قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا**﴾.

وفي المسند (١٣٩) عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**تعوَّذ بالله من شياطين الإنس والجن**» فقلت : يا رسول الله ! أو[٣] للإنس شياطين ؟ قال : «**نعم**».

وقوله تعالى: ﴿**قالوا إنا معكم**﴾ قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس(١٤٠) أي إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿**إنما نحن مستهزءون**﴾ أي إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم.

---

[٣] - - محمد بن أبي محمد : مجهول ، وهو عند ابن جرير (٣٥٠) ، وابن أبي حاتم (١٣٧) .

(١٣٩) - **ضعيف** ، وهو في المسند ٢١٦٢٩ - (١٧٨/٥) ثنا وكيع ، ثنا المسعودي ، أنبأني أبو عمر الدمشقي ، عن عبيد بن الخشخاش ، عن أبي ذر .... وأبو عمر الدمشقي قال الدارقطني : متروك . وعبيد ابن الخشخاش : قال الحافظ : روى عن أبي ذر في الاستعاذة من شياطين الإنس والجن ، وعنه أبو عمر الدمشقي ذكره ابن حبان في الثقات . قال الحافظ : قلت : وقال : روى عنه الكوفيون ، وقال البخاري لم يذكر سماعًا من أبي ذر ، وضعفه الدارقطني . وأخرجه أيضًا البزار كما في كشف الأستار (١ / ٩٣ ، ٩٤/ رقم : ١٦٠) . والطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ / رقم : ٣١٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٥٩ ، ١٦٠) وقال « رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه ، وعند النسائي طرف منه ، وفيه المسعودى وهو ثقة ، ولكنه اختلط . ورواه أحمد من حديث أبي أمامة ٢٢٣٣٨ - (٢٦٥/٣) ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني : منكر الحديث .

(١٤٠) - رواه ابن جرير (٣٥٠) ، وابن أبي حاتم (١٤١) .

---

[١] - في ز ، خ: «أن».

[٢] - في خ: «نبي».

[٣] - في خ: «و».

وقال الضحاك عن ابن عباس (١٤١) : ﴿[قالوا][١] إنما نحن مستهزءون﴾ ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وكذلك قال الربيع بن أنس وقتادة .

وقوله تعالى جوابًا لهم ومقابلة على صنيعهم : ﴿الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون﴾ .

وقال ابن جرير : أخبر الله تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله [تعالى] : ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ولا يحسبن[٢] الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾ الآية ، قال : فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به ، عند قائل هذا القول ومتأوّل هذا التأويل .

قال : وقال آخرون : بل استهزاؤه بهم توبيخه إياهم ، ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه ، والكفر به .

قال : وقال آخرون : هذا وأمثاله على سبيل الجواب ، كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به : أنا الذي خدعتك . ولم يكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه .

قالوا : وكذلك قوله تعالى : ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ و ﴿الله يستهزئ بهم﴾ على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزء . والمعنى أنّ المكر والهزء حاق بهم .

وقال آخرون قوله تعالى : ﴿إنما نحن مستهزِءون الله يستهزئ بهم﴾ ، وقوله : ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ ، وقوله : ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ و ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ ، وما أشبه ذلك إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم عقوبة الخداع ، فأخرج خبره عن جزائه[٣] إياهم وعقابه لهم مُخْرَجَ خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ ، وإن اختلف المعنيان كما قال تعالى : ﴿وجزاء[٤] سيئة سيئة مثلها [فمن عفا وأصلح فأجره على الله][٥] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه [بمثل ما اعتدى عليكم][٦] ﴾ فالأوّل ظلم والثاني عدل ، فهما وإن اتفق لفظاهما فقد اختلف معناهما .

(١٤١) - رواه ابن جرير (٣٥٩) ، وابن أبي حاتم (١٤٢) ، وسنده ضعيف .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في خ : « تحسبن » .
[٣] - في ز ، خ : « جوابه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

قال : وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك .

[قال : وقال آخرون : إنّ معنى ذلك][١] أنّ اللّه أخبر عن المنافقين أنهم إذا خَلَوا إلى مردتهم قالوا : إنا معكم على دينكم ، في تكذيب محمد [صلى اللّه تعالى عليه وآله وسلم] وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم : [صدقنا بمحمد عليه السلام وبما جاء به][٢] مستهزِئون ، فأخبر الله تعالى أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا ، يعني من عصمة[٣] دمائهم وأموالهم خلافَ الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنكال(١٤٢) .

ثم شرع ابن جرير يوجه هذا القول وينصره ؛ لأنّ المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتفٍ عن اللّه - عز وجل - بالإجماع ، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك .

قال : وبنحو ما قلنا فيه رُوي الخبر عن ابن عباس :

حدثنا(١٤٣) أبو كريب ، حدثنا عثمان ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **اللّه يستهزئ بهم** ﴾ قال : يسخر بهم للنقمة منهم .

وقوله تعالى : ﴿ **ويمدّهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ قال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني[٤] ، عن ابن مسعود ، وعن أناس[٥] من [أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم][٦] يمدهم : يملي لهم(١٤٤) .

وقال مجاهد : يزيدهم .

[وقال تعالى : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ وقال : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ قال بعضهم : كلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة وهي في الحقيقة نقمة .

(١٤٢) - تفسير ابن جرير (٣٠٣/١) .

(١٤٣) - تفسير ابن جرير ٣٦٣ - (٣٠٥/١) ، وسنده ضعيف جدًا .

(١٤٤) - رواه ابن جرير (٣٦٤) ، وابن أبي حاتم (١٤٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ ، ومثبت في تفسير الطبري .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : ناس .

[٦] - في ز ، خ : « الصحابة » .

وقال تعالى: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**﴾][١] .

قال ابن جرير: والصواب نزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عُتُوّهم وتمردهم، كما قال تعالى: ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾.

والطغيان هو المجاوزة في الشيء كما قال تعالى: ﴿**إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية**﴾.

وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿**في طغيانهم يعمهون**﴾ في كفرهم يتردّدون(١٤٥) .

وكذا[٢] فسره السدي بسنده عن الصحابة، وبه يقول أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس ومجاهد وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد في كفرهم وضلالتهم.

قال ابن جرير: والعَمَه: الضلال، يقال: عمه فلان يَعْمَه عَمَهًا وعُمُوهًا إذا ضلّ.

قال: وقوله: ﴿**في طغيانهم يعمهون**﴾ في ضلالتهم[٣] ، وكفرهم الذي قد[٤] غمرهم دنسه وعلاهم رجسه، يتردّدون حيارى ضُلَّالًا، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلًا؛ لأن اللَّه تعالى قد طبع على قلوبهم وختم عليها، وأعمى أبصارهم عن الهدى، وأغشاها فلا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلًا.

[وقال بعضهم: العمى في العين، والعمه في القلب.

وقد يستعمل العمى في القلب أيضًا، قال اللَّه تعالى: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾، وتقول: عمه الرجل يعمه عموهًا فهو عمه، وعامه وجمعه عُمه، وذهبت إبله العمهاء إذا لم يدر أين ذهبت][٥] .

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

(١٤٥) - رواه ابن جرير (٣٦٦)، وابن أبي حاتم (١٤٨)، وسنده ضعيف جدًّا.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «وكذلك».
[٣] - في ز: ضلالهم.
[٤] - زيادة من: ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

قال السدي في تفسيره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ قال: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى.

وقال ابن إسحاق: عن محمد بن أبي محمد(١٤٦)، عن عكرمة أو عن سعيد [بن جبير][١]، عن ابن عباس: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي: الكفر بالإيمان.

وقال مجاهد: آمنوا ثم كفروا.

وقال قتادة: استحبوا الضلالة على الهدى.

وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود: ﴿وأما[٢] ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾.

وحاصل قول المفسرين فيما تقدم أن المنافقين عَدَلُوا عن الهدى إلى الضلال[٣]، واعتاضوا عن الهدى بالضلالة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي: بذلوا الهدىٰ ثمنًا للضلالة، وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه إلى الكفر، كما قال تعالى فيهم: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطُبع على قلوبهم﴾. أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى، كما قد[٤] يكون حال فريق آخر[٥] منهم، فإنهم أنواع وأقسام، ولهذا قال تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

[أي: ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة ﴿وما كانوا مهتدين﴾][٦] أي: راشدين في صنيعهم ذلك.

وقال ابن جرير(١٤٧): حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة.

---

(١٤٦) - محمد بن أبي محمد: لا يعرف، وهو عند ابن جرير (٣٨٠)، وابن أبي حاتم (١٥٣).
(١٤٧) - تفسير ابن جرير - ٣٨٥ - (٣١٢/١).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - في ت: «فأما».
[٣] - في ز، خ: «الضلالة».
[٤] - زيادة من: ز، خ.
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم(١٤٨) من حديث يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، بمثله سواء.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)﴾

[يقال: مَثَل ومِثْل ومَثِيل أيضًا والجمع أمثال، قال اللَّه تعالى: ﴿**وتلك الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾][١]، وتقريرُ هذا المثل أن اللَّه سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة[٢] إلى العمى، بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها، فبينا هو كذلك إذ طُفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع هذا[٣] أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر، فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر تعالى[٤] عنهم في غير هذا الموضع، واللَّه أعلم.

[وقد حكى هذا الذي قلناه الرازي في تفسيره عن السدي، ثم قال: والتشبيه هاهنا في غاية الصحة؛ لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولًا نورًا ثم بنفاقهم ثانيًا أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين][٥].

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات، واحتج بقوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾.

والصواب: أنّ هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سُلبوه وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير - رحمه الله - هذه الآية هاهنا وهي قوله تعالى: ﴿**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**﴾. فلهذا[٦] وجه هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظهروه من كلمة الإيمان - أي في الدنيا - ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة.

قال: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال: ﴿**رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم**

---

(١٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٥٧).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - في ز، خ: «التبصرة».
[٣] - في ز، خ: «ذلك». [٤] - في ز، خ: «عنهم تعالى».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٦] - في خ: «فهذا».

كالذي يغشى عليه من الموت ﴾ أي : كدوران [عيني] الذي يغشى عليه من الموت ، وقال تعالى : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ [وقال تعالى : ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا** ﴾ . وقال بعضهم : تقدير الكلام مثل قصتهم كقصة الذين استوقدوا نارًا][١] .

[وقال بعضهم : المستوقد واحد لجماعة معه . وقال آخرون : الذي هاهنا بمعنى الذين ، كما قال الشاعر :

وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد][٢] (١٤٩)

قلت : وقد التفت في أثناء المثل من الواحد[٣] إلى الجمع في قوله تعالى : ﴿ **فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عميٌ فهم لا يرجعون** ﴾ . وهذا أفصح في الكلام وأبلغ في النظام ، وقوله تعالى : ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ أي أذهب عنهم ما[٤] ينفعهم ، وهو النور ، وأبقى لهم ما يضرهم ، وهو الإحراق والدخان . ﴿ **وتركهم في ظلمات** ﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق : ﴿ **لا يبصرون** ﴾ لايهتدون إلى سبل خير ولا يعرفونها ، وهم مع ذلك ﴿ **صم** ﴾ لا يسمعون خيرًا ﴿ **بكم** ﴾ لا يتكلمون بما ينفعهم ﴿ **عميٌ** ﴾ في ضلالة وعماية البصيرة ، كما قال تعالى : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة .

(ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه)

قال السدّي في تفسيره(١٥٠) عن أبي مالك و[٥] عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمداني[٦] عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، في قوله تعالى : ﴿ **فلما أضاءت ما حوله** ﴾ زعم أنّ ناسًا دخلوا في الإسلام مَقْدَم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم إنهم نافقوا ، وكان[٧] مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة ، فأوقد نارًا ، فلما أضاءت [ ][٨] ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقي منه[٩] ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فأقبل لا يدري ما يتقي

---

[٩] - - البيت للأشهب بن رميلة ، كما في اللسان ، مادة « فلج » .

(١٥٠) - رواه ابن جرير (٣٨٨) ، وابن أبي حاتم (١٦٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : الوحدة .

[٤] - في خ : بما .

[٥] - زيادة من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « فكان » .

[٨] - في ز : له .

[٩] - في ز : منها .

من أذى ، فكذلك[١] المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال والحرام ، والخير من[٢] الشرِّ ، فبينما هو كذلك إذ كفر ، فصار لا يعرف الحلال من الحرام ، ولا الخير من الشرِّ .

وقال مجاهد : ﴿ **فلما أضاءت ما حوله** ﴾ أمّا إضاءة النار فإقبالهم[٣] إلى المؤمنين والهدى .

وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ قال : هذا[٤] مثل المنافق ، يبصر أحيانًا ويعرف أحيانًا ، ثم يدركه عمى القلب .

و[٥] قال ابن أبي حاتم : وروي عن عكرمة والحسن ، والسدّي والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخراساني .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، في قوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ إلى آخر الآية ؛ قال : هذه صفة المنافقين ، كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم ، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا نارًا[٦] ، ثم كفروا فذهب اللَّه بنورهم فانتزعه ، كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وقال العوفي عن ابن عباس(١٥١) في هذه الآية ، قال : أمّا[٧] النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به ، وأمّا الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم [الذي كانوا][٨] يتكلمون به ، وهم قوم كانوا على هدى ثم نُزع منهم فعتوا بعد ذلك .

وأمّا قول ابن جرير ، فيشبه ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(١٥٢) في قوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ قال : هذا مثل ضربه اللَّه للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام ، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء ، فلما ماتوا سلبهم اللَّه ذلك العزَّ كما سُلب صاحب النار ضَوءه .

[وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : ﴿ **مثلهم كمثل الذي**][٩] **استوقد نارًا** ﴾ فإنما ضوء النار ما أوقدتها فإذا خمدت ذهب نورها ، وكذلك المنافق ، كلما تكلم

[٩] - - رواه ابن جرير (٣٨٩) ، وسنده ضعيف جدًّا .

(١٥٢) - رواه ابن جرير (٣٨٧) ، وابن أبي حاتم (١٥٨) ، وإسناده ضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « فذلك » .
[٢] - في ت : و ..
[٣] - في ز : فإقباله .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

بكلمة الإخلاص ، بلا إله إلا اللَّه ، أضاء له ، فإذا شك وقع في الظلمة .

وقال الضحاك [في قوله][١] : ﴿ **ذهب اللَّه بنورهم** ﴾ [أمّا نورهم][٢] فهو إيمانهم الذي تكلموا به .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (١٥٣) : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله** ﴾ فهي لا إله إلا اللَّه ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا في الدنيا ، ونكحوا النساء ، وحقنوا دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب اللَّه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية : إنّ[٣] المعنى أنّ المنافق تكلم بلا إله إلا اللَّه فأضاءت له في الدنيا ، فناكح بها المسلمين ، وغازاهم بها ، ووارثهم بها وحقن بها دمه وماله ، فلما كان عند الموت سُلبها المنافق ؛ لأنه[٤] لم يكن لها أصل في قلبه ، ولا حقيقة في عمله .

﴿ **وتركهم في ظلمات [لا يبصرون]**[٥] ﴾ قال علي بن أبي[٦] طلحة عن ابن عباس : ﴿ **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾ يقول : في عذاب إذا ماتوا (١٥٤) .

وقال محمد[٧] بن إسحاق : عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد [بن جبير][٨] - عن ابن عباس (١٥٥) : ﴿ **وتركهم في ظلمات** ﴾ أي يبصرون الحق ويقولون به ، حتى [إذا خرجوا][٩] من ظلمة الكفر [أطفئوه بكفرهم][١٠] ونفاقهم فيه ، فتركهم اللَّه في ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدًى ولا يستقيمون على حق .

وقال السدي في تفسيره بسنده : ﴿ **وتركهم في ظلمات** ﴾ فكانت الظلمة نفاقهم .

وقال الحسن البصري : ﴿ **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾ فذلك حين يموت المنافق ، فيظلم عليه عمله عمل السوء ، فلا يجد له عملًا من خير عمل به يصدق به قول لا إله إلّا اللَّه[١١] .

---

(١٥٣) - رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٩/١) ، وعنه ابن جرير (٣٩١) ، وابن أبي حاتم (١٦٤) .

(١٥٤) - رواه ابن جرير (٣٨٧) ، وابن أبي حاتم (١٦٧) .

(١٥٥) - رواه ابن جرير (٣٨٦) ، وابن أبي حاتم (١٦٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « لأنها » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من ز .

[٩] - في ز : خرجوا به .

[١٠] - في ز : اطفئوا بكفرهم به .

[١١] - في ز ، خ : « هو » .

﴿صم بكم عمي﴾ قال السدي بسنده : ﴿صم بكم [عميٌ][١] ﴾ فهم خرس عمي .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(١٥٦) : ﴿صم بكم عميٌ﴾ يقول : لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه . وكذا قال أبو العالية وقتادة بن دعامة .

﴿فهم لا يرجعون﴾ قال ابن عباس(١٥٧) : أي لا يرجعون إلى هدى ، وكذا قال الربيع بن أنس .

وقال السدي بسنده : ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ إلى الإسلام .

وقال قتادة : ﴿فهم لا يرجعون﴾ أي : لا يتوبون ، ولا هم يذكرون .

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين ، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى ، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿كصيب﴾ والصيب : المطر ، قاله ابن مسعود(١٥٨) وابن عباس(١٥٩) وناس من الصحابة ، [وأبو العالية ومجاهد ، وسعيد بن جبير][٢] وعطاء ، والحسن البصري ، وقتادة ، وعطية العَوْفي ، وعطاء الخراساني ، والسُّدّي ، والربيع بن أنس .

وقال الضحاك : هو السحاب .

والأشهر هو المطر نزل من السماء ، في حال ظلمات ، وهي الشكوك والكفر والنفاق .

---

(١٥٦) - رواه ابن جرير (٣٩٩) ، وابن أبي حاتم (١٧٣) .

(١٥٧) - رواه ابن أبي حاتم (١٧٨) ، وسنده ضعيف .

(١٥٨) - ابن جرير (٤٠٨) .

(١٥٩) - ابن جرير (٤٠٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.   [٢] - مكرر في : خ.

و ﴿ **رعد** ﴾ وهو ما يزعج القلوب من الخوف ، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع ، كما قال تعالى : ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾ وقال ﴿ **ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلا لولوا إليه وهم يجمحون** ﴾ .

والبرق : هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان ، من نور الإيمان ، ولهذا قال : ﴿ **يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين** ﴾ أي : ولا[١] يُجْدي عنهم حذرهم شيئًا ؛ لأن الله محيط بهم[٢] بقدرته ، وهم تحت مشيئته وإرادته ، كما قال : ﴿ **هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط** ﴾ . بهم[٣] .

ثم قال ﴿ **يكاد البرق يخطف أبصارهم** ﴾ [أي لشدته][٤] وقوته في نفسه ، وضعف بصائرهم ، وعدم ثباتها للإيمان ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٦٠) : ﴿ **يكاد البرق يخطف أبصارهم** ﴾ يقول : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين .

وقال ابن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد (١٦١) ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿ **يكاد البرق يخطف أبصارهم** ﴾ أي : لشدة[٥] ضوء الحق ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ أي : كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه ، وتارة تَعْرِضُ لهم الشكوك أظلمت قلوبَهم فوقفوا حائرين .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١٦٢) : ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه** ﴾ يقول : كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه ، وإذا[٦] أصاب الإسلامَ نكبةٌ قاموا ليرجعوا إلى الكفر ، كقوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد [بن أبي محمد][٧] (١٦٣) ، عن عكرمة - أو سعيد [بن جبير][٨] - عن ابن عباس : ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ أي : يعرفون

---

(١٦٠) - ابن أبي حاتم (٢٠٤) ، وابن جرير (٤٥٤) مطولًا .

(١٦١) - محمد بن أبي محمد : لا يعرف . وهو عند ابن جرير (٤٥١) مطولًا ، وابن أبي حاتم (٢٠٧) مختصرًا .

(١٦٢) - رواه ابن جرير (٤٥٤) ، وابن أبي حاتم (٢٠٩) وسنده ضعيف .

(١٦٣) - محمد بن أبي محمد : لا يعرف . وهو عند ابن أبي حاتم (٢١٢) ، وابن جرير (٤٥١) .

---

[١] - في ز ، خ : « لا » .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : لشدته أي .
[٥] - في ز : بشدة .
[٦] - في ز : وإن .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الحق ويتكلمون به ، فهم في قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر ﴿ **قاموا** ﴾ أي : متحيرين .

وهكذا قال أبو العالية والحسن البصري وقتادة [والربيع بن أنس][١] والسدي بسنده عن الصحابة ، وهو أصح وأظهر ، والله أعلم .

وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم ؛ فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ وأكثر من ذلك وأقل من ذلك ، ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء له أخرىٰ ، [ومنهم من يمشي][٢] على الصراط تارة ويقف أخرى ، ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخُلّص من المنافقين ، الذين قال تعالى : فيهم ﴿ **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا** ﴾ . وقال في حق المؤمنين : ﴿ **يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليوم جنات [تجري من تحتها الأنهار]**[٣] ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه [نورهم يسعى]**[٤] **بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير** ﴾ .

(ذكر الحديث الوارد في ذلك)

قال سعيد بن أبي عروبة ، [عن قتادة][٥] في قوله تعالى : ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات** ﴾ الآية : ذكر لنا أن [نبي الله][٦] صلى الله عليه وسلم كان يقول : « **من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن ، [أو بين صنعاء]**[٧] **ودون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه** » . رواه ابن جرير(١٦٤) .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن دَاوَر القطان عن قتادة ، بنحوه .

وهذا كما قال المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى[٨] نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى[٩] نوره كالرجل

---

(١٦٤) - مرسل ، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل ، وهو عند ابن جرير (٢٧ /١٢٨) وسيأتي في سورة الحديد .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فيمشي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « يسعى نورهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « النبي » .
[٧] - في الطبري : (٢٢٢/٢٧) أبين فصنعاء .
[٨] - في ز ، خ : « يرى » .
[٩] - في ز ، خ : « يرى » .

القائم ، وأدناهم نورًا على إبهامه يطفأ مرة ويتقد[١] مرة .

وهكذا[٢] رواه ابن جرير(١٦٥) ، عن ابن مثنى ، عن ابن إدريس ، عن أبيه ، عن المنهال .

وقال ابن أبي حاتم(١٦٦) : حدّثنا أبي ، حدّثنا علي بن محمد الطنافسي[٣] ، حدّثنا ابن إدريس ، سمعت [أبي يذكر][٤] عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، عن عبد الله [بن مسعود][٥] : ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم** ﴾ قال : على قدر أعمالهم [يمرّون على الصراط][٦] ؛ منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ أخرىٰ .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا[٧] (١٦٧) : حدّثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي[٨] ، حدّثنا أبو يحيى الحماني[٩] ، حدثنا عتبة بن اليقظان[١٠] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نورًا يوم القيامة ، فأما المنافق فيطفأ نوره ، فالمؤمن مشفق[١١] مما يرى من إطفاء نور المنافقين ، فهم يقولون : ربنا ؛ أتمم لنا نورنا .

وقال الضحاك بن مزاحم : يعطي كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نورًا ؛ فإذا انتهى إلى الصراط طُفيء نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا : ربنا ؛ أتمم لنا نورنا .

فإذا تقرر هذا صار الناس أقسامًا : مؤمنون[١٢] خُلص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة ، وكفارٌ خُلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ، ومنافقون وهم قسمان : خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ، ومنافقون يتردّدون[١٣] تارة يظهر لهم لُمَعٌ من الإيمان وتارة يخبو ، وهم أصحاب المثل[١٤] المائي ، وهم أخف حالًا من الذين قبلهم .

---

(١٦٥) - رواه ابن جرير (٢٧/١٢٨) ، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٣/٢٩٩) ، ومن طريقه الحاكم (٢/٤٧٨) .

(١٦٦) - أورده السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢) ، وعزاه لابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه . وانظر الذي قبله .

(١٦٧) - عتبة بن اليقظان : وثقه النسائي ، وقال علي بن الجنيد : لا يساوي شيئًا وذكره ابن حبان في الثقات .

---

[١] - في ز ، خ : « يقد » .
[٢] - في ز ، خ : « هكذا » .
[٣] - في ز : الطيالسي .
[٤] - في ز ، خ : « أبي بكر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : خ ، وفي ز : الأحمس .
[٩] - في خ : « الجماني » .
[١٠] - في ز ، خ : « القطان » .
[١١] - في ز : يشفق .
[١٢] - في ت : مؤمنين .
[١٣] - في خ : « مترددون » .
[١٤] - في خ : « الشك » .

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذُكر في سورة النور، من ضرب مثل المؤمن وما جعل اللّٰه في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دُري، وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط، كما سيأتي تقريره في موضعه، إن شاء اللّٰه.

ثم ضرب مثل العُبّاد من الكفار، الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء، وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى : ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا**﴾ الآية.

ثم ضرب مثل الكفار الجُهَّال الجَهْلَ البسيط، وهم الذين قال تعالى فيهم[١] : ﴿**أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل اللّٰه له نورًا فما له من نور**﴾، فقسم الكفار هاهنا إلى قسمين : داعية، ومقلد، كما ذكرهما في أول سورة الحج [﴿**ومن الناس من يجادل في اللّٰه بغير علم ويتبع كل شيطان مريد**﴾ وقال بعده : ﴿**ومن الناس من يجادل في اللّٰه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**﴾[٢] وقد قسم اللّٰه المؤمنين في أوّل[٣] الواقعة وفي آخرها، وفي سورة الإنسان إلى قسمين: سابقون[٤] وهم المقرّبون، وأصحابُ يمين وهم الأبرار.

فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقرّبون وأبرار، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ؛ وأنّ المنافقين أيضًا صنفان : منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في الصحيحين(١٦٨)، عن عبد اللّٰه بن عمرو، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : « **ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه واحدة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان** ».

استدلوا به على أنّ الإنسان قد تكون[٥] فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق ؛ إما عملي، لهذا[٦] الحديث، أو اعتقادي، كما دلت عليه الآية، كما ذهب إليه طائفة من السلف، وبعض العلماء، ما تقدم وكما سيأتي، إن شاء اللّٰه تعالى .

---

(١٦٨) - رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب : علامات النفاق برقم (٣٤) ومسلم في الإيمان برقم ١٠٦ - (٥٨) ولفظه : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا - والرابعة - وإذا خاصم فجر** ».

---

[١] - زيادة من ز ، خ .
[٢] - في ز الآية الثانية قبل الأولى .
[٣] - في ز ، خ : سورة .
[٤] - في ت: « سابقين ».
[٥] - في ز : يكون .
[٦] - في خ : « كهذا ».

قال الإمام أحمد(١٦٩) : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا أبو[١] معاوية [- يعني شيبان -][٢] عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتري[٣] ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **القلوب أربعة : قلب أجرد ، فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، [وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص][٤] ، عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومَثَل الإيمان فيه[٥] كمثل البقلة ، يَمُدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يَمُدّها القيح والدم ، فأي المادتين[٦] غلبت على الأخرى غلبت عليه** » . وهذا إسناد[٧] جيد حسن .

وقوله تعالى : ﴿**ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير**﴾ .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس(١٧٠) في قوله تعالى : ﴿**ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم**﴾ قال : لما تركوا

(١٦٩) - المسند (١٧/٣) ، وإسناده ضعيف لعلتين : الأولى : الإرسال ؛ فإن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد ، قاله أبو داود ، عقب إخراج حديث له عن أبي سعيد - كتاب الزكاة ، باب : ما تجب فيه الزكاة ، حديث ١٥٥٩ - : « وأبو البختري لم يسمع من أبي سعيد » . ونقله عنه ابن حجر في التهذيب . وأبو البختري ، اسمه سعيد بن فيروز بن أبي عمران الطائي الكوفي . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه - في المراسيل - : لم يدرك أبا ذر ، ولا أبا سعيد . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : سعيد بن فيروز ، ويقال : سعيد بن عمران ، وقيل غير ذلك ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ، يرسل حديثه ، ويروي عن الصحابة ، ولم يسمع من كثير أحد ، فما كان من حديثه سماعًا فهو حسن ، وما كان غيره فهو ضعيف . وقال عنه في التقريب : ثقة ثبت ، فيه تشيع قليل ، كثير الإرسال . والعلة الثانية : هي أنه من طريق ليث وهو ابن أبي سليم ، واسم أبيه أيمن ، وقيل : أنس ، وقيل غير ذلك ، وهو صدوق اختلط جدًا ، ولم يتميز حديثه ، فتُرك ، قاله ابن حجر . وقال الذهبي : فيه ضعف يسير من سوء حفظه ، كان ذا صلاة وصيام ، وعلم كثير ، وبعضهم احتج به . روى له مسلم مقرونًا . وأما عمرو بن مرة ، فهو ثقة . والحديث أخرجه الطبراني في الصغير (١٠٩/٢ - ١١٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/٤) ، وقال أبو نعيم : وقد رواه جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن حذيفة مرسلًا . وقال أيضًا الحافظ ابن كثير في تفسيره - سورة النور آية ٢٠ - : إسناده جيد ولم يخرجوه . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٦٣) وقال : رواه أحمد والطبراني في الصغير ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم .

(١٧٠) - رواه ابن جرير (٤٧٠) ، وابن أبي حاتم (٢١٤) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ ، وفي ز : يعني : سبان.
[٣] - في ز : البحتري .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز ، خ : « منه » .
[٦] - في ز : المدتين .
[٧] - في ز ، خ : « إحسان » .

من الحق بعد معرفته .

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ .

قال ابن عباس[١](١٧١) : أي إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير .

وقال ابن جرير : إنما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع ؛ لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير . ومعنى ﴿ قديرٌ ﴾ : قادر ، كما أن معنى عليم عالم .

[وذهب ابن جرير ومن تبعه من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين ، وتكون « أو » في قوله تعالى : **﴿أو كصيب من السماء﴾** بمعنى الواو كقوله تعالى : **﴿ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا﴾** أو تكون للتخيير ، أي : اضرب لهم مثلًا بهذا وإن شئت بهذا .

قال القرطبي(١٧٢) : « أو » للتساوي ، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين ، على ما وجهه الزمخشري(١٧٣) أن كلًّا منهما مساو للآخر في إباحة الجلوس إليه ، ويكون معناه على قوله : سواء ضربت لهم مثلًا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم .

(**قلت**) : وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين ؛ فإنهم أصناف ، ولهم أحوال وصفات ، كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة ، ومنهم ، ومنهم ، ومنهم ، يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال ، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، والله أعلم .

كما ضرب المثلين في سورة النور لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى : **﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾** إلى أن قال : **﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾** الآية . فالأوّل للدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين ، والله أعلم بالصواب][٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

(١٧١) - رواه ابن أبي حاتم (٢١٢) .
(١٧٢) - القرطبي (٢١٥/١) .
(١٧٣) - الكشاف (٣٣/١) .

[١] - عند ابن أبي حاتم : « ابن إسحاق » . [٢] - سقط من ز .

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

شرع تبارك وتعالى في بيان[١] وحدانية ألوهيته ، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده ، بإخراجهم من العدم إلى الوجود ، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم الأرض فراشًا ، أي مهدًا كالفراش ، مقررة[٢] موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات ، والسماء بناء وهو السقف ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿**وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون**﴾ وأنزل [لهم][٣] من السماء ماء - والمراد به السحاب هاهنا - في وقته عند احتياجهم إليه ، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهدٌ ؛ رزقًا لهم ولأنعامهم ، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن ، ومن أشبه آية[٤] بهذه الآية قوله تعالى : ﴿ [ ][٥] **الذي جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين**﴾ . ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فبهذا[٦] يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَك به غيره ، ولهذا قال : ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون**﴾ .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك ...**»(١٧٤) الحديث . وكذا حديث معاذ : « **أتدري ما حق الله على عباده ؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا ...**»(١٧٥) الحديث ، وفي الحديث الآخر : « **لا يقولنّ أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل : ما شاء الله ، ثم شاء فلان**»(١٧٦) .

وقال حماد بن سلمة : حدّثنا عبد الملك بن عمير ، عن رِبْعيّ بن حِراش[٧] ، عن الطفيل ابن

(١٧٤) - البخاري في التفسير برقم (٤٧٦١) ، ومسلم في الإيمان برقم ١٤١ -(٨٦) .

(١٧٥) - رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أمته .... برقم (٧٣٧٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، برقم ٤٨ - (٣٠) .

(١٧٦) - صحيح ، رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : لا يقل أحدكم : خبثت نفسي برقم (٤٩٨٠) ، ورواه النسائي برقم (٩٨٥) في عمل اليوم والليلة ، ورواه أحمد (٣٨٤/٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤١) ، وابن أبي شيبة (١١٧/٩ ، ٣٤٦/١٠) ، والطيالسي (٤٣٠) ، وابن السني (٦٧١) ، والطحاوي (٩٠/١) ، والبيهقي في الكبرى (٢١٦/٣) من حديث حذيفة ، رضي الله عنه .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « مقدرة » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : الله .
[٦] - في : خ « فهذا » .
[٧] - في ز : خراش .

سَخْبرَة[١] أخي عائشة أم المؤمنين لأمها ، قال : رأيت فيما يرى النائم ، كأني أتيت على نفر من اليهود ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : نحن اليهود . قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عُزَير ابن الله . قالوا : وإنكم[٢] لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . قال : ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن النصارى . قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : « **هل أخبرت بها أحدًا ؟** » فقلت : نعم . فقام فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : « **أما بعد ، فإن طُفَيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم : كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده** » . هكذا رواه ابن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن سلمة به (١٧٧) ، وأخرجه ابن ماجة(١٧٨) من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به ، بنحوه .

وقال سفيان بن سعيد الثوري ، عن الأجلح بن عبد الله الكندي ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت . فقال : « **أجعلتني[٣] لله ندًا ؟ قل : ما شاء الله وحده** » .

رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجة(١٧٩) من حديث عيسىٰ بن يونس ، عن الأجلح ،

---

(١٧٧) – ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٠٧٥١ – (٧٢/٥) من طريق بهز ، وعفان ، عن حماد بن سلمة ، به ، وابن أبي عاصم في الآحاد (٢٧٤٣) ، والطبراني في الكبير (٨٢١٤/٨) ، والحاكم (٤٦٣/٣) .

(١٧٨) – رواه ابن ماجة في كتاب الكفارات ، باب : النهي أن يقال : ما شاء الله وشئت ، عقب حديث (٢١١٨) من حديث محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ثنا أبو عاونة ، عن عبد الملك ، عن ربعي بن حراش ، عن الطفيل ، به نحوه ، وقال البوصيري في الزوائد (١٥١/٢) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم ، رواه الدارمي في مسنده – كذا قال – عن يزيد بن هارون ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، به ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير فذكره مطولًا جدًا . وكذا رواه أبو يعلى من طريق عبد الملك ، به .

(١٧٩) – رواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٨٢٥) ، وابن ماجة في كتاب الكفارات ، باب : النهي أن يقال : ما شاء الله وشئت برقم (٢١١٧) ، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣) ، وأحمد (٢١٤/١ ، ٢٢٤، ٢٨٣ ، ٣٤٧) ، وابن أبي شيبة (١١٧/٩ – ١١٨ ، ٣٤٦/١٠) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٤٢) ، وابن السني (٦٧٢) ، والطحاوي في المشكل (٩٠/١) ، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥ ، ١٣٠٠٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٤) ، والبيهقي (٢١٧/٣) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٥٠/١) : هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد الله ، مختلف فيه ، ضعفه أحمد ، وأبو حاتم والنسائي ، وأبو داود وابن سعد ، =

---

[١] – في ز ، خ : « سميرة » . [٢] – في ز ، خ : « وأنتم » .
[٣] – في ز ، خ : « أجعلت » .

به .

وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس قال : قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ للفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين ، أي : وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم(١٨٠) .

وبه عن ابن عباس (١٨١) : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون ﴾ أي : لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من التوحيد[١] هو الحق الذي[٢] لا شكَّ فيه . وهكذا قال قتادة .

وقال ابن أبي حاتم (١٨٢) : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، حدثنا أبي عمرو ، حدثنا أبي - الضحاك بن مخلد - أبو عاصم ، حدثنا شبيب بن بشر ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله عز وجل : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا ﴾ قال : الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة[٣] سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن يقول : والله ، وحياتك يا فلان ، وحياتي ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها « فلان » ، هذا كله به شرك .

وفي الحديث(١٨٣) أن رجلًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت . فقال : « **أجعلتني لله ندًا** » .

وفي الحديث الآخر(١٨٤) : « **نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون ، تقولون : ما شاء الله وشاء**

= ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان ، وباقي رجال الإسناد ثقات . رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس أيضًا . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده إلا أنه قال : « **جعلتني لله عدلًا ! قل : ما شاء الله** » .

(١٨٠) - رواه ابن جرير (٤٧٢) ، وابن أبي حاتم (٢١٦) .

(١٨١) - رواه ابن جرير (٤٨٦) ، وابن أبي حاتم (٢٣٢) .

(١٨٢) - ابن أبي حاتم ٢٣٠ - (٨١/١) ، وسنده جيد .

(١٨٣) - تقدم .

(١٨٤) - النسائي (٦/٧) من حديث قتيلة بنت صيفي ، وأحمد (٣٧١/٦ - ٣٧٢) ، وابن الأثير في =

---

[١] - في ز : توحيده . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : « صفا » .

فلان » .

قال أبو العالية : ﴿فلا تجعلوا للّٰه أندادًا﴾ أي [عدلاء شركاء] .

وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة ، والسدي وأبو مالك ، وإسماعيل بن أبي خالد .

وقال مجاهد : ﴿فلا تجعلوا للّٰه أندادًا وأنتم تعلمون﴾ قال : تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .

(ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة)

قال الإمام أحمد(١٨٥) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو خلف - موسى بن خلف ، وكان يُعَدُّ من البُدَلاء - حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن جده ممطور ، عن الحارث الأشعري أن نبي اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - قال : « **إن اللّٰه - عزَّ وجلَّ - أمر يحيىٰ بن زكريا - عليه السلام - بخمس كلمات ، أن يعمل بهنّ ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ ، فكاد**[١] **أن**[٢] **يبطئ بها**[٣] ، **فقال له عيسى - عليه السلام - : إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهنّ وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ ، فإما أن تبلغهنّ وإما أن أبلغهن . فقال : ياأخي ، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال : فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس ، حتى امتلأ المسجد ، فقعد على الشرف ، فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه ، ثم قال : إن اللّٰه أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن ، وآمركم أنْ تعملوا بهنّ ، [وأولهنّ]**[٤] **أن تعبدوا اللّٰه [و]**[٥] **لا تشركوا به شيئًا ، فإن مثل ذلك مَثَلُ رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بوَرِق أو ذهب ، فجعل يعمل ويؤدي غلته**[٦] **إلى غير سيده ، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك ؟ وإن اللّٰه خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وآمركم بالصلاه ؛ فإن اللّٰه**

= أسد الغابة (٢٣٩/٧) ، وصححه الحافظ في الفتح (٣٨٩/٤) .

(١٨٥) - صحيح ، والحديث في المسند ١٧٢١٩ - (١٣٠/٤) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الأمثال ، باب : ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (١٣٦/٥) حديث (٢٨٦٣) ، والنسائي في التفسير ، وفي السير من السنن الكبرى ، والطيالسي (١١٦١ ، ١١٦٢) ، وأبو يعلى (١٥٧١/٣) ، وابن خزيمة (٣/ ١٨٩٥) ، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٧، ١١٨، ٢٣٦، ٤٢١) ، والطبراني في الكبير (٣٢٤/٣) حديث (٣٤٢٧) ، وابن حبان كما في الموارد (١٢٢٢) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وصححه الألباني في صحيح الترمذي حديث ٢٢٩٨ .

[١] - في ز : وكان ، والمثبت من المسند .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من المسند .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز ، خ : « الذي عليه » .

ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، وآمركم بالصيام ، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة ، كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وآمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوّ فشدّوا يديه إلى عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه ، وقال لهم : هل لكم أن أفتدي نفسي منكم[١] ؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وآمركم بذكر الله كثيرًا ؛ فإن[٢] مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدّو سِرَاعًا في أثره ، فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه ، وإن العبد أحصنُ ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله .

قال : وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **وأنا آمركم بخمس ، اللهُ أمرني بهنّ : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله ؛ فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقة[٣] الإسلام من عنقه ، إلا أن يراجع ، ومن دعا بدعوىٰ الجاهلية[٤] فهو من جُثَى (١٨٦) جهنم** » .

قالوا : يا رسول الله ؛ وإن صام وصلّى[٥] ؟ [فقال : « **وإن صام وصلّى]**[٦] **وزعم أنه مسلم ؛ فادعوا المسلمين بأسمائهم [على ما]**[٧] **سماهم الله -عزَّ وجلَّ- المسلمين المؤمنين عباد الله** » .

هذا حديث حسن ، والشاهد منه في هذه الآية قوله : « **وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا** » .

[وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له ، وقد استدل بها كثير من المفسرين - كالرازي وغيره - على وجود الصانع تعالى ، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى ؛ فإن من تأمّل هذه الموجودات السفلية والعلوية ، واختلاف أشكالها وألوانها ، وطباعها ومنافعها ، ووضعها في مواضع النفع بها محكمة - علم قدرة خالقها وحكمته ، وعلمه وإتقانه ، وعظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب وقد سئل : ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله ! إن البعرة لتدل على البعير ، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

---

(١٨٦) - الجثا : جمع جُثوة - بالضم - وهو الشيء المجموع . النهاية (١/٢٣٩) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.
[٢] - في ز : وإن .
[٣] - في ز : زبق.
[٤] - في ز : جاهلية .
[٥] - في ز : وإن صلى .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : بل بما .

وحكى الرازي عن الإمام مالك أنّ الرشيد سأله عن ذلك، فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات، وعن أبي حنيفة أنّ بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أنّ سفينة في البحر موقرة، فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لايقوله عاقل. فقال: وَيْحَكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة أليس لها صانع؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد؛ تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هوكذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح.

يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة، وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمّل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن اللّه ليس له شريك

وقال ابن المعتز:

فياعجبًا كيف يعصى الإلـ ... ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وقال آخرون: من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت، وشَاهَدَها كيف تدور مع الفلك العظيم، في كل يوم وليلة دويرة، ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقرّ ويسكن ساكنوها، مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى: **﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيبُ سُود، ومن الناس والدوَابِّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللّه من عباده العلماءُ﴾**.

وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوّعة، والنبات المختلف الطعوم والأراييح، والأشكال [والألوان] مع اتحاد طبيعة التربة والماء - استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة، وحكمته ورحمته [بخلقه]، ولطفه بهم وإحسانه إليهم، وبره بهم لا إله غيره ولارب سواه عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًّا][١] .

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)

ثم شرع تعالى في تقرير النبوّة بعد أن قرّر أنه لا إله إلا هو، فقال مخاطبًا للكافرين: ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا** ﴾ يعني محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ﴿ **فأتوا بسورة** ﴾ من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك.

قال ابن عباس(١٨٧) ﴿ **شهداءكم** ﴾ أعوانكم. [أي قومًا آخرين يساعدونكم على ذلك][٢] .

وقال السدي: عن أبي مالك: شركاءكم[٣] أي استعينوا بآلهتكم في ذلك يمدّونكم وينصرونكم[٤]

وقال مجاهد: ﴿ **وادعوا شهداءكم** ﴾ قال: ناس يشهدون به. [يعني حكام الفصحاء][٥] .

وقد تحدّاهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن، فقال [في سورة « القصص »: ﴿ **قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين** ﴾. وقال][٦] في سورة سبحان: ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا** ﴾. وقال في سورة هود: ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾.

---

(١٨٧) - رواه ابن جرير (٤٩٦)، وابن أبي حاتم (٢٤١) بإسنادٍ ضعيف.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز: شركاؤكم.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وقال في سورة يونس: ﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل**[١] **الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾.

وكل هذه الآيات مكية، ثم تحدّاهم بذلك أيضًا في المدينة فقال في هذه الآية: ﴿**وإن كنتم في ريب**﴾ أي شك ﴿**مما نزلنا على عبدنا**﴾ يعني محمدًا -صلى الله عليه وسلم- ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ يعني من مثل القرآن، قاله مجاهد وقتادة، واختاره ابن جرير [الطبري والزمخشري والرازي، ونقله عن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن البصري، وأكثر المحققين، ورجّح ذلك بوجوه من أحسنها أنه تحدّاهم كلهم متفرّقين ومجتمعين، سواء في ذلك أميهم وكتابيهم، وذلك أكمل في التحدّي وأشمل من أن يتحدى آحادهم الأميين ممن لايكتب ولا يعاني شيئًا من العلوم][٢]، وبدليل قوله تعالى: ﴿**فأتوا بعشر سور مثله**﴾ وقوله: ﴿**لايأتون بمثله**﴾ وقال بعضهم: من مثل محمد -صلى الله عليه وسلم- يعني من رجل أمي مثله.

والصحيح الأول؛ لأن التحدي عام لهم كلهم مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحدّاهم بهذا في مكة والمدينة مرّات عديدة، مع شدّة عداوتهم له وبغضهم لدينه، ومع هذا عجزوا عن ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**﴾ ولن لنفي التأبيد [في المستقبل][٣]، أي ولن تفعلوا ذلك أبدًا. [وهذه أيضًا معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبرًا جازمًا قاطعًا مقدمًا غير خائف ولا مشفق أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد][٤] [الآبدين ودهر الداهرين، وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زمننا هذا، ولا يمكن، وأنى يتأتى ذلك لأحد، والقرآن كلام الله خالق كل شيء، وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين، ومن تدبر القرآن، وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ، ومن جهة المعنى. قال الله تعالى: ﴿**الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾ فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يجارى ولايدانى؛ فقد أخبر عن مغيبات ماضية ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير ونهى عن كل شر، كما قال تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا**﴾ أي: صدقًا في الإخبار، وعدلًا في الأحكام، فكله حق وصدق وعدل وهدى، ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لايحسن شعرهم إلا بها، كما قيل في الشعر: إنّ أعذبه أكذبه، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر، أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع، أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لاتفيد شيئًا إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق، أو إبرازه إلى الشيء الواضح، ثم تجد له فيه بيتًا أو بيتين أو أكثر

---

[١] - في خ: «وتفصيل كل شيء».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

هي بيوت القصيد وسائرها هذر لاطائل تحته .

وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة ، عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالًا ، ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة ، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة ، وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكررت حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الردّ ، ولا يمل منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصُم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وإن وعد أتىٰ بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن ، كما قال في الترغيب : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾. وقال : ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون** ﴾ . وقال في الترهيب : ﴿ **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر** ﴾ . ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير** ﴾ .

وقال في الزجر : ﴿ **فكلًا أخذنا بذنبه** ﴾ وقال في الوعظ : ﴿ **أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتعون** ﴾ إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة ، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : إذا سمعت اللّه تعالى يقول في القرآن : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فارعها سمعك ؛ فإنها خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ الآية . وإن جاءت الآيات في وصف المعاد ، وما فيه من الأهوال ، وفي وصف الجنة والنار ، وما أعدّ اللّه فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم ، والملاذ والعذاب الأليم ، بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وزهّدت في الدنيا ورغبت في الأخرى ، وثبّتت على الطريقة المثلىٰ ، وهدت إلى صراط اللّه المستقيم ، وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم][1] .

ولهذا ثبت في الصحيحين(١٨٨) عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه صلى اللّه عليه

(١٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل برقم (٤٩٨١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم ٢٣٩ - (١٥٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وسلم قال: «ما [من الأنبياء من نبي][١] إلا قد أعطي من الآيات [ما مثله آمن عليه البشر][٢] ، وإنما [كان الذي أوتيت][٣] وحيًا أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة» . لفظ مسلم .

وقوله [صلى الله عليه وسلم] : «وإنما كان الذي أوتيت[٤] وحيًا» أي الذي اختصصت[٥] به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه ، بخلاف غيره من الكتب الإلهية ، فإنها ليست معجزة [عند كثير من العلماء][٦] ، والله أعلم . وله [عليه الصلاة والسلام] من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما[٧] لا يدخل تحت حصر ، ولله الحمد والمنة .

[وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة ، فقال : إن كان هذا القرآن معجزًا في نفسه ، لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ، ولا في قواهم معارضته ، فقد حصل المدعى وهو المطلوب ، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ، ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له ، كان ذلك دليلًا على أنه من عند الله ، لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك ، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية - لأن القرآن في نفسه معجز ، لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا - إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق . وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار ؛ كالعصر ، وإنا أعطيناك الكوثر][٨] .

وقوله تعالى : ﴿فاتقوا النار التي وَقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ أما الوَقود بفتح الواو فهو ما يُلقى في النار لإضرامها كالحطب ونحوه ، كما قال تعالى : ﴿وأما القاسِطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾ وقال تعالى : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنمَ أنتم لها واردون [لو كان هؤلاء آلهةً ما وَرَدُوها وكلٌّ فيها خالدون][٩] ﴾ .

والمراد بالحجارة هاهنا هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء[١٠] الصلبة المنتنة ، وهي أشدّ الأحجار حرًّا إذا حميت ، أجارنا اللهُ منها !

وقال عبد[١١] الملك بن ميسرة الزرّاد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن

---

[١] - في ت : «ما من نبي من الأنبياء» .
[٢] - في ت : «ما آمن على مثله البشر» .
[٣] - في ت : «وإنما الذي كان أوتيته» .
[٤] - في ت : «أوتيته» .
[٥] - في ز : اختصيت .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : السود .
[١١] - في ز : عبيد .

عبد اللّٰه بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَقُودُها الناس والحجارة ﴾ قال : هي حجارة من كبريت ، خلقها اللّٰه يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا ، يُعدها للكافرين .

رواه ابن جرير ، وهذا لفظه ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في مستدركه ، وقال : على شرط الشيخين(١٨٩) .

وقال السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ فاتقوا[١] النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ . أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار(١٩٠) .

وقال مجاهد : حجارة من كبريت أنتن من الجيفة . وقال أبو جعفر محمد بن علي : حجارة من كبريت . وقال ابن جريج : حجارة من كبريت أسود في النار . وقال لي[٢] عمرو بن دينار : أصلب من هذه الحجارة وأعظم .

[وقيل : المراد بها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تُعبد من دون اللّٰه ، كما قال تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون اللّٰه حصب جهنم ﴾ الآية ، حكاه القرطبي والرازي ، ورجحه على الأوّل ، قال : لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر ، فجعلُها هذه الحجارة أولى .

وهذا الذي قاله ليس بقوي ؛ وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشدّ لحرها وأقوىٰ لسعيرها ، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك ، ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضًا مشاهد ، وهذا الجص يكون أحجارًا فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك .

وكذلك سائر الأحجار تفجرها النار وتحرقها ، وإنما سيق هذا في حرّ هذه النار التي وعدوا بها وشدة اضرامها وقوة لهبها كما قال تعالى : ﴿ كلما خَبَتْ زِدْنَاهُم سعيرًا ﴾ .

وهكذا رجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تُسعر بها النار لتحمر ويشتد لهبها ، قال : ليكون ذلك أشد عذابًا لأهلها .

قال : وقد جاء في الحديث عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « كل مؤذٍ في

(١٨٩) – تفسير ابن جرير ٥٠٣ – (١/٣٨١) ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٤٥ – (١/٨٥) والمستدرك (٢/٢٦١) . وعبد الرزاق (١/٤٠) ، وهناد في الزهد (٦٣) ، والطبراني (٩/٩٠٢٦) .وقول الحاكم : على شرط الشيخين فيه نظر ؛ فإن عبد الرحمن بن سابط من رجال مسلم دون البخاري .

(١٩٠) – رواه ابن جرير (٥٠٥) .

[١] – في ز : اتقوا . [٢] – سقط من : خ .

النار »[١٩١]. وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف. ثم قال القرطبي : وقد فسر بمعنيين :

أحدهما أن كل من آذى الناس دخل النار.

والآخر أن كل ما يؤذي في النار يتأذى به أهلها من السباع والهوام وغير ذلك][١] .

وقوله تعالى : ﴿ أُعِدَّتْ للكافرين ﴾ الأظهر أن الضمير في أعدت ، عائد إلى النار التي وقودها الناس والحجارة ، ويحتمل عوده إلى الحجارة ، كما قال ابن مسعود ، ولا منافاة بين القولين في المعنى ؛ لأنهما متلازمان.

وأعدت ؛ أي : أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله ، كما قال ابن إسحاق ، عن محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ أي : لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

[وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن ، لقوله تعالى : ﴿ أعدت ﴾ أي أرصدت وهُيئت ، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها : « **تحاجّت الجنة والنار** »[١٩٢] . ومنها : « **استأذنت النار ربها فقالت : ربِّ أكَلَ بعضي بعضًا . فأذِنَ لها بنفسين نفسٍ في الشتاء ، ونفسٍ في الصيف** »[١٩٣] .

وحديث ابن مسعود : سمعنا وجبة فقلنا ما هذه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **هذا حجر ألقي به من شفير جهنم منذ سبعين سنة ، الآن وصل إلى قعرها** » . **وهو عند مسلم**[١٩٤]

(١٩١) - **موضوع** ، رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/٢٩٩) من طريق المفيد عن الأشج ، عن علي رضي الله عنه به ، مرفوعًا . وآفته عثمان بن الخطاب بن عبد الله العوام البلوي الأشج المغربي أبو عمرو يعرف بأبي الدنيا قال الخطيب : والعلماء من أهل النقل لا يثبتون قوله ولا يحتجون بحديثه . وقال أيضًا : حدث ببغداد خمسة أحاديث حفظت منها ثلاثة ، هذا أحدها ، وما علمت أن أحدًا ببغداد كتب عنه حرفًا واحدًا ، ولم يكن عندي بذاك الثقة . وقال الذهبي في المغني : كذبوه . ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١/٩٢) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٢٦٣) . وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، والأشج غير موثوق بقوله عند العلماء . وقال المناوي في فيض القدير : وأورده الذهبي في المتروكين ، وقال : خبر غريب .

(١٩٢) - البخاري (٤٨٥٠) ، ومسلم ٣٦ - (٢٨٤٦) .

(١٩٣) - رواه البخاري (٥٣٧) ، وأحمد (٢/٢٣٨) .

(١٩٤) - رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم ٣١ - (٢٨٤٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وحديث صلاة الكسوف (١٩٥) ، وليلة الإسراء ، وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا المعنىٰ ، وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا ووافقهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الأندلس .

(تنبيه ينبغي الوقوف عليه)

قوله تعالى : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾ ، وقوله في سورة يونس : ﴿ **بسورة مثله** ﴾ يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة ؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعُم ، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين ، كما هو مقرر في موضعه ، فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها ، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين الناس سلفًا وخلفًا .

وقد قال الرازي في تفسيره : فإن قيل قوله تعالى : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾ يتناول سورة الكوثر ، وسورة العصر ، وقل يا أيها الكافرون ، ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن . فإن قلتم : إن الإتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدار البشر ، كان مكابرة ، والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة إلى الدين . (**قلنا**) : فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني . **وقلنا** : إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حدّ الإعجاز فقد حصل المقصود ، وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزًا ، فعلى التقديرين يحصل المعجز . هذا لفظه بحروفه .

والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة ، لا يستطيع البشر معارضتها طويلة كانت أو قصيرة ، قال الشافعي – رحمه الله – لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ .

وقد رُوينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم ، فقال له مسيلمة : ماذا أُنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أُنزل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال : وما هي ؟ فقال ﴿ **والعصر إنّ الإنسان لفي خسر** ﴾ ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال : ولقد أنزل عليَّ مثلها . فقال : وما هو ؟ فقال : يا وبر يا وبر ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرك حقر فقر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني لأعلم أنك تكذب][1] .

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(١٩٥) – حديث ابن عباس في الخسوف رواه البخاري (٨٣/١) ، ومسلم ١٧ – (٩٠٧) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

لما ذكر تعالى ما أعدّه لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال، عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صدّقوا إيمانهم[١] بأعمالهم الصالحة.

وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء، كما سنبسطه في موضعه، وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر أو عكسه، أو حال السعداء[٢] ثم الأشقياء[٣] أو عكسه، وحاصله ذكر الشيء ومقابله.

وأمّا ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه، كما سنوضحه إن شاء الله، فلهذا قال تعالى: ﴿**وَبَشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ [فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار][٤]، كما وصف النار بأن وقودها الناسُ والحجارة، ومعنى ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾ أي: من تحت أشجارها وغرفها.

وقد جاء في الحديث(١٩٦) أنّ أنهارها تجري في[٥] غير أخدود، وجاء في الكوثر أنّ حافتيه[٦] قباب اللؤلؤ المجوّف، ولا منافاة بينهما، وطينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر، نسأل الله من فضله إنه هو البر الرحيم.

وقال ابن أبي حاتم(١٩٧): قرئَ على الربيع بن سليمان، حدّثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن ثوبان، عن عطاء بن قُرّة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنهار الجنة تُفَجَّر من تحت تلال أو[٧] من تحت جبال المسك**».

(١٩٦) – رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٢٠٥)، وفي صفة الجنة (٣١٦) من حديث أنس بن مالك، وإسناده ضعيف.

(١٩٧) – **إسناده حسن من أجل ابن ثوبان**، وعبد الله بن ضمرة: وثقه العجلي وابن حبان. والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٢٥٣ – (١/٨٧)، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣١٣) من طريق الربيع بن سليمان، به، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٦٢٢ موارد) من حديث أسد بن موسى، عن ابن ثوبان، به، ورواه العقيلي (٢/٣٢٦)، والبيهقي في البعث (٢٦٦).

[١] – في ز، خ: أيمانهم الصادقة.
[٢] – في ز: البعداء.
[٣] – في ز، خ: الأتقياء.
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] – في ز: من.
[٦] – في ز: حافتاه.
[٧] – في ز، خ: «أخر».

وقال [أيضًا(١٩٨)][١] : حدّثنا أبو سعيد، حدّثنا وكيع، عن الأعمش، عن عبد الله [بن مرّة، عن مسروق قال: قال عبد الله][٢] : أنهار الجنة تفجر من جبل مسك.

وقوله تعالى : ﴿كلما رُزِقُوا منها من ثمرة رِزْقًا قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل﴾. قال[٣] السدي في تفسيره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة قالوا: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ قال: إنهم أتوا بالثمرة في الجنة، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا(١٩٩) .

وهكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونصره[٤] ابن جرير.

وقال عكرمة : ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ قال : معناه مثل الذي كان بالأمس. وكذا قال الربيع بن أنس.

وقال مجاهد : يقولون : ما أشبهه به !

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل تأويل ذلك : هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا[٥] ؛ لشدة[٦] مشابهة بعضه بعضًا لقوله تعالى : ﴿وأتوا به متشابهًا﴾ قال سُنَيد بن داود(٢٠٠) : حدثنا شيخ من أهل المصيصة، عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال : يؤتى أحدهم بالصحفة [من الشيء][٧] فيأكل منها، ثم يؤتىٰ بأخرى فيقول : هذا الذي أتينا به من قبل. فتقول الملائكة : كُلْ، فاللون واحد والطعم مختلف.

وقال ابن أبي حاتم(٢٠١) : حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عامر بن يسَاف، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال : عُشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها، ثم يؤتون بمثلها، فيقول لهم أهل الجنة : هذا الذي أتيتمونا آنفًا به. فتقول[٨] لهم

(١٩٨) - رواه ابن أبي حاتم (٢٥٥)، وابن أبي شيبة (١٣/٩٦)، والبيهقي (٢٦٧)، وعبد الرزاق (١١/ ٢٠٨٧٣).

(١٩٩) - رواه ابن جرير (٥١٢)، وابن أبي حاتم (٢٥٨) عن السدي قوله.

(٢٠٠) - ابن جرير (٥١٨).

(٢٠١) - **إسناده حسن**، والحديث عند ابن أبي حاتم ٢٦٢ - (٩٠/١)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٥٣).

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.
[٣] - في ز : وقال.
[٤] - في ز : ونصر.
[٥] - في خ: «هذه».
[٦] - في خ: «الشدة».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ.
[٨] - في ز : فيقول.

الولدان : كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف . وهو قول اللَّه تعالى : ﴿**وأتوا به متشابهًا**﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : ﴿**وأتوا به متشابهًا**﴾ قال : يشبه بعضه بعضًا ، ويختلف في الطعم .

وقال ابن أبي حاتم : ورُوي عن مجاهد والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك .

وقال ابن جرير بإسناده(٢٠٢) : عن السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، وعن[١] أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّةٍ عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى : ﴿**وأتوا به متشابهًا**﴾ يعني : في اللون والمرأى[٢] . وليس يشتبه في الطعم .

وهذا اختيار ابن جرير .

وقال عكرمة : ﴿**وأُتوا به متشابهًا**﴾ قال : يشبه ثمر الدنيا ، غير أنّ ثمر الجنة أطيب .

وقال سفيان الثوري عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء(٢٠٣) .

وفي رواية ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء .

ورواه[٣] ابن جرير من رواية الثوري ، وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿**وأتوا به متشابهًا**﴾ قال : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا : التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا ، وأتوا به متشابهًا ، يعرفونه وليس هو مثله في الطعم .

وقوله تعالى : ﴿**ولهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرة**﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : مطهرة من القذر والأذىٰ .

وقال مجاهد : من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد . وقال قتادة : مطهرة من الأذى والمأثم . وفي رواية عنه : لا حيض ولا كلف . ورُوي عن عطاء والحسن والضحاك وأبي

---

(٢٠٢) - رواه ابن جرير (٥٢٤) .

(٢٠٣) - رواه ابن جرير (٥٣٤) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « والرأى » .

[٣] - في ز ، خ : « رواه » .

صالح وعطية والسدي نحو ذلك .

وقال ابن جرير(٢٠٤) : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا[١] ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : المطهرة التي لا تحيض ، قال : وكذلك خلقت حوّاء - عليها السلام - حتى عصت ، فلما عصت قال الله تعالى : إني خلقتك مطهرة ، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة . وهذا غريب .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا إبراهيم بن محمد ، حدثني جعفر بن محمد بن حرب ، وأحمد بن محمد الجُوري[٢] قالا : حدثنا محمد بن عبيد الكندي ، حدثنا عبد الرزاق ابن عمر البَزيعيّ ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ قال : من الحيض والغائط ، والنخاعة[٣] والبزاق(٢٠٥) .

هذا حديث غريب ، وقد رواه الحاكم في مستدركه ، عن محمد بن يعقوب ، عن الحسن ابن علي بن عفان ، عن محمد بن عبيد ، به . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وهذا الذي ادّعاه فيه نظر ؛ فإنّ عبد الرزاق بن عمر البزيعيّ هذا قال فيه أبو حاتم بن حبان البستي : لا يجوز الاحتجاج به(٢٠٦) .

(**قلت**) : والأظهر أنّ هذا من كلام قتادة ، كما تقدّم ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿وهم فيها خالدون﴾ هذا هو تمام السعادة ، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع ، فلا آخر له ولا انقضاء ، بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام ، والله المسئول أن يحشرنا في زمرتهم إنه جواد كريم ، بر رحيم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

(٢٠٤) - رواه ابن جرير (٥٥٠) .

(٢٠٥) - ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٦٣) من طريق عبد الله بن محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبيد به . وقال الحافظ في الفتح : لا يصح إسناده ؛ إلا أنه قال في تغليق التعليق (٤٩٩/٣) : إسناده لا بأس به .

(٢٠٦) - المجروحين (١٦٠/٢) وتمام كلام ابن حبان : يقلب الأخبار ، ويسند المراسيل لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ، ثم ذكر الحديث ، وقال : وهذا قول قتادة رفعه ، لا أصل له من كلام النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

[١] - في خ : « أخذنا » .
[٢] - في ز ، خ : « الحوازى » .
[٣] - في خ : « النخامة » .

ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

قال السدي في تفسيره(٢٠٧) : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : لما ضرب اللَّه هذين المثلين للمنافقين ، يعني قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهم كَمَثَلِ الذي استوقد نارًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **أو كَصَيِّب من السماء** ﴾ الآيات الثلاث ، قال المنافقون : اللَّه أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل اللَّه تعالىٰ هذه الآية إلى قوله تعالى ﴿ **هم الخاسرون** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٢٠٨) ، عن[١] معمر ، عن قتادة : لما ذكر اللَّه تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **إن اللَّه لا يَسْتَحْيي أن يضربَ مَثَلًا مّا بعوضة فما فوقها** ﴾ .

وقال سعيد : عن قتادة : أي : إنّ اللَّه لا يَسْتَحْيي من الحق أن يذكر شيئا ما ، قلّ أو كثر ، وإن اللَّه [ذكر][٢] في كتابه [الذباب و][٣] العنكبوت قال أهل الضلالة : ما أراد اللَّه من ذكر هذا ؟ فأنزل اللَّه : ﴿ **إن اللَّه لا يَسْتَحْيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ .

قلت : العبارة الأولى عن قتادة فيها[٤] إشعار أنّ هذه الآية مكية ، وليس كذلك ، وعبارة رواية سعيد [عن قتادة][٥] أقرب ، واللَّه أعلم .

وروى ابن جريج عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة .

وقال ابن أبي حاتم : روي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي وقتادة .

---

(٢٠٧) - ابن جرير (٥٥٤) .

(٢٠٨) - تفسير عبد الرزاق (٤١/١) ومن طريقه ابن جرير (٥٥٨) ، وابن أبي حاتم (٢٧٤) .

---

[١] - في ز : بن .

[٢] - زيادة من : ز ، خ .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - زيادة من : خ .

[٥] - سقط من ز .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال : هذا مَثَلٌ ضربه اللَّه للدنيا ، إذْ البعوضة[١] تحيا ما جاعت ، فإذا سمنت ماتت . وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله[٢] لهم هذا المثل في القرآن ، إذا امتلئوا من الدنيا ريًّا أخذهم اللَّه عند ذلك ، ثم تلا : ﴿ **فلمَّا نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبوابَ كلِّ شيء** ﴾ .

هكذا رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث أبي جعفر ، عن الربيع [بن أنس][٣] ، عن أبي العالية ، بنحوه ، فاللَّه أعلم .

فهذا اختلافهم في سبب النزول ، وقد اختار ابن جرير ما حكاه السُّدي ؛ لأنه أمسّ بالسورة ، وهو مناسب ، ومعنى الآية أنه تعالى أخبر أنه لا يستحيي أى : لا يستنكف ، وقيل : لا يخشى أن يضرب مثلًا ما ، أي مثل كان ، بأي شيء كان صغيرًا كان[٤] ، أو كبيرًا .

و« ما » هاهنا للتقليل[٥] ، وتكون بعوضة منصوبة على البدل ، كما تقول : لأضربن ضربًا ما ، فيصدق بأدنى شيء ، [أو تكون « ما » نكرة موصوفة ببعوضة][٦] ، واختار ابن جرير أنّ « ما » موصولة ، وبعوضة معربة بإعرابها ، قال : وذلك سائغ في كلام العرب ، أنهم يعربون صلة « ما ومن » بإعرابهما ؛ لأنهما يكونان معرفة تارة ، ونكرة أخرى ، كما قال حسان بن ثابت :

يَكْفِي[٧] بِنَا فَضْلًا عَلَى من غَيرِنَا حُـبُّ الـنَّـبِـيِّ مُـحَـمَّـدٍ إِيَّـانَـا

قال : ويجوز أن تكون بعوضة منصوبة بحذف الجار ، وتقدير الكلام : إن اللَّه لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بين بعوضة إلى ما فوقها .

[وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء ، وقرأ الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة ﴿ **بعوضةٌ** ﴾ بالرفع .

قال ابن جني : وتكون صلة لـ « ما » ، وحذف العائد ، كما في قوله : ﴿ **تمامًا على الذي أحسن** ﴾ أي : على الذي هو أحسن .

وحكى سيبويه : ما أنا بالذي قائل لك شيئًا ، أي : بالذي هو قائل لك شيئًا][٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **فما فوقها** ﴾ فيه قولان :

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - زيادة من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « التعليل » .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت ، وتفسير الطبري : « وكفى » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أحدهما : فما دونها في الصغر والحقارة ، كما إذا وُصف رجل باللؤم والشحّ ، فيقول السامع : نعم ، وهو فوق ذلك . يعني : فيما وصفت ، [وهذا قول الكسائي وأبي عبيد . قاله الرازي وأكثر المحققين .

وفي الحديث : « **لو أن الدنيا تزن عند اللَّه جناح بعوضة لما سقى كافرًا منها شربة ماء** »(٢٠٩)][١] .

والثاني : فما فوقها فما هو أكبر منها ، لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة .

وهذا [قول قتادة بن دعامة][٢] واختيار ابن جرير ، [فإنه يؤيده ما رواه مسلم ، عن عائشة ، رضي اللَّه عنها ، : أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ما من مسلم يُشَاك شَوْكةً فما فوقها إلا كُتب له بها درجةٌ ومُحيت عنه بها خطيئةٌ** »(٢١٠)][٣] .

فأخبر أنه لا يستصغر شيئًا يضرب به مثلًا ، ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة ، [كما لا يستنكف عن خلقها ، كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها][٤] ، كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله : ﴿ **يا أيها الناس ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا له إن الذين تَدْعُونَ من دون اللَّه لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئًا لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ** ﴾ وقال : ﴿ **مَثَلُ الذين اتخذوا من دون اللَّه أولياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخذتْ بيتًا وإنَّ أوهنَ البُيُوتِ لَبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ألم تَرَ كيف ضرب اللَّه مثلًا كلمةً طيبةً كشجرة طيبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها ويضرب اللَّه الأمثال للناس[٥] لعلهم يتذكرون وَمَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجْتُثَّتْ من**

---

[٥] - - **إسناده ضعيف** ، رواه الترمذي في الزهد ، باب : ما جاء في هوان الدنيا على اللَّه ، عز وجل ، برقم (٢٣٢٠) ، من طريق عبد الحميد بن سليمان ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، رضي اللَّه عنه ، به ، مرفوعًا ، وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه . وفي الباب عن أبي هريرة . ورواه العقيلي (٤٦/٣) ، وابن عدي في الكامل (١٩٥٦/٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٣/٣) - جميعهم من طريق عبد الحميد بن سليمان . ورواه ابن ماجه من طريق زكريا بن منظور (٤١١٠) ، وكذا الحاكم (٣٠٦/٤) ، ورواه الطبراني (٥٩٢١/٦) من طريق زمعة بن صالح - ثلاثتهم : عبد الحميد ، وزكريا ، وزمعة - عن أبي حازم . وقال الحاكم : صحيح الإسناد فردَّه الذهبي بقوله : زكريا ضعفوه . وزمعة وعبد الحميد أيضًا ضعيفان .

(٢١٠) - صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب برقم ٤٦ - (٢٥٧٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٥] - سقط من : خ .

فوق الأرض ما لها من قرار يُثَبِّتُ اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وَيُضِلُّ اللَّه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء﴾ . وقال تعالى : ﴿ضرب اللَّه مثلا عبدًا مملوكًا لا يَقْدِرُ علي شيء﴾ الآية . ثم قال : ﴿وضرب اللَّه مَثَلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخيرٍ [هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل][١] ﴾ الآية . كما قال : ﴿ضرب لكم مثلًا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم﴾ الآية . وقال: ﴿ضرب اللَّه مثلًا رجلا فيه شركاء متشاكسون﴾ . الآية . وقال[٢] : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ . وفي القرآن أمثال كثيرة . قال بعض السلف : إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي ؛ لأن اللَّه تعالى قال[٣] : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿إن اللَّه لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها﴾ الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون[٤] ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم اللَّه بها .

وقال قتادة : ﴿فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ أي : يعلمون أنه كلام الرحمن ، وأنه من عند اللَّه .

وروي عن مجاهد والحسن والربيع بن أنس نحو ذلك .

وقال أبو العالية : ﴿فأمّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعني : هذا المثل . ﴿وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا﴾ كما قال في سورة المدثر : ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض[٥] والكافرون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا كذلك يضل اللَّه من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ . وكذلك قال هاهنا : ﴿يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يضل به إلا الفاسقين﴾ .

قال السُّدي في تفسيره : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : يضل به كثيرًا يعني به المنافقين ، ويهدي به كثيرًا يعني به المؤمنين ، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم[٦] لتكذيبهم بما قد علموه حقًّا يقينًا ، من المثل الذي ضربه

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : وقد قال تعالى .
[٣] - في ز : يقول . [٤] - في ز ، خ : «الأولون» .
[٥] - سقط من ز . [٦] - في ز : ضلالهم .

اللَّه بما ضربه [لهم ، وأنه لما ضُرب][١] له موافق ، فذلك إضلال اللَّه إياهم به ، ﴿ **ويهدي به** ﴾ يعني : المثل[٢] كثيرًا من أهل الإيمان والتصديق ، فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيمانًا إلى إيمانهم ؛ لتصديقهم بما قد علموه حقًّا يقينًا أنه موافق لما[٣] ضربه اللَّه له مثلًا وإقرارهم به ، وذلك هداية من اللَّه لهم به ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ [قال : هم المنافقون .

وقال أبو العالية : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾][٤] قال : هم أهل النفاق . وكذا قال الربيع ابن أنس .

وقال ابن جريج(٢١١) : عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ : قال : يقول : يعرفه الكافرون فيكفرون به .

وقال قتادة : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقين** ﴾ فسقوا فأضلهم اللَّه على فسقهم .

وقال ابن أبي حاتم(٢١٢) : حُدِّثت عن إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد ﴿ **يضل به كثيرًا** ﴾ يعني : الخوارج .

وقال شعبة(٢١٣) ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، قال : سألت أبي فقلت : قوله تعالى : ﴿ **الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه** ﴾ إلى آخر الآية ، فقال : هم الحرورية .

وهذا الإسناد [إن][٥] صح عن سعد بن أبي وقاص - رضي اللَّه عنه - فهو تفسير على المعنى ، لا أن الآية أريد منها التنصيص على الخوارج ، الذين خرجوا على عليٍّ بالنهروان ؛ فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية ، وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل ؛ لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن[٦] طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام .

والفاسق في اللغة : هو الخارج عن الطاعة أيضًا ، وتقول العرب : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها ، ولهذا يقال للفأرة : فويسقة لخروجها عن جحرها للفساد .

وثبت في الصحيحين عن عائشة : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **خمس فواسق**

---

(٢١١) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٢٨٧) .

(٢١٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٢٨٢) ، وإسناده ضعيف .

(٢١٣) - رواه ابن أبي حاتم (٢٨٨ ، ٢٩٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز : بالمثل .

[٣] - في ز ، خ : « ما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - في ر : وإن .

[٦] - في ز : على .

يُقْتَلن في الحِلِ والحرَم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفارة ، والكلب العقور»(٢١٤) .

فالفاسق يشمل الكافر والعاصي ، ولكن فسق الكافر أشد وأفحش ، والمراد من الآية الفاسق الكافر ، والله أعلم ؛ بدليل أنه وصفهم بقوله تعالى : **﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾** .

وهذه الصفات صفات الكفار المباينة لصفات المؤمنين ، كما قال تعالى في سورة الرعد **﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾** الآيات . إلى أن قال : **﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾** .

وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه ، فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله ، ونقضهم ذلك هو[١] تركهم العمل به .

وقال آخرون : بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث والتصديق به ، وبما جاء به من عند ربهم ، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك ، وكتمانهم علم ذلك عن[٢] الناس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا ، وهذا اختيار ابن جرير - رحمه الله - و[هو][٣] قول مقاتل بن حيان .

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق ، وعهده إلى جميعهم في توحيده ما[٤] وضع لهم[٥] من الأدلة الدالة على ربوبيته ، وعهده إليهم في أمره ونهيه ما[٦] احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها[٧] ، الشاهدة لهم على صدقهم[٨] .

---

(٢١٤) - صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : إذا وقع الذباب .... برقم (٣٣١٤) ، وصحيح مسلم في الحج برقم ٦٧ - (١١٩٨) .

---

[١] - في ز : و .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : بما .
[٥] - في ز : إليهم .
[٦] - في ز : بما .
[٧] - في ز ، خ : « بمثله » .
[٨] - في ز : صدقه .

قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت[١] لهم صحته بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق، وروي عن مقاتل بن حيان أيضًا نحو هذا، وهو حسن.

[وإليه مال الزمخشري فإنه قال: فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد، كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**﴾ إذ أخذ الميثاق عليهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله ﴿**وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم**﴾][٢].

وقال آخرون: العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله: ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**[٣] **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى [شهدنا]**[٤]﴾. الآيتين، ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وهكذا روي عن مقاتل بن حيان أيضًا، حكى هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**﴾ إلى قوله: ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾ قال: هي ست خصال من المنافقين إذا كانت فيهم الظَّهْرَة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظَّهْرَةُ عليهم أظهروا الخصال الثلاث[٥]: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، وكذا قال الربيع بن أنس أيضًا، وقال السدي في تفسيره بإسناده: قوله تعالى: ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**﴾ قال: هو ما عُهد إليهم في القرآن فأقروا به ثم كفروا فنقضوه.

وقوله: ﴿**ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾ قيل: المراد به صلة الأرحام والقرابات، كما فسره قتادة، كقوله تعالى: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾ ورجحه ابن جرير، وقيل: المراد[٦] أعم من ذلك، فكل ما أمر الله بوصله وفعله قطعوه وتركوه.

وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾ قال: في الآخرة، وهذا كما قال تعالى: ﴿**أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾.

وقال الضحاك: عن ابن عباس (٢١٥): كلُّ شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل

---

(٢١٥) - رواه ابن جرير (٥٧٥)، وسنده ضعيف.

---

[١] - في ز: ثبتت.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز: ذرياتهم.
[٤] - سقط من: خ.
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - سقط من: ز، خ.

خاسر، فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الاسلام فإنما يعني به الذنب.

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾: الخاسرون جمع خاسر، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته، كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه، وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته، يقال منه: خسر الرجل يخسر خَسْرًا وخُسْرانًا وخَسَارًا، كما قال جرير بن عطية.

إن سَلِيطًا في الخَسَارِ إنَّه أولادُ قَومٍ خُلِقُوا أَقِنَّه

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)﴾

يقول تعالى محتجًا على [وجوده وقدرته][1]، وأنه الخالق المتصرف في عباده: ﴿كيف تكفرون بالله﴾ أي: كيف تجحدون وجوده، أو تعبدون معه غيره؟! ﴿وكنتم أمواتًا فأحياكم﴾ أي: وقد كنتم عدمًا فأخرجكم إلى الوجود، كما قال تعالى: ﴿أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ وقال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ والآيات في هذا كثيرة.

وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(٢١٦) - ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا﴾. قال: هي التي في البقرة ﴿وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾.

وقال ابن جريج: عن عطاء(٢١٧)، عن ابن عباس: ﴿كنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ أمواتًا في أصلاب آبائكم، لم تكونوا شيئًا حتى خلقكم، ثم يميتكم موتة الحق، ثم يحييكم حين يبعثكم. قال: وهي مثل قوله تعالى: ﴿أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾. وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ قال: كنتم ترابًا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه

---

(٢١٦) - رواه ابن جرير (٥٧٧)، وابن أبي حاتم (٣٠١)، والطبراني (٩/٩٠٤٤)، والحاكم (٥/٤٣٧) وقال: على شرط الشيخين، وإنما هو على شرط مسلم وحده.

(٢١٧) - رواه ابن أبي حاتم (٣٠٣)، وابن جرير (١/١٨٦ الحلبي)، وعطاء هو الخرساني، لم يسمع من ابن عباس، فهو منقطع.

---

[١] - في ت: وجود قدرته.

ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى[١] . فهذه ميتتان وحياتان، فهو كقوله ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾.

وهكذا روي عن السُّدي بسنده، [ ][٢] عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة، وعن أبي العالية والحسن البصري ومجاهد وقتادة وأبي صالح والضحاك وعطاء الخراساني نحو ذلك.

وقال الثوري عن السدي، عن أبي صالح: ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ﴾ قال: يحييكم في القبر، ثم يميتكم.

وقال ابن جرير، عن يونس، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خلقهم في[٣] ظهر آدم [ثم أخذ][٤] عليهم الميثاق، ثم أماتهم ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة، وذلك كقوله تعالى: ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾.

وهذا غريب والذي قبله، والصحيح ما تقدّم عن ابن مسعود وابن عباس، وأولئك الجماعة من التابعين، وهو كقوله تعالى: ﴿ **قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ الآية [وعبر عن الحال قبل الوجود بالموت لجامع ما يشتركان فيه من عدم الإحساس، كما قال تعالى في الأصنام: ﴿ **أموات غير أحياء وما يشعرون** ﴾ الآية. وقال: ﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون** ﴾][٥] .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه في أنفسهم، ذكر دليلًا آخرَ مما يشاهدونه من خَلْق السموات والأرض فقال: ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات** ﴾ أي قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا تضمن معنى القصد و[٦] الإقبال؛ لأنه عُدي بإلى ﴿ **فسوّاهن** ﴾ أي: فخلق السماء سبعًا، والسماء هاهنا اسم جنس، فلهذا قال: ﴿ **فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم** ﴾ أي: وعلمه محيط بجميع ما خلق. كما قال: ﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾، وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة،

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: [و] .
[٣] - في ز: من.
[٤] - في ز: فأخذ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز: أو.

وهو قوله تعالى: ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾.

ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولًا، ثم خلق السموات سبعًا، وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك، وقد صرح المفسرون بذلك، كما سنذكره بعد هذا إن شاء اللَّه. فأما قوله تعالى: ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم** ﴾ فقد قيل: إن «ثم» هاهنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل، كما قال الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم[١] قد ساد قبل[٢] ذلك جده

وقيل: إن الدحيَ كان بعد خلق[٣] السموات.

رواه علي[٤] بن أبي طلحة عن ابن عباس (٢١٨).

وقد قال السدي في تفسيره (٢١٩)، عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم** ﴾ قال: إن اللَّه تبارك وتعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئًا غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانًا، فارتفع فوق الماء فسما عليه، فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضًا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين، فخلق الأرض على حوت، والحوتُ هو [النون][٥] الذي ذكره اللَّه في القرآن ﴿ **ن والقلم** ﴾، والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها

---

[٥] - - رواه ابن جرير برقم (٥٩٤)، وعلي لم يسمع من ابن عباس كما تقدم.

(٢١٩) - رواه ابن جرير (٥٩١)، والبيهقي في الأسماء (٢/١١٨ - ١١٩)، وابن ابي حاتم (٣٠٧).

---

[١] - سقط من.

[٢] - في ز: بعد.

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - سقط من: ز، خ.

الجبال فقرّت، فالجبال تفخر على الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿[وألقى في الأرض][١] رواسي أن تميد بكم﴾، وخلق الجبال فيها، وأقواتَ أهلها وشجرها[٢] وما ينبغي لها في يومين؛ في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول: ﴿قل[٣] أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾ يقول: أنبت شجرها ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ [يقول: أقواتها][٤] لأهلها ﴿في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ يقول: من سأل فهكذا الأمر ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين؛ في الخميس والجمعة، وإنما سُمي يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ قال: خلق الله في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومما[٥] لا يعلم[٦]، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظًا تُحْفَظُ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش [فذلك حين يقول: ﴿خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ ويقول: ﴿كانتا رَتْقًا ففتقناهما [وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.

وقال ابن جرير(٢٢٠): حدثني المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني أبو معشر، عن سعيد ابن أبي سعيد، عن عبد الله بن سلام أنه قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والإثنين، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عَجَل، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ قال: خلق الله الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض[٧] ثار[٨] منها دخان، فذلك حين يقول: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسوّاهن سبع سموات﴾ قال: بعضهن فوق بعض، وسبع أرضين، يعني بعضهن تحت بعض.

---

(٢٢٠) - رواه ابن جرير (٥٩٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٨٨٢)، وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن. وأخرجه ابن منده في التوحيد (٦١)، والبيهقي في الأسماء (٢/١٢٣- ١٢٤)، وابن عبد البر (٢٣/٤٨)، والفريابي في القدر بإسنادٍ آخر صحيح.

---

[١] - في ز، خ: «جعل».
[٢] - في ز، خ: «وسخرها».
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز: وما.
[٦] - في ز، خ: «نعلم».
[٧] - سقط من: ز، خ.
[٨] - في ز، خ: «بان».

[وهذه الآية دالة على أنّ الأرض خُلقت قبل السماء، كما قال في آية السجدة: ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين، فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ فهذه وهذه دالتان على أنّ الأرض خُلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير، عن قتادة أنه زعم أنّ السماء خُلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها** ﴾.

قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض

وفي صحيح البخاري(٢٢١) أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأنّ الأرض خلقت قبل السماء، وأنّ الأرض إنما دُحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا، وقد حرّرنا ذلك في سورة النازعات، وحاصل ذلك أنّ الدحي مفسر بقوله تعالى: ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها** ﴾ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل لما أكملت صورة المخلوقات الأرضية، ثم السماوية، دحا بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كان مودعًا فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها، وكذلك جرت هذه الأفلاك، فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة، والله سبحانه وتعالى أعلم][١] .

وقد ذكر ابن أبي حاتم(٢٢٢) وابن مردويه في تفسير هذه الآية - الحديث الذي رواه مسلم

---

(٢٢١) - صحيح البخاري، كتاب التفسير (٨/٥٥٥ - ٥٥٦ الفتح).

(٢٢٢) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٥ - (١/١٠٣)، وصحيح مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٨٩)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٠١٠)، ورواه أحمد (٢/٣٢٧)، وأبو يعلى (١٠/٥١٣ - ٥١٤)، وابن منده في التوحيد رقم (٥٨)، وابن جرير في التفسير (٢٤/٩٥)، وأخرجه ابن معين في تاريخه رواية الدوري برقم (٢١٠)، ومن طريقه الدولابي (١/١٥٧)، وذكره البخاري في التاريخ (١/٤١٣، ٤١٤)، من طريق إسماعيل بن أمية به، ثم قال: وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح. والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٥٠ - ٢٥٦)، قال البيهقي: هذا حديث أخرجه مسلم في كتابه عن سريج بن يونس وغيره، عن حجاج بن محمد، وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفته =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

والنسائي في التفسير أيضًا، من رواية ابن جُرَيج قال: أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: «**خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل**».

وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه علي بن المديني، والبخاري، وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأنّ أبا هريرة إنما سمعه من كلام[١] كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه[٢] مرفوعًا، وقد حرّر ذلك البيهقي.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملإ الأعلى قبل إيجادهم، فقال تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة**﴾ أي واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك[٣]، وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية [-وهو أبو عبيدة -][٤] أنه زعم أن «إذ» هاهنا زائدة، وأنّ تقدير الكلام «وقال ربك»، وردّه ابن جرير.

[قال القرطبي: وكذا ردّه جميع المفسرين حتى قال الزجاج: هذا اجتراء من أبي عبيدة][٥]. ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ أي: قومًا يخلف[٦] بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد

= ما عليه أهل التفسير وأهل التواريخ، وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن أيوب بن خالد، وإبراهيم غير محتج به. قال علي بن المديني: وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى. قلت: وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذي، عن أيوب بن خالد؛ إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف، وروي عن بكر بن الشرود، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن صفوان بن سليم، عن أيوب بن خالد، وإسناده ضعيف، والله أعلم.

وللعلامة عبد الرحمن المعلمي كلام متين في تصحيح هذا الحديث ورد الشبه عنه في كتابه «الأنوار الكاشفة» (ص ١٨٥ - ١٩٠).

[١] - سقط من ز.
[٢] - في ز، خ: «فجعله».
[٣] - في ز: ذاك.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «تخلف».

جيل، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ وقال[١]: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ وقال: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ وقال: ﴿فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ﴾ [وقرئ في الشاذ: (إني جاعل في الأرض خليقة) حكاها الزمخشري وغيره، ونقل القرطبي، عن زيد بن علي][٢] وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط [كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل، وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا][٣]؛ إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فإنهم إنما[٤] أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية، [فإن الله][٥] أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون، [أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم، قاله القرطبي][٦]، أو أنهم قاسوهم[٧] على من سبق، كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم، كما قد يتوهمه بعض المفسرين، [وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي لا يسألونه شيئًا لم يأذن لهم فيه، وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقًا، قال قتادة: وقد تقدّم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ الآية][٨]، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا! ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي نصلي لك، كما سيأتي، أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك وهلا[٩] وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى - مجيبًا لهم عن هذا السؤال -: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [أي إني[١٠] أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون][١١] أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم[١٢] الصدّيقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقرّبون، والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله، صلوات الله وسلامه عليهم.

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - زيادة من: ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ز، خ.
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٧] - في ز: قاسوه.
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٩] - في ز، خ: «هلا لا».
[١٠] - زيادة من ز.
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[١٢] - في ز، خ: «فيهم».

[وقد ثبت في الصحيح(٢٢٣) أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم - وهو أعلم - كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون .

وذلك لأنهم يتعاقبون فينا ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيمكث هؤلاء ، ويصعد أولئك بالأعمال . كما قال -عليه الصلاة والسلام- : « **يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل** »(٢٢٤) . فقولهم : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون من تفسير قوله لهم : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ وقيل معنى قوله جوابًا لهم : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ إني لي حكمة مفصلة في خلق هؤلاء والحالة ما ذكرتم لا تعلمونها . وقيل :إنه جواب ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك** ﴾ فقال : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ أي : من وجود إبليس بينكم ، وليس هو كما وصفتم أنفسكم به . وقيل : بل تضمن قولهم : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ طلبًا منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم ، فقال الله تعالى لهم : ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم . ذكرها الرازي مع غيرها من الأجوبة ، والله أعلم][١] .

ذكر أقوال المفسرين ببسط ما ذكرناه

قال ابن جرير(٢٢٥) : حدثني القاسم بن الحسن ، [قال حدثنا الحسين ، قال][٢] حدثني الحجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك [عن الحسن ، وأبي بكر][٣] ، عن الحسن وقتادة قالوا : قال الله للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ قال لهم : إني فاعل .

وهذا ، معناه أنه أخبرهم بذلك .

وقال السدّي : استشار الملائكة في خلق آدم . رواه ابن أبي حاتم قال : وروي عن قتادة

---

(٢٢٣) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٢١٠ - (٦٣٢) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(٢٢٤) - رواه مسلم برقم ٢٩٣ ، ٢٩٤ - (١٧٩) ، وابن ماجه (١٩٥) ، وأحمد (٤٠٤/٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦١٤) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٨، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٠) من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه .

(٢٢٥) - تفسير ابن جرير رقم ٥٩٧ - (٤٤٧/١) ، وأبو بكر هو الهذلي : ضعفه ابن المديني جدًا ، وقال ابن معين : ليس بشيء . والحسين هو ابن داود الملقب بسنيد . والمبارك هو ابن فضالة ، مدلس وقد عنعن ؛ إلا أنه صرح بالتحديث عند ابن أبي حاتم ٣١٦ - (١٠٧/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

نحوه(٢٢٦) .

وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل ، وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن ، والله أعلم .

﴿ في الأرض ﴾ قال ابن أبي حاتم(٢٢٧) : حدثنا أبي ، حدثنا [أبو سلمة][١] ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **دُحِيت الأرض من مكة ، وأول من طاف بالبيت الملائكة ، فقال الله : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾** يعني مكة » .

وهذا مرسل ، وفي سنده ضعف ، وفيه مُدْرَج ، وهو أن المراد بالأرض مكة ، والله أعلم . فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك ، [والله أعلم][٢] .

﴿ **خليفة** ﴾ قال السدي في تفسيره(٢٢٨) ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : إن الله تعالى قال للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون [ ][٣] ويقتل بعضهم بعضًا .

قال ابن جرير(٢٢٩) : فكان تأويل الآية على هذا ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ مني[٤] ، يخلفني في الحكم [بالعدل][٥] بين خلقي ، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه ، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه .

قال ابن جرير : وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قَرْنٍ منهم قَرْنًا ، قال : والخليفة الفعيلة ، من قولك : خلف فلان فلانًا في هذا الأمر ، إذا قام مقامه فيه بعده ، كما قال تعالى : ﴿ **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون** ﴾ ، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم : خليفة ؛ لأنه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلفًا .

---

(٢٢٦) – رواه ابن أبي حاتم ٣١٥ – (١٠٧/١) . وقال محققه : هذا خبر منكر .

(٢٢٧) – تفسير ابن أبي حاتم ٣١٨ – (١٠٨/١) ، ورواه ابن جرير (٥٩٦) ، وعزاه السيوطي في الدر (٤٦/١) لابن عساكر ، وعطاء بن السائب اختلط ؛ إلا أن حماد بن سلمة سمع منه قبل الاختلاط .

(٢٢٨) – رواه ابن جرير برقم (٦٠٥) .

(٢٢٩) – تفسير ابن جرير (٤٥٠/١) .

---

[١] – في ز : ابن سلم .

[٢] – زيادة من : ز ، خ .

[٣] – في خ : وقال : .

[٤] – في خ : « متى » .

[٥] – زيادة من ز ، خ .

قال : وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى : ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ يقول : ساكنًا وعامرًا يعمرها ويسكنها خلقًا ليس منكم .

[قال ابن جرير(٢٣٠)][١] : وحدثنا أبو كريب ، حدثنا عثمان[٢] بن سعيد ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : إن[٣] أول من سكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء ، وقتل بعضهم بعضًا ، قال : فبعث اللَّه إليهم إبليس ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، ثم خلق آدم وأسكنه إياها فلذلك قال : ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ .

وقال سفيان الثوري(٢٣١) : عن عطاء بن السائب ، عن ابن سابط ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ قال : يعنون به[٤] بني آدم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال اللَّه للملائكة : إني أريد أن أخلق في الأرض خلقًا وأجعل فيها خليفة ، وليس للَّه - عز وجل - خلق إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ! .

وقد تقدّم ما رواه السُّدِّي ، عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن اللَّه أعلم الملائكة بما تفعله[٥] ذرّية آدم ، فقالت الملائكة ذلك ، وتقدم آنفًا ما رواه الضحاك ، عن ابن عباس أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم ، فقالت الملائكة ذلك ، فقاسوا هؤلاء بأولئك .

وقال ابن أبي حاتم(٢٣٢) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن بُكَير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، قال : كان الجن[٦] بنو الجان ، في الأرض قبل أن يُخلق آدم بألفي سنة ، فأفسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فبعث اللَّه جندًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور ، فقال اللَّه للملائكة : ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾ .

---

(٢٣٠) - **ضعيف** ، منقطع والحديث في تفسير ابن جرير ٦٠١ - (٤٥٠/١) . وروى الحاكم معناه (٢/ ٢٦١) .

(٢٣١) - رواه ابن جرير (٦٠٣ ، ٦٠٨) ، وابن أبي حاتم (٣٢٧) .

(٢٣٢) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٢ - (١٠٩/١) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٢٦١/٢) بسنده من طريق أبي معاوية ، عن ابن عباس - لا عن عبد اللَّه بن عمرو - وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « عمر » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « يفعله » وفي ز : يفعل .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع [بن أنس][١] ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ إلى قوله ﴿**وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ . قال: خلق الله الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ؛ فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم [ببغيهم][٢] فكانت الدماء بينهم ، وكان[٣] الفساد في الأرض ، فمن ثم قالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ كما أفسدت الجن ﴿**ويسفك الدماء**﴾ كما سفكوا.

قال ابن أبي حاتم(٢٣٣) : وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثنا الحسن قال: قال الله للملائكة : ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ ، قال لهم: إني فاعل. [أفاضوا برأيهم][٤] ، فعلمهم علمًا وطوى عنهم علمًا ، علمه ولم يعلموه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ ﴿**قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾ .

قال الحسن: إن الجن كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون الدماء ، ولكن جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون ، فقالوا بالقول الذي عَلَّمهم.

وقال عبد الرزاق(٢٣٤) عن معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ .

كان الله[٥] أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خَلْق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فذلك حين قالوا : ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها**﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٣٥) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام الرازي ، حدثنا ابن المبارك ، عن معروف ،

---

(٢٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٤ - (١/١١٠) ، ورواه ابن جرير (٦١١) ، ومبارك بن فضالة مدلس ؛ إلا أنه صرح بالتحديث .

(٢٣٤) - تفسير عبد الرزاق (١/٤٢) ومن طريقه ابن جرير (٦١٠) ، وابن أبي حاتم (٣٢٦) .

(٢٣٥) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٨ - (١/١١٢) ، وهو ضعيف لجهالة الراوي عن أبي جعفر ، ومعروف بن خربوذ - مولى عثمان ، قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : ضعيف . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، قال : ويقال : إن الناس أخذوا عنه شعر بديل ، وذكره ابن حبان في الثقات ، له في البخاري حديثه عن أبي الطفيل ، عن علي ، في العلم ، وعند الباقين حديثه عن أبي الطفيل أنه رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في الحج . قلت : وقال أحمد : ما أدري كيف حديثه . وقال الساجي : صدوق . وقال ابن حبان =

---

[١] - سقط من: ز ، خ.

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فكان .

[٤] - من " ز " و ابن أبي حاتم ، وفي ت : [آمنوا بربهم] .

[٥] - سقط من: ز ، خ.

يعني ابن خَرّبوذ المكي ، عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول : السِّجِلّ ملك ، وكان هاروت وماروت من أعوانه ، وكان له في[١] كل يوم ثلاث لمحات ينظرهن في أمّ الكتاب ، فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم وما فيه من الأمور ، فأَسَرَّ ذلك إلى هاروت وماروت ، وكانا من أعوانه ، فلما قال الله تعالى : **﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾** . قالا[٢] ذلك استطالة على الملائكة .

وهذا أثر غريب ، وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر ، فهو نقله عن أهل الكتاب ، وفيه نكارة توجب ردّه ، والله أعلم . ومقتضاه : أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط ، وهو خلاف السياق .

وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضًا ، حيث قال(٢٣٦) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد[٣] الله ، حدّثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير ، قال سمعت أبي يقول : إنّ الملائكة الذين قالوا **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾** كانوا عشرة آلاف ، فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم .

= في الضعفاء : كان يشتري الكتب فيحدث بها ثم تغير حفظه ، فكان يحدث على التوهم ، فكأنه ترجم لغيره ، فإن هذه الصفة مفقودة في حديث معروف (التهذيب) .

وهشام بن عبيد الله الرازي السِبتي ، بكسر السين المهملة ، قال أبو حاتم الرازي : صدوق ، وقد قال أبو حاتم : ما رأيت أعظم قدرًا منه ، ومن أبي مسهر بدمشق ، وكان يقول : لقيت ألفًا وسبعمائة شيخ وانفقت في العلم سبعمائة ألف درهم ، وأما ابن حبان فذكره في الضعفاء فقال : كان يهم ويخطئ على الثقات ، وروى عن ابن أبي ذئب ، عن نافع ، عن ابن عمر رفعه : « **الدجاج غنم فقراء أمتي ، والجمعة حج فقرائها** » وروى عن مالك ، عن الزهري ، عن أنس مرفوعًا : « **مثل أمتي مثل المطر** ... » الحديث ، قال الذهبي في الميزان : كلاهما باطلان .

قلت : ذكر الدارقطني أنه تفرد بحديث مالك ، وأنه وهم فيه ، فدخل عليه حديث في حديث ، وأما الأول : فأخرجه ابن حبان ، عن عبد الله بن محمد القيراطي ، عن عبد الله بن يزيد محمش عنه ، ومحمش تقدم في العبادلة - في الميزان أنه كان يتهم بوضع الحديث فبرئ هشام من عهدته . اهـ من التهذيب .

(٢٣٦) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٩ - (١١٢/١) ، وعبد الله بن يحيى بن أبي كثير اليمامي روى عن أبيه وجعفر بن محمد بن علي ، قال أبو طالب عن أحمد : ثقة لا بأس به . وقال أبو حاتم : صدوق . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن عدي : لم أجد للمتقدمين فيه كلامًا ، ولا أعرف له ما أنكره ؛ إلا حديث النهي عن أكل أذني القلب ، ورواه عن أبيه ، عن رجل من الأنصار مرفوعًا ، وأرجو أنه لا بأس به . قلت : قال البخاري : أثنى عليه مسدد لقيه باليمامة أبي عبد الله . التهذيب .

وأما يحيى بن أبي كثير : فهو كثير الإرسال ، ومراسيله قال عنها يحيى القطان : شبه الريح .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : قالوا .
[٣] - في خ : « ابن أبي عبد الله » .

وهذا أيضًا إسرائيلي منكر كالذي قبله، والله أعلم.

قال ابن جريج(٢٣٧): إنما تكلموا بما أعلمهم الله[١] أنه كائن من خلق آدم، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء.

قال ابن جرير: وقال بعضهم: إنما قالت الملائكة ما قالت: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾؛ لأنَّ الله أذن لها[٢] في السؤال عن ذلك، بعد ما أخبرها[٣] أن ذلك كائن من بني آدم، فسألته الملائكة فقالت - على[٤] التعجب منها -: وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم؟ فأجابهم ربهم: ﴿**إني أعلم ما لاتعلمون**﴾ يعني: أن ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أنتم [ومن بعض ما][٥] ترونه لي طائعًا.

قال: وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك، فكأنهم قالوا: يارب! خبرنا، مسألة استخبار منهم، لا على وجه الإنكار. واختاره ابن جرير.

[وقال سعيد، عن قتادة قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ قال: استشار الملائكة في خلق آدم، فقالوا: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ وقد علمت الملائكة أنه لاشيء أكره عند الله من سفك الدماء والفساد في الأرض ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾. فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنة، قال: وذكر لنا عن ابن عباس أنه كان يقول: إن الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام، قالت الملائكة: ما الله خالق خلقًا أكرم عليه منا ولا أعلم منا، فابتلوا بخلق آدم - وكل خَلْق مُبْتَلى - كما ابتُليت السموات والأرض بالطاعة، فقال الله تعالى ﴿**ائتيا طوعًا أو كرها قالتا أتينا طائعين**﴾

وقوله تعالى][٦]: ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال عبد الرزاق(٢٣٨) عن معمر، عن قتادة: التسبيحُ: التسبيحُ، والتقديس: الصلاة.

وقال السدي(٢٣٩): عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن

---

(٢٣٧) - أخرجه ابن جرير ٦١٦ - (٤٦٩/١).

(٢٣٨) - تفسير عبد الرزاق (٤٢/١).

(٢٣٩) - رواه ابن جرير (٦١١).

---

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ت: لهم.

[٣] - في ت: أخبرهم.

[٤] - سقط من: ز، خ.

[٥] - في ز: ومن يعصيني ممن.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

مسعود، وعن ناس من الصحابة ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال: يقولون: نصلي لك.

وقال مجاهد: ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال: نعظمك ونكبرك.

وقال الضحاك: التقديس: التطهير.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ قال: لانعصي، ولا نأتي شيئًا تكرهه.

وقال ابن جرير: التقديس هو التعظيم والتطهير، ومنه قولهم: سبوح قُدُّوس، يعني بقولهم: سبوح: تنزيه له[١]، وبقولهم: قدوس: طهارة وتعظيم له، وكذلك[٢] قيل للأرض: أرض مقدّسة، يعني بذلك المطهرة. فمعنى قول الملائكة إذًا: ﴿**ونحن نسبح بحمدك**﴾، ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهلُ الشرك بك ﴿**ونقدس لك**﴾، ننسبك إلى ما هو من صفاتك، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك.

[وفي صحيح مسلم(٢٤٠)، عن أبي ذرّ - رضي اللّه عنه - أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده**».

وروى البيهقي(٢٤١) عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ليلة أُسري به سمع تسبيحًا في السموات العلى: «**سبحان العلي الأعلى، سبحانه وتعالى**»][٣]. ﴿**قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾ و[٤] قال قتادة: فكان في علم اللّه أنه سيكون في[٥] تلك الخليقة[٦] أنبياء

(٢٤٠) - رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، برقم (٢٧٣١). ورواه الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٩٣). ورواه أحمد (١٦١/٥) والبخاري في الأدب (٦٣٨).

(٢٤١) - رواه الطبراني في الأوسط (٣٧٤٢)، وكذا عزاه للبيهقي في الأسماء والصفات السيوطي في الدر (١٨٣/٤). ورواه أبو نعيم في الحلية (٧/٢) من طريق مسكين بن ميمون، عن عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن قرط، رضي اللّه عنه، به، مرفوعًا، ومسكين بن ميمون: قال الذهبي (١٠١/٤): لا أعرفه، وخبره منكر، وذكر له هذا الحديث، وكذا تبعه الحافظ في اللسان (٢٨/٦)، والهيثمي في المجمع (٧٨/١)، ومسكين هذا وثقه ابن معين (٤٧١/٤ تاريخ الدوري) وأورده ابن شاهين في الثقات، وابن حبان (٥٠٥/٧)، وعبد الرحمن بن قرط الثمالي الحمصي: قال ابن معين والبخاري وأبو حاتم: كان من أهل الصفة، وروى البخاري وابن السكن من طريق سكين المؤذن: حدثني عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام =

[١] - في ز: للّه.
[٢] - في ز: ولذلك.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - زيادة من: خ.
[٥] - في ز: من.
[٦] - في ز: الخليفة.

ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة.

وسيأتي عن ابن مسعود وابن عباس وغير[١] واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى: ﴿**قال إني أعلم ما لاتعلمون**﴾.

[وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفواحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا تمكن إقامتها إلا بالإمام، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

والإمامة تُنال بالنص، كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر، أو بالإيماء إليه كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده. كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته، أو بمبايعة واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور، وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع، والله أعلم.

أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدّي ذلك إلى الشقاق والاختلاف، وقد نص عليه الشافعي.

وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة؟ فيه خلاف؛ فمنهم من قال: لا يشترط، وقيل: بلى، ويكفي شاهدان، وقال الجبائي: يجب أربعة، وعاقد ومعقود له، كما ترك عمر - رضي الله عنه - الأمر شورى بين ستة، فوقع الأمر على عاقد وهو عبد الرحمن بن عوف، ومعقود له وهو عثمان، واستنبط وجوب الأربعة الشهود من الأربعة الباقين، وفي هذا نظر، والله أعلم.

ويجب أن يكون ذكرًا حرًا بالغًا عاقلًا مسلمًا عدلًا مجتهدًا بصيرًا سليم الأعضاء خبيرًا بالحروب والآراء قرشيًا على الصحيح، ولا يشترط الهاشمي، ولا المعصوم من الخطأ، خلافًا للغلاة الروافض، ولو فسق الإمام هل ينعزل أم لا؟ فيه خلاف، والصحيح أنه لا ينعزل لقوله - عليه الصلاة والسلام - «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(٢٤٢).

= وزمزم، جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فطارا به حتى بلغ السماوات السبع، فلما رجع قال: سمعت تسبيحًا في السماوات العلا .... الحديث. وأخرجه سعيد بن منصور، عن سكين لكن أرسله.

وسيأتي عند تفسير الآية: ٤٤ من سورة الإسراء.

(٢٤٢) - رواه البخاري في الفتن، باب: قول النبي، صلىٰ الله عليه وسلم: **سترون بعدي أمورًا** برقم (٧٠٥٥)، ومسلم في الإمارة برقم ٤٢ - (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت، رضي الله عنه.

---

[١] - في خ: «وعن».

وهل له أن يعزل نفسه ؟ فيه خلاف ، وقد عزل الحسن بن علي - رضي الله عنه - نفسه وسلم الأمر إلى معاوية ، لكن هذا لعذر ، وقد مُدح على ذلك .

فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز ؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام - **« من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنًا من كان »**(٢٤٣) .

وهذا قول الجمهور ، وقد حكى الإجماع على ذلك غيرُ واحدٍ ؛ منهم إمام الحرمين ، وقالت الكرامية : يجوز اثنين فأكثر ، كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة ، قالوا : وإذا جاز بعث نبيين في وقت واحد وأكثر ، جاز ذلك في الإمامة ؛ لأن النبوة أعلى رتبة بلا خلاف ، وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوّز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم بينهما ، وتردد إمام الحرمين في ذلك

قلت : وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق ، والفاطميين بمصر ، والأمويين بالمغرب ، ولنقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب « الأحكام » . إن شاء الله تعالى][١] .

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

هذا مقام ذَكَرَ الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه [به][٢] من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدّم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة[٣] خلق الخليفة[٤] ، حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لايعلمون ؛ ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ؛ ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم ، فقال تعالى : **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾** .

---

(٢٤٣) - رواه مسلم في الإمارة من صحيحه برقم ٦٠ - (١٨٥٢) من حديث عرفجة ، رضي الله عنه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - زيادة من ز .
[٣] - في خ : « بحكم » .
[٤] - في خ : « الخليقة » .

وقال السدي عمن حدّثه عن ابن عباس(٢٤٤) : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال : علمه[١] أسماء ولده إنسانًا [إنسانًا][٢] والدواب ، فقيل : هذا الحمار ، هذا الجمل ، هذا الفرس .

وقال الضحاك عن ابن عباس(٢٤٥) : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [قال : هي هذه الأسماء][٣] التي يتعارف بها الناس إنسان ، ودواب[٤] ، وسماء[٥] ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وخيل[٦] ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٤٦) من حديث عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد[٧] ، عن ابن عباس : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال : علمه اسم الصحفة والقدر؟ قال : نعم حتى الفسوة والفُسَيَّة[٨] .

وقال مجاهد : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ قال : علمه[٩] اسم كل دابة ، وكل طير ، وكل شيء .

وكذلك رُوي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف أنه علمه أسماء كل شيء . وقال الربيع في رواية عنه : أسماء الملائكة .

وقال حميد الشامي : أسماء النجوم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم .

واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية ؛ لأنه قال : ﴿ثم عرضهم﴾ وهذا عبارة عما يعقل . وهذا الذي رجح به ليس بلازم ، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب . كما قال تعالى : ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن

---

(٢٤٤) – ابن أبي حاتم (٣٤٠) ، وسنده ضعيف .

(٢٤٥) – ابن جرير (٦٤٦) ، وسنده ضعيف .

(٢٤٦) – تفسير ابن أبي حاتم ٣٤١ – (١/١١٥) ، ورواه ابن جرير ٦٥١ – (١/٤٨٣) ، وسعيد بن معبد : ذكره البخاري (٢/١/٤٦٨) ، وابن أبي حاتم (٢/١/٦٣) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً .

---

[١] – في ز ، خ : « عرض عليه » .
[٢] – سقط من ز .
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] – في ز ، خ : « دابة » .
[٥] – سقط من : ز ، خ .
[٦] – في ز ، خ : « جمل » .
[٧] – في خ : « سعيد » .
[٨] – في خ : « الفسو » .
[٩] – في ز : علم .

الله على كل شيء قدير﴾.

[وقد قرأ عبد الله بن مسعود ﴿ ثم عرضهن ﴾ . وقرأ أبي بن كعب : ﴿ ثم عرضها ﴾ ، أي : السموات][١] .

والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها[٢] وأفعالها ، كما قال ابن عباس : حتى الفسوة والفُسَيّة ، يعني : أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر ؛ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية في[٣] كتاب التفسير من صحيحه(٢٤٧) :

حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا هشام ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال- وقال لي خليفة : حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « يجتمع المؤمنون يوم القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هُنَاكُم ، ويذكر ذنبه فيستحي ، فيقول[٤] : ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي ، فيقول : ائتوا خليل الرحمن ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم . فيقول[٥] : ائتوا موسى عبدًا كلمه[٦] الله وأعطاه التوراة ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم . ويذكر قتل النفس بغير نفس ؛ فيستحي من ربه . فيقول[٧] : ائتوا عيسى عَبْدَ الله ورسوله وكَلِمَةَ الله وروحه ، فيأتونه[٨] ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمدًا عبدًا غَفَر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني ، فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعتُ ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقُل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فَيَحُدُّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه ، فإذا[٩] رأيت ربي مثله ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، [ثم أعود الثالثة][١٠] ، ثم أعود الرابعة فأقول : ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود .

هكذا ساق البخاري هذا الحديث هاهنا ، وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام ، وهو ابن

---

(٢٤٧) – البخاري في كتاب التفسير باب : وعلم آدم الأسماء كلها برقم (٤٤٧٦) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] – سقط من ز .
[٣] – في ز : من .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – سقط من : ز ، خ .
[٦] – في خ : « كلم » .
[٧] – سقط من : ز ، خ .
[٨] – سقط من ز .
[٩] – في ز : وإذا .
[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أبي عبد الله الدستوائي، عن قتادة، به(٢٤٨) .

وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث سعيد، و[١] هو ابن أبي عروبة، عن قتادة(٢٤٩) .

ووجه إيراده هاهنا والمقصود منه قوله - عليه الصلاة والسلام - «فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء».

فدل هذا على[٢] أنه علمه[٣] أسماء جميع المخلوقات؛ ولهذا قال **﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾** يعني المسميات، كما قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة قال: ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة: **﴿فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾**.

وقال السدي في تفسيره(٢٥٠) : عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾** ثم عرض الخلْق على الملائكة.

وقال ابن جريج، عن مجاهد **﴿ثم عرضهم﴾** : عرض أصحاب الأسماء على الملائكة.

وقال ابن جرير(٢٥١) : حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثني الحجاج، عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة، عن الحسن - وأبي بكر، عن الحسن وقتادة - قالا: علمه اسم كل شيء، [وجعل يسمي كل شيء][٤] باسمه، وعُرضت عليه أمّة، أمّة.

وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة، في قوله تعالى: **﴿إن كنتم صادقين﴾**. إني لم أخلق خلقًا إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

وقال الضحاك: عن ابن عباس(٢٥٢) : **﴿إن كنتم صادقين﴾** إن كنتم تعلمون أني[٥] لم

(٢٤٨) - مسلم في الإيمان برقم (١٩٣)، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٩٨٤).
(٢٤٩) - مسلم في الإيمان برقم (١٩٣)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٤٣)، وابن ماجة في الزهد، باب: ذكر الشفاعة برقم (٤٣١٢).
(٢٥٠) - رواه ابن جرير (٦٦٢)، وابن أبي حاتم (٣٤٥).
(٢٥١) - رواه ابن جرير (٦٦٧).
(٢٥٢) - رواه ابن جرير (٦٧١)، وسنده ضعيف.

[١] - سقط من ز.
[٢] - سقط من ز.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - سقط من ز.

أجعل في الأرض خليفة.

وقال السدي(٢٥٣) عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أنّ بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

وقال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله، ومعنى ذلك فقال: أنبئوني بأسماء من عَرَضْتُه عليكم أيها[١] الملائكة القائلون: أتجعل فيها[٢] من يفسد فيها[٣] ويسفك الدماء؟ من غيرنا، أم منا، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك إن كنتم صادقين في قِيلكم، إني إنْ جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني و[٤] ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء، وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم[٥] أمري بالتعظيم لي والتقديس، فإذا[٦] كنتم لاتعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم، فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أحرى أن تكونوا[٧] غير عالمين. ﴿**قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**﴾.

هذا تقديس وتنزيه من الملائكة للّه تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئًا إلا ما علمهم اللّه تعالى؛ ولهذا قالوا: ﴿**سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم [الحكيم]**[٨]﴾ أي: العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك، وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام.

قال ابن أبي حاتم(٢٥٤): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: سبحان اللّه. قال: تنزيه اللّه نفسه عن السوء، قال[٩]: ثم قال عمر لعلي - وأصحابه عنده -: لا إله إلا اللّه قد عرفناها، فما سبحان اللّه؟ فقال له علي: كلمة أحبها اللّه لنفسه، ورضيها، وأحب أن تقال.

---

(٢٥٣) - رواه ابن جرير (٦٧٢).

(٢٥٤) - **إسناده ضعيف**، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٧ - (١١٧/١). والحجاج هو ابن أرطأة مدلس وقد عنعن.

---

[١] - في ز: أيتها.
[٢] - في ز: في الأرض.
[٣] - في ز: في الأرض.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز، خ: «أتيتم».
[٦] - في ز: فإذًا إذا.
[٧] - في خ: «يكونوا».
[٨] - سقط من: خ.
[٩] - زيادة من: ز، خ.

قال(٢٥٥) : وحدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل، حدثنا النضر بن عربي[١] قال: سأل رجل ميمون ابن مهران عن «سبحان الله» قال[٢] : اسم يُعَظِّمُ اللَّه به ويحاشى به من السوء.

وقوله تعالى: ﴿ **قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾.

قال زيد بن أسلم: قال: أنت جبرائيل، أنت ميكائيل، أنت إسرافيل، حتى عدّد الأسماء كلها، حتى بلغ الغراب.

وقال مجاهد في قول اللّه: ﴿ **قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾ قال اسم الحمامة، والغراب، واسم كل شيء.

وروي عن سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة نحو ذلك. فلما ظهر فضل آدم - عليه السلام - على الملائكة - عليهم السلام - في سرده ما[٣] علمه اللّه تعالى من أسماء الأشياء، قال اللّه تعالى للملائكة: ﴿ **ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ أي: ألم أتقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي؛ كما قال تعالى: ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾. وكما قال تعالى إخبارًا عن الهدهد أنه قال لسليمان: ﴿ **ألا يسجدوا للّه الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون اللّه لا إله إلا هو رب العرش العظيم** ﴾.

وقيل في معنى[٤] قوله تعالى ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ غيرُ ما ذكرناه؛ فروى الضحاك عن ابن عباس ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ قال: يقول[٥] : أعلم السر كما أعلم العلانية، يعني ما كَتَم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

وقال السدي(٢٥٦) : عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابه قال: قولهم: ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** [**ويسفك الدماء** ﴾. الآية][٦] . فهذا الذي أبدوا ﴿ **وما كنتم تكتمون** ﴾ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر، وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري، [واختاره مالك و][٧] ابن

(٢٥٥) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٨ - (١/١١٧)، وإسناده حسن.

(٢٥٦) - رواه ابن جرير (٦٧٩).

---

[١] - في ز، خ: «عدي».

[٢] - في ز، خ: «فقال».

[٣] - في ز: من.

[٤] - زيادة من ز.

[٥] - زيادة من: ز، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٧] - في ت: «اختار ذلك».

جرير .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة : هو قولهم : لم يخلق ربنا خلقًا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس : ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ فكان الذي أبدوا هو[١] قولهم : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها [ويسفك الدماء]**[٢] ﴾ وكان الذي كتموا بينهم قولهم : لم يخلق ربنا خلقًا إلا كنا[٣] نحن أعلم منه وأكرم . فعرفوا أن اللَّه فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

وقال ابن جرير (٢٥٧) : حدّثنا يونس ، حدّثنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قصة الملائكة وآدم فقال اللَّه للملائكة : كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم ، إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندي قد علمته ، ولذلك أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني ، قال : وقد[٤] سبق من اللَّه ﴿ **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ قال : ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه ، قال : فلما[٥] رأوا ما أعطى اللَّه آدم من العلم أقرّوا له بالفضل .

وقال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس ، وهو أن معنى قوله تعالى ﴿ **وأعلم ما تبدون** ﴾ وأعلم - مع علمي غيب السموات والأرض - ما تظهرونه[٦] بألسنتكم ﴿ **وما كنتم [تكتمون** ﴾ تخفونه][٧] في أنفسكم ، فلا يخفى عليَّ شيء ، سواء عندي سرائركم وعلانيتكم .

والذي أظهروه بألسنتهم قولهم : أتجعل فيها من يفسد فيها ، والذي كانوا يكتمونه[٨] ما كان منطويا عليه إبليس من الخلاف على اللَّه في أوامره[٩] ، والتكبر عن طاعته .

قال : وصح ذلك كما تقول العرب : قُتِل الجيش وهُزموا ، وإنما قتل الواحد أو[١٠] البعض ، وهزم الواحد أو[١١] البعض ، فيخرج الخبر عن المهزوم منه و[١٢] المقتول مخرج الخبر عن جميعهم ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ ذُكِر أن الذي نادى إنما كان واحدًا من بني تميم ، قال : وكذلك قوله : ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ .

---

(٢٥٧) - تفسير ابن جرير ٦٧٧ - (٤٩٧/١) . وسنده صحيح .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : ولما .
[٦] - في ت : تظهرون .
[٧] - في ت : تخفون .
[٨] - في ت : « يكتمون » .
[٩] - في ز : أمره .
[١٠] - في ز : و .
[١١] - في ز : و .
[١٢] - في ز ، خ : « أو » .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وهذه كرامة عظيمة من اللَّه تعالى لآدم، امتن بها على ذريته، حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وقد دل على ذلك أحاديث أيضًا كثيرة، منها حديث الشفاعة المتقدم، وحديث موسى - عليه السلام - «**رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فلما اجتمع به قال: أنت آدم الذي خلقه اللَّه [١] بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ...**»(٢٥٨). قال - وذكر الحديث كما سيأتي [إن شاء اللَّه][٢].

وقال ابن جرير(٢٥٩): حدّثنا أبو كريب، حدّثنا عثمان بن سعيد، حدّثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم: الحن، خلقوا من نار السموم، من بين الملائكة، وكان اسمه الحارث، وكان خازنًا من خزان الجنة، قال: وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي، قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، [وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت.

قال: وخلق الإنسان من طين][٣]، فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء[٤]، وقتل بعضهم بعضًا.

قال: فبعث اللَّه إليهم إبليس في جند من الملائكة، وهم هذا الحي الذين[٥] يقال لهم: الحن - فقتلهم إبليس ومن معه، حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه، فقال: قد صنعت شيئًا لم يصنعه أحد.

قال: فاطلع اللَّه على ذلك من قلبه، ولم تطلع[٦] عليه الملائكة الذين كانوا معه، فقال اللَّه تعالى للملائكة الذين كانوا[٧] معه: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بعثتنا عليهم لذلك؟ فقال اللَّه تعالى: ﴿**إني أعلم ما لاتعلمون**﴾. يقول: إني قد اطلعت

(٢٥٨) - رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في القدر، برقم (٤٧٠٢).

(٢٥٩) - تفسير ابن جرير ٦٠٦ - (١/٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٣٦٦)، وأصله متفق عليه كما سيأتي إن شاء اللَّه.

[١] - سقط من.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «الذي».
[٦] - في ز، خ: «يطلع».
[٧] - سقط من ز.

من[١] قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره. قال: ثم أمر بتربة آدم فرفعت، فخلق الله آدم من طين لازب، واللازب اللزج الصلب[٢]، من حمإ مسنون منتن، وإنما كان حمأ مسنونًا بعد التراب، فخلق منه آدم بيده.

قال: فمكث أربعين ليلة جسدًا ملقى، وكان[٣] إبليس يأتيه فيضربه برجله، فيصلصل [أي][٤] فيصوت قال: فهو قول الله تعالى: ﴿**من صلصال كالفخار**﴾ يقول: كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت.

قال: ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل من دبره ويخرج من فِيه، ثم يقول: لست شيئًا للصلصلة، وَلِشَيْءٍ مَا خُلِقْتَ ولئن سُلِّطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطتَ عليَّ لأعصينك[٥].

قال: فلما نفخ الله فيه من روحه، أتت النفخة من قِبل رأسه فجعل لايجري شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه [ما رأى من جسده][٦] فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تعالى: ﴿**وكان[٧] الإنسان عجولًا**﴾ قال: ضَجِرًا[٨] لا صبْرَ له على سراء ولا ضراء.

قال: فلما تمت النفخة في جسده عطس، فقال: «الحمد لله رب العالمين» - بإلهام الله - فقال الله له: «يرحمك الله يا آدم!». قال: ثم قال تعالى: للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات -: اسجدوا لآدم؛ فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر، لما كان حدّث نفسه من الكبر والاغترار.

فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه وأكبر سنًّا وأقوى خلقًا، خلقتني من نار وخلقته من طين. يقول: إن النار أقوى من الطين. قال: فلما أبىٰ إبليس أن يسجد أبلسه الله، أي[٩]: آيسه من الخير كله، وجعله شيطانًا رجيمًا عقُوبة لمعصيته.

ثم علّم آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة، وأرض وسهل، وبحر وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

---

[١] - في ز، خ: «علي».
[٢] - في ز، خ: «الطيب».
[٣] - في خ: «فكان».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «لأعطينك».
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ: «فأعجبه».
[٧] - في ز: وخلق.
[٨] - في خ: «ضجر».
[٩] - سقط من: خ.

ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة يعني: الملائكة الذين كانوا مع إبليس، الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم: ﴿**أنبئوني بأسماء هؤلاء**﴾ أي[١] يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ إن كنتم تعلمون لِم أجعل في الأرض خليفة.

قال: فلما علمت الملائكة موجدة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب، الذي لايعلمه غيره، الذي ليس لهم به علم ﴿**قالوا سبحانك**﴾ تنزيهًا لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره - و[٢] تبنا إليك ﴿**لاعلم لنا إلا ما علمتنا**﴾ تبريًا منهم من علم الغيب، إلا ما علمتنا كما علمت آدم فقال: ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ يقول: أخبرهم بأسمائهم ﴿[**فلما أنبأهم بأسمائهم**][٣] **قال ألم أقل لكم**﴾ أيتها[٤] الملائكة خاصة ﴿**إني أعلم غيب السموات والأرض**﴾ ولا يعلم غيري ﴿**وأعلم ما تبدون**﴾ يقول: ما تظهرون ﴿**وما كنتم تكتمون**﴾ يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية، يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر، يطول مناقشتها، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور.

وقال السدي في تفسيره(٢٦٠)، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي[٥] صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش، فجعل إبليس على مُلك السماء[٦] الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وإنما سموا الجن؛ لأنهم خزان الجنة، وكان إبليس مع مُلكه خازنًا، فوقع في صدره [كبر][٧] وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي على الملائكة.

فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال[٨] الله للملائكة: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ فقالوا[٩]: ربنا؛ وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا.

قالوا: [ربنا] أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: إني أعلم ما لاتعلمون. يعني: من شأن إبليس. فبعث الله[١٠] جبريل إلى الأرض ليأتيه

---

(٢٦٠) - رواه ابن جرير (٦٠٧).

---

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - سقط من: خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «أيها».
[٥] - في خ: «رسول الله».
[٦] - في ز: سماء.
[٧] - سقط من: ز، خ، وهي زيادة من الطبري.
[٨] - في خ: «وقال».
[٩] - في ز، خ: «قالوا».
[١٠] - سقط من: ز، خ.

بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تقبض[١] مني أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: ربِ مني عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل، فعاذت منه فأعاذها[٢]، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فَبَلّ التراب حتى عاد طينًا لازبًا، واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿**إني خالق بشرًا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾ فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه، ليقول له: تتكبر عما عملت بيديّ، ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشرًا، فكان جسدًا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرّت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم فزعًا منه[٣] إبليس، فكان يمّر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة فذلك[٤] حين يقول: ﴿**من صلصال كالفخار**﴾ ويقول: لأمر ما خلقت.

ودخل من فيه فخرج من دبره، وقال للملائكة: لاترهبوا من هذا؛ فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة: قل: الحمد لله، [فقال: الحمد لله][٥]، فقال له الله: «رحمك ربك».

فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل الروح إلى جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿**خُلق الإنسان من عجل**﴾ ﴿**فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين**﴾ ﴿**أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾.

قال الله له: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقتُ بيدي؟ قال: أنا خير منه، لم أكن لأسجد لبشر[٦] خلقته من طين.

قال الله له: ﴿**فاهبط[٧] منها فما يكون لك**﴾ يعني ما ينبغي لك ﴿**أن تتكبر فيها فاخرج[٨] إنك من الصاغرين**﴾ والصغار هو الذل.

---

[١] - في تفسير الطبري: تنقص.
[٢] - في ز، خ: «فعاذها».
[٣] - زيادة في: خ.
[٤] - في ز، خ: «بذلك».
[٥] - زيادة من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «لمن».
[٧] - في : اخرج.
[٨] - في ز، خ: «اخرج».

قال: ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ثم عرض الخلق على الملائكة ﴿ **فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين** ﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا له[١] : ﴿ **سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ قال الله: ﴿ **يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾.

قال: قولهم: ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ فهذا الذي أبدوا ﴿ [**وما كنتم**][٢] **تكتمون** ﴾ يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر.

فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السّديّ، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج[٣] ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم. والحاكم يروي في مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء، ويقول: على شرط البخاري(٢٦١).

والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه - وإن لم يكن من عنصرهم - إلا أنه كان قد تشبه بهم وترسم[٤] بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر، وسنبسط المسألة إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ **إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾.

ولهذا قال محمد بن إسحاق، عن خلاد(٢٦٢)، عن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادًا، وأكثرهم علمًا، فذلك[٥] دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون حنًّا[٦].

وفي رواية عن خلاد، عن عطاء، عن طاوس - أو مجاهد - عن ابن عباس، أو غيره، بنحوه(٢٦٣).

---

(٢٦١) - كذا قال الحافظ. ولم أقف على قول الحاكم: «على شرط البخاري»، وإنما يقول: «على شرط مسلم»، والله أعلم. والصواب - والله أعلم - أن الإسناد ليس على شرط واحدٍ منهما.

(٢٦٢) - رواه ابن جرير ٦٨٦ - (١/٥٠٢). وخلاد هو ابن عبد الرحمن، ثقة. ولكن السند إلى ابن إسحاق ضعيف.

(٢٦٣) - رواه ابن جرير ٦٨٧ - (١/٥٠٧). وإسناده كالذي قبله.

---

[١] - زيادة من ز.

[٢] - في ز: وأعلم ما.

[٣] - في ز، خ: «مدرجًا».

[٤] - في ت: «توسم».

[٥] - في ز: فلذلك.

[٦] - في ز، خ: «جنًّا».

وقال ابن أبي حاتم(٢٦٤) : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد - يعني ابن العوّام - عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل ، وكان من أشراف[١] الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة ، ثم أبلس[٢] بعد .

وقال سُنَيد[٣] ، عن حجاج، عن ابن جريج (٢٦٥) ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنًا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان على[٤] الأرض .

وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس ، سواء(٢٦٦) .

وقال صالح مولى التَّوأمة[٥] (٢٦٧) عن ابن عباس : إن من الملائكة قَبيلًا يقال لهم : الجن ، وكان[٦] إبليس منهم ، وكان [يسوس][٧] مابين السماء والأرض ، فعصى ، فمسخه اللّه شيطانًا رجيمًا . رواه ابن جرير .

وقال قتادة ، عن سعيد بن المسيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا(٢٦٨) .

وقال ابن جرير(٢٦٩) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عدي[٨] بن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس .

وهذا إسناد صحيح عن الحسن . وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء .

---

(٢٦٤) - **رجال إسناده ثقات** ، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٦٥ - (١٢٢/١) .

(٢٦٥) - **منقطع** ، ابن جريج لم يسمع من ابن عباس . والأثر رواه ابن جرير ٦٨٩ - (٥٠٣/١) .

(٢٦٦) - **منقطع** ، الضحاك لم يسمع من ابن عباس ، وهو عند ابن جرير (٦٨٥) .

(٢٦٧) - ابن جرير (٦٩٠ ، ٧٠٠) وصالح مولى التوأمة : صدوق ، اختلط ، وروى أثره هذا ابن كثير معلقًا ؛ فلم نعرف الراوي عنه ليتبين لنا هل روى عنه قبل الاختلاط أم بعده ؛ إلا أن ابن جرير رواه ٦٩٠ - (٥٠٤/١) من حديث ابن جريج ، عن صالح ، به . وابن جريج ممن روى عنه قبل الاختلاط . ورواه من طريق شريك بن أبي نمر برقم ٧٠٠ - (٥٠٧/١) .

(٢٦٨) - رواه ابن جرير ٦٩٢ - (٥٠٤/١) .

(٢٦٩) - رواه ابن جرير ٦٩٦ - (٥٠٦/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « أشرف » .
[٢] - في خ : « إبليس » .
[٣] - في خ : « سفيان » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « التومة » .
[٦] - في ز : فكان .
[٧] - في ت : « يوسوس » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وقال شهر بن حوشب : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء . رواه ابن جرير .

وقال سنيد بن داود(٢٧٠) : حدثنا هشيم ، أنبأنا عبد الرحمن بن يحيىٰ ، عن موسى بن نمير ، وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد بن مسعود قال : كانت الملائكة تقاتل الجن ، فسبي إبليس وكان صغيرًا ، فكان مع الملائكة ، يتعبد[١] معها ، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا[٢] ، فأبى إبليس فلذلك قال تعالى : ﴿**إلا إبليس كان من الجن**﴾ .

وقال ابن جرير(٢٧١) : حدثنا محمد بن سنان القزاز ، حدثنا أبو عاصم ، عن شريك ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إن اللّه خلق خلقًا فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا : لانفعل . فبعث اللّه عليهم نارًا فأحرقتهم[٣] . ثم خلق خلقًا آخر فقال : ﴿**إني خالق بشرًا من طين**﴾ اسجدوا لأدم . قال : فأبوا . فبعث اللّه عليهم نارًا فأحرقتهم . ثم خلق هؤلاء ، فقال : اسجدوا لآدم . قالوا : نعم . وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم .

وهذا غريب ولا يكاد يصح إسناده ، فإن فيه رجلًا مبهمًا ومثله لايحتج به ، واللّه أعلم .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ فكانت الطاعة للّه ، والسجدة لآدم أكرم الله آدم بها[٤] أن أسجد له ملائكته .

وقال في قوله تعالى : ﴿فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ حسد عدو اللّه إبليس آدم عليه السلام ، على ما أعطاه اللّه من الكرامة ، وقال : أنا ناري وهذا طيني . وكان بدء الذنوب الكبر ، استكبر عدو اللّه أن يسجد لآدم عليه السلام .

وقال بعض الناس : كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام ، كما قال تعالى : ﴿**ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال : يا أبت ، هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا**﴾

وقد كان هذا مشروعًا في الأمم الماضية ، ولكنه نسخ في ملتنا . قال معاذ : قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم ، فأنت يا رسول اللّه ؛ أحق أن يسجد لك . فقال : « **لا ، لو كنت آمرًا بشرًا أن يسجد لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها** »(٢٧٢) .

---

(٢٧٠) - رواه ابن جرير ٦٩٩ - (٥٠٧/١) ، وسنده ضعيف .

(٢٧١) - تفسير ابن جرير ٧٠٢ - (٥٠٨/١) ، وسنده ضعيف .

(٢٧٢) - ورد من حديث جماعة من الصحابة منهم معاذ ، وزيد بن أرقم ، وعبد اللّه بن أبي أوفى =

---

[١] - في ز ، خ : « فتعبد » . [٢] - في ز ، خ : « فسجدوا » .

[٣] - في خ : « فحرقهم » ، وفي ز : تحرقهم . [٤] - سقط من : ز ، خ .

ورجحه الرازي وقال بعضهم: بل كانت السجدة لله وآدم قبلة فيها. كما قال تعالى: ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس** ﴾ وفي هذا التنظير نظر، والأظهر أن القول الأول أولى، والسجدة لآدم إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وسلامًا، وهي طاعة لله عز وجل؛ لأنها امتثال لأمره تعالى.

وقد قوّاه الرازي في تفسيره وضعف ما عداه من القولين الآخرين؛ وهما: كونه جُعل قبلة إذ لا يظهر فيه شرف.

والآخر: أن المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض. وهو ضعيف كما قال.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ **فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ حسد عدوّ الله إبليس آدم عليه السلام، على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ، وكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدوّ الله أن يسجد لآدم عليه السلام.

قلت: وقد ثبت في الصحيح «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»(٢٧٣).

= وأبي هريرة، وأنس، وقيس بن سعد، وعائشة، وسلمان، رضي الله عنهم.

فرواه أحمد في المسند ٢٢٠٨٢، ٢٢٠٨٣ - (٥/٢٢٧) من حديث الأعمش، عن أبي ظبيان، عن معاذ ابن جبل، ومن حديث الأعمش، قال: سمعت أبا ظبيان يحدث، عن رجل من الأنصار، عن معاذ بن جبل فذكره، وأبو ظبيان لم يلق معاذًا ولا أدركه، قاله ابن حزم، كما في التهذيب، وإسناده الآخر فيه مجهول. وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧٤، ١٧٥رقم: ٣٧٣) من حديث أبي ظبيان، عن معاذ. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩) وقال: «رواه البزار بتمامه، وأحمد باختصار، ورجاله رجال الصحيح، وكذلك طريق من طرق أحمد، وروى الطبراني بعضه».

ورواه الترمذي (١١٥٩) من حديث أبي هريرة، وكذا ابن حبان (١٢٩١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩١).

ورواه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٢٧٩/رقم: ١٤٦٨) من حديث صدقة بن عبد الله، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن القاسم الشيباني، وهو ابن عوف، عن زيد بن أرقم؛ قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، معاذًا إلى الشام ... فذكر الحديث. وأورده الهيثمي (٤/٣١٠) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح؛ خلا صدقة بن عبد الله السمين، وثقه أبو حاتم وجماعة، وضعفه البخاري وجماعة. اهـ.

وأخرجه أحمد ١٩٤٦١ - (٤/٣٨١)، وابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: حق الزوج على المرأة (١٨٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٧/٢٩٢)، وصححه ابن حبان (٩/٤١٧١) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وإسناده حسن. وانظر الإرواء (٣/٥٤ - ٥٨).

(٢٧٣) - رواه مسلم في الإيمان برقم ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩ - (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس.

وقال ابن أبي حاتم(٢٧٤) حدثنا أبو[١] سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، حدثنا صالح بن حيان، حدثنا عبد الله بن بريدة: قوله تعالى: ﴿وكان من الكافرين﴾ من الذين أبوا، فأحرقتهم النار.

وقال أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿وكان من الكافرين﴾ يعني: من العاصين.

وقال السدي: ﴿وكان من الكافرين﴾ الذين لم يخلقهم الله يومئذ[٢] يكونون بعد.

وقال محمد بن كعب القرظي: ابتدأ الله خلق إبليس على الكفر والضلالة، وعمل بعمل الملائكة، فصيره الله إلى ما [أبتدأه] عليه خلقه من الكفر، قال الله تعالى: ﴿وكان من الكافرين﴾.

[وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم﴾ فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم بها أن أسْجَدَ له ملائكته.

قال بعض المعربين: وكان من الكافرين، أي: وصار من الكافرين بسبب امتناعه، كما قال: ﴿فكان من المغرقين﴾ وقال: ﴿فتكونا من الظالمين﴾ وقال الشاعر:

بتيهاء قفرٍ والمطيُّ كأنها قطا الحزن قد كانت فراخًا بيوضها

أي قد صارت.

وقال ابن فورك: تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين.

ورجحه القرطبي وذكر هاهنا مسألة فقال: قال علماؤنا: من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق العادات فليس ذلك دالًا على ولايته خلافًا لبعض الصوفية والرافضة. هذا لفظه.

ثم استدل على ما قال بأنا لا نقطع بهذا الذي جرى الخارق على يديه أنه يوافي الله بالإيمان وهو لا يقطع لنفسه لذلك، يعني: والولي الذي يقطع له بذلك الأمر.

---

(٢٧٤) - ضعيف، صالح بن حيان: قال البخاري: فيه نظر، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وضعفه يحيى ابن معين (التاريخ ٧٥/٢/٢) (الجرح ٣٩٨/٤) والأثر رواه ابن أبي حاتم ٣٧٠ - (١٢٣/١).

---

[١] - في ز: ابن. [٢] - مكانها بياض في: ز، خ.

قلت : وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يد غير الولي ، بل قد يكون على يد الفاجر والكافر أيضًا بما ثبت عن ابن صياد أنه قال : هو الدخ حين خبأ له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ﴿ **فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين** ﴾(٢٧٥) . وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب حتى ضربه عبد اللّه بن عمر ، وبما ثبتت به الأحاديث عن الدّجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة ؛ من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ؛ وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب ؛ وأن يقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، إلى غير ذلك من الأمور المهولة .

وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي : قلت للشافعي : كان الليث بن سعد يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء [ ][١] فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .

فقال الشافعي : قصر الليث - رحمه اللّه - بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .

وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلماء هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الأرض أو عام بملائكة السموات والأرض ؟ وقد رجح كلًّا من القولين طائفة ، وظاهر الآية الكريمة العموم ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس** ﴾ فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم ، واللّه أعلم][٢] .

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

يقول اللّه تعالى إخبارًا عما أكرم به آدم : بعد أن أمر الملائكة بالسجود له ، فسجدوا إلا إبليس : إنه أباحه الجنة يسكن منها حيث يشاء ، ويأكل منها ما شاء ، رغدًا ، أي : هنيئًا واسعًا طيبًا .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه ، من حديث محمد بن عيسى الدامغاني : حدّثنا سلمة بن الفضل ، عن ميكائيل ، عن ليث ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : قلت : يا رسول اللّه ؛ أرأيت آدم أنبيًا كان ؟ قال : « **نعم نبيًا رسولًا** ، [**كلمه اللّه قِبلًا**] » [**يعني عيانًا** . **فقال**][٣] : ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾(٢٧٦) .

(٢٧٥) - رواه البخاري (٢١٨/٣ الفتح) ومسلم ٥٦٠ ، ٥٦١ - (١٠) .

(٢٧٦) - ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠/١) من طريق أبي عمر الشامي ، عن عبيد الخشخاش ،

[١] - في ر : ويطير في الهواء .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم، أهي في السماء أم[١] في الأرض ؟ والأكثرون على الأول، [وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض][٢] ، وسيأتي تقرير ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى، وسياق الآية يقتضي أن حوّاء خلقت قبل دخول آدم الجنة .

وقد صرح بذلك محمد بن إسحاق حيث قال(٢٧٧) : لما فرغ الله من معاتبة إبليس، أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها فقال : ﴿ **يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ قال : ثم[٣] ألقيت السِّنَة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب - من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن ابن عباس وغيره - ثم أخذ ضلعًا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه لحمًا، وآدم نائم لم يهُب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حوّاء، فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كُشِف عنه السنة وهبَّ من نومه، رآها إلى جنبه، فقال : - فيما يزعمون والله أعلم - « لحمي ودمي وروحي[٤] » . فسكن[٥] إليها، فلما زوّجه الله وجعل له سكنًا من نفسه قال له قِبَلًا[٦] : ﴿ **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ .

ويقال : إن خلق حوّاء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدي في خبر[٧] ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة(٢٧٨) : أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحْشًا ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها : ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إليّ . قالت له الملائكة : - ينظرون ما بلغ من علمه - ما اسمها[٨] يا آدم ؟ قال : حوّاء، قالوا[٩] : ولم [سميت][١٠] حوّاء ؟ قال : إنها خلقت من شيء

عن أبي ذر بنحوه، ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (١٠١٦) من طريق جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن أبي ذر بنحوه، ورواه أحمد في المسند ٢٣٣٨٩ - (٢٦٥/٥) من طريق علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعًا بنحوه .

ورواه الطبراني في الأوسط (٤٢٥٩) (٧٣٣٥) ، وقال عقب الأول : لم يروه عن إبراهيم إلا ليث، ولا عن ليث إلا ميكال، وهو شيخ كوفي، ولا نعلمه أسند حديثاً غير هذا . وزاد عقب الثاني : ولا عن ميكال إلا سلمة بن الفضل .

(٢٧٧) - ابن جرير برقم (٧١١) .

(٢٧٨) - ابن جرير برقم (٧١٠) .

---

[١] - في ز : أو .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في التفسير : زوجتي .
[٥] - في خ : « يسكن » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في : ز، خ « تفسيره » .
[٨] - في ز : اسمه .
[٩] - في ز، خ : « قال » .
[١٠] - سقط من : ز، خ .

حي(٢٧٩) . قال الله : ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما﴾ .

وأمّا قوله تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ فهو اختبار من الله تعالى وامتحان لآدم . وقد اختلف في هذه الشجرة ، ما هي ؟ فقال السدي : عمن حدّثه ، عن ابن عباس(٢٨٠) : الشجرة التي نُهي عنها آدم - عليه السلام - هي الكَرْم . وكذا قال سعيد بن جبير ، والسدي ، والشعبي ، وجَعْدة بن هُبَيرة ، ومحمد بن قيس .

وقال السدي أيضًا في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس وعن مرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ هي الكرم .

وتزعم يهود أنها الحنطة .

وقال ابن جرير وابن أبي حاتم(٢٨١) : حدّثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، حدّثنا أبو يحيىٰ الحماني[١] ، حدّثنا النضر أبو عمر الخزّاز[٢] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الشجرة التي نُهي عنها آدم [- عليه السلام -] هي السنبلة .

وقال عبد الرزاق(٢٨٢) : أنبأنا[٣] ابن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : هي السنبلة .

وقال : محمد بن إسحاق عن رجل من أهل العلم ، [ ][٤] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : هي البر .

وقال ابن جرير(٢٨٣) : وحدّثني المثنى بن إبراهيم ، حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدّثنا القاسم ، حدّثني رجل من بني تميم ، أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد[٥] يسأله[٦] عن الشجرة التي أكل

---

(٢٧٩) - ابن منده في التوحيد برقم (٨١) .

(٢٨٠) - ابن جرير برقم (٧٣٠) .

(٢٨١) - **ضعيف جدًا** ، النضر بن عبد الرحمن أبو عمر : قال البخاري : منكر الحديث . وأبو يحيى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن مختلف فيه . والحديث عند ابن أبي حاتم ٣٨١ - (١٢٦/١) . وابن جرير ٧١٨ - (٥١٦/١ - ٥١٧) .

(٢٨٢) - رواه ابن جرير بإسناده إلى عبد الرزاق برقم ٧٢٥ - (٥١٨/١) . والحسن بن عمارة : ضعيف بل متروك .

(٢٨٣) - تفسير ابن جرير ٧٢٣ - (٥١٧/١) . وإسناده ضعيف ؛ لجهالة الرجل من بني تميم .

---

[١] - في خ : « الجماني » .

[٢] - في ز ، خ : « الخراز » .

[٣] - في ز ، خ : « حدثنا » .

[٤] - في ت ، ر : [عن حجاج] وقد سقط من : ز ، خ ، وتفسير الطبري .

[٥] - في ز : مجلد .

[٦] - في ز : فسأله .

منها آدم والشجرة التي تاب عندها آدم . فكتب إليه [أبو الجلد][١] : سألتني عن الشجرة التي نُهِيَ عنها آدم وهي السنبلة ، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتونة .

وكذلك فسره الحسن البصري ، ووهب بن منبه ، وعطية العوفي ، وأبو مالك ومحارب بن دثار ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل اليمن ، عن وهب بن منبه أنه كان يقول : هي[٢] البر ، ولكن الحبة منها في الجنة ككلَى البقر ، و[٣] ألين من الزبد وأحلى من العسل .

وقال سفيان الثوري : عن حصين ، عن أبي مالك : ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة** ﴾ قال : النخلة .

وقال ابن جرير : عن مجاهد : ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة** ﴾ قال : التينة[٤] ، وبه قال قتادة وابن جريج .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، كانت الشجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث .

وقال عبد الرزاق(٢٨٤) : حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مُهْرِب قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لما أسكن اللّٰه آدم وزوجته الجنة ونهاه عن أكل الشجرة ، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في[٥] بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهي الثمرة[٦] التي نهى اللّٰه عنها آدم وزوجته .

فهذه أقوال ستة في تعيين[٧] هذه الشجرة .

قال الإمام العلامة أبو جعفر بن جرير (٢٨٥) – رحمه اللّٰه – : والصواب في ذلك أن يقال : إنّ اللّٰه جلَّ ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة ، دون سائر أشجارها فأكلا منها ، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ؛ لأنّ اللّٰه لم يضع لعباده دليلًا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة .

---

(٢٨٤) – رواه ابن جرير بإسناده إلى عبد الرزاق ٧٤٢ – (١/٥٢٥) .
(٢٨٥) – تفسير ابن جرير (١/٥٢٠، ٥٢١) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] – في ز : من .
[٣] – سقط من ز .
[٤] – في ز ، خ : « تينة » .
[٥] – في ت : « من » .
[٦] – في ت : « الشجرة » .
[٧] – في ت : « تفسير » .

وقد قيل: كانت شجرة البر وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين. وجائز أن تكون[١] واحدة منها، وذلك عِلْمٌ إذا عُلِمَ لم ينفع العالمَ به علمُه، وإن جَهِلَهُ جاهلٌ لم يضره جهله به، والله أعلم.

[وكذلك رجح الإبهام الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب][٢].

وقوله تعالى: ﴿**فأزلهما الشيطان عنها**﴾. يصح أن يكون الضمير في قوله: ﴿**عنها**﴾ عائدًا إلى الجنة، فيكون معنى الكلام كما قرأ[٣] عاصم بن بَهْدلة، وهو ابن أبي النَّجُود: فأزلهما، أي: فنحاهما، ويصح أن يكون عائدًا على أقرب المذكورين، وهو الشجرة، فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة: «فأزلهما»، أي: من قَبِيلِ الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿**فأزلهما الشيطان عنها**﴾ أي: بسببها، كما قال تعالى: ﴿**يؤفك عنه من أفك**﴾ أي: يصرف بسببه من هو مأفوك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**فأخرجهما مما كانا فيه**﴾ أي: من اللباس والمنزل الرحب والرزق الهنيء والراحة.

﴿**وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**﴾. أي[٤]: قرار وأرزاق وآجال ﴿**إلى حين**﴾ أي: إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة.

وقد ذكر المفسرون من السلف كالسُّدّي بأسانيده، وأبي العالية، ووهب بن منبه وغيرهم، هاهنا أخبارًا إسرائيلية عن قصة الحَيَّة[٥] وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس إلى[٦] الجنة ووسوسته، وسنبسط ذلك، إن شاء الله، في سورة الأعراف، فهناك القصة أبسط منها هاهنا، والله الموفق.

وقد قال ابن أبي حاتم هاهنا (٢٨٦): حدثنا علي بن الحسن[٧] بن إشكاب، حدثنا علي بن

---

(٢٨٦) - علي بن عاصم: صدوق يخطئ ويصر، وقد تابعه يونس بن محمد، عند أحمد في الزهد، والحسن لم يسمع من أبي بن كعب - وقد رواه عن عُتي، عن أبي - كما عند الحاكم والبيهقي، وقتادة مدلس، وقد عنعن؛ إلا أنه صرح عند أحمد في الزهد بالتحديث، والحديث في تفسير ابن أبي حاتم ٣٩٢- (١٢٩/١)، ورواه أحمد في الزهد ص ٤٨، من حديث يونس بن محمد المؤدب، ثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا الحسن، عن أبي مرفوعًا، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣١/١)، والحاكم في المستدرك (٢٦٢/٢)، والبيهقي في البعث والنشور ص (١٧٥) من طريق عبد الوهاب بن عطاء، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عتي، عن أبي مرفوعًا. وصححه الحاكم مع اختلاف في الألفاظ. وقد رواه الحاكم مختصرًا موقوفًا على أبي (٥٤٤/٢).

---

[١] - في خ: «يكون».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في خ: «قال».
[٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «الجنة».
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في خ، وابن أبي حاتم: «الحسين».

عاصم ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إن الله خلق آدم رجلا طُوَالا ، كثير شعر الرأس ، كأنه نخلة سَحُوق ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأوّل ما بدا منه عورته ، فلما نظر إلى عورته جعل يَشْتَدُّ في الجنة فأخذت شَعْرَه شجرةٌ ، فنازعها ، فناداه الرحمن يا آدم ؛ مني تَفِرُّ ؟ فلما سمع كلام الرحمن ، قال : يا رب ؛ لا ، ولكن استحياء** » .

قال (٢٨٧) : وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم القرشي[١] سنة أربع وخمسين ومائتين ، حدثنا سليمان[٢] بن منصور بن عمار ، حدثنا علي بن عاصم ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي ابن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لما ذاق آدم من الشجرة فرّ**[٣] **هاربًا ، فتعلقت شجرة بشعره ، فنودي يا آدم ؛ أفرارًا مني ؟ قال بل حياء منك . قال : يا آدم ؛ اخرج من جواري ؛ فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني ، ولو خلقت مثلك ملء الأرض خلقًا ثم عصوني لأسكنتهم دار العاصين** » .

هذا حديث غريب ، وفيه انقطاع ، بل إعضال بين قتادة وأبي بن كعب ، رضي الله عنه[٤] !

وقال الحاكم (٢٨٨) : حدّثنا[٥] أبو بكر بن بَالُويَه[٦] عن محمد بن أحمد بن النضر ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عمار بن [ ][٧] معاوية البَجَلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .

ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

[وقال عبد بن حميد في تفسيره . حدّثنا روح ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لبث آدم في الجنة ساعة من نهار ، تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا][٨] .

وقال أبو جعفر الرازي (٢٨٩) : عن الربيع بن أنس قال : خرج[٩] آدم من الجنة للساعة التاسعة

---

(٢٨٧) - تفسير ابن أبي حاتم ٣٩٣ - (١٣٠/١) .

(٢٨٨) - رواه الحاكم (٥٤٢/٢) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قلت : عمار بن معاوية لم يرو له البخاري . وقال أحمد : لم يسمع من سعيد بن جبير شيئًا (العلائي ص ٢٤١) . فالأثر منقطع .

(٢٨٩) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى أبي جعفر الرازي برقم ٣٩٤ - (١٣١/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « القونسى » . وعند ابن أبي حاتم : القومسي .
[٢] - عند ابن أبي حاتم : سليم .
[٣] - في ز : مر .
[٤] - في ت : « عنهما » .
[٥] - في ز ، خ : « أخبرنا » .
[٦] - في خ : « حالويه » .
[٧] - في ز ، خ : أبي .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في خ : « أخرج » .

أو العاشرة ، فأخرج آدم معه غصنًا من شجر الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة ، وهو الإكليل من ورق الجنة .

وقال السدي : قال اللَّه تعالى : ﴿اهبطوا منها جميعًا﴾ فهبطوا ونزل[١] آدم بالهند ، [ونزل معه الحجر الأسود ، وقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند][٢] فنبتت شجرة[٣] الطيب ، فإنما أصل ما يجاء به من [الطيب من الهند][٤] من قبضة الورق التي[٥] هبط بها آدم ، وإنما قبضها [آدم حين أخرج من الجنة][٦] أسفًا على الجنة حين أخرج منها .

وقال عمران بن عيينة(٢٩٠) عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أهبط آدم من الجنة بدَحْناء أرض بالهند[٧] .

وقال ابن أبي حاتم(٢٩١) : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدّثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس ؛ قال : أهبط آدم – عليه السلام – إلى أرض يقال لها دَحْناء ، بين مكة والطائف .

وعن الحسن البصري قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال ، وأهبطت الحية بأصبهان . رواه ابن أبي حاتم(٢٩٢) .

وقال [أبو محمد][٨] بن أبي حاتم(٢٩٣) : حدّثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدّثنا محمد ابن سعيد بن سابق ، حدّثنا عمرو بن أبي قيس ، عن الزبير[٩] بن عدي ، عن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة .

---

(٢٩٠) – رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى عمران بن عيينة برقم ٣٩٧ – (١٣١/١) ، ورواه الحاكم (٥٤٢/٢) من حديث عمرو بن علي ، عن عمران بن عيينة ، به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وإسناده ضعيف ، عمران بن عيينة : قال أبو حاتم : يأتي بالمناكير ، ووصفه العقيلي بالوهم . وعطاء بن السائب : اختلط .

(٢٩١) – رواه ابن أبي حاتم ٣٩٨ – (١٣٢/١) . وجرير سمع من عطاء بعد الاختلاط .

(٢٩٢) – رواه ابن أبي حاتم ٣٩٩ – (١٣٢/١) ، وفي إسناده عباد بن ميسرة : لين الحديث . وصدقة بن عمرو الغساني ، وهو مجهول .

(٢٩٣) – تفسير ابن أبي حاتم : ٣٩٦ – (١٣١/١) .

---

[١] – في ز : فنزل .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] – في ز ، خ : « شجر » .
[٤] – في ز ، خ : « من الهند من الطيب » .
[٥] – في ز ، خ : « الذي » .
[٦] – زيادة من : خ .
[٧] – في ت : « الهند » .
[٨] – سقط من : ز ، خ .
[٩] – سقط من ز ، وفي خ : « ابن الزبير » .

وقال رجاء بن أبي سلمة(٢٩٤) : أهبط آدم - عليه السلام - يداه على ركبتيه مطأطئًا رأسه، وأهبط إبليس مشبكًا[١] بين أصابعه رافعًا رأسه إلى السماء.

قال عبد الرزاق(٢٩٥) : قال معمر : أخبرني عوف عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى قال : إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض، علمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير.

وقال الزهري : عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها». رواه مسلم والنسائي(٢٩٦).

[وقال الرازي : اعلم أن في هذه الآية تهديدًا عظيمًا عن كل المعاصي من وجوه: (الأوّل) : إنما يتصوّر ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة، كان على وجل شديد من المعاصي، قال الشاعر :

يا ناظرا يرنو بعينَيْ راقدٍ ومشاهدًا للأمر غير مشاهدِ
تَصِلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجي دَرَجَ الجِنَانِ ونيل فوز العابدِ
أنسيتَ ربَّك حين أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذنب واحدِ

قال ابن القاسم :

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

قال الرازي : عن فتح الموصلي أنه قال : كنا قومًا من أهل الجنة، فسبانا إبليس إلى الدنيا، فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها.

فإن قيل : فإذا كانت جنة آدم التي أخرج منها في السماء - كما يقول الجمهور من العلماء -

(٢٩٤) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده ٣٩٥ - (١٣١/١)، وفي إسناده ضمرة، وهو ابن ربيعة : ذكر الساجي أنه يهم، ويروي أحاديث مناكير.

(٢٩٥) - تفسير عبد الرزاق (٤٣/١ - ٤٤)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (٤٢١)، ورواه البزار (٢٢٤٥ كشف الأستار)، وابن جرير (٥٣٧)، والحاكم (٥٤٣/٢)، من طرقٍ عن قسامة بن زهير، فذكره عن أبي موسى موقوفاً.

ورواه البزار (٢٣٤٤ كشف) مرفوعاً، وقال : لا نعلم رفعه إلا ربعي.

(٢٩٦) - رواه مسلم في كتاب الجمعة، برقم ١٧ - (٨٥٤)، والنسائي في كتاب الجمعة، باب : ذكر فضل يوم الجمعة برقم ١٣٧٣ - (٨٩/٣).

[١] - في ز، خ : «مشتبكًا».

فكيف تمكن إبليس من دخول الجنة وقد طرد من هنالك طردًا قدريًا، والقدري لا يخالف ولا يمانع ؟ فالجواب : أن هذا بعينه استدل به من يقول : إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء .

كما قد بسطنا هذا في أول كتابنا البداية والنهاية ، وأجاب الجمهور بأجوبة : أحدها : أنه منع من دخول الجنة مكرمًا ، فأما على وجه السرقة والإهانة فلا يمتنع ؛ ولهذا قال بعضهم - كما جاء في التوراة : إنه دخل في فم الحية إلى الجنة . وقد قال بعضهم : يحتمل أنه وسوس لهما وهو خارج باب الجنة .

وقال بعضهم : يحتمل أنه وسوس لهما وهو في الأرض وهما في السماء ، ذكرها الزمخشري وغيره . وقد أورد القرطبي(٢٩٧) هاهنا أحاديث في الحيات وقتلهن وبيان حكم ذلك فأجاد وأفاد][١] .

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣٧)

قيل : إن هذه الكلمات[٢] مفسرة بقوله تعالى : **﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾** .

وروي هذا[٣] عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد بن معدان ، وعطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال أبو إسحاق السبيعي(٢٩٨) عن رجل من بني تميم ، قال : أتيت ابن عباس فسألته قلت[٤] : ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه ؟ قال : علم شأن الحج .

وقال سفيان الثوري(٢٩٩) : عن عبد[٥] العزيز بن رُفيع ، أخبرني من سمع عبيد بن عمير - وفي رواية أخبرني مجاهد ، عن عبيد بن عمير - أنه قال : قال آدم : يا رب ؛ خطيئتي التي أخطأتُ شيءٌ كتبته عليَّ قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعتُه من قِبَلِ نفسي ؟ قال « بل شيء[٦] كتبتُه عليك

(٢٩٧) - تفسير القرطبي (١/٣١٣-٣١٧) .
(٢٩٨) - ابن أبي حاتم برقم (٤١٢) .
(٢٩٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٤١٣) ، وابن جرير برقم (٧٨١ ، ٧٨٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « الآيات » .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

قبل أن أخلقك » قال: فكما كتبته علي فاغفر[١] لي . قال فذلك قوله تعالى : **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات [فتاب عليه][٢] ﴾** .

وقال السدّي(٣٠٠) : عمن حدثه ، عن ابن عباس : **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾** قال: قال آدم - عليه السلام - : يا رب ؛ ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلىٰ . قال[٣] : [ونفخت في من روحك ؟ قيل له : بلى][٤] وعطستُ ، فقلتَ : يرحمك اللّه ، وسبقت رحمتُكَ غضَبَك ؟ قيلَ له : بلىٰ . وكتبت عليَّ أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلىٰ . قال : أرأيت[٥] إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم .

وهكذا[٦] رواه العوفي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن مَعْبَد ، عن ابن عباس ، بنحوه .

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سعيد[٧] بن جبير ، عن ابن عباس ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٣٠١) . وهكذا فسره السدّي وعطية العَوْفي .

وقد رَوى ابن أبي حاتم(٣٠٢) هاهنا حديثًا شبيهًا بهذا فقال : حدثنا علي بن الحسين[٨] ابن إشكاب ، حدثنا علي بن عاصم ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي ابن كعب قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « **قال آدم - عليه السلام - : أرأيت يا رب ؛ إن تبتُ ورجعتُ أعائدي إلى الجنة ؟ قال : نعم . فذلك قوله : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾** » . وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفيه انقطاع .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات [فتاب عليه][٩] ﴾** . قال : إن آدم لما أصاب الخطيئة قال : يا رب ؛ أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ قال اللّه : « إذًا أُرجعك إلى الجنة » . فهي من الكلمات ، ومن الكلمات أيضًا : **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** .

---

(٣٠٠) - ابن أبي حاتم برقم (٤١١) .

(٣٠١) - المستدرك (٢/٥٤٥) ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ورواه ابن جرير برقم (٧٧٥) .

(٣٠٢) - تفسير ابن حاتم ٤١٠ - (١/١٣٥) ، والحسن لم يسمع من أبيٍّ فهو منقطع ، وهو الذي أشار إليه ابن كثير .

---

[١] - في ز ، خ : « فاغفره » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكرر في خ .

[٥] - في ز : أفرأيت .

[٦] - في ز ، خ : « كذا » .

[٧] - زيادة من : ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : « الحسن » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال ابن أبي نَجيح: عن مجاهد، أنه كان يقول في قول اللَّه تعالى: ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات [فتاب عليه]**[١] ﴾ قال الكلمات اللَّهُمَّ؛ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب؛ إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللَّهُمَّ؛ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب؛ إني ظلمت نفسي [[فارحمني]][٢] ، إنك خير الراحمين، اللَّهُمَّ لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي][٣] فتب علي، إنك أنت التواب الرحيم.

وقوله تعالى: ﴿ **إنه هو التواب الرحيم** ﴾ أي: إنه يتوب على من تاب إليه وأناب كقوله: ﴿ **ألم يعلموا**[٤] **أن اللَّه هو يقبل التوبة عن عباده** ﴾. وقوله: ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه [ثم يستغفر اللَّه يجد اللَّه غفورًا رحيمًا]**[٥] ﴾. الآية. وقوله: ﴿ **ومن تاب وعمل صالحًا [فإنه يتوب إلى اللَّه متابا]**[٦] ﴾. إلى[٧] غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب؛ ويتوب على من يتوب، وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده، لا إله إلا هو التواب الرحيم.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى مخبرًا عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين[٨] أهبطهم من الجنة -والمراد الذرية- إنه سينزل الكتب، ويبعث الأنبياء والرسل، كما قال أبو العالية: الهُدَى الأنبياء والرسل والبينات[٩] والبيان، وقال مقاتل بن حَيَّان: الهدى محمد صلى اللَّه عليه وسلم، وقال الحسن: الهدى القرآن، وهذان القولان صحيحان، وقول أبي العالية أعَمّ.

﴿ **فمن تَبع هدايَ** ﴾ أي: من أقبل على ما أُنزلتُ به الكتب، وأُرسلتْ به الرسل ﴿ **فلا خوف عليهم** ﴾ أي: فيما يستقبلونه[١٠] من أمر الآخرة ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا، كما قال في سورة طه ﴿ **قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدوّ فإمّا يأتينكم مني هدىً فمن اتَّبع هدايَ فلا يضل ولا يشقى** ﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٢] - في ز: فاغفر لي.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٤] - في خ: «تعلموا».
[٥] - زيادة من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «و».
[٧] - في خ: «حتى».
[٨] - سقط من: خ.
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[١٠] - في ز: يستقبلون.

قال ابن عباس: فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ . كما قال هاهنا: ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ أي مخلدون فيها، لا محيد لهم عنها، ولا محيص.

وقد أورد ابن جرير - رحمه الله - هاهنا حديثًا ساقه من طريقين عن أبي مَسْلَمة سعيد بن يزيد عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد - واسمه سعد بن مالك بن سِنَان الخدري - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا**[١] **يموتون فيها ولا يحيون، و**[٢] **لكن أقوام**[٣] **أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم**[٤] **إماتة، حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة** ».

وقد رواه مسلم من حديث شعبة، عن أبي سلمة، به(٣٠٣) .

[وذكر هذا الإهباط الثاني لما تعلق به ما بعده من المعنى المغاير للأول، وزعم بعضهم أنه تأكيد وتكرير، كما يقال: قم. قم. وقال آخرون: بل الإهباط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض. والصحيح الأول، والله أعلم][٥] .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾

يقول تعالى آمرًا بني إسرائيل بالدخول[٦] في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومُهَيِّجًا لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام، وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله؛ كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا بن الكريم؛ افعل كذا. يا بن الشجاع؛ بارز الأبطال. يا بن العالم؛ اطلب العلم. ونحو ذلك.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾ . فإسرائيل هو يعقوب - عليه السلام - بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي، حدثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر ابن حوشب، قال: حدثني عبد الله بن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه

(٣٠٣) - تفسير ابن جرير ٧٩٧ - (٥٥٢/١)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان برقم ٣٠٦ - (١٨٥) .

[١] - سقط من ز، خ .
[٢] - سقط من: ز، خ .
[٣] - في ز: أقوامًا .
[٤] - في ز: فأماتهم .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ .
[٦] - في خ: « في الدخول » .

وآله وسلم فقال لهم: «هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب ؟» قالوا : اللَّهُمّ ؛ نعم. فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «اللَّهُمَّ ؛ اشهد»(٣٠٤) .

وقال الأعمش : عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير[١] مولى ابن عباس. عن [عبد اللَّه][٢] بن عباس : أن إسرائيل كقولك : عبد اللَّه(٣٠٥) .

وقوله تعالى : ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ قال مجاهد : نعمة اللَّه التي أنعم بها عليهم فيما سمى وفيما سوى ذلك، أن[٣] فجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، ونجاهم[٤] من عبودية آل فرعون .

وقال أبو العالية : نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب .

قلت : وهذا كقول موسى –عليه السلام– لهم : ﴿يا قوم اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم مالم يؤت أحدًا من العالمين﴾. يعني : في زمانهم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد(٣٠٦) ، عن عكرمة –أو سعيد بن جبير– عن ابن عباس، في قوله تعالى : ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ أي : بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه، [وقال تعالى] ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾. قال : بعهدي الذي أخذت في[٥] أعناقكم للنبي محمد صلى اللَّه عليه وسلم إذا[٦] [جاءكم أوف بعهدكم، أي :][٧] أنجز لكم ما وعدتكم[٨] عليه بتصديقه واتباعه، بوضع ما كان عليكم من الإصر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم .

[وقال الحسن البصري : هو قوله تعالى : ﴿ولقد أخذ اللَّه ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا وقال اللَّه إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم اللَّه قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾. الآية .

---

(٣٠٤) – **إسناده حسن**، رواه الطيالسي في حديث طويل برقم ٢٧٣١ ص ٣٥٦ – ٣٥٧ . ورواه أحمد في المسند ٢٤٧١ – (٢٧٣/١) عن حسين، عن عبد الحميد بن بهرام، به .

(٣٠٥) – رواه ابن جرير برقم (٧٩٨) .

(٣٠٦) – مجهول، وهو عند ابن جرير برقم (٨٠١) ، وابن أبي حاتم برقم (٤٣٨) ، وسنده ضعيف .

---

[١] – في ز، خ: «عمه» .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٣] – سقط من: ز، خ .

[٤] – في ز، خ: «وأنجاهم» .

[٥] – في ز: من .

[٦] – في ز، خ: «إذ» .

[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .

[٨] – في خ: «وعدكم» .

وقال آخرون هو الذي أخذ الله عليهم في التوراة، أنه سيبعث من بني إسماعيل نبيًا عظيمًا يطيعه جميع الشعوب، والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم، فمن اتبعه غفر الله له ذنبه، وأدخله الجنة، وجعل له أجرين.

وقد أورد الرازي بشارات كثيرة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم][١] ، وقال أبو العالية ﴿وأوفوا بعهدي﴾ قال: عهده إلى عباده دين[٢] الإسلام أن يتبعوه.

وقال الضحاك(٣٠٧) : عن ابن عباس ﴿أوف بعهدكم﴾ قال: أرضَ[٣] عنكم وأدخلكم الجنة. وكذا قال السدي، والضحاك، وأبو العالية، والربيع بن أنس.

وقوله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾ أي فاخشون، قاله أبو العالية، والسدي، والربيع بن أنس، وقتادة.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾ : أي أنزل بكم ما أنزلت[٤] بمن كان قبلكم من آبائكم من النَّقِمَات التي قد عرفتم من المسخ وغيره.

وهذا انتقال من الترغيب إلى الترهيب، فدعاهم إليه بالرغبة والرهبة، لعلهم يرجعون إلى الحق، واتباع الرسول، صلى الله عليه وسلم، والاتعاظ بالقرآن وزواجره، وامتثال أوامره وتصديق أخباره، والله [يهدي من][٥] يشاء إلى [صراط مستقيم][٦] .

ولهذا قال ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم﴾ يعني به القرآن الذي أنزله على محمد [صلى الله عليه وسلم] النبي الأمي العربي، بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا، مشتملًا على الحق من الله تعالى، مصدقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل.

قال أبو العالية - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم﴾ يقول [يا معشر أهل الكتاب؛ آمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم، يقول][٧] لأنهم يجدون محمدًا صلى الله عليه وسلم مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

وروي عن مجاهد والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك.

(٣٠٧) - رواه ابن جرير برقم (٨٠٩)، وابن أبي حاتم برقم (٤٤١، ٤٤٤)، وسنده ضعيف.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز: دينه.
[٣] - في ز: أرضي.
[٤] - في ز: أنزل.
[٥] - في ز، خ: «الهادي لمن».
[٦] - في ز، خ: «صراطه المستقيم».
[٧] - سقط من ز.

وقوله: ﴿**ولا تكونوا أوّل كافر به**﴾ [قال بعض المعربين: أول فريق كافر به أو نحو ذلك][١] .

قال ابن عباس(٣٠٨) : ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم.

و[٢] قال أبو العالية: يقول ولا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى اللّٰه عليه وسلم.

[يعني من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم بمبعثه][٣] . وكذا قال الحسن والسدي والربيع ابن أنس.

واختار ابن جرير أن الضمير في قوله ﴿**به**﴾ عائد على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله ﴿**بما أنزلت**﴾ .

وكلا القولين صحيح؛ لأنهما متلازمان؛ لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد [صلى اللّٰه عليه وسلم][٤] ومن كفر بمحمد صلى اللّٰه عليه وسلم، فقد كفر بالقرآن.

وأما قوله: ﴿**أول كافر به**﴾ فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير، وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة، فإنّ يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم.

وقوله تعالى: ﴿**ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا**﴾ يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية، كما قال عبد اللّٰه بن المبارك(٣٠٩) : أنبأنا[٥] عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن هارون بن يزيد[٦] قال: سئل الحسن - يعني البصري - عن قوله تعالى: ﴿**ثمنًا قليلًا**﴾ قال: الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها.

وقال ابن لهيعة(٣١٠) : حدّثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿**ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا**﴾ وإن آياته كتابه الذي أنزله[٧] إليهم، وإن الثمن القليل الدنيا

---

(٣٠٨) - ابن جرير برقم (٨١٩)، وابن أبي حاتم برقم (٤٥٠) .
(٣٠٩) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٤٥٦)، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا برقم (٤٩٧) .
(٣١٠) - رواه ابن أبي حاتم بإسنادٍ ضعيف برقم (٤٥٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - زيادة من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - في خ: «أخبرنا».
[٦] - في خ: «شريد».
[٧] - في ز: أنزل.

وشهواتها .

وقال السدي : ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا** ﴾ يقول لا تأخذوا طمعًا[١] قليلًا ولا[٢] تكتموا اسم الله لذلك الطمع وهو الثمن .

وقال أبو جعفر : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ **ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا** ﴾ يقول : لا تأخذوا عليه أجرًا ، قال : وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأوّل : يا بن آدم ؛ عَلِّمْ مجانًا كما عُلِّمْتَ مجانًا .

[**وقيل** : معناه لا تعتاضوا عن البيان والإيضاح ونشر العلم النافع في الناس بالكتمان واللبس ؛ لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة الزائلة عن قريب .

وفي سنن أبي داود ، عن أبي هريرة (٣١١) - رضي الله عنه - قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا (لم يُرَحْ رائحة الجنة)[٣] يوم القيامة** » .

فأمّا تعليم العلم بأجرة ؛ فإن كان قد تعين عليه فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة ، ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله ، فإن لم يحصل له منه شيء وقطعه التعليم عن التكسب فهو كما لم يتعين عليه ، وإذا لم يتعين عليه فإنه يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء . كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد(٣١٢) في قصة اللديغ « **إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله** » .

وقوله في قصة المخطوبة : « **زَوَّجْتُكَهَا بما معك من القرآن** »(٣١٣) .

فأما حديث عبادة بن الصامت أنه علّم رجلًا من أهل الصفة شيئًا من القرآن ، فأهدى له قوسًا ، فسأل عنه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **إن أحببت أن تطوّق بقوس من نار فاقبَلْه** » فتركه .

(٣١١) - رواه أبو داود في كتاب العلم ، باب : في طلب العلم لغير الله برقم (٣٦٦٤) . وابن ماجه في المقدمة برقم (٢٥٢) ، ورواه أحمد (٢/٣٣٨) ، وابن أبي شيبة (٨/٥٤٣) ، وابن حبان (٨٩) ، والحاكم (١/٨٥) ، والعقيلي (٣/٤٦٧) .

(٣١٢) - رواه البخاري في الطب ، باب : الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب برقم (٥٧٣٧) .

(٣١٣) - رواه البخاري في الوكالة ، باب : وكالة المرأة الإمام في النكاح ، برقم (٢٣١٠) و(٥١٤٩) من حديث سهل بن سعد ، رضي الله عنه .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في سنن أبي داود : لم يجد عرف الجنة .

رواه أبو داود(٣١٤)

ورُوي مثله عن أبي بن كعب مرفوعًا(٣١٥)، فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء، منهم أبو عمر بن عبد البر، علي أنه لما علَّمه اللَّه لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب اللَّه بذلك القوس، فأمّا إذا كان من أوّل الأمر على التعليم بالأجرة فإنه يصح كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة، واللَّه أعلم.

وقوله]٫[١] ﴿وإياي فاتقون﴾ قال ابن أبي حاتم(٣١٦): حدثنا أبو عمر الدوري، حدثنا أبو

(٣١٤) - **ضعيف**، رواه أبو داود في البيوع والتجارات، باب: كسب المعلم برقم (٣٤١٦). وابن ماجه في التجارات، باب: الأجرة على تعليم القرآن حديث (٢١٥٧). ورواه الحاكم (٢/ ٤١)، والبيهقي (٦/ ١٢٥) جميعهم من حديث مغيرة بن زياد الموصلي، عن عبادة بن نسي، عن الأسود بن ثعلبة، عن عبادة، به. وقال المنذري: وفي إسناده المغيرة بن زياد - أبو هاشم الموصلي - وقد وثقه وكيع، ويحيى بن معين، وتكلم فيه جماعة، وقال الإمام أحمد: ضعيف الحديث، حدث بأحاديث مناكير، وكل حديث رفعه فهو منكر. ونقل البيهقي عن علي بن المديني قوله: رواه مغيرة بن زياد، عن عبادة بن نسي، عن الأسود بن ثعلبة، عن عبادة بن الصامت، وإسناده كله معروف؛ إلا الأسود بن ثعلبة؛ فإنا لا نحفظ عنه إلا هذا الحديث. قال البيهقي: وقد قيل: عن عبادة بن نسي، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة فذكره. ثم قال: وكذلك رواه أبو المغيرة، عن بشر - وقال: هذا حديث مختلف فيه على عبادة بن نسي كما ترى، وحديث ابن عباس، وأبي سعيد أصح إسنادًا منه.

والأسود بن ثعلبة: ذكره ابن حبان في الثقات، وصحح الحاكم حديثه هذا. وقال ابن عبد البر: حديث معروف عند أهل العلم لأنه روي عن عبادة من وجهين. وقد حفظ عنه ثلاثة أحاديث.

(٣١٥) - رواه ابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب: الأجر على تعليم القرآن (٢١٥٨)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٢٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي مسلم، عن عطية بن قيس، عن أبي بن كعب رضي اللَّه عنه، به، مرفوعًا، قال البيهقي: وهو منقطع.

وفي الزوائد (٢/ ١٦٥): هذا إسناد مضطرب، قاله الذهبي (٢/ ٥٦٧) في ترجمة عبد الرحمن بن سلم. وقال العلائي في المراسيل (٢٣٩): عطية بن قيس، عن أبي بن كعب مرسل. وقال الذهبي أيضًا: ما روى عنه - يعني - عبد الرحمن بن سلم، سوى ثور بن يزيد.

قال ابن التركماني: وعطية هذا تابعي، ذكر صاحب الكمال عن أبي مسهر أنه ولد في عهد النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فعلى هذا روايته عن أبي محمولة على الاتصال. وقد ذكر قاسم بن أصبغ هذا الحديث من جهة أبي إدريس الخولاني، عن أبي، وذكره صاحب الميزان في ترجمة شبابة بن سوار ... ثم قال: مرسل جيد الإسناد. وقال المزي في أطرافه: رواه موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، عن أبي. ورواه محمد بن جحادة، عن رجل يقال له: أبان عن أبي.

قال البيهقي: ورُوي من وجهٍ آخر ضعيف عن أبي الدرداء، ثم ذكر الحديث ثم ذكر عن دحيم أنه ليس له أصل.
قال ابن التركماني: قلت: أخرجه البيهقي هنا بسند جيد فلا أدري ما وجه ضعفه وكونه لا أصل له.

(٣١٦) - رواه ابن أبي حاتم ٤٥٧ - (١/ ١٤٧)، وسنده حسن.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

إسماعيل المؤدب، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية، عن طلق بن حبيب قال: التقوىٰ أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله، والتقوىٰ أن تترك معصية الله [مخافة عذاب الله][١]، على نور من الله [تخاف عقاب الله][٢].

ومعنى قوله: ﴿ وإياي فاتقون ﴾ أنه تعالى يتوعدهم فيما يتعمدونه[٣] من كتمان الحق وإظهار خلافه، ومخالفتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾

يقول تعالى ناهيًا لليهود عما كانوا يتعمدونه[٤] من تلبيس[٥] الحق بالباطل وتمويهه به، وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾. فنهاهم عن الشيئين معًا، وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به؛ ولهذا قال الضحاك: عن ابن عباس(٣١٧): ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ لا[٦] تخلطوا [الحق بالباطل والصدق بالكذب][٧].

وقال أبو العالية: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ يقول: ولا تخلطوا الحق بالباطل، وأدّوا النصيحة لعباد الله من أمّة[٨] محمد - صلى الله عليه وسلم -.

ويروى[٩] عن سعيد بن جبير والربيع بن أنس نحوه.

وقال قتادة ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ [ ][١٠] ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، [وأنتم تعلمون][١١] أنّ دين الله الإسلام، وأنّ اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله.

وروي عن الحسن البصري نحو ذلك.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد(٣١٨)، عن عكرمة أو سعيد بن جبير،

(٣١٧) - ابن جرير برقم (٨٢٣)، وسنده ضعيف.

(٣١٨) - مجهول، وهو عند ابن جرير برقم (٨٣٢)، وابن أبي حاتم برقم (٤٦١).

[١] - زيادة من: ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في ز: يعتمدونه.

[٤] - في ز، خ: «يعتمدونه».

[٥] - في ز، خ: «تلبيسهم».

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

[٨] - في ز، خ: «أمر».

[٩] - في ز: وروي.

[١٠] - في ز، خ: «قال».

[١١] - سقط من ز.

عن ابن عباس ﴿وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ . أي : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به ، وأنتم تجدونه مكتوبًا[١] عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم . وروي عن أبي العالية نحو ذلك .

وقال مجاهد ، والسدي ، وقتادة ، والربيع بن أنس ﴿وتكتموا الحق﴾ يعني : محمدًا ، صلى الله عليه وسلم .

[(قلت) : ﴿وتكتموا﴾ يحتمل أن يكون مجزومًا ، ويحتمل أن يكون منصوبًا ، أي لا تجمعوا بين هذا وهذا ، كما يقال : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، قال الزمخشري : وفي مصحف ابن مسعود : وتكتمون الحق ، أي : في حال كتمانكم الحق ﴿وأنتم تعلمون﴾ حال أيضًا ، ومعناه : وأنتم تعلمون الحق ، ويجوز أن يكون المعنى : وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المُفْضِي بهم إلى النار ، إن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق ؛ لتروّجوه عليهم ، والبيان : الإيضاح ، وعكسه الكتمان وخلط الحق بالباطل][٢] .

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ قال مقاتل : قوله تعالى لأهل الكتاب : ﴿وأقيموا الصلاة﴾ أمرهم أن يصلوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- [﴿وآتوا الزكاة﴾ أمرهم أن يؤتوا الزكاة أي يدفعونها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-][٣] ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول : كونوا معهم ومنهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٣١٩) : [وآتوا الزكاة][٤] يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص .

وقال وكيع عن أبي جناب[٥] (٣٢٠) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله ﴿وآتوا الزكاة﴾ قال : ما يوجب الزكاة ، قال : مائتان فصاعدًا .

وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ، في قوله تعالى : ﴿وآتوا الزكاة﴾ قال : فريضة واجبة ، لا تنفع الأعمال إلا بها[٦] وبالصلاة .

(٣١٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٤٦٨) .

(٣٢٠) - أبو جناب : ضعيف ، واسمه : يحيى بن أبي حية ، وهو عند ابن أبي حات برقم (٤٦٩) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

[٥] - في خ : « خباب » .

[٦] - في ز ، خ : « به » .

وقال ابن أبي حاتم (٣٢١) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن أبي حيان التيمي ، عن الحارث العُكلي في قوله تعالى : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ قال : صدقة الفطر.

[وقوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي : وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ، ومن أخص ذلك وأكمله الصلاة .

وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة ، وأُبسط ذلك في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى ، وقد تكلم القرطبي على مسائل الجماعة والإمامة فأجاد][١] .

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

يقول تعالى كيف يليق بكم - يا معشر أهل الكتاب ، وأنتم تأمرون الناس بالبر -وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم ، فلا تأتمرون[٢] بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه على من قصّر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم ، فتنتبهوا[٣] من رقدتكم ، وتتبصروا[٤] من عمايتكم ؟

وهذا كما قال عبد الرزاق(٣٢٢) عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ، ويخالفون ؛ فعيَّرهم الله -عز وجل- . وكذلك قال السدي .

وقال ابن جريج : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ أهلُ الكتاب والمنافقون ، كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ، وَيَدَعون العمل بما يأمرون به الناس ؛ فعيرهم الله بذلك ، [فمن أمر بخير][٥] فليكن أشدّ الناس فيه مسارعة .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد ، عن عكرمة - أو سعيد [بن جبير][٦] - عن ابن عباس ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ أي : تتركون أنفسكم ﴿ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ أي : تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوّة والعهد من التوراة ، وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما

(٣٢١) - تفسير ابن أبي حاتم ٤٧٢ - (١/١٥٠) . ورجال إسناده ثقات .

(٣٢٢) - تفسير عبد الرزاق (١/٤٤) ، وابن جرير برقم (٨٤٣) ، وابن أبي حاتم برقم (٤٧٨) ، وسنده صحيح .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : تأتمروا .
[٣] - في ز ، خ : « فتنبهوا » .
[٤] - في ز ، خ : « وتبصروا » .
[٥] - بياض في ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي وتجحدون[١] ما تعلمون من كتابي(٣٢٣).

وقال الضحاك(٣٢٤): عن ابن عباس في هذه الآية يقول: أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة، وتنسون أنفسكم؟

وقال أبو جعفر بن جرير(٣٢٥): حدثني علي بن الحسن، حدثنا مسلم الجَرمي، حدثنا مخلد ابن الحسين، عن أيوب السختياني عن أبي قلابة في قول الله تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب**﴾ قال: قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشدّ مقتًا.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل يسألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة ولا شئ أمروه بالحق؛ فقال الله تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾.

والغرض: أنّ الله تعالى ذمّهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له؛ بل على تركهم له، فإن الأمرَ بالمعروف معروفٌ، وهو واجب على العالم، ولكن [الواجب و][٢] الأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾.

فكُلٌّ من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. وذهب بعضهم إلى أنّ مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف،

---

(٣٢٣) - رواه ابن جرير برقم (٨٤٠)، وابن أبي حاتم برقم (٤٧٧) مختصراً.

(٣٢٤) - ابن جرير برقم (٨٤١). وسنده ضعيف

(٣٢٥) - رواه ابن جرير ٨٤٦ - (٨/٢)، وابن أبي شيبة (٨/١٦٧ ع)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٢١٠). ومسلم الجرمي: هو مسلم بن أبي مسلم، أورده ابن حبان في الثقات (٩/١٥٨) وقال: ربما أخطأ، وقال الأزدي: حدث بأحاديث لا يتابع عليها، وأورد له البيهقي حديثاً من وجهين عنه، وقال: غير قوي. قال الحافظ: وليس في إسناده من ينظر فيه غير مسلم هذا (اللسان ٦/٣٨). وأبو قلابة: اسمه عبد الله بن زيد: قال الحافظ: ثقة، فاضل كثير الإرسال. قال العجلي: فيه نصب يسير. وذكره العلائي في المدلسين. وقال الذهبي: ثقة في نفسه؛ إلا أنه يدلس عمن لحقهم، وعمن لم يلحقهم، وكان له صحف يحدث منها، ويدلس.

---

[١] - في ز: تجحون.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية ؛ فإنه لا حجة لهم فيها .

والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله ، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، [قال مالك : عن ربيعة : سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما ، ما أمر أحد بالمعروف ، ولا نهى عن منكر . قال مالك : وصدق ، مَنْ ذا الذي ليس فيه شيء ؟

(قلت):][١] ولكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية ؛ لعلمه بها ومخالفته على بصيرة ؛ فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ؛ ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك ، كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير (٣٢٦) :

حدّثنا أحمد بن المعلى الدمشقي ، والحسن بن علي المعمري ، قالا : حدّثنا هشام بن عمار ، حدّثنا علي بن سليمان الكلبي ، حدّثنا الأعمش ، عن أبي تميمة الهُجَيمي ، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« مَثَل العالِم الذي يُعلِّم الناس الخير ولا يعمل به ؛ كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه »** .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد بن حنبل (٣٢٧) في مسنده[٢] : حدّثنا وكيع ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد - هو ابن جدعان - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : **« مررت ليلة أسري بي على قوم شفاههم تُقْرضُ بمقاريض من نار . قال : قلت : من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء أمّتك[٣] من أهل الدنيا ، ممن كانوا يأمرون**

---

(٣٢٦) - المعجم الكبير ١٦٨١ - (١٦٥/٢) وقال الهيثمي في المجمع (١٨٥/١) : « رجاله موثقون » . ورواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (٧٠) . وصححه الألباني في تعليقه عليه .

(٣٢٧) - **إسناده ضعيف ، لضعف علي بن زيد بن جدعان** ؛ إلا أنه توبع عند ابن حبان ، وابن أبي حاتم وأبي نعيم ، والحديث في المسند ١٢٢٣١- (١٢٠/٣) ، ورواه أحمد حديث ١٢٨٧٩ - (١٨٠/٣) ، ١٣٤٤٥ - (٢٣١/٣) ، ١٣٥٤٠ - (٢٣٩/٣) ، ورواه أبو يعلى حديث ٣٩٩٦ ، ٣٩٩٢ من حديث علي بن زيد أيضًا ، عن أنس . ورواه ابن المبارك في الزهد برقم ٨١٩ . وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث ٥٣ . وهو في الدر المنثور للسيوطي (١٢٦/١) ، وقد عزاه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد (١٢٢٢) ، والبزار ، وابن أبي داود في البعث ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب . ورواه أبو نعيم في الحلية (٤٣/٨ - ٤٤) من طريق ابن مصفى ، حدثنا بقية ، حدثنا إبراهيم بن أدهم ، حدثنا مالك ابن دينار ، عن أنس . ورواه أيضاً في الحلية (١٧٢/٨) من طريق عبد الله بن موسى ، عن ابن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أنس .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « سنده » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟» .

ورواه عبد بن حميد في مسنده(٣٢٨) وتفسيره عن الحسن بن موسى، عن حماد بن سلمة، به[١] .

ورواه ابن مردويه في تفسيره(٣٢٩) ، من حديث يونس بن محمد المؤدّب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به، وكذا رواه يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، به[٢] .

ثم قال ابن مردويه: حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدّثنا موسى بن هارون، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببلخ، حدّثنا مكي بن إبراهيم، حدّثنا عمر بن قيس، عن علي بن زيد، عن ثمامة، عن أنس؛ قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمّتك، الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم**».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه(٣٣٠) ، وابن أبي حاتم، وابن مردويه أيضًا من حديث هشام الدستوائي، عن المغيرة - يعني ابن حبيب ختن مالك بن دينار [- عن مالك بن دينار][٣] ، عن ثمامة، عن أنس بن مالك قال: لما عُرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرّ بقوم تُقرض شفاهُهم فقال: «**يا جبريل! مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمّتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم؛ أفلا يعقلون؟**».

حديث آخر، قال الإمام أحمد(٣٣١) : حدثنا يعلى بن عبيد، حدّثنا الأعمش، عن أبي وائل قال: قيل لأسامة، وأنا رديفه: ألا تكلم عثمان؟ فقال: [ألا][٤] إنكم تُرون أني لا أكلمه، ألا أسمعكم! إني لأكلمه[٥] فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمرًا - لا أحب أن أكون أوّل من افتتحه، والله لا أقول لرجل إنك خير الناس وإن كان عليّ أميرًا - بعد أن[٦] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول[٧] . قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «**يُجاء بالرجل يوم**

(٣٢٨) - المنتخب (١٢٢٢)، وأحمد (٣/٢٣٩ - ٢٤٠) .

(٣٢٩) - رواه أحمد (٣/٢٣١)، والطيالسي (٢٠٦٠) .

(٣٣٠) - صحيح ابن حبان برقم (٣٥ موارد) وتفسير ابن أبي حاتم ٤٧٦ - (١/١٥١). والمغيرة بن حبيب: قال البخاري: كان صدوقًا عدلًا، ووثقه ابن حبان، وقال: يغرب. وقال الأزدي: منكر الحديث.

(٣٣١) - المسند ٢١٨٧٥ - (٥/٢٠٥) وانظر (٥/٢٠٧، ٢٠٩)، والبيهقي =

[١] - سقط من ز.

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٤] - زيادة من ز.

[٥] - في ز: لا أكلمه.

[٦] - في ز: إذ.

[٧] - سقط من ز.

القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق[١] (٣٣٢) **به أقتابه ، فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار فيقولون : يا فلان ! ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه** » .

ورواه البخاري ومسلم ، من حديث سليمان بن مهران[٢] الأعمش ، به نحوه(٣٣٣) .

[وقال أحمد : حدّثنا سيار بن حاتم ، حدّثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله يعافي الأمّيين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء** »(٣٣٤) .

وقد ورد في بعض الآثار : « إنه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرّة واحدة ، ليس من يعلم كمن لا يعلم ، وقال تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب** ﴾ .

وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إنّ أناسًا**

= في الكبرى (١٠/٩٤ - ٩٥)، وفي الشعب (١٣/٧١٦١) .

(٣٣٢) - الاندلاق : خروج الشيء من مكانه ، يريد خروج أمعائه من جوفه . النهاية (٢/١٣٠) .

(٣٣٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة (رقم : ٣٢٦٧) وطرفه في (٧٠٩٨) . ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب : عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله رقم (٢٩٨٩) . كلاهما من طريق الأعمش ، به .

(٣٣٤) - **حديث منكر** ، قاله أحمد بن حنبل فيما نقله عنه السيوطي في اللآلئ ، ورواه الخطيب في اقتضاء العلم (٨٠) ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٣١ ، ٩/٢٢٣) ، ورواه أبو بكر المروزي في الورع (٣/٢) والرامهرمزي في الفاصل ص ١٤٣ . وابن عساكر في ذم من لا يعمل بعلمه ، والضياء المقدسي في المختارة (١/٥٠١) كلهم من طريق الإمام أحمد به ، وقال أبو نعيم : « هذا حديث غريب تفرد به سيار ، عن جعفر ، ولم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل » . وقال عبد الله بن أحمد : « هذا حديث منكر ، حدثني به أبي ، وما حدثني به إلا مرة » . وأورده الذهبي في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي (١٥٠٥) . وأورده السيوطي في اللآلئ (١/١١٧) وقال : قال أحمد : حديث منكر ، وأورده ابن الجوزي في الواهيات (١/١٣٣) وأورده المقدسي في المختارة ، وهما طرفا نقيض .

قال الألباني : علته سيار أبو حاتم ، أورده الذهبي في الضعفاء ، وقال : قال القواريري : كان معي في الدكان لم يكن له عقل . قيل : أتتهمه ؟ قال : لا . وقال غيره : صدوق ، سليم الباطن ، وضعفه ابن المديني وغيره . قلت - الألباني - : وكأنه لذلك لم يورده في المسند ، وقول عبد الله هذا ذكره الضياء أيضًا عقب الحديث فيتعجب منه كيف أورده في المختارة ! . وكذلك أورده ابن قدامة في المنتخب ، وزاد : قال المروزي : قال أبو عبد الله : الخطأ من جعفر ، ليس هذا من قبل سيار - كذا قال الإمام ، وجعفر خير من سيار ، وحسبه أنه احتج به مسلم ، والله أعلم .

---

[١] - في خ : « فيتدلق » . [٢] - في ز ، خ : « يزيد أن » .

من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل »(٣٣٥) .

ورواه من حديث الطبراني (٣٣٦) ، عن أحمد بن يحيى الخباز الرملي ، عن زهير بن عباد الرواسي ، عن أبي بكر [الدَّاهري] عبد الله بن حكيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن الوليد بن عقبة فذكره][١] .

وقال الضحاك : عن ابن عباس(٣٣٧) : أنه جاءه رجل ، فقال : يا ابن عباس ، إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، قال أَوَبَلَغتَ ذلك ؟ قال : أرجو . قال : إن لم تخش أن تُفْتَضَح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل . قال : وما هنّ ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ . أَحْكَمْتَ هذه ؟ قال : لا . قال فالحرف الثاني ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ **لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ . أحكمت هذه ؟ قال : لا . قال : فالحرف الثالث ؟ قال : قول العبد الصالح شعيب عليه السلام : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه [إن أريد إلا الإصلاح]**[٢] ﴾ أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا . قال : فابدأ بنفسك .

رواه ابن مَرْدُويه في تفسيره .

وقال الطبراني(٣٣٨) : حدّثنا عبدان بن أحمد ، حدّثنا زيد بن الحريش ، حدّثنا عبد الله بن خِرَاش ، عن العوام بن حوشب ، عن المسيب بن رافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال ، أو دعا إليه** » .

[إسناده فيه ضعف . وقال إبراهيم النخعي إني لأكره القصص لثلاث آيات ؛ قوله تعالى :

---

(٣٣٥) - **ضعيف جدًا** ، رواه ابن عساكر (١٧/ل ٨٦٧) ، ورواه الطبراني في الكبير (٢٢/رقم ٤٠٥) ، وفي الأوسط (٩٩) ، ورواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل برقم (٧٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه أبو بكر عبد الله بن حكيم الداهري ، وهو ضعيف جدًا . وانظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٦/٣٣٦) .

(٣٣٦) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أبو بكر الداهري : اتهموه بالوضع . وزهير بن عباد ضعيف .

(٣٣٧) - البيهقي في الشعب (١٣/٧١٦٢) .

(٣٣٨) - **إسناده ضعيف** ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢/٧) ، من طريق الطبراني ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٧٦) : « فيه عبد الله بن خراش وثقه ابن حبان وقال : يخطئ ، وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ وقوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ وقوله إخبارًا عن شعيب ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**]‏[١] ﴾ .

وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى آمرًا عبيده ، فيما يؤملون من خير الدنيا [والآخرة]‏[٢] بالاستعانة بالصبر والصلاة ، كما [قال مقاتل]‏[٣] بن حيّان في تفسير هذه الآية : استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض ، والصلاة .

فأما الصبر فقيل : إنه الصيام ، نص عليه مجاهد .

[قال القرطبي وغيره : ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر ، كما نطق به الحديث]‏[٤] . وقال سفيان الثوري : عن أبي إسحاق ، عن جُرَيّ بن كليب ، عن رجل من بني سليم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الصوم نصف الصبر** »(٣٣٩) .

وقيل : المراد بالصبر الكف عن المعاصي ؛ ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلاها فعل الصلاة .

---

(٣٣٩) – الحديث رواه أحمد ، ثنا معاذ بن معاذ ، أنا شُعْبَة ، أنا أبو إسحق الهمداني ، عن جريّ النهدي ، عن رجل من بني سليم ... ١٨٣٤٠ (٢٦٠/٤) وجري النهدي : وهو ابن كليب النهدي الكوفي ، قال الحافظ في التقريب ت (٩٢١) : مقبول – أي عند المتابعة – وأبو إسحاق الهمداني : هو السبيعي – مدلس وقد عنعن – وتابعه عاصم بن أبي النجود عند أحمد حديث ٢٣٢٠٥ . ويونس بن أبي إسحاق حديث ٢٣١٧٩ ، ٢٣٢٦٦. ورواه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : (٨٧) حديث ٣٥١٩ . والدارمي في سننه في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في الطهور حديث ٦٦٠ (١٣٢/١) . والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩١/٣) حديث ٣٥٧٥ . من طريق أبي الأحوص وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن جري النهدي ، عن رجل من بني سليم ؛ قال : عرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في يدي أو في يده ... الحديث . ورواه أحمد في مسنده حديث ٢٣١٧٩ ، ٢٣٢٠٥ ، ٢٣٢٤٥ ، ٢٣٢٦٦ (٣٦٥/٥ ، ٣٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/١) . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي (٣٧٦٥) .

ورواه ابن ماجه ١٧٤٥ – (٥٥٥/١) من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده ، موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف.

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – سقط من : ز ، خ .
[٣] – في خ : « كما قال تعالى مقاتل ..» وهو خطأ . [٤] – سقط من : ز ، خ .

و[١] قال ابن أبي حاتم(٣٤٠) : [حدثني أبي حدّثنا][٢] عبيد الله بن حمزة بن إسماعيل، حدّثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنان، عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: الصبر صبران ؛ صبر عند المصيبة حسن، وأحسن منه الصبر عن محارم الله.

قال[٣] : وروي عن الحسن البصري نحو قول عمر.

وقال ابن المبارك: عن ابن لَهِيعة، عن مالك بن دينار، عن سعيد بن جبير قال: الصبر: اعتراف العبد لله بما أصيب[٤] فيه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد، لا يُرى منه إلا الصبر.

وقال أبو العالية في قوله تعالى[٥] : ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾ قال[٦] : على مرضاة الله، واعلموا أنها من طاعة الله.

وأما قوله: ﴿**والصلاة**﴾ فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى: ﴿**اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر**﴾ الآية.

وقال الإمام أحمد(٣٤١) : حدّثنا خلف بن الوليد، حدّثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال: قال عبد العزيز أخو[٧] حذيفة - قال حذيفة - يعني ابن اليمان - رضي الله عنه - : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى.

ورواه أبو داود، [عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمار كما

(٣٤٠) - **منقطع**، وهو في تفسير ابن أبي حاتم برقم ٤٨٨ - (١٥٥/١) . أبو سنان: وهو سعيد بن سنان، لم يسمع من عمر.

(٣٤١) - المسند ٢٣٤٠٦ - (٣٨٨/٥) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: وقت قيام النبي، صلى الله عليه وسلم، من الليل (رقم: ١٣١٩) . وعبد العزيز بن أخي حذيفة: قال الذهبي في الميزان (٢/ ٦٣٩) : لا يعرف.

[١] - زيادة من ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «أصاب».
[٥] - سقط من: خ.
[٦] - سقط من: خ.
[٧] - في المسند و أبي داود: ابن أخي. وفي أطراف المسند: (أخو) ،وصوَّب أبو نعيم، ووافقه الحافظ أنه (ابن أخي حذيفة) . وصوَّب ابن أبي حاتم، وابن حبان أنه (أخو حذيفة) .

سيأتي][1] .

وقد رواه ابن جرير(٣٤٢) من حديث ابن جريج، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبيد ابن أبي قدامة، عن عبد العزيز بن اليمان، عن حذيفة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

[ورواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة - ويقال : أخي حذيفة - مرسلًا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة : حدّثنا سهل بن عثمان العسكري، حدّثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال : قال عكرمة بن عمار : قال محمد بن عبد الله الدؤلي : قال عبد العزيز قال حذيفة : رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى(٣٤٣) .

حدّثنا [عبد الله][2] بن معاذ، حدّثنا أبي، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرب، سمع عليًا - رضي الله عنه - يقول : لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يصلي ويدعو حتى أصبح(٣٤٤)][3] .

قال ابن جرير : وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه مر بأبي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له : « أشكنب[4] دَرْدْ » [ومعناه : أيوجعك بطنك ! قال نعم][5] . قال : « **قم فصل فإن الصلاة شفاء** »(٣٤٥) .

---

(٣٤٢) - تفسير ابن جرير ٨٤٩ - (١٢/٢) .

(٣٤٣) - تعظيم قدر الصلاة برقم ٢١٢ - (٢٣١/١) .

(٣٤٤) - تعظيم قدر الصلاة برقم ٢١٣ - (٢٣١/١) ، والحديث رواه النسائي في الكبرى (٨٢٣) ، ورواه أحمد (١٠٢٣ ، ١١٦١) ، والطيالسي (١١٦) ، وأبو يعلى (٢٨٠ ، ٣٠٥) ، وابن خزيمة (٨٩٩/٢) ، وابن حبان (٢٢٥٧) ، والبيهقي في الدلائل (٤٩/٣) ، من حديث شعبة ، به .

(٣٤٥) - **منكر** ، وهو في تفسير ابن جرير (١٣/٢) . والحديث رواه أحمد (٣٩٠/٢ ، ٤٠٣) ، ورواه ابن ماجه ٣٤٥٨ - (١١٤٤/٢) . وابن حبان في المجروحين (١٩٦/١) ، وابن عدي في الكامل (٩٨٥/٣) ، تمام في فوائده (١١٤٣) ، والعقيلي (٤٨/٢) ، وابن الجوزي في الواهيات (١٧٠/١ ، ١٧١) وفي إسناد ابن ماجه : ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف . وداود بن علية : وهو ضعيف أيضاً ، قال ابن حبان : منكر الحديث جدًا يروي عن الثقات ما لا أصل له ، وعن الضعفاء ما لا يعرف . وقال ابن حبان أيضاً : =

---

[1] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [2] - صوابه : عبيد الله .
[3] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [4] - في خ : « أسلب » .
[5] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال ابن جرير(٣٤٦) : وقد حدّثنا محمد بن العلاء ويعقوب بن إبراهيم قالا: حدّثنا ابن عُلَيَّة ، حدّثنا عيينة[١] بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، أن ابن عباس نُعِي إليه أخوه قُثَم[٢] ، وهو في سفر ، فاسترجع ثم تنحّى عن الطريق ، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ .

وقال سُنَيد[٣] : عن حجاج ، عن ابن جريج ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾ قال : إنهما مَعونتان على رحمة الله ، والضمير في قوله ﴿**وإنها لكبيرة[٤]**﴾ عائد إلى الصلاة ، نص عليه مجاهد ، واختاره ابن جرير .

ويحتمل أن يكون عائدًا على ما يدل[٥] عليه الكلام وهو الوصية بذلك ، كقوله تعالى : في قصة قارون ﴿**وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون**﴾ وقال تعالى : ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا [وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ أي وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا][٦] ، وما يلقاها ، أي : يؤتاها ويلهمها إلا ذو حظ عظيم .

وعلى كل تقدير فقوله تعالى : ﴿**وإنها لكبيرة**﴾ أي مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين ، و[٧] قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني المصدقين بما أنزل الله . وقال مجاهد : المؤمنين حقًّا ، وقال أبو العالية : إلا على الخاشعين : الخائفين ، وقال مقاتل بن حيان : إلا على الخاشعين ، يعني به : المتواضعين .

وقال الضحاك : ﴿**وإنها لكبيرة**﴾ قال : إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته ، الخائفين سطواته ، المصدقين بوعده ووعيده .

وهذا يشبه ما جاء في الحديث : « **لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه** »(٣٤٧) .

= وقد رُوي هذا الحديث عن أبي هريرة موقوفاً ، وهو أصح . والموقوف رواه البخاري في تاريخه الصغير (٢/ ٢٥٨) ، والعقيلي (٢/٤٨) ، وابن عدي (٣/٩٨٥) ، وابن الجوزي ١/ ١٧٠) .

(٣٤٦) - تفسير ابن جرير ٨٥٢ - (٢/ ١٤) . وإسناده صحيح .

(٣٤٧) - **حسن بطرقه** ، رواه أحمد في المسند ٢٢١١٤ - (٥/ ٢٣١) من حديث عبد الرزاق ، عن معمر =

---

[١] - في ز ، خ : ابن عيينة .

[٢] - في خ : « قتم » .

[٣] - في خ : « سعيد » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « دل » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٧] - زيادة في خ .

وقال ابن جرير : معنى الآية : واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب ، بحبس أنفسكم على طاعة اللَّه ، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر ، المقربة من رضاء اللَّه ، العظيمة إقامتها إلا على [الخاشعين ، أي][١] المتواضعين للَّه[٢] المستكينين[٣] لطاعته المتذللين من مخافته .

هكذا قال ، والظاهر أن الآية وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل ، فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص ، وإنما هي عامّة لهم ولغيرهم . واللَّه أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون** ﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله ، أي : وإنّ الصلاة أو الوَصَاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ، أي : [يعلمون أنهم محشورون][٤] إليه يوم القيامة معروضون[٥] عليه ، وأنهم إليه راجعون ، أي : أمورهم راجعة إلى مشيئته ، يحكم فيها ما يشاء بعدله ؛ فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سَهُل عليهم فِعلُ الطاعات وترك المنكرات .

فأما قوله : ﴿ **يظنون أنهم ملاقو ربهم** ﴾ فقال[٦] ابن جرير ، رحمه اللَّه : العرب قد تسمي اليقين ظنًّا ، والشك ، ظنًّا ، نظير تسميتهم الظلمة « سُدْفة »[٧] ، والضياء « سُدْفة »[٨] ، والمغيث « صارخًا » ، والمستغيث « صارخًا » ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضدّه ، كما قال دريد بن الصِّمة :

فقلت لهم ظُنّوا بألفي مُدَجَّجٍ[٩] سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيّ[١٠] المُسَرَّدِ[١١]

=عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وائل ، عن معاذ رضي اللَّه عنه . وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في حرمة الصلاة (رقم : ٢٦١٦) . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ (١١٣٩٤) ، وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة (رقم : ٣٩٧٣) كلهم من طريق معمر ، عن عاصم بن أبي النجود ، به . ورواه أحمد ٢٢١٣١ - (٢٣٣/٥) من حديث شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت عروة بن النزال - أو النزال بن عروة ، يحدث عن معاذ بن جبل - قال شعبة : فقلت له : سمعه من معاذ ؟ قال : لم يسمعه منه . وقد أدركه - أنه قال : يا رسول اللَّه ! أخبرني بعمل يدخلني الجنة .... فذكر مثل حديث معمر ، عن عاصم ، أنه ... قال الحكم : وسمعته من ميمون بن أبي شبيب . ورواه ٢٢١٦٧ - (٢٣٧/٥).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : المستكنين .
[٤] - في ز : يحشرون .
[٥] - في ز : معرضون .
[٦] - في ن : وقال .
[٧] - في ز : شدفة .
[٨] - في ز : شدفة .
[٩] - في ز : مدحج .
[١٠] - في خ : « بالفارسى » .
[١١] - في ز : المسود .

يعني بذلك تيقنوا بألفي[١] مدجج[٢] يأتيكم، وقال عَمِيرة[٣] بن طارق:

بأن[٤] تغتزوا قومي وأقعُدَ فيكم وأجعلَ مني الظنَّ غيبًا[٥] مرجَّما

يعني وأجعل مني اليقين غيبًا[٦] مرجمًا، قال والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أنّ الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصر، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية؛ ومنه قول اللّه تعالى ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾، ثم قال [ابن جرير(٣٤٨)][٧]

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان، عن جابر، عن مجاهد قال: كل ظنّ في القرآن يقين، أي: ظننت وظنوا.

وحدثني المثنى(٣٤٩)، حدثنا إسحاق، حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن ابن[٨] أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كل ظن في القرآن فهو علم، وهذا سند صحيح.

وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم**﴾ قال: الظن هاهنا يقين.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد، والسدي، والربيع بن أنس، وقتادة نحو قول أبي العالية.

وقال سُنَيد: عن حجاج، عن ابن جريج ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم**﴾ [علموا أنهم ملاقوا ربهم][٩] كقوله ﴿**إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾ يقول: علمت.

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(قلت): وفي الصحيح(٣٥٠) أنّ اللّه تعالى يقول للعبد يوم القيامة: «**ألم أزوِّجك، ألم**

---

(٣٤٨) - تفسير ابن جرير ٨٦٢ - (١٩/٢). وجابر هو ابن يزيد الجعفي: ضعيف.

(٣٤٩) - تفسير ابن جرير ٨٦٣ - (١٩/٢).

(٣٥٠) - صحيح مسلم برقم ١٦ - (٢٩٦٨)، والترمذي (٢٤٢٨).

---

[١] - في خ: «ألفي».

[٢] - في ز: مدحج.

[٣] - في ز، خ: «عمير».

[٤] - في خ: «وإن».

[٥] - في ز: عيبًا.

[٦] - في ز: عيبًا.

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٨] - سقط من ز.

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز و خ.

أكرمك، ألم[١] **أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس**(٣٥١) **وتربع**(٣٥٢) » فيقول : بلى . فيقول الله تعالى[٢] : « **أفظننت أنك ملاقيّ ؟** » [فيقول : لا][٣] . فيقول الله : « **اليوم أنساك كما نسيتني** » ، وسيأتي مبسوطًا عند قوله تعالى : ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾ [إن شاء الله تعالى][٤] .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٤٧)

يذكرهم تعالى بسالف[٥] نعمه على آبائهم وأسلافهم ، وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم ، وإنزال الكتب عليهم و[٦] على سائر الأمم من أهل زمانهم ، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد اخترناهم على علم على العالمين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين** ﴾ .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ **وأني فضلتكم على العالمين** ﴾ قال : بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عَالَم من كان في ذلك الزمان ؛ فإنّ لكل زمان عالمًا .

ورُوي عن مجاهد ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك ، ويجب الحمل على هذا ؛ لأنّ هذه الأمّة[٧] أفضل منهم لقوله تعالى : خطابًا لهذه الأمّة : ﴿ **كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم** ﴾ وفي المسانيد[٨] والسنن ، عن معاوية بن حَيْدَة[٩] القُشَيري(٣٥٣) قال : قال

(٣٥١) - رأس القومَ ، يرأسهم ، رئاسة : إذا صار رئيسهم ، ومُقَدَّمهم . النهاية (١٧٦/٢) .

(٣٥٢) - تربع : أي تأخذ ربع الغنيمة . يقال : ربعت القوم ؛ أربعهم : إذا أخذت ربع أموالهم ، مثل عشرتهم أعشرهم . يريد : ألم أجعلك رئيساً مطاعاً ؛ لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية ، دون أصحابه . النهاية (١٨٦/٢) .

(٣٥٣) - رواه أحمد ٢٠٠٦٥ - (٤٤٧/٤) ، ورواه أحمد برقم ٢٠٠٧٣ ، ٢٠٠٧٧ ، ٢٠٠٩٧ (٥/٥) ، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، حديث (٣٠٠١) ، (٥/ ٢١١) . وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : صفة أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، حديث (٤٢٨٧- ٤٢٨٨) ، (١٤٣٣/٢) . والدارمي في كتاب الرقاق ، باب : في قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **أنتم خير الأمم** » حديث (٢٧٦٣) ، (٢٢١/٢) . =

[١] - في ز ، خ : « و » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : سالف .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في خ : « الآية » .
[٨] - في ز ، خ : « المساند » .
[٩] - في خ : « جندة » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم توفونَ سبعين أمّة، أنتم خيرها وأكرمها على الله». والأحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس﴾.

[وقيل: المراد تفضيل بنوع مّا من الفضل على سائر الناس، ولا يلزم تفضيلهم مطلقًا، حكاه الرازي، وفيه نظر. وقيل إنهم فُضِّلوا على سائر الأمم لاشتمال أمّتهم على الأنبياء منهم، حكاه القرطبي في تفسيره، وفيه نظر؛ لأنّ العالمين عام يشتمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء، فإبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم، ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، صلوات الله وسلامه عليه.][١]

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

لما ذكرهم تعالى بنعمه أولًا، عطف على ذلك التحذير من حُلول نقمه بهم يوم القيامة فقال ﴿واتقوا يومًا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئًا﴾ أي: لا يغني أحد عن أحد، كما قال ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وقال ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ وقال ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا﴾ فهذه أبلغ المقامات أنّ كلًّا من الوالد وولده لا يغني أحدهم عن الآخر شيئًا

وقوله تعالى: ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ يعني: من[٢] الكافرين، كما قال: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ وكما قال عن أهل النار: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾

وقوله تعالى: ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي لا يقبل منها فداء، كما قال تعالى: ﴿إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به﴾ وقال ﴿إنّ الذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾ وقال تعالى: ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾. وقال ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا [مأواكم النار هي مولاكم][٣]﴾ الآية، فأخبر تعالى أنهم إن[٤] لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه، فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهبًا، كما قال تعالى: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ وقال ﴿لا بيع فيه ولا خلال﴾.

= والطبراني في «الكبير» برقم (١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥)، (١٩/٤٢٢-٤٢٣).

[١] - سقط من: ز، خ. [٢] - في ز: عن.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٤] - سقط من: خ.

[قال سنيد: حدّثني حجاج، حدّثني ابن جريج، قال: قال مجاهد: قال ابن عباس: ﴿**ولا يؤخذ منها عدل**﴾ قال: بدل، والبدل الفدية، وقال السدّي: أمّا عدل فيعدلها من العدل، يقول: لو جاءت بملء الأرض ذهبًا تفتدي به ما تُقُبِّل منها، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم][١]، وقال أبو جعفر الرازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله: ﴿**ولا يؤخذ**[٢] **منها عدل**﴾ يعني: فداء.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن أبي مالك، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والربيع بن أنس نحو ذلك.

وقال عبد الرزاق أنبأنا[٣] الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن علي - رضي الله عنه - في حديث طويل: قال: والصرف والعدل التطوّع والفريضة(٣٥٤).

وكذا قال الوليد بن مسلم، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن عمير بن هانئ.

وهذا القول غريب هاهنا[٤]، والقول الأوّل أظهر في تفسير هذه الآية، وقد ورد حديث يقوّيه، وهو ما قال ابن جرير:

حدّثني نجيح بن إبراهيم، حدّثنا علي بن حكيم، حدّثنا حميد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عَمْرو بن قيس المُلائي، عن رجل من بني أمية من أهل الشام - أحسن عليه الثناء - قال: قيل: يا رسول الله، ما العدل؟ قال: «**العدل الفدية**»(٣٥٥).

وقوله تعالى: ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ أي: ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله، كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ولا ذو جاه، ولا يقبل منهم فداء، هذا كله من جانب التلطف، ولا لهم ناصر من أنفسهم، ولا من غيرهم، كما قال ﴿**فما له من قوّة ولا ناصر**﴾ أي: إنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة، ولا ينقذ أحدًا من عذابه منقذ، [ولا يخلصه منه أحد][٥] ولا يجيره منه أحد، كما قال تعالى: ﴿**وهو يجير ولا يجار عليه**﴾ وقال ﴿**فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد**﴾ وقال ﴿**ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون**﴾ وقال ﴿**فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا**

(٣٥٤) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٠٦).

(٣٥٥) - **مرسل أو منقطع**، فالرجل المبهم مجهول، والراجح أنه تابعي، فيكون الحديث مرسلاً أو معضلاً، والحديث في تفسير ابن جرير ٨٨٦ - (٣٤/٢).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - في ت: يقبل.
[٣] - في خ: «أخبرنا».
[٤] - في ز، خ: «هنا».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

عنهم ﴾ الآية.

وقال الضحاك(٣٥٦) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **ما لكم لا تناصرون** ﴾ مالكم اليوم لا تمانَعُون منا، هيهات! ليس ذلك لكم اليوم.

قال ابن جرير: وتأويل قوله: ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ يعني: أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر، كما لا يشفع لهم شافع، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية. بَطَلت هنالك المحاباة، واضمحلت الرشى والشفاعات، وارتفع من القوم التناصر والتعاون، وصار الحكم إلى [الجبار العدل][١] الذي لا ينفع لديه الشفعاء ولا[٢] النصراء، فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿ **وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون** ﴾.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم؛ ﴿ **إذ نجيناكم من آل فرعون [يسومونكم سوء العذاب]**[٣] ﴾، أي: خلصتكم منهم، وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلام، وقد كانوا يسومونكم، أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب، وذلك أن فرعون - لعنه الله - كان قد رأى رؤيا هالته؛ رأى نارًا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر، إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها: أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل، ويقال: بل تحدث سمّاره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم، يكون لهم به دولة ورفعة، وهكذا جاء في [حديث الفُتُون،][٤] كما سيأتي في موضعه، [في سورة طه،][٥] إن شاء الله تعالى، فعند ذلك أمر فرعون - لعنه الله - بقتل كل ذَكَر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأراذلها.

وهاهنا فسر العذاب بذبح الأبناء، وفي سورة إبراهيم عطف عليه، كما قال ﴿ **يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم** ﴾، وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة والمعونة والتأييد. [ومعنى يسومونكم: يولونكم قاله أبو

---

(٣٥٦) - ابن جرير برقم (٨٨٧)، وسنده ضعيف.

---

[١] - في ز، خ: «عدل الجبار».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «الحديث المضون».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

عبيدة. كما يقال: سامه خطة خسف، إذا أولاه إياها. قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملْكُ سام الناسَ خَسْفًا أبَيْنا أن نُقِرَّ الخسْفَ فينا

وقيل: معناه يديمون عذابكم. كما يقال: سائمة الغنم من إدامتها الرعي، نقله القرطبي. وإنما قال هاهنا: ﴿**يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾ ليكون ذلك تفسيرًا للنعمة عليهم في قوله: ﴿**يسومونكم سوء العذاب**﴾ ثم فسره بهذا لقوله هاهنا: ﴿**اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**﴾ وأما في سورة إبراهيم: فلما قال: ﴿**وذكرهم بأيام الله**﴾ أي: بأياديه ونعمه عليهم، فناسب أن يقول هناك: ﴿**يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**﴾ فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد النعم والأيادي على بني إسرائيل][1] .

وفرعون عَلَمٌ على كل من ملك مصر، كافرًا [من العماليق وغيرهم][2] ، كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرًا، وكذلك كسرى لمن[3] ملك الفرس، وتُبَّع لمن ملك اليمن كافرًا، [والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك الهند][4] ، ويقال: كان اسم فرعون الذي كان في زمن[5] موسى عليه السلام الوليد بن مصعب [بن الريان][6] ، وقيل: مصعب بن الريان، [فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح وكنيته أبو مرة، وأصله فارسي من إصطخر][7] ، وأيًّاما كان فعليه[8] لعنة الله.

وقوله تعالى: ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ .

قال ابن جرير: وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا إياكم مما كنتم فيه من عذاب آل[9] فرعون، بلاء لكم من ربكم عظيم، أي: نعمة عظيمة عليكم في ذلك.

وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس(٣٥٧) قوله تعالى: ﴿**بلاء من ربكم عظيم**﴾ قال: نعمة.

وقال مجاهد: ﴿**بلاء من ربكم عظيم**﴾ قال: نعمة. من ربكم عظيمة، وكذا[10] قال أبو العالية وأبو مالك والسدي وغيرهم، وأصل البلاء الاختبار، وقد يكون بالخير والشر، كما قال

---

(٣٥٧) - ابن جرير برقم (٨٩٩)، وابن أبي حاتم برقم (٥١١).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز، خ: «لكل من».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «زمان».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٨] - في ز، خ: «فعله».
[٩] - سقط من: خ.
[١٠] - في ز، خ: «وكذلك».

تعالى : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾، وقال ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات [لعلهم يرجعون][١] ﴾ . قال ابن جرير : وأكثر ما يقال في الشر : بلوته أبلوه بَلاَءً ، وفي الخير أبليه إبلاء وبلاء ، قال زهير بن أبي سلمى :

جَزَى اللَّه بالإحسان ما فَعَلا بِكُمْ وأبلاهما خَيْرَ البلاء الذي يَبْلُو

قال فجمع بين اللغتين ؛ لأنه أراد : فأنعم اللَّه عليهما خير النعم التي يَخْتَبِرُ بها عباده .

[وقيل : المراد بقوله ﴿وفي ذلكم بلاء﴾ إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين ، من ذبح الأبناء واستحياء النساء . قال القرطبي : وهذا قول الجمهور ولفظه بعد ما حكى القول الأول ، ثم قال : وقال الجمهور الإشارة إلى الذبح ونحوه ، والبلاء هاهنا في الشر ، والمعنى : وفي الذبح مكروه وامتحان][٢] .

وقوله تعالى : ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ معناه : وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون ، وخرجتم مع موسى عليه السلام ، خرج فرعون في طلبكم ، ففرقنا بكم البحر ، كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلًا كما سيأتي في مواضعه ، ومن أبسطها ما[٣] في سورة الشعراء [إن شاء اللَّه][٤] .

﴿فأنجيناكم﴾ . أي خلصناكم منهم ، وحجزنا بينكم وبينهم ، وأغرقناهم وأنتم تنظرون ، ليكون ذلك أشفى لصدوركم ، وأبلغ في إهانة عدوكم .

قال عبد الرزاق (٣٥٨) : أنبأنا معمر ، عن أبي إسحاق الهَمْداني ، عن عمرو بن ميمون الأَوْدي في قوله تعالى : ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ إلى قوله ﴿وأنتم[٥] تنظرون[٦] ﴾ . قال لما خرج موسى ببني إسرائيل ، بلغ ذلك فرعون ، فقال : لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة . قال فواللَّه ما صاح ليلتئذ[٧] ديك حتى أصبحوا ، فدعا بشاة فَذُبحت ، ثم قال لا أفرغ من كبدها[٨] حتى يجتمع إليَّ ستمائة ألف من القبط ، فلم يفرغ من كبدها[٩] حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط ، [ثم سار][١٠] فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أَمَرَ[١١]

(٣٥٨) - تفسير عبد الرزاق (٤٥/١) ، وهو عند ابن جرير برقم (٩٠٨) ، وابن أبي حاتم برقم (٥١٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ز ، .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز، خ .
[٦] - في ز ، خ : « ينظرون » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « لبدها » .
[٩] - في ز ، خ : « لبدها » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز : أمرك .

ربك ؟ قال أمامك . يشير إلى البحر . فأقحم[١] يوشع فرسَه في البحر حتى بلغ الغَمْرَ ، فذهب به الغمر ، ثم رجع ، فقال أين أمَرَ [٢] ربك يا موسى ؟ فوالله ما كذبتَ ، ولا[٣] كَذِبتَ ، فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم أوحى الله إلى موسى: ﴿ **أن اضرب بعصاك البحر** ﴾ فضربه ﴿ **فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ - يقول مثل الجبل - ثم سار موسى ومن معه ، وأتبعهم فرعون في طريقهم ، حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم ، فلذلك قال ﴿ **وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون** ﴾ .

وكذلك قال غير واحد من السلف ، كما سيأتي بيانه في موضعه ، وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء ، كما قال الإمام أحمد(٣٥٩) :

حدّثنا عفان ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا أيوب ، عن عبد الله بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فقال: « **ما هذا اليوم الذي تصومون** » . قالوا هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله عزَّ وجلَّ فيه بني إسرائيل من عدوهم[٤] ، فصامه موسى عليه السلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **أنا أحق بموسى منكم** » فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بصومه .

وروى هذا الحديثَ البخاريُّ ومسلمٌ والنسائي وابن ماجة(٣٦٠) ، من طرق ، عن أيوب السختياني ، به نحو ما تقدم .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدّثنا أبو الربيع ، حدّثنا سلام - يعني ابن سليم - عن زيد العَمّيّ ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء** »(٣٦١) .

وهذا ضعيف من هذا الوجه ؛ فإن زيدًا العمّيّ فيه ضعف ، وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه .

---

(٣٥٩) - **صحيح** ، والحديث في المسند (١/٢٩١ ، ٣١٠ ، ٣٣٦)

(٣٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، باب : صوم يوم عاشوراء برقم (٢٠٠٤) ، وصحيح مسلم في كتاب الصيام برقم ١٢٨ - (١١٣٠) ، وابن ماجه في الصيام ، باب : صوم يوم عاشوراء (١٧٣٤) .

(٣٦١) - **إسناده ضعيف جدًا** ؛ لضعف زيد العمي ، ويزيد بن أبان الرقاشي ، والحديث في مسند أبي يعلى ٤٠٩٤ - (٧/١٣٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨٨) وقال : رواه أبو يعلى ، وفيه يزيد الرقاشي ، وفيه كلام وقد وثق . وأورده في المطالب ٣٨٢١ - (٨/٤٣٨) .

---

[١] - في ز ، خ: « فاقتحم » .
[٢] - في ز : أمرك .
[٣] - في خ: « أوما » ، وفي ز : وما .
[٤] - في ز ، خ: « غرقهم » .

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم، لمَّا عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه، عند انقضاء أمد المواعدة، وكانت أربعين يومًا، وهي المذكورة في الأعراف، في قوله تعالى: ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر**﴾ قيل: إنها ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة، وكان ذلك بعد خلاصهم من قوم فرعون، وإنجائهم من البحر.

وقوله تعالى: ﴿**وإذ آتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراة ﴿**والفرقان**﴾ وهو ما يَفْرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ﴿**لعلكم تهتدون**﴾. وكان ذلك أيضًا بعد خروجهم من البحر، كما دل عليه سياق الكلام في سورة الأعراف. ولقوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدىً ورحمة لعلهم يتذكرون**﴾.

[وقيل: الواو زائدة، والمعنى ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان، وهذا غريب. وقيل: عطف عليه، وإن كان المعنى واحدًا، كما في قول الشاعر:

وقَـدَّمَـتِ الأَدِيمَ لـراقـشـيـه   فـألـفـى قـولـهـا كـذبـا ومـينا

وقال الآخر:

ألَا حبَّذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ   وهندٌ أتى مِنْ دونها النأيُ والبعدُ

فالكذب هو المين، والنأي هو البعد. وقال عنترة:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادم عَهْدُه   أَقْـوَى وأَقْـفَـرَ بـعـدَ أُمِّ الـهـيـثـم

فعطف الإقفار على الإقواء وهو هو][١].

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

هذه صفةُ توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل[١] ، قال الحسن البصري - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿**وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل**﴾ .

فقال : ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع ، حين قال الله تعالى : ﴿**ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا**﴾ . الآية .

قال : فذلك حين يقول موسى : ﴿**يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل**﴾ .

وقال أبو العالية ، وسعيد بن جبير ، والربيع بن أنس : ﴿**فتوبوا إلى بارئكم**﴾ . أي إلى خالقكم .

قلت : وفي قوله هاهنا ﴿**إلى[٢] بارئكم**﴾ تنبيه على عظَم جرمهم . أي فتوبوا إلى الذي خلقكم ، وقد عبدتم معه غيره .

وقد[٣] روى النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم(٣٦٢) ، من حديث يزيد بن هارون ، عن الأصبغ بن زيد الورّاق ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الله تعالى : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل [من لقي[٤]][٥] من والد وولد ، فيقتله بالسيف ، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن .

فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله على[٦] ذنوبهم ، فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به ، فغفر الله للقاتل والمقتول . وهذا قطعة من حديث الفُتُون ، وسيأتي في سورة طه بكماله ، إن شاء الله .

وقال ابن جرير(٣٦٣) : حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، حدثنا إبراهيم بن بَشَّار ، حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : قال أبو سعيد : عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال قال موسى لقومه : ﴿**فتوبوا[٧] إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم**﴾ ،

(٣٦٢) - سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٢٦) ، وابن جرير (١٦٤/١٦ حلبي) ، وابن أبي حاتم ٥٣١ - (١٦٨/١) ، وأبو يعلى (٢٦١٨/٥) ، والطحاوي في المشكل (٦٦) وأصبغ بن زيد : وثقه يحيى بن معين ، وأبو داود ، والدارقطني ، وقال أبو حاتم ، والنسائي : ليس به بأس ، وضعفه ابن سعد وابن حبان ، وفي التقريب : صدوق يغرب . والقاسم بن أبي أيوب : ثقة .

(٣٦٣) - تفسير ابن جرير ٩٣٦ - (٧٣/٢) وسنده صحيح .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بقى » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز ، خ : « من » .
[٧] - في ز ، خ : « توبوا » .

قال : أمر موسى قومه - عن[١] أمر ربه عز وجل - أن يقتلوا أنفسهم ، قال[٢] : واحتبى الذين عبدوا[٣] العجل فجلسوا ، وقام الذين لم يعكفوا على العجل ، فأخذوا الخناجر بأيديهم ، وأصابتهم ظُلّة شديدة ، فجعل يقتل بعضهم بعضًا ، فانجلت الظُلّة عنهم ، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل ، كل من قتل منهم كانت له توبة ، وكل من بقي كانت له توبة .

وقال ابن جريج(٣٦٤) : أخبرني القاسم [بن أبي بَزَّة][٤] : أنه سمع سعيد بن جُبَير ومجاهدًا يقولان في قوله تعالى : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ قالا : قام بعضهم إلى بعض بالخناجر ، يقتل[٥] بعضهم بعضًا ، لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه ، فطرحوا ما بأيديهم ، فكشف عن سبعين ألف قتيل . وأن اللَّه أوحى إلى موسى : أن حَسْبي فقد اكتفيت ، فذلك حين ألوى موسى بثوبه .

[وروي عن علي - رضي اللَّه عنه - نحو ذلك][٦] . وقال قتادة : أمر القوم بشديد من الأمر ، فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضًا ، حتى بلغ اللَّه فيهم نقمته ، فسقطت الشفار من أيديهم ، فأمسك عنهم القتل فجعله لحَيِّهم توبة وللمقتول شهادة .

وقال الحسن البصري : أصابتهم ظلمة حنْدس(٣٦٥) ، فقتل بعضهم بعضًا ، ثم انكشف عنهم ، فجعل توبتهم في ذلك .

وقال السدّي : في قوله : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ قال : فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قُتل من الفريقين شهيدًا ، حتى كثر القتل ، حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل منهم[٧] سبعون ألفًا ، وحتى دعا موسى وهارون ربنا أهلكت بني إسرائيل ، ربنا البقيةَ البقيةَ ؛ فأمرهم أن يلقوا[٨] السلاح وتاب عليهم ، فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدًا ، ومن بقي مكفرًا عنه ؛ فذلك قوله ﴿ فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

وقال الزهري : لما أُمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها ، برزوا ومعهم موسى ، فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر ، وموسى رافع يديه ، حتى إذا أفنوا بعضهم ، قالوا[٩] : يا نبي اللَّه ؛ ادع اللَّه لنا ، وأخذوا بعضُديه يسندون يديه ، فلم يزل أمرهم على ذلك ، حتى إذا قبل اللَّه توبتهم قبض أيديهم

---

(٣٦٤) - تفسير ابن جرير ٩٣٥ - (٢/٧٣) ، وابن أبي حاتم برقم (٥٣٢) .

(٣٦٥) - حُندس : أي شديدة السواد .

---

[١] - في ز : من .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « عكفوا على » .
[٤] - في ز ، خ : « بن أبي بره » .
[٥] - في ز ، خ : « فقتل » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : بينهم .
[٨] - في ز ، خ : « يضعوا » .
[٩] - في ز : فقالوا .

بعضهم عن بعض، فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم، فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى ما يحزنك ؟ أما من قُتل منهم[١] فحيٌّ عندي يرزقون، وأما من بقي فقد قبلت توبته. فسُرَّ بذلك موسى وبنو إسرائيل.

رواه ابن جرير(٣٦٦) بإسناد جيد عنه.

وقال ابن إسحاق لما رجع موسى إلى قومه، وأحرق العجل وذَرّاه في اليم، خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة، ثم بُعثوا، فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل. فقال[٢] : لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم، قال : فبلغني أنهم قالوا لموسى نَصبر لأمر الله، فَأَمَرَ موسى : من لم يكن عَبَدَ العجل أن يقتل من عبده، فجلسوا بالأفنية وأصْلَتَ [عليهم القومُ][٣] السيوف، فجعلوا يقتلونهم، وبكى موسى، وَبَهَشَ[٤] (٣٦٧) إليه النساء والصبيان، يطلبون العفو عنهم، فتاب الله[٥] عليهم، وعفا عنهم، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما رجع موسى إلى قومه، وكانوا سبعين[٦] رجلًا قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه. فقال لهم موسى : انطلقوا إلى موعد ربكم. فقالوا يا موسى ؛ ما من توبة ؟ قال بلى، ﴿ **اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم** ﴾. الآية. فاخترطوا السيوف والجِرَزَة[٧] (٣٦٨) والخناجر والسكاكين.

قال : وبعث عليهم ضبابة. قال فجعلوا يتلامسون بالأيدي، ويقتل بعضهم بعضًا. قال ويلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو[٨] لا يدري. قال ويتنادون فيها[٩]، رحم الله عبدًا صبر نفسه[١٠] حتى يبلغ الله رضاه، قال فقتلاهم شهداء، وتِيبَ على أحيائهم ثم قرأ ﴿ **فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم** ﴾.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(٣٦٦) - ابن جرير برقم (٩٤١).

(٣٦٧) - بهش إليه : أسرع.

(٣٦٨) - جمع جُرز، وهو العمود من الحديد.

[١] - في ز : منكم.
[٢] - في ز : قال.
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « القوم عليهم ».
[٤] - في خ : « يهس ». وفي ز : هش.
[٥] - سقط من : ز، خ.
[٦] - في ز، خ : « سبعون ».
[٧] - في ز : الحررة، وهي سقط من : خ.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - سقط من : ز، خ.
[١٠] - سقط من : ز، خ.

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق ؛ إذ سألتم رؤيتي جهرة عيانًا ، مما لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم ، كما قال ابن جريج : قال ابن عباس في هذه الآية : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ قال : علانية(٣٦٩) .

وكذا قال إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق ، عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ أي : علانية ، أي : حتى نرى اللَّه(٣٧٠) .

وقال قتادة والربيع بن أنس : ﴿ **حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ أي عيانًا . وقال أبو جعفر . عن الربيع بن أنس : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه . قال[١] فسمعوا كلامًا ، فقالوا : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ . قال : فسمعوا صوتًا فصعقوا ، يقول : ماتوا .

وقال مروان بن الحكم ، فيما خطب به على منبر مكة : الصاعقة : صيحة من السماء .

وقال السدي في قوله : ﴿ **فأخذتكم الصاعقة** ﴾ الصاعقة[٢] : نار .

وقال عروة بن رُوَيم في قوله : ﴿ **وأنتم تنظرون** ﴾ قال فصُعق بعضهم وبعضٌ ينظرون ، ثم بُعث هؤلاء وصُعق هؤلاء .

وقال السدي : ﴿ **فأخذتكم الصاعقة** ﴾ فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو اللَّه ، ويقول : رب ؛ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ، ﴿ **لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منَّا** ﴾ . فأوحى اللَّه إلى موسى : أنّ هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ، ثم إنّ اللَّه أحياهم فقاموا وعاشوا[٣] رجلٌ رجلٌ ، ينظر بعضهم إلى بعض : كيف يحيون ؟ قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾ .

وقال الربيع بن أنس : كان موتُهم عقوبة لهم ، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم . وكذا قال قتادة .

وقال ابن جرير(٣٧١) : حدّثنا محمد بن حميد ، حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ، وقال لأخيه وللسامري ما قال ، وحَرَّق العجل وذرّاه في اليم ، اختار موسى منهم سبعين رجلًا ؛ الخيِّر فالخيِّر ، وقال : انطلقوا

---

(٣٦٩) - رواه ابن جرير برقم (٩٤٧) ، وسنده ضعيف .

(٣٧٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٣٨) ، وفي سنده ضعف .

(٣٧١) - تفسير ابن جرير ٩٥٧ - (٨٦/٢ - ٨٧)، وسنده ضعيف جدًّا .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : وعاش .

إلى اللَّه وتوبوا [إلى اللَّه][١] مما صنعتم ، واسألوه[٢] التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهِّروا ثيابكم .

فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وَقَّتَهُ له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعِلْم ، فقال له السبعون ، فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء اللَّه - قالوا : يا موسى ؛ اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا ، فقال أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم ادنوا - وكان موسى إذا كلمه اللَّه[٣] وقع على جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه - فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودًا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه : افعل ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ فأخذتهم الرجفة ، وهي الصاعقة ، فماتوا جميعًا ، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي** ﴾ قد سَفِهوا ، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا ؟ أي : إنّ هذا لهم هلاك ، و[٤] اخترت منهم سبعين[٥] رجلًا ، الخيِّر فالخيِّر ، أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد ، فما الذي يصدّقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا ؟ ﴿ **إنا هُدْنا إليك** ﴾ فلم يزل موسى يناشد ربه - عزَّ وجلَّ - ويطلب إليه حتى ردَّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا إلا أن يقتلوا أنفسهم .

هذا سياق محمد بن إسحاق .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير : لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب اللَّه عليهم بقتل[٦] بعضهم لبعض[٧] - كما أمرهم اللَّه[٨] به - أمر اللَّهُ موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موسى ، فاختار موسى قومَه سبعين رجلًا على عَينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، وساق البقية .

[وهذا السياق يقتضي أنّ الخطاب توجه إلى بني إسرائيل ، في قوله : ﴿ **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللَّه جهرة** ﴾ والمراد : السبعون المختارون منهم ، ولم يحك كثير من المفسرين سواه ، وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين : أنهم بعد إحيائهم قالوا : يا موسى ؛ إنك لا تطلب من اللَّه شيئًا إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء ، فدعا بذلك ، فأجاب اللَّه

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في خ : « وسلوه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ت : تسعين .
[٦] - في خ : « يقتل » .
[٧] - في ز : بعضًا .
[٨] - سقط من ز .

دعوته .

وهذا غريب جدًّا ؛ إذ لا يعرف في زمان موسى نبيٌّ سوى هارون ثم يوشع بن نون ، وقد غلط أهل الكتاب أيضًا في دعواهم أن هؤلاء رأوا اللّٰه عز وجل ؛ فإنّ موسى الكليم - عليه السلام - قد سأل ذلك فمنع منه ، كيف يناله هؤلاء السبعون .

القول الثاني في الآية [١] :

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية قال لهم موسى - لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل ، فأمرهم بقتل أنفسهم ، ففعلوا ، فتاب اللّٰه عليهم - فقال : إن هذه الألواح فيها كتاب اللّٰه ؛ فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه . فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا واللّٰه حتى نرى اللّٰه جهرة ، حتى يطلع اللّٰه علينا ويقول[٢] : هذا كتابي فخذوه ، فماله لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى ؛ وقرأ قول اللّٰه : ﴿**لن نؤمن لك حتى نرى اللّٰه جهرة**﴾ قال : فجاءت غضبة من اللّٰه ، فجاءتهم صاعقة بعد التوبة ، فصَعَقَتهم فماتوا أجمعون ، قال : ثم أحياهم اللّٰه من بعد موتهم ، وقرأ قول اللّٰه ﴿**ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون**﴾ : فقال لهم موسى : خذوا كتاب اللّٰه . فقالوا : لا ، فقال : أي شيء أصابكم ؟ فقالوا[٣] : أصابنا أنا متنا ثم حيينا ، قال : خذوا كتاب اللّٰه . قالوا : لا . فبعث اللّٰه ملائكة فنتقت الجبل فوقهم . [وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا .

وقد حكى الماوردي في ذلك قولين : أحدهما أنه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرة حتى صاروا مضطرين إلى التصديق .

والثاني : أنهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف . قال القرطبي : وهذا هو الصحيح ؛ لأن معاينتهم للأمور الفظيعة لا تمنع تكليفهم ؛ لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أمورًا عظامًا من خوارق العادات وهم في ذلك مكلفون، وهذا واضح ، واللّٰه أعلم][٤] .

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

لما ذكر تعالى ما[٥] دفعه عنهم من[٦] النقم ، شرع يذكرهم أيضا بما أسبغ عليهم من النعم ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « فيقول » .
[٣] - في ز : قالوا . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من: ز ، خ. [٦] - سقط من ز .

فقال: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ وهو جمع غمامة، سُمي بذلك، لأنه يَغُمّ السماء أي: يواريها ويسترها. وهو السحاب الأبيض، ظُلّلوا به في التيه ليقيهم حرّ الشمس، كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث الفُتُون قال: ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام.

و[١] قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عمر والربيع بن أنس، وأبي مِجْلَز والضحاك والسدي نحو قول ابن عباس، وقال الحسن وقتادة: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾: كان هذا في البرية، ظلل عليهم الغمام من الشمس.

وقال ابن جرير[٢]: قال آخرون: وهو غمام أبرد من هذا وأطيب.

وقال ابن أبي حاتم(٣٧٢): حدّثنا أبي، حدّثنا أبو حذيفة، حدّثنا شبل، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ قال: ليس بالسحاب، هو الغمام الذي يأتي اللّه فيه يوم القيامة، ولم يكن إلا لهم.

وهكذا رواه ابن جرير(٣٧٣)، عن المثنى بن إبراهيم، عن أبي حذيفة.

وكذا رواه الثوري، وغيره، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد(٣٧٤).

وكأنه يريد - واللّه أعلم - أنه ليس من زيِّ هذا السحاب بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظرًا، كما قال سنيد في تفسيره عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ قال: غمام أبرد من هذا وأطيب، وهو[٣] الذي يأتي اللّه فيه في قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللّه في ظلل من الغمام [والملائكة][٤]﴾ وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر. قال ابن عباس: وكان معهم في التّيه.

وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليكم المنّ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المنّ ما هو؟ فقال علي ابن أبي طلحة: عن ابن عباس: كان المنّ ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا(٣٧٥).

---

(٣٧٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٥٣).
(٣٧٣) - رواه ابن جرير برقم (٩٦٣).
(٣٧٤) - رواه ابن جرير برقم (٩٦٢).
(٣٧٥) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٥٦).

---

[١] - زيادة من ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «جريج».
[٣] - في خ: «وهذا».
[٤] - سقط من ز.

وقال مجاهد: المنّ صمغة. وقال عكرمة: المنّ شيء أنزله الله عليهم مثل: الطل، يشبه[١] الرُّبّ الغليظ.

وقال السدي: قالوا: يا موسى؛ كيف لنا بما هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المنّ، فكان يسقط[٢] على شجرة[٣] الزنجبيل.

وقال قتادة: كان المنّ ينزل عليهم[٤] في محلتهم سُقُوط الثلج، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق حتى إذا كان يوم سادسه - ليوم[٥] جمعته - أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عيد لا يشخَص فيه لأمر[٦] معيشته ولا يطلبه لشيء، وهذا كله في البرية.

وقال الربيع بن أنس: المنّ شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.

وقال وهب بن منبه - وسئل عن المنّ - فقال: خُبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل النَقيّ. وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني محمد[٧] بن إسحاق، حدثنا أبو أحمد، حدثنا إسرائيل، عن جابر، عن عامر - وهو الشعبي - قال: عسلكم هذا جزء من سبعين جزءًا من المنّ.

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنه العسل. ووقع في شعر أمية بن أبي الصلت حيث قال:

فرأى اللّه أنهم بِمَضِيع لا بذي مَزرَع ولا مَثْمُورا
فسناها عليهمُ غاديات وتَرى مُزْنهم خلايا وخورا
عسلا ناطقًا وماء فراتًا وحليبًا ذا بهجة مرمورا

فالناطف: هو السائل، والحليب المرمور: الصافي منه.

والغرض أنّ عبارات المفسرين متقاربة في شرح المنّ؛ فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب. والظاهر - والله أعلم - أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كَدٌّ، فالمنّ المشهور إن أُكل وحده كان طعامًا وحلاوة، وإن مزج مع الماء صار شرابًا طيبًا، وإن ركب مع غيره صار نوعًا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده،

[١] - في ت: «شبه».
[٢] - في خ: «ينزل».
[٣] - في ز: الشجرة.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في خ: «كيوم».
[٦] - في خ: «أمر».
[٧] - في ز، خ: «أحمد».

والدليل على ذلك قول البخاري(٣٧٦) :

حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن[١] عمرو بن حُرَيث عن سعيد بن زيد - رضي اللّٰه عنه - قال : قال النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم : **« الكمأة(٣٧٧) من المنّ(٣٧٨) ، وماؤها شفاء للعين »** .

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك - وهو ابن عمير - به .

وأخرجه الجماعة(٣٧٩) في كتبهم ؛ إلا أبا داود ، من طرق عن عبد الملك -وهو ابن عمير - به .

وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه البخاري ومسلم والنسائي من رواية الحكم ، عن الحسن العُرَني ، عن عَمرو بن حريث ، به(٣٨٠) .

وقال الترمذي(٣٨١) : حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ، ومحمود بن غيلان قالا حدثنا سعيد ابن عامر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : **« العجوة من الجنة ، وفيها شفاء من السم ، والكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين »** .

تفرد بإخراجه الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن غريب ، [لا نعرفه إلا من حديث محمد

---

(٣٧٦) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : قوله ﴿ وأنزلنا عليكم الغمام ... ﴾ برقم (٤٤٧٨) والمسند (١/١٨٧) .

(٣٧٧) - الكَمْأَة جمع : كمأ ، وهو فُطْرٌ من الفصيلة الكمئية ، وهي أرضيَّة تنتفخ حاملاتِ أبواغها فتُجْنَى وتؤكل مطبوخة ، ويختلف حجمها بحسب الأنواع . المعجم الوسيط [٢/٨٢٩]

(٣٧٨) - المَنّ ؛ أي : هي مِمَّا مَنَّ اللّٰه به على عباده . وقيل : شبهها بالمَنِّ ، وهو العسل الحُلْوُ الذي ينزل من السماء عَفْوًا بلا عِلاجٍ . وكذلك الكمأة لا مؤونة فيها ببَذْرٍ ولا سَقْيٍ . نهاية [٤/٣٦٦]

(٣٧٩) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الأعراف ، باب : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ برقم (٤٦٣٩) ، ومسلم في الأشربة برقم (٢٠٤٩) ، والترمذي في الطب ، باب : ما جاء في الكمأة والعجوة برقم (٢٠٦٧) ، والنسائي في الكبرى برقم (٦٦٦٧) .

(٣٨٠) - صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب : المن شفاء للعين برقم (٥٧٠٨) ، ومسلم في الأشربة برقم (٢٠٤٩) ، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٩٨٨) .

(٣٨١) - الترمذي في الطب ، باب : ما جاء في الكمأة والعجوة برقم (٢٠٦٦) .

---

[١] - في ز : عن .

ابن عمرو، وإلا من حديث سعيد بن عامر، عنه،][١] وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر.

كذا قال. وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه في تفسيره(٣٨٢)، من طريق آخر، عن أبي هريرة، فقال: حدّثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصري، حدّثنا أسلم بن سهل، حدّثنا القاسم بن عيسى، حدّثنا طلحة بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وطلحة بن عبد الرحمن هذا [السلمي الواسطى][٢]، يكنى: بأبي محمد، وقيل: أبو سليمان المؤدب. قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي: روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها(٣٨٣).

ثم قال الترمذي[٣]: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا معاذ بن هشام، حدّثنا أبي، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة أن ناسًا من أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قالوا: الكمأة جُدَري الأرض، فقال نبي اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم**».

وهذا الحديث قد رواه النسائي عن محمد بن بشار، به(٣٨٤).

وعنه، عن غندر، عن شعبة، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، به(٣٨٥).

وعن محمد بن بشار، عن عبد الأعلى، عن خالد الحذاء، عن شهر بن حوشب. بقصة الكمأة فقط(٣٨٦).

---

(٣٨٢) - إسناده ضعيف جدًا، لضعف طلحة بن عبد الرحمن، وانظر الكامل (١٤٣٢/٤ - ١٤٣٣).

(٣٨٣) - الكامل لابن عدي (١١٤/٤).

(٣٨٤) - رواه الترمذي برقم (٢٠٦٨) والنسائي في الكبرى برقم (٦٦٧١) عن نصير بن الفرج، عن معاذ بن هشام، به، ولم أقف عليه، عن محمد بن بشار، وقد ذكره المزى، عن محمد بن بشار في تحفة الأشراف (١١٢/١٠). وإسناده ضعيف لضعف شهر.

(٣٨٥) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٣). وإسناده ضعيف لضعف شهر.

(٣٨٦) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٢). وإسناده ضعيف لضعف شهر.

---

[١] - وعبارة الترمذي هكذا: من هذا الوجه، وهو من حديث محمد بن عمرو، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو.

[٢] - في ز: يسلمي واسطي.

[٣] - سقط من: ز، خ.

وروى[١] النسائي أيضًا وابن ماجة[٢] [من حديث][٣] محمد بن بشار، عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد، عن مطر الوراق، عن شهر بقصة العجوة عند النسائي، وبالقصتين عند ابن ماجة(٣٨٧).

وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة؛ فإنه لم يسمع[٤] منه، بدليل ما رواه النسائي في الوليمة من سننه عن علي بن الحسين الدرهمي، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يذكرون الكمأة، وبعضهم يقول: جدري الأرض. فقال: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»**(٣٨٨).

وروي، عن شهر [بن حوشب][٥]، عن أبي سعيد وجابر، كما قال الإمام أحمد(٣٨٩):

حدّثنا أسباط بن محمد، حدّثنا الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم»**.

وقال النسائي في الوليمة أيضًا: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة،

---

(٣٨٧) - سنن ابن ماجة في كتاب الطب، باب: الكمأة والعجوة برقم (٣٤٥٥).

(٣٨٨) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٠).

(٣٨٩) - المسند (٤٨/٣) وإسناده ضعيف من أجل شهر بن حوشب. وأسباط بن محمد هو ابن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة أبو محمد الكوفي، قال ابن معين: ثقة، وقال مرة: ليس به بأس، وكان يخطيء عن سفيان، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح، وقال ابن سعد: كان ثقة صدوقًا؛ إلا أن فيه بعض الضعف، وفي التقريب: ثقة ضُعِّف في الثوري من التاسعة. ع.
وأخرجه ابن ماجه - كتاب الطب، باب: الكمأة والعجوة (٣٤٥٣) حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، ثنا أسباط بن محمد، به.
وأخرجه النسائي في الكبرى - كتاب الأطعمة، باب: الاختلاف علي أبي بشر (٦٦٧٤) (١٥٧/٤). من طريق أبي خيثمة، قال: ثنا الأعمش، به - مختصرًا.
وأخرجه ابن ماجه، والنسائي (٦٦٧٧). من طريقين عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، بنحوه. وقال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن، وشهر مختلف فيه، لكن قيل: الصواب عن أبي هريرة كما في رواية غير المصنف. =

---

[١] - في خ: ورواه.
[٢] - في ز، خ: «عن».
[٣] - سقط من: خ.
[٤] - في ز: يسمعه.
[٥] - سقط من ز.

[عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد وجابر - رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم قال: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**»(٣٩٠).

ثم رواه أيضًا [ ][١] ابن ماجة من طرق عن الأعمش][٢] عن أبي بشر، عن شهر عنهما، به(٣٩١).

وقد رويا[٣] - أعني النسائي وابن ماجة من حديث سعيد بن مسلم كلاهما عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد. زاد النسائي جابر[٤]، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**»(٣٩٢).

ورواه ابن مردويه، عن أحمد بن عثمان، عن عباس الدوري، عن لاحق بن صواب، عن عمار بن رُزَيق، عن الأعمش، كابن ماجة.

وقال ابن مَرْدُويه أيضًا حدّثنا أحمد بن عثمان، حدثنا عباس الدوري، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: خرج علينا رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - وفي يده كمآت[٥]

= لكن للحديث إسناد آخر عن أبي سعيد مرفوعًا - بلفظ مختصر -

أخرجه النسائي (٦٦٧٨) (١٥٨/٤)، وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الطب، باب: في الكمأة (٢) (٤٦٢/٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٤٨) (٥٠١/٢)، وعنه ابن حبان في صحيحه (٦٠٧٤) (١٣/ ٤٣٨): وفي الموارد (١٤٠٢) (٣٨٢/٤-٣٨٣). من طريق شيبان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي سعيد الخدري؛ قال: خرج علينا رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - وفي يده أكْمُؤٌ فقال «**هؤلاء من المن، وماؤها شفاء للعين**». وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

وفي الباب عن سعيد بن زيد عند البخاري في التفسير، باب: «وظللنا عليكم الغمام» (٤٤٧٨).

ومسلم في الأشربة، باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها (٢٠٤٩)، والترمذي في الطب، باب: ما جاء في الكمأة والعجوة (٢٠٦٨)، وابن ماجه (٣٤٥٤)، وتقدم (١٨٧/١، ١٨٨).

(٣٩٠) - لم أقف عليه في المطبوع من سنن النسائي الكبرى، وعزاه المزي له في التحفة (١٨٩/٢).

(٣٩١) - أخرجه ابن ماجه - كتاب الطب، باب: الكمأة والعجوة (٣٤٥٣) حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن نمير، ثنا أسباط بن محمد، به.

(٣٩٢) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٦-٦٦٧٧)، وسنن ابن ماجة برقم (٣٤٥٣) لكن وقع في سنن النسائي عن جرير عن الأعمش، واللَّه أعلم.

[١] - في ز: [و].
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٣] - في ز، خ: «روياه».
[٤] - في ز: وجابر.
[٥] - في خ: «كموات».

فقال: **«الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»** .

وأخرجه النسائي، عن عمرو بن منصور، عن الحسن بن الربيع، به(٣٩٣)

ثم [ ][١] رواه أيضًا، عن عبد الله بن إسحاق، عن الحسن بن سلام، عن عبيد الله بن موسى، عن شيبان[٢] ، عن الأعمش، به .

وكذا رواه النسائي(٣٩٤) ، عن أحمد بن عثمان بن حكيم، عن عبيد الله بن موسى[٣].

وقد روي من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - كما قال ابن مردويه .

حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا حمدون بن أحمد، حدثنا حوثرة بن أشرس، حدثنا حماد، عن شعيب بن الحبحاب عن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تدارءوا[٤] في الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، فقال بعضهم: نحسبه[٥] الكمأة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين، والعجوة من الجنة، وفيها شفاء من السم»**(٣٩٥) .

وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة. وقد روى الترمذي والنسائي(٣٩٦) من طريقه شيئًا من هذا، والله أعلم.

وروي عن شهر، عن ابن عباس، كما رواه النسائي أيضًا في الوليمة عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد، عن عبد الله بن عون الخراز[٦] ، عن أبي عبيدة الحداد، عن عبد الجليل بن عطية، عن شهر، عن عبد الله بن عباس [عن النبي][٧] صلى الله عليه وسلم قال: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»**(٣٩٧) .

(٣٩٣) - لم أقف عليه في المطبوع من سنن النسائي الكبرى، وقد أورده المزي في تحفة الأشراف (٣٨٨/٣ حديث ٤١٣١) وعزاه للنسائي في الكبرى، كتاب التفسير .

(٣٩٤) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٧٨) .

(٣٩٥) - ورواه ابن عدي في الكامل (٣٧٠/٢) من طريق حسان بن سياه، عن ثابت، عن أنس بنحوه. وقال ابن عدي: وحسان بن سياه له أحاديث غير ما ذكرت، وعامتها لا يتابعه غيره عليها، والضعف يتبين على رواياته، وأحاديثه .

(٣٩٦) - رواه الترمذي برقم (٣١١٩)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٦٢) .

(٣٩٧) - سنن النسائي الكبرى برقم (٦٦٦٩)، ورواه الطبراني (١٣٠١٠/١٢)، وسنده ضعيف =

[١] - في ت: ابن مردويه .

[٢] - في خ: «سفيان» .

[٣] - سقط من: خ .

[٤] - في ز، خ: «تداروا» .

[٥] - في خ: «هي» .

[٦] - في ز، خ: «الجزار» .

[٧] - في خ: «أن رسول الله» .

فقد اختلف -كما ترى- فيه على شهر بن حوشب، ويحتمل عندي أنه حفظه ورواه من هذه الطرق كلها، وقد سمعه من بعض الصحابة وبلغه عن بعضهم؛ فإن الأسانيد إليه جيدة، وهو لا يتعمد الكذب، وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما تقدم من رواية سعيد بن زيد [رضي الله عنه][١].

وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس السلوى طائر شبيه[٢] بالسُّمَانَى، كانوا يأكلون منه(٣٩٨).

وقال السدي في خَبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس[٣] من الصحابة: السلوى: طائر يشبه السُّمَانى(٣٩٩).

وقال ابن أبي حاتم(٤٠٠): حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا قرة بن خالد، عن جهضم، عن ابن عباس قال: السلوى: هو السُّمَانى.

وكذا قال مجاهد والشعبي والضحاك والحسن، وعكرمة والربيع بن أنس، رحمهم الله تعالى[٤]، وعن عكرمة: أمّا السلوى فَطَيْر كطير يكون بالجنة، أكبر من العصفور، أو نحو ذلك.

وقال قتادة: السلوى كان[٥] من طير إلى الحمرة، تحشُرها[٦] عليهم الريحُ الجنوبُ، وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدّى فسد ولم يبق عنده، حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه[٧] لشيء ولا يطلبه.

وقال وهب بن منبه: السلوى: طير سمين مثل الحمام، كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت. وفي رواية عن وهب، قال: سألَتْ بنو إسرائيل موسى -عليه السلام- اللحم، فقال الله: لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض، فأرسل عليهم ريحًا، فأذرت عند مساكنهم

= لضعف عبد الجليل بن عطية، وثقه ابن معين، ولينه البخاري، وقال أبو أحمد الحاكم: حديثه ليس بالقائم.

(٣٩٨) - ابن أبي حاتم برقم (٥٦٤).

(٣٩٩) - ابن جرير برقم (٩٧٩).

(٤٠٠) - تفسير ابن أبي حاتم برقم (٥٦٣).

---

[١] - سقط من: «خ».

[٢] - في ت: «يشبه».

[٣] - في ز، خ: «أناس».

[٤] - سقط من: خ.

[٥] - سقط من: ز، خ.

[٦] - في ز: يحشرها.

[٧] - في ز، خ: «منه».

السلوى، وهو السمانى[١]، مثل ميل في ميل قيدَ رمح في[٢] السماء، فخبؤا[٣] للغد[٤] فنتن اللحم وخَنِز الخبز.

وقال السدي: لما دخل بنو إسرائيل التيه، قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بما هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المنّ، فكان ينزل[٥] على شجر[٦] الزنجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير، فإن كان سمينًا ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه، فقالوا: هذا الطعام، فأين الشراب؟ فأمِر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا[٧] عشرة عينًا، فشرب كل سِبْط من عين، فقالوا: هذا الشراب، فأين الظل؟ فَظَلَّل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول[٨] معهم كما تطول الصبيان، ولا يَنخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى: ﴿**وظللنا عليكم[٩] الغمام وأنزلنا عليكم[١٠] المنّ والسلوى**﴾، وقوله: ﴿**وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا[١١] عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم، [كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين][١٢]**﴾.

وروي عن وهب بن منبه، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السدي.

وقال سنيد: عن حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: خُلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن، قال ابن جريج: فكان[١٣] الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد، إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدًا.

[قال ابن عطية(٤٠١): السلوىٰ طير بإجماع المفسرين، وقد غلط الهذلي في قوله: إنه العسل، وأنشد في ذلك مستشهدًا.

وقاسمها بالله جهدًا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما أشورها

قال: فظنّ أنّ للسلوى عسلًا. قال القرطبي: دعوى الإجماع لا يصح؛ لأن المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير قال: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي هذا، وذكر أنه كذلك في لغة كنانة؛

(٤٠١) - المحرر الوجيز لابن عطية (١/٢٢٩).

[١] - في ز، خ: «السمان».
[٢] - في ز، خ: «إلى».
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: للعيد.
[٥] - في ز: يسقط.
[٦] - في ز: الشجر.
[٧] - في ز، خ: «اثنتى».
[٨] - في ز: يطول.
[٩] - في ز: عليهم.
[١٠] - في ز: عليهم.
[١١] - في ز، خ: «اثنتى».
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[١٣] - في ز: وكان.

لأنه يسلى به ومنه عين سلوان.

وقال الجوهري: السلوى: العسل، واستشهد ببيت الهذلي أيضًا. والسلوانة بالضم: خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا، قال الشاعر:

شربتُ على سُلوانةٍ ماءَ مُزْنةٍ فلا وجديدِ العيش يامَيُّ ما أسلو

واسم ذلك الماء: السلوان، وقال بعضهم: السلوان دواء يشفي الحزين فيسلوا، والأطباء يسمونه مفرج. قالوا: والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضًا، كما يقال سماني للمفرد والجمع، وويلي كذلك.

وقال الخليل: واحده سلواة وأنشد:

وإني لتعروني لذكراك هِزَّة كما انتفض السَّلواة من بَلَلِ القطر

وقال الكسائي: السلوى واحدة وجمعه سلاوى. نقله كله القرطبي(٤٠٢) [١].

وقوله تعالى: ﴿**كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ أمر إباحة وإرشاد وامتنان، وقوله تعالى: ﴿**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾، أي: أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدوا، كما قال ﴿**كلوا من رزق ربكم واشكروا له**﴾ فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات، والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات؛ ومن هاهنا تتبين فضيلة أصحاب محمد [صلى الله عليه وسلم] ورضي عنهم على سائر أصحاب الأنبياء، في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، [مع ما] [٢] كانوا معه في أسفاره وغزواته؛ منها عام تبوك، في ذلك القيظ والحرّ الشديد والجهد، لم يسألوا خرق عادة، ولا إيجادَ أمر، مع أن ذلك كان سهلًا على النبي [٣] صلى الله عليه وسلم، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم، فجمعوا ما معهم فجاء قدر مَبْرك الشاة، فدعا الله [٤] فيه، وأمرهم فملئوا كل وعاء معهم، وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم [٥] سحابة فأمطرتهم، فشربوا وسقوا الإبل وملئوا سقيتهم [٦]، ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر. فهذا هو الأكمل في الاتباع [٧]: المشي مع قدر الله، مع متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ

(٤٠٢) - تفسير القرطبي (١/٤٠٨).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز، خ: «كما».
[٣] - في خ: «الرسول».
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في خ: «فجاءت».
[٦] - في ز، خ: «أسقيتهم».
[٧] - في ت: اتباع.

سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى لائمًا لهم على نكولهم عن الجهاد، ودخول الأرض المقدّسة، لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى – عليه السلام – فأمروا بدخول الأرض المقدّسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرماهم الله تعالى في التيه عقوبة لهم، كما ذكره تعالى في سورة المائدة، ولهذا[١] كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نص على ذلك السديُّ والرّبيعُ بن أنسٍ وقتادةُ، [وأبو مسلم الأصفهانيُّ وغير واحد. وقد قال الله تعالى حاكيًا عن موسى: **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا﴾**. الآيات][٢]. وقال آخرون: هي أريحا، [ويحكى عن ابن عباس، وعبد الرحمن ابن زيد][٣]، وهذا بعيد؛ لأنها ليست على طريقهم، وهم قاصدون بيت المقدس، لا أريحا، [وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر، حكاه الرازي في تفسيره، والصحيح الأول أنها بيت المقدس][٤]، [وهذا كان لما][٥] خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون – عليه السلام – وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلًا حتى أمكن الفتح، وأما أريحا فقرية ليست مقصودة لبني إسرائيل، ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب باب البلد **﴿سجدًا﴾** أي شكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، وردّ بلدهم إليهم وإنقاذهم من التيه والضلال.

[قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس(٤٠٣) أنه كان يقول في قوله تعالى: **﴿وادخلوا الباب سجدًا﴾** أي ركعًا][٦].

وقال ابن جرير: حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا أبو أحمد الزبيري، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله **﴿وادخلوا الباب سجدًا﴾** قال: ركعًا من باب صغير.

---

(٤٠٣) – رواه ابن جرير برقم (١٠٠٦)، وسنده ضعيف جدًا.

---

[١] – في ز، خ: «وهذا».
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] – في ز، خ: «ولهذا خرجوا».
[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

ورواه الحاكم من حديث سفيان، به. ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان - وهو الثوري - به(٤٠٤). وزاد: فدخلوا من قبل أستاههم.

[وقال الحسن البصري: أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم، واستبعده الرازي وحكى عن بعضهم أن المراد هاهنا في السجود الخضوع لتعذر حمله على حقيقته][١] وقال خصيف: قال عكرمة: قال ابن عباس: كان الباب قِبَل القِبلة.

وقال [ابن عباس][٢] ومجاهد والسدي وقتادة[٣] والضحاك: هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس.

[وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهة من جهات القبلة][٤]

وقال خصيف: قال عكرمة: قال ابن عباس: فدخلوا على شق(٤٠٥).

وقال السدي: عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود(٤٠٦)، عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجدًا، فدخلوا مقنعي رؤوسهم أي: رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا.

وقوله [تعالى: ﴿**وقولوا حطةٌ**﴾ قال الثوري: عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿**وقولوا حطة**﴾][٥] قال: مغفرة، استغفروا.

وروي عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس، نحوه.

وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿**وقولوا**[٦] **حطةٌ**﴾ قال: قولوا: هذا الأمر حق، كما قيل لكم(٤٠٧).

وقال عكرمة: قال[٧]: قولوا: لا إله إلا الله.

(٤٠٤) - تفسير ابن جرير ١٠٢٤ - (١١٣/٢)، والمستدرك (٢٦٢/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم ٥٨٠ - (١/١٨٢). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قلت: المنهال من رجال البخاري دون مسلم.

(٤٠٥) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٥٨١).

(٤٠٦) - ابن أبي حاتم برقم (٥٨٣) بسندٍ ضعيف.

(٤٠٧) - ابن جرير برقم (١٠١٧)، وابن أبي حاتم برقم (٥٨٥)، وإسناده ضعيف.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «وقوله:».
[٧] - زيادة من: خ.

وقال الأوزاعي: كتب ابن عباس إلى رجل قد سماه يسأله عن قوله تعالى: ﴿**وقولوا حطة**﴾ فكتب إليه أن أقرّوا بالذنب.

وقال الحسن وقتادة: أي احطط عنا خطايانا ﴿**نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين**﴾ وقال[١]: هذا جواب الأمر، أي: إذا فعلتم ما أمرناكم؛ غفرنا لكم الخطيئات وضعفنا لكم الحسنات.

وحاصل الأمر: أنهم أمروا أن يخضعوا للَّه تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها، والمبادرة إلى ذلك من[٢] المحبوب [عند اللَّه][٣] تعالى، كما قال تعالى ﴿**إذا جاء نصر اللَّه والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين اللَّه أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا**﴾. فسره بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر، وفسره ابن عباس: بأنه نُعي إلى رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- أجله فيها، وأقرّه على ذلك عمر -رضي اللَّه عنه-.

ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك ونعي إليه روحه الكريمة أيضًا، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدًّا عند النصر، كما روي أنه كان يوم الفتح -فتح مكة- داخلًا إليها من الثنية العليا، وإنه لخاضع لربه حتى أن عثنونه ليمس مورك رحله، [شكرًا للَّه][٤] على ذلك.

ثم لما دخل البلد اغتسل وصلّى ثماني ركعات وذلك ضحىً، وقال[٥] بعضهم: هي صلاة الضحى. وقال آخرون: بل هي صلاة الفتح؛ فاستحبوا للإمام وللأمير[٦] إذا فتح بلدًا أن يصلي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله، كما فعل سعد بن أبي وقاص -رضي اللَّه عنه- لما دخل إيوان كسرى صلى فيه ثماني ركعات، والصحيح[٧] أنه يفصل بين كل ركعتين بتسليم، وقيل يصليها كلها بتسليم واحد، واللَّه أعلم.

وقوله تعالى: ﴿**فبدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم**﴾.

قال البخاري(٤٠٨): حدّثني محمد، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن ابن المبارك، عن

(٤٠٨) - صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ...﴾ برقم (٤٤٧٩). ورواه النسائي في الكبرى برقم (١٠٩٨٩)، وبرقم (١٠٩٩٠).

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز: عن.
[٣] - في ز، خ: «للَّه».
[٤] - يشكر اللَّه.
[٥] - في ز، خ: «فقال».
[٦] - في ز: الأمير.
[٧] - سقط من ز.

معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال **«قيل لبني إسرائيل ﴿ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة»**.

ورواه النسائي: عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن مهدي، به موقوفًا. وعن محمد بن عبيد بن محمد، عن ابن المبارك ببعضه مسندًا في قوله تعالى: ﴿**حطة**﴾ قال: فبدلوا[١]، فقالوا: حبة.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله لبني إسرائيل ﴿**ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم**﴾ فبدلوا، ودخلوا[٢] الباب يزحفون على أستاههم فقالوا: حبة في شعرة».

وهذا حديث صحيح رواه البخاري، عن إسحاق بن نصر، ومسلم عن محمد بن رافع، والترمذي، عن عبد [الرحمن][٣] بن حميد، كلهم عن عبد الرزاق، به(٤٠٩).

وقال الترمذي حسن صحيح.

وقال محمد بن إسحاق: كان تبديلهم، كما حدثني صالح بن كيسان، عن صالح مولى التوأمة[٤]، عن أبي هريرة، وعمن لا أتهم عن ابن عباس: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **«دخلوا الباب - الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجدًا - يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شعيرة»**(٤١٠).

وقال أبو داود(٤١١): حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الله ابن وهب، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا**

(٤٠٩) - صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب: قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ برقم (٤٦٤١)، ومسلم في التفسير برقم ١ - (٣٠١٥)، والترمذي في التفسير، تفسير سورة البقرة برقم (٢٩٥٦).

(٤١٠) - صالح: ضعيف واختلط، والحديث رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٢٠ - (١١٢/٢)، و١٠٢١ - (١١٢/٢) عن محمد بن إسحاق، قال: حدثت عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس فذكره.

(٤١١) - رواه أبو داود في الحروف والقراءات برقم (٤٠٠٦) وسنده حسن.

[١] - في ز: بدلوا.

[٢] - في خ: «فدخلوا».

[٣] -

[٤] - في خ: «التومة».

وقولوا: حطة نغفر لكم خطاياكم». ثم قال أبو داود: حدّثنا جعفر بن مسافر، حدّثنا ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد بمثله[١].

هكذا رواه منفردًا به في كتاب الحروف مختصرًا.

وقال ابن مردويه: حدّثنا عبد اللّه بن جعفر، حدّثنا إبراهيم بن مهدي[٢]، حدثنا أحمد ابن محمد بن المنذر القزاز، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن أبي[٣] فديك، عن[٤] هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: سرنا مع رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - حتى إذا كان من آخر الليل، أجزنا في ثنية[٥] يقال لها: ذات الحنظل، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: **«ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال اللّه لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا وقولوا: حطة نغفر لكم خطاياكم»**(٤١٢).

وقال سفيان الثوري: عن أبي إسحاق، عن البراء: **﴿سيقول السفهاء من الناس﴾** قال: اليهود، قيل لهم: ادخلوا الباب سجدًا. قال: ركعًا، وقولوا حطة، أي[٦]: مغفرة، فدخلوا على أستاههم، وجعلوا يقولون: حنطة حمراء فيها شعيرة، فذلك قول اللّه تعالى: **﴿فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم﴾**.

وقال الثوري(٤١٣): عن السدّي، عن أبي سعد[٧] الأزدي، عن أبي الكنود، عن ابن مسعود: وقولوا: حطة فقالوا: حنطة حبة حمراء فيها شعيرة؛ فأنزل اللّه: **﴿فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم﴾**.

وقال أسباط(٤١٤): عن السدّي، عن مرّة، عن ابن مسعود أنه قال: إنهم قالوا: هُطّي سمعاتا[٨] أزبة[٩] مزبا[١٠]، فهي بالعربية: حبة[١١] حنطة حمراء مثقوبة[١٢] فيها شعرة

---

(٤١٢) - ورواه البزار في مسنده برقم (١٨١٢) عن إسحاق بن بهلول، عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك به، نحوه، وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٤٤): «رجاله ثقات».

(٤١٣) - رواه ابن جرير برقم (١٠٢٣)، وابن أبي حاتم برقم (٥٩٢).

(٤١٤) - رواه ابن جرير برقم (١٠٩٢)، وابن أبي حاتم برقم (٥٩٣).

---

[١] - في ز: مثله.
[٢] - في ز: فهد.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز: ثنا.
[٥] - في ز: سرية.
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في ز: سعيد.
[٨] - في خ: «سمعاثا».
[٩] - في خ: «أزبه».
[١٠] - في ز، خ: «مربا».
[١١] - في ز: حبط.
[١٢] - في ز: مستوبة.

سوداء، فذلك قوله تعالى: ﴿**فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم**﴾.

وقال الثوري(٤١٥): عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ادخلوا الباب سجدًا**﴾ قال[١] ركعًا من باب صغير، فدخلوا[٢] من قبل أستاههم، وقالوا حنطة، فذلك[٣] قوله تعالى: ﴿**فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم**﴾.

وهكذا روي عن عطاء ومجاهد، وعكرمة والضحاك، والحسن وقتادة، والربيع بن أنس ويحيى بن رافع. وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق من الحديث: أنهم بدّلوا أمر اللَّه لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم من قِبَل أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطة، أي: احطط عنا ذنوبنا [وخطايانا][٤]، فاستهزءوا فقالوا: حنطة في شعيرة[٥]. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل اللَّه بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته؛ ولهذا قال: ﴿**فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون**﴾.

وقال الضحاك عن ابن عباس: كل شيء في كتاب اللَّه من الرجز يعني به العذاب(٤١٦).

وهكذا روي عن مجاهد، وأبي مالك، والسدّي، والحسن، وقتادة أنه العذاب. وقال أبو العالية الرجز: الغضب، وقال الشعبي: الرجز؛ إمّا الطاعون، وإمّا البرد. وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون.

وقال ابن أبي حاتم(٤١٧): حدّثنا أبو سعيد الأشج، حدّثنا وكيع، عن[٦] سفيان، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن إبراهيم بن سعد - يعني ابن أبي وقاص - عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت - رضي اللَّه عنهم - قالوا: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**الطاعون رجز عذاب**[٧]**، عذب به من كان قبلكم**».

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به(٤١٨).

---

(٤١٥) - رواه ابن جرير برقم (١٠٢٤)، وابن أبي حاتم برقم (٥٩٤).

(٤١٦) - ابن جرير برقم (١٠٤٢).

(٤١٧) - تفسير ابن أبي حاتم ٥٩٥ - (١٨٦/١)، ورواه مسلم ٩٧ - (٢٢١٨).

(٤١٨) - سنن النسائي الكبرى برقم (٧٥٣٣).

---

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز: يدخلون.

[٣] - في ز، خ: «فهو».

[٤] - سقط من ز.

[٥] - في ز، خ: «شعرة».

[٦] - في خ: «حدثنا».

[٧] - سقط من: خ.

وأصل الحديث في الصحيحين(٤١٩) من حديث حبيب بن أبي ثابت: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها**». الحديث.

قال ابن جرير(٤٢٠): أخبرني يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن يونس، عن الزهري قال[١]: أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أسامة بن زيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ هذا الوجع والسَّقَم رجز عذِّبَ به بعض الأمم قبلكم». وهذا الحديث أصله مخرّج في الصحيحين، من حديث الزهري، ومن حديث مالك، عن محمد بن المنكدر، وسالم أبي النضر، عن عامر بن سعد، بنحوه(٤٢١).

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى - عليه السلام - حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، وتفجيري الماء لكم[٢] منه من ثنتي عشرة عينًا، لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المنّ والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم [ولا كدّ][٣]، واعبدوا[٤] الذي سخر لكم ذلك **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتُسْلَبُوها.

وقد بسطه[٥] المفسرون في كلامهم، كما قال ابن عباس، رضي الله عنه،: وجُعِلَ بين ظهرانيهم حجر مربع، وأمر موسى - عليه السلام - فضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، في كل ناحية منه ثلاث عيون، وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها لا يرتحلون من مَنْقَلة إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول.

وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وهو حديث الفتون

(٤١٩) - صحيح البخاري برقم (٥٧٢٨)، وصحيح مسلم برقم ٩٧ - (٢٢١٨).
(٤٢٠) - تفسير ابن جرير ١٠٣٦ - (١١٦/٢).
(٤٢١) - صحيح البخاري برقم (٣٤٧٣،٦٩٧٤)، وصحيح مسلم برقم ٩٨ - (٢٢١٨).

[١] - سقط من: ز، خ. [٢] - سقط من ز.
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ: «ولا كدر». [٤] - في خ: «اعبدوا».
[٥] - في ز: بسط.

الطويل .

وقال عطية العوفي (٤٢٢) : وجعل لهم حجرًا مثل رأس الثور يحمل على ثور ، فإذا نزلوا منزلًا وضعوه فضربه موسى - عليه السلام - بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ، فإذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء .

وقال عثمان بن عطاء الخراساني : عن أبيه كان لبني إسرائيل حجر ، فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا .

وقال قتادة : كان حجرًا طوريًا من الطور ، يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه .

[وقال الزمخشري : وقيل : كان من رخام ، وكان ذراعًا في ذراع ، وقيل : مثل رأس الإنسان ، وقيل كان من الجنة ، طوله عشرة أذرع ، على طول موسى ، وله شعبتان يتقدان في الظلمة ، وكان يحمل على حمار . قال : وقيل : أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه ، حتى وقع إلى شعيب ، فدفعه إليه مع العصا . وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل فقال له جبريل : ارفع هذا الحجر ؛ فإن فيه قدرة ، ولك فيه معجزة ، فحمله في مخلاته . قال الزمخشري : ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد ، أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر .

وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه . قال : وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة ، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ، ثم يضربه فييبس فقالوا : إن فقد موسى هذا الحجر عطشنا ، فأوحى الله إليه أن يكلم الحجارة فتنفجر ، ولا يمسها بالعصا لعلهم يقرّون ، والله أعلم][١] .

وقال يحيى بن النضر : قلت لجويبر : كيف علم كل أناس مشربهم ؟ قال : كان موسى يضع الحجر ، ويقوم من كل سبط رجل ، ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا[٢] عشرة عينًا ، فينتضح من كل عين على رجل ، فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين .

وقال الضحاك (٤٢٣) : قال ابن عباس : لما كان بنو إسرائيل في التيه شق لهم من الحجر أنهارًا .

وقال سفيان الثوري (٤٢٤) : عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ذلك في التيه ، ضرب لهم موسى الحجر فصار فيه اثنتا[٣] عشرة عينًا من ماء ، لكل سبط منهم عين يشربون

---

(٤٢٢) - ابن أبي حاتم برقم (٦٠٣) ، وسنده إلى عطية العوفي حسن .

(٤٢٣) - ابن أبي حاتم برقم (٦٠٧) .

(٤٢٤) - ابن جرير برقم (١٠٤٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « اثنتى » .

[٣] - في ز ، خ : « اثنتى » .

منها.

وقال مجاهد نحو قول ابن عباس.

وهذه القصة شبيهة بالقصة التي[١] في سورة الأعراف، ولكن تلك مكية؛ فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب؛ لأن الله تعالى يقص [ ] [٢] على رسوله [صلى الله عليه وسلم] ما[٣] فعل بهم. وأمّا في هذه السورة - وهي البقرة - فهي[٤] مدنية؛ فلهذا كان الخطاب فيها[٥] متوجهًا إليهم.

وأخبر هناك بقوله ﴿**فانبجست منه اثنتا[٦] عشرة عينًا**﴾ وهو أول الانفجار، وأخبر هاهنا بما آل إليه الحال[٧] آخرًا وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار[٨] هاهنا وذاك هناك، والله أعلم.

[وبين السياقين تباين من عشرة أوجه لفظية ومعنوية، قد سأل عنها الزمخشري في تفسيره، وأجاب عنها بما عنده، والأمر في ذلك قريب، والله أعلم][٩].

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى، طعامًا طيبًا نافعًا هنيئًا سهلًا، واذكروا دبركم وضجركم مما رزقناكم[١٠]، وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنية من البقول ونحوها مما سألتم.

وقال الحسن البصري - رحمه الله - فبطروا ذلك ولم[١١] يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه، وكانوا قومًا أهل أعداس وبصل وبقل[١٢] وفوم، فقالوا ﴿**يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها**﴾. [وإنما قالوا على طعام واحد، وهم يأكلون المنّ والسلوى؛ لأنه لا يتبدل ولا يتغير

---

[١] - في ز: المذكورة.
[٢] - في ز: ذلك.
[٣] - في ز: عما.
[٤] - في ز: فإنها.
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز، خ: «اثنتى».
[٧] - في ز، خ: «الأمر».
[٨] - في ز، خ: «هذا».
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[١٠] - في ز: رزقتكم.
[١١] - في ز: فلم.
[١٢] - في ز: بقول.

كل يوم فهو مأكل واحد][١] . فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة ، وأما الفوم[٢] فقد اختلف السلف في معناه ؛ فوقع في قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء ، وكذا[٣] فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم ، عنه ، بالثوم[٤] . وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبير .

وقال ابن أبي حاتم(٤٢٥) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحاق البصري ، عن يونس ، عن الحسن في قوله : ﴿وفومها﴾ قال : قال ابن عباس : الثوم .

قالوا : وفي اللغة القديمة : فوّموا لنا [بمعنى اختبزوا][٥] ، وقال ابن جرير : فإن كان ذلك صحيحًا فإنه من الحروف المبدلة ، كقولهم : وقعوا في عاثور شر ، وعافور شر . وأثافي وأثاثي . ومغافير ومغاثير ، وأشباه[٦] ذلك مما تقلب الفاء ثاء . والثاء فاء لتقارب مخرجيهما ، واللَّه أعلم .

وقال آخرون : الفوم الحنطة ، وهو البر الذي يعمل منه الخبز .

قال ابن أبي حاتم(٤٢٦) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى . قراءةً ، أنبأنا[٧] ابن وهب قراءةً[٨] ، حدثني نافع بن أبي نعيم : أن ابن عباس سئل عن قول اللَّه : ﴿وفومها﴾ ما فومها ؟ قال : الحنطة . قال ابن عباس . أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول :

قد كنت أغنى[٩] الناس شخصًا واحدًا ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير(٤٢٧) : حدثنا على بن الحسن[١٠] ، حدثنا مسلم الجَرمي[١١] ، حدثنا عيسى ابن يونس ، [عن رشدين بن كريب][١٢] ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قول اللَّه تعالى : ﴿وفومها﴾ قال : الفوم الحنطة بلسان بني هاشم .

---

(٤٢٥) - رواه ابن أبي حاتم ٦١٩ - (١٩٣/١) ، وفي إسناده أبو عمارة يعقوب بن إسحاق : قال ابن أبي حاتم : ما أرى بحديثه بأسًا . وقال ابن عدي : روى ما لا يتابع عليه . والحسن لم يسمع من ابن عباس .

(٤٢٦) - رواه ابن أبي حاتم ٦١٨ - (١٩٢/١) ، ورواه ابن جرير (١٠٧٦) ، ونافع بن أبي نعيم لم يدرك ابن عباس فهو منقطع . ورواه الطبراني (١٠٥٩٧/١٠) ، وفي إسناده جويبر ، وهو هالك .

(٤٢٧) - رشدين بن كريب : ضعيف ، والأثر في تفسير ابن جرير : ١٠٧٥ - (١٢٨/٢ - ١٢٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : والتوم .
[٣] - في ز : « وكذلك » .
[٤] - في خ : بالثاء .
[٥] - في ز : « يعين اختبروا » .
[٦] - في ز ، خ : « وما أشبه » .
[٧] - في خ : « أخبرنا » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : أعني .
[١٠] - في ت ، خ : الحسين .
[١١] - في خ : « الحرمى » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وكذا قال علي بن أبي طلحة(٤٢٨) والضحاك(٤٢٩) ، [عن ابن عباس][١] ، وعكرمة(٤٣٠) عن ابن عباس أن الفوم الحنطة .

وقال سفيان الثوري : عن ابن جريج ، عن مجاهد وعطاء : ﴿وفومها﴾ قالا : و[٢] خبزها .

وقال هشيم : عن يونس ، عن الحسن وحصين ، عن أبي مالك : ﴿وفومها﴾ قال : الحنطة .

وهو قول عكرمة والسدي والحسن البصري وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، فالله[٣] أعلم .

[وقال الجوهري : الفوم : الحنطة ، وقال ابن دريد : الفوم : السنبلة . وحكى القرطبي عن عطاء وقتادة أن الفوم كل حب يختبز . قال : وقال بعضهم هو الحمص لغة شامية ، ومنه يقال لبائعه : فامي مغير عن فومي][٤] ، قال البخاري وقال بعضهم : الحبوب التي تؤكل كلها فوم . وقوله تعالى : ﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ فيه تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنية مع ما هم فيه من العيش الرغيد ، والطعام الهنيء الطيب النافع . وقوله تعالى : ﴿اهبطوا مصرًا﴾ هكذا هو منوّن مصروف مكتوب بالألف في المصاحف الأئمة العثمانية ، وهو قراءة الجمهور بالصرف .

قال ابن جرير : ولا أستجيز القراءة بغير ذلك لإجماع المصاحف على ذلك .

وقال ابن عباس(٤٣١) : ﴿اهبطوا مصرًا﴾ قال مصرًا من الأمصار ، رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعد البقال سعيد بن المرزبان ، عن عكرمة ، عنه .

قال : وروي عن السدي وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك .

وقال ابن جرير : وقع في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود (اهبطوا مصر) من غير إجراء يعني من غير صرف . ثم روي عن أبي العالية والربيع بن أنس أنهما فسرا ذلك بمصر فرعون .

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية والربيع[٥] ، وعن الأعمش أيضًا .

---

(٤٢٨) - ابن جرير (١٠٧٣) .

(٤٢٩) - ابن جرير برقم (١٠٧٤) ، وسنده ضعيف .

(٤٣٠) - ابن أبي حاتم برقم (٦١٧) ، وفي إسناده متروك .

(٤٣١) - ابن أبي حاتم برقم (٦٢٢) ، وأبو سعد البقال : متروك .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : والله . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

وقال ابن جرير : ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون على قراءة الإجراء أيضًا . ويكون ذلك من باب[١] الاتباع لكتابة المصحف ، كما في قوله تعالى : ﴿**قواريرًا ، قواريرًا**﴾ . ثم توقف في المراد ما هو ؛ أمصر فرعون أم[٢] مصر من الأمصار ؟ وهذا الذي قاله فيه نظر ، والحق أنّ المراد مصر من الأمصار كما روي عن ابن عباس وغيره ، والمعنى على ذلك ؛ لأنّ موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز ، بل هو كثير في أي بلد دخلتموه[٣] وجدتموه ، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل اللّه فيه ؛ ولهذا قال ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإنّ لكم ما سألتم**﴾ أي ما طلبتم ، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة[٤] فيه لم يجابوا إليه ، واللّه أعلم .

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى : ﴿ **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** ﴾ . أي : وضعت عليهم وألزموا بها شرعًا وقدرًا ، أي : لا يزالون مستذلّين ، من وَجَدَهم استذلهم وأهانهم ، وضرب عليهم الصغار ، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكنون[٥] .

وقال الضحاك : عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** ﴾ قال : هم أصحاب النيالات ، يعني الجزية (٤٣٢).

وقال عبد الرزاق(٤٣٣) : عن معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله تعالى : ﴿ **وضربت عليهم الذلة[٦]** ﴾ قال : يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون . وقال الضحاك ﴿ **وضربت عليهم الذلة** ﴾ قال : الذل[٧] . وقال الحسن : أذلهم اللّه فلا منعة لهم ، وجعلهم اللّه تحت أقدام المسلمين ، ولقد أدركتهم هذه الأمة[٨] وإنّ المجوس لتجبيهم الجزية .

(٤٣٢) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٦٢٦) وسنده ضعيف جدًا .

(٤٣٣) - تفسير عبد الرزاق (٤٧/١) ، وابن جرير برقم (١٠٨٨) ، وابن أبي حاتم برقم (٦٢٧) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : أو .
[٣] - في ت : دخلتموها .
[٤] - في ز : ضرورية .
[٥] - في ز : متمسكنين .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : الدلة .
[٨] - في ز ، خ : « الآية » .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي : المسكنة الفاقة . وقال عطية العوفي : الخراج . وقال الضحاك : الجزية . وقوله تعالى : ﴿ **وباءوا بغضب من اللّه** ﴾ قال الضحاك : استحقوا الغضب من اللّه .

وقال الربيع بن أنس : فحدث عليهم غضب من اللّه . وقال سعيد بن جبير ﴿ **وباءوا بغضب من اللّه** ﴾ . [يقول : استوجبوا سخطًا ، وقال ابن جرير : يعني بقوله : ﴿ **وباءوا بغضب من اللّه** ﴾][١] انصرفوا ورجعوا ، ولا يقال باءوا إلا موصولًا : إمّا بخير وإمّا بشر ، يقال منه : باء فلان بذنبه يبوء به بوءًا وبواء . ومنه قوله تعالى : ﴿ **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك** ﴾ ، يعني : تنصرف متحملهما وترجع بهما ، قد صارا عليك دوني . فمعنى الكلام إذًا : فرجعوا منصرفين متحملين غضب اللّه ، قد صار عليهم من اللّه غضب ، ووجب عليهم [من اللّه][٢] سخط .

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللّه ويقتلون النبيين بغير الحق** ﴾ يقول تعالى : هذا الذي جازيناهم [به][٣] من الذلة والمسكنة ، وإحلال الغضب بهم ؛ بسبب استكبارهم عن اتباع الحق ، وكفرهم بآيات اللّه ، وإهانتهم حملة الشرع – وهم الأنبياء وأتباعهم– فانتقصوهم [إلى أن][٤] أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم ، فلا كفر[٥] أعظم من هذا ، أنهم كفروا بآيات اللّه ، وقتلوا أنبياء [اللّه بغير][٦] الحق ؛ ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « **الكِبْرُ بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس** »(٤٣٤) .

وقال الإمام أحمد (٤٣٥) [رحمه اللّه] حدثنا إسماعيل ، عن ابن عون ، عن عمرو بن سعيد ، عن حميد بن عبد الرحمن قال : قال ابن مسعود : كنت لا أحجب عن النجوى ، ولا عن كذا ولا عن كذا ، قال : [فأتيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم][٧] وعنده مالك بن مرارة الرهاوي[٨] ، فأدركته من آخر حديثه ، وهو يقول : يا رسول اللّه ، قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أن أحدًا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما ، أفليس ذلك هو البغي ؟ فقال : « **لا ليس ذلك [ ][٩] من البغي ، ولكن البغي من بطر – أو قال – سفه الحق وغمط الناس** » . يعني : رد

(٤٣٤) – رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان : برقم ١٤٧ – (٩١) من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه . وهو عند البخاري في تاريخه (٢/١/٣) ولم أقف عليه عند البخاري في صحيحه .

(٤٣٥) – المسند (٣٨٥/١) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين في خ : « منه » .

[٣] – زيادة من ز .

[٤] – ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « حتى » .

[٥] – في ز : كبر .

[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] – في خ : « فأتيته » .

[٨] – في خ : « الهاوى » .

[٩] – في ز : هو .

الحق وانتقاص الناس والازدراء بهم والتعاظم عليهم . ولهذا لما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات اللَّه [وقتلهم أنبياءه][١] ، أحل اللَّه بهم بأسه الذي لا يردّ ، وكساهم ذلا في الدنيا موصولًا بذل الآخرة جزاء وفاقًا .

قال أبو داود الطيالسي(٤٣٦) : حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي ، ثم يقيمون سوق بقلهم من[٢] آخر النهار .

وقد قال الإمام أحمد(٤٣٧) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبان ، حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد اللَّه يعني : ابن مسعود أن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - قال : « **أشدّ الناس**[٣] **عذابًا يوم القيامة : رجل قتله نبي أو قتل نبيًا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين** » .

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ وهذه علة أخرى في مجازاتهم[٤] بما جوزوا به ، أنهم كانوا يعصون ويعتدون ، فالعصيان : فعل المناهي ، والاعتداء : المجاوزة في حد المأذون فيه أو المأمور به ، واللَّه أعلم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

لما بيَّن تعالى حال من خالف أوامره ، وارتكب زواجره ، وتعدّى في فعل ما [لا إذن][٥] فيه ، وانتهك المحارم ، وما أحل بهم من النكال - نبه تعالى على أن مَنْ أحسن من الأمم السالفة[٦] وأطاع ؛ فإن له جزاءَ الحسنى ، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة ؛ كل من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية ، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه ، كما قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء اللَّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ .

---

(٤٣٦) - لم نعثر عليه في مسند الطيالسي المطبوع .

(٤٣٧) - المسند (٤٠٧/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « وقتل أنبيائهم » .
[٢] - في ز : في .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز : مجرايهم .
[٥] - في ز : أذن .
[٦] - في خ : « السابقة » .

قال ابن أبي حاتم(٤٣٨) : حدّثنا [أبي][١] حدثنا ابن أبي عمر العدني[٢] ، حدّثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قال سلمان رضي الله عنه : سألت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن أهل دين كنتُ معهم ، فذكرتُ من صلاتهم وعبادتهم ، فنزلت : ﴿ **إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ [إلى آخر][٣] الآية .

وقال السدي : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً** ﴾ الآية ، نزلت في أصحاب سلمان الفارسي ، بينا هو يحدّث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذ ذكر أصحابه ، فأخبره خبرهم ، فقال : كانوا [يصلون ويصومون] ، ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك ستبعث نبيًا ، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم ، قال له نبي الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ياسلمان ، هم من أهل النار** » . فاشتد ذلك على سلمان ، فأنزل الله هذه الآية ، فكان إيمان اليهود : أنه من تمسك بالتوراة [وسنة موسى عليه السلام ، حتى جاء عيسى . فلما جاء عيسى ؛ كان من تمسك بالتوراة][٤] ، وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى ، كان هالكًا . وإيمان النصارى : أن من تمسك بالإنجيل منهم ، وشرائع عيسى ، كان مؤمنًا مقبولًا منه[٥] ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل ؛ كان هالكًا(٤٣٩) .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا .

(**قلت**) : وهذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ الآية - قال[٦] - فأنزل الله بعد ذلك : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ .

فإن هذا الذي قاله [ابن عباس][٧] إخبار عن أنه لايقبل من أحد طريقة ولا عملًا ، إلا ما كان موافقًا لشريعة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بعد أن بعثه بما بعثه به ، فأما قبل ذلك ؛ فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة ، فاليهود أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم .

---

(٤٣٨) - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٨ - (١٩٨/١) ، وهو منقطع فإن مجاهدًا لم يسمع من سلمان .

(٤٣٩) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده إلى السدي ، من حديث أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد ، ثنا أسباط ، عن السدي ، به . وهذا إسناد فيه ضعف ، وانقطاع بين السدي وسلمان .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « العوفى » .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : منهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

واليهود [١] من الهوادة وهي المودّة ، أو التهوّد وهو التوبة ؛ كقول[٢] موسى - عليه السلام - : ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ أي تُبنا ، فكأنهم سُمُّوا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض[٣] [وقيل : لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب ، وقال أبو عمرو بن العلاء : لأنهم يتهوّدون أي يتحرّكون عند قراءة التوراة][٤] ، فلما بُعث عيسى صلى اللَّه عليه وسلم وجب على بني إسرائيل اتباعه ، والانقياد له ، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى ، وسُموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم ، وقد يقال لهم : أنصار أيضًا ، كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ من أنصاري إلى اللَّه قال الحواريون نحن أنصار اللَّه ﴾ وقيل : إنهم إنما سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها : ناصرة ، قاله قتادة وابن جريج ، ورُوي عن ابن عباس أيضا واللَّه أعلم .

والنصارى جمع نصران كنشاوى جمع نشوان ، وسكارى جمع سكران ، ويقال للمرأة : نصرانة ، قال الشاعر :

نصرانة لم تَحَنَّفِ (٤٤٠)

فلما بعث اللَّه محمدًا ، صلى اللَّه عليه وسلم ، خاتمًا للنبيين ، ورسولًا إلى بني آدم على الإطلاق ، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانكفاف عما عنه زجر . وهؤلاء هم المؤمنون حقًّا[٥] ، وسميت أمة محمد صلى اللَّه عليه وسلم مؤمنين ؛ لكثرة إيمانهم وشدّة إيقانهم ؛ ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية . وأما الصابئون فقد اختلف فيهم ؛ فقال سفيان الثوري : عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ، ليس لهم دين ، وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه ، وروي عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسدي وأبو الشعثاء جابر بن زيد والضحاك [وإسحاق بن راهوية][٦] : الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور (٤٤١) .

[ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق : لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم][٧] وقال هشيم ، عن

---

(٤٤٠) - أورده ابن جرير بتمامه (١٤٤/٢) وهو لأبي الأخزر الحماني ، وتمامه :

فكلتاهما خرَّت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنفِ

(٤٤١) - قول أبي العالية والسدي ؛ رواهما ابن جرير بإسناده إليهما في تفسيره برقم ١١١٠، ١١١١ - (١٤٧/٢) .

---

[١] - في ز : والتهود .

[٢] - في ز : لقول .

[٣] - في ز : بعض .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من: ز ، خ.

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

مطرف : كنا عند الحكم بن عتيبة فحدّثه رجل من أهل[١] البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين : إنهم كالمجوس ، فقال الحكم : ألم أخبركم بذلك ؟ .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : عن معاوية بن عبد الكريم : سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال : هم قوم يعبدون الملائكة .

[وقال ابن جرير(٤٤٢) : حدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدّثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن قال : [أُخبر] زياد أن الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون الخمسة ، قال : فأراد أن يضع عنهم الجزية ، قال : فخُبِّر بعدُ أنهم يعبدون الملائكة][٢] . وقال أبو جعفر الرازي : بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ، ويقرءون الزبور ويصلون للقبلة[٣] ، وكذا قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة .

وقال ابن أبي حاتم(٤٤٣) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : الصابئون قوم مما يلي العراق ، وهم بكوثى[٤] وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ، ويصومون من كل سنة ثلاثين يومًا ، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات .

وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال : الذي يعرف اللّه وحده ، وليست له شريعة يعمل بها ، ولم يحدث كفرًا .

وقال عبد اللّه بن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : الصابئون أهل[٥] دين من الأديان ، كانوا بجزيرة الموصل يقولون : لا إله إلا اللّه ، وليس لهم عمل ولا كتاب ولانبي إلا قول : لا إله إلا اللّه ، قال[٦] : ولم يؤمنوا برسول ؛ فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه : هؤلاء الصابئون ، يشبّهونهم بهم ، يعني : في قول[٧] : لا إله إلا اللّه .

[وقال الخليل : هم قوم يشبه دينهم دين النصارىٰ إلا أن قبلتهم نحو مَهَب الجنوب ، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام . وحكى القرطبي ، عن مجاهد والحسن وابن أبي نجيح : أنهم قوم

---

(٤٤٢) - رواه ابن جرير برقم ١١٠٨ - (٢/١٤٧) .

(٤٤٣) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٦٤٥ - (١/٢٠٠ - ٢٠١) . وهو ضعيف ؛ لضعف عبد الرحمن بن أبي الزناد : قال ابن معين : ضعيف ، وعنه : ليس بشيء . وعنه : لا يحتج به . وكذا قال أبو حاتم ، وضعفه النسائي ، وقال أحمد : مضطرب الحديث ، ووثقه مالك . وقال ابن عدي : هو ممن يكتب حديثه . وعن أحمد : ضعيف . وقال يحيى بن معين : هو أثبت الناس في هشام بن عروة .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « إلى القبلة » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ت « قوله » .

تركَّب دينهم بين اليهود والمجوس ، ولا تؤكل ذبائحهم ، [قال ابن عباس] : ولا تنكح نساؤهم . قال القرطبي(٤٤٤) : والذي تحصل من مذهبهم ، فيما ذكره بعض العلماء ، أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وأنها فاعلة[١] ؛ ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري بكفرهم للقادر باللَّه حين سأله عنهم .

واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن اللَّه جعلها قبلة للعبادة والدعاء ، أو بمعنى أن اللَّه فوض تدبير أمر هذا العالم إليها .

قال : وهذا القول هو المنسوب إلى الكشدانيين(٤٤٥) الذين جاءهم إبراهيم - عليه السلام - رادًّا عليهم ومبطلاً لقولهم][٢] .

وأظهر الأقوال - واللَّه أعلم - قول مجاهد ومتابعيه[٣] ووهب بن منبه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وإنما هم قوم[٤] باقون على فطرتهم ، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ؛ ولهذا كان المشركون ينبزون(٤٤٦) من أسلم بالصابئ ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك .

وقال بعض العلماء : الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي ، واللَّه أعلم .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى مذكرًا بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله ، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق[٥] رءوسهم ليقروا بما عوهدوا عليه ، ويأخذوه بقوة وحزم وهمة[٦] وامتثال ، كما قال تعالى : ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾ فالطور : هو

(٤٤٤) - القرطبي (٤٣٤/١ - ٤٣٥).
(٤٤٥) - هم طائفة من عبدة الكواكب - كما في تاج العروس .
(٤٤٦) - ينبزون : يلقبون .

[١] - في القرطبي (٤٣٤/١) : فعالة .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « متابعته » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : على .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .

الجبل ، كما (فسره به في)[١] الأعراف ، ونصَّ على ذلك ابن عباس ومجاهد ، وعطاء وعكرمة ، والحسن والضحاك ، والربيع بن أنس وغير واحد ، وهذا ظاهر .

وفي رواية عن ابن عباس - الطور : ما أنبت من الجبال ، وما لم يُنْبِتْ فليس بطور .

وفي حديث الفتون عن ابن عباس أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا .

وقال السدي : فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم ، فنظروا إليه وقد غشيهم ، فسقطوا سُجَّدًا ، فسجدوا[٢] على شق ونظروا بالشق الآخر ، فرحمهم الله فكشفه عنهم ، فقالوا : والله[٣] ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم ، فهم يسجدون كذلك ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ **ورفعنا فوقكم الطور** ﴾ .

وقال الحسن في قوله : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾ يعني : التوراة .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس : بقوة أي : بطاعة . وقال مجاهد : بقوة : بعمل بما فيه . وقال قتادة : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾ القوة الجد وإلا قذفته[٤] عليكم .

[قال : فأقروا بذلك : أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة . ومعنى قوله : وإلا قذفته عليكم : أي][٥] : أسقطته عليكم ، يعني : الجبل .

وقال أبو العالية والربيع : ﴿ **واذكروا ما فيه** ﴾ يقول : اقرءوا ما في التوراة واعملوا به .

وقوله تعالى : ﴿ **ثم توليتم من بعد ذلك** ﴾ يقول تعالى : ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم توليتم عنه وانثنيتم ونقضتموه ﴿ **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** ﴾ أي : بتوبته[٦] عليكم وإرساله النبيين والمرسلين إليكم ﴿ **لكنتم من الخاسرين** ﴾ بنقضكم ذلك الميثاق في الدنيا والآخرة .

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى : ﴿ **ولقد علمتم** ﴾ يا معشر اليهود ؛ ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله ، وخالفوا عهده وميثاقه ، فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره ؛ إذ كان مشروعًا لهم فتحيَّلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت ، بما وضعوه لها من الشصوص والحبائل والبرك

---

[١] - في ز ، خ : « فسر بآية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : « دفنته » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : توبته .

قبل يوم السبت ، فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل والحيل ، فلم تخلص منها[١] يومها ذلك ، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت .

فلما فعلوا ذلك مسخهم اللّٰه إلى صورة القردة ، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة ، فكذلك أعمال هؤلاء وحيَلهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن ، كان جزاؤهم من جنس عملهم .

وهذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف حيث يقول تعالى : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** ﴾ . القصة بكمالها .

وقال السدي : أهل هذة القرية هم أهل « أيلة » ؛ وكذا قال قتادة ، وسنورد أقوال المفسرين هناك مبسوطة إن شاء اللّٰه وبه الثقة .

وقوله تعالى : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . قال[٢] ابن أبي حاتم(٤٤٧) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ قال : مُسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه اللّٰه ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفارًا** ﴾ .

ورواه ابن جرير(٤٤٨) ، عن المثنى ، عن أبي حذيفة .

وعن(٤٤٩) محمد بن عمرو[٣] الباهلي ، عن أبي عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، به .

وهذا سند جيد عن مجاهد ، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره ،

---

(٤٤٧) - رواه ابن أبي حاتم ٦٧٧ - (١/٢٠٩) . وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي : قال الذهبي (٤/ ٢٢١) : أحد شيوخ البخاري . صدوق إن شاء اللّٰه ، يهم ، تكلم فيه أحمد ، وضعفه الترمذي ، وقال ابن خزيمة : لا أحتج به . وقال عمرو بن علي : لا يحدث عنه من يبصر الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوي عندهم . وقال إبراهيم بن يعقوب : سمعت أحمد يقول : كأن سفيان الذي يحدث عنه أبو حذيفة ليس هو سفيان الذي يحدث عنه الناس . وقال بندار : ضعيف الحديث . وقال أبو حاتم : صدوق معروف بالثوري . وقال أحمد : هو من أهل الصدق .

(٤٤٨) - رواه ابن جرير : ١١٤٧ - (١/١٧٥) .

(٤٤٩) - رواه ابن جرير : ١١٤٣ - (١/١٧٢) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : وقال .
[٣] - في ز : عمر .

قال اللَّه تعالى : ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند اللَّه من لعنه اللَّه وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت** ﴾ . الآية .

وقال العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ : فجعل اللَّه[١] منهم القردة والخنازير . فزعم أن شباب القوم صاروا قردة ، وأن[٢] المشيخة صاروا خنازير .

وقال شيبان النحوي عن قتادة : ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ : فصار القوم قردة[٣] تَعَاوَى لها أذناب بعدما كانوا رجالًا ونساءً .

وقال عطاء الخراساني : نودوا : يا أهل القرية ﴿ **كونوا قردة خاسئين** ﴾ . فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون : يا فلان ؛ ألم ننهكم ؟ فيقولون برءوسهم : أي بلى .

وقال ابن أبي حاتم(٤٥٠) : حدّثنا علي بن الحسين[٤] ، حدّثنا عبد اللَّه بن محمد بن ربيعة بالمصيصة ، حدثنا محمد بن مسلم - يعني الطائفي - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : إنما كان الذين اعتدوا في السبت فجعلوا قردة فُوَاقًا[٥] (٤٥١) ثم هلكوا . ما كان للمسخ نسل .

وقال الضحاك(٤٥٢) ، عن ابن عباس : فمسخهم اللَّه قردة بمعصيتهم : يقول إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام ، قال : ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل . وقد خلق اللَّه القردة والخنازير وسائر الخَلْق في الستة الأيام[٦] التي ذكرها[٧] اللَّه في كتابه ، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القِرَدة ، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء ، ويحوّله كما يشاء .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ **كونوا[٨] قردة خاسئين** ﴾ قال : يعني : أذلة صاغرين ، ورُوي عن مجاهد وقتادة والربيع وأبي مالك ، نحوه .

---

(٤٥٠) - **إسناده ضعيف** : عبد اللَّه بن محمد بن ربيعة : قال الذهبي في الميزان : أحد الضعفاء ، أتى عن مالك بمصائب (الميزان ٢/٤٨٨) . ومحمد بن مسلم استشهد به مسلم ، وضعفه أحمد بن حنبل ووثقه يحيى بن معين وغيره (الميزان ٤/٤٠) . والحديث في تفسير ابن أبي حاتم حديث ٦٧٥ - (١/٢٠٩) .

(٤٥١) - فواقًا : قدر ما بين الحلبتين من الوقت .

(٤٥٢) - منقطع - الضحاك لم يلق ابن عباس ، وهو عند ابن جرير (١١٣٨) مطولًا .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « قرودًا » .

[٤] - في ت : الحسن .

[٥] - في خ : « فراما » ، وفي ز : فراقاً .

[٦] - في ت : أيام .

[٧] - في ز ، خ : « ذكر » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

وقال محمد بن إسحاق : عن داود بن [ ][١] الحصين(٤٥٣) ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : إن الله إنما افترضَ على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم - يوم الجمعة - فخالفوا إلى السبت فعظموه ، وتركوا ما أمروا به ، فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه [فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره ، وكانوا في قرية بين أيلة والطور ، يقال لها : مدين][٢] فحرم الله[٣] عليهم في السبت الحيتانَ : صيدها وأكلها . وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شُرَّعًا إلى ساحل بحرهم ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حُوتًا صغيرًا ولا كبيرًا ، حتى إذا كان يومُ السبت أتين شُرَّعًا ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك ، حتى إذا[٤] طال عليهم الأمد ، وقَرِموا[٥] (٤٥٤) إلى الحيتان ، عمد رجل منهم فأخذ حوتًا سرًّا يوم السبت ، فخزمه بخيط ، ثم أرسله في الماء ، وأوتد له وتدًا في الساحل فأوثقه ، ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه ، أي : إني لم آخذه في يوم السبت ، فانطلق[٦] به فأكله ، حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ، ووجد الناسُ ريح الحيتان ، فقال أهل القرية : والله لقد وجدنا ريح الحيتان ، ثم عثروا على صنع[٧] ذلك الرجل . قال : ففعلوا كما فعل ، وأكلوا[٨] سرًّا زمانًا طويلًا ، لم يعجل الله عليهم بعقوبة[٩] حتى صادوها علانية وباعوها [في الأسواق][١٠] . فقالت طائفة منهم من أهل البقية[١١] : وَيْحَكُم ! اتقوا الله ، ونَهوهم عما كانوا[١٢] يصنعون ، فقالت طائفة أخرى لم تأكلِ الحيتان ، ولم تنه القوم عما[١٣] صنعوا : ﴿ **لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم** ﴾ . لسُخطنا أعمالهم ﴿ **ولعلهم يتقون** ﴾ .

قال ابن عباس : فبينا هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم فقدوا الناس

(٤٥٣) - **سنده ضعيف جدًّا** ، وهو عند ابن جرير (١١٣٩) ، وداود بن الحصين : قال أبو داود : أحاديثه عن عكرمة مناكير . وقال علي بن المديني : ما رواه عن عكرمة فمنكر . وقال أبو حاتم : لولا أن مالكًا روى عنه لترك حديثه . (الميزان ٢/٥) .

(٤٥٤) - يقال : قَرِمَ اللحم ، أي اشتدت شهوته إليه .

[١] - في ت ، خ : أبي .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - زيادة من ز .
[٥] - في ز : وقربوا .
[٦] - في ز ، خ : « ثم انطلق » .
[٧] - فيت : « صنيع » .
[٨] - في ت : « وصنعوا » .
[٩] - في ت : « العقوبة » .
[١٠] - في ز : بالأسواق .
[١١] - في خ : « البقعة » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - في خ : « كما » .

فلم[١] يروهم[٢] ، قال : فقال بعضهم لبعض : إن للناس لشأنًا[٣] فانظروا ما هو ؟ فذهبوا ينظرون في دورهم ، فوجدوها مغلقة عليهم ، قد دخلوها ليلًا فغلقوها على أنفسهم ، كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة ، و[٤] إنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد ، والمرأة بعينها وإنها لقردة ، والصبي بعينه وإنه لقرد . قال : قال[٥] ابن عباس : فلولا ما ذكر اللّٰه أنه نجى[٦] الذين نهوا عن السوء لقد أهلك اللّٰه[٧] الجميع منهم . قال : وهي القرية التي قال [اللّٰه][٨] جل ثناؤه لمحمد صلى اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر** ﴾ . الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس(٤٥٥) نحوًا من هذا .

وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . قال : هم[٩] أهل « أيلة » ، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر ، فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت - وَقَدْ حرم اللّٰه على اليهود أن يعملوا في السبت شيئًا - لم يبق في البحر حوتٌ إلا خرج ، حتى يخرجن خراطيمهن من الماء ، فإذا كان يوم الأحد لَزِمْنَ مقل[١٠](٤٥٦) البحر فلم يُرَ منهن شيء حتى يكون يوم السبت ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعًا ويوم لايسبتون لا تأتيهم** ﴾ .

فاشتهى بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ، ويجعل لها نهرًا إلى البحر ، فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة ، فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر ، فيمكث فيها[١١] ، فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه ، فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره ريحه فيسأله فيخبره ، فيصنع مثل ما صنع جاره حتى فشا فيهم أكل السمك ، فقال لهم علماؤهم : ويحكم ! إنما تصطادون يوم السبت ، وهو لا يحل لكم ، فقالوا : إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه ، فقال الفقهاء[١٢] : لا ، ولكنكم صِدْتُموه يوم فتحتم[١٣] له[١٤] الماء فدخل ، قال : وغلبوا أن ينتهوا .

---

(٤٥٥) - ابن جرير برقم (١١٣٨) وسنده ضعيف .

(٤٥٦) - المقل : أسفل البئر ، ومغاص البحر .

---

[١] - في ز ، خ : « فلا » .
[٢] - في ز : يرونهم .
[٣] - في ت : « شأنًا » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : يقول .
[٦] - في ز ، خ : « أنجى » .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - زيادة من ز .
[٩] - في ز ، خ : « فهم » .
[١٠] - في ت : سفل . والمثبت من ز ، خ .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في ز ، خ : « العلماء » .
[١٣] - في ز ، خ : « فتحكم » .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .

فقال بعض الذين نهوهم لبعض : ﴿ **لم تعظون قومًا اللَّه مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا** ﴾ . يقول : لم تعظوهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ، فقال بعضهم : ﴿ **معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون** ﴾ . فلما أبوا قال المسلمون : واللَّه لا نُسَاكنكم في قرية واحدة .

فقسموا القرية بجدار ، ففتح المسلمون بابًا والمعتدون في السبت بابًا ، ولعنهم داود - عليه السلام - فجعل المسلمون يخرجون من بابهم ، والكفار من بابهم ، فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم ، فلما أبطئوا عليهم تسوّر[١] المسلمون عليهم الحائط ، فإذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ، ففتحوا عنهم ، فذهبوا في الأرض ، فذلك قول اللَّه تعالى : ﴿ **فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ . وذلك حين يقول : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم** ﴾ . الآية . فهم القردة .

(**قلت**) : والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد ، رحمه اللَّه ، من أن مسخهم إنما كان معنويًّا لا صوريًّا ؛ بل الصحيح أنه معنوي صوري . واللَّه تعالى أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ **فجعلناها نكالًا [لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين][٢]** ﴾ . قال بعضهم : الضمير في ﴿ **فجعلناها** ﴾ . عائد على القردة ، [وقيل : على الحيتان][٣] ، وقيل : على العقوبة ، وقيل : على القرية ، حكاها ابن جرير .

والصحيح أن الضمير عائد على القرية ، أي فجعل اللَّه هذه القرية - والمراد أهلها - بسبب اعتدائهم في سبتهم ﴿ **نكالًا** ﴾ . أي : عاقبناهم عقوبة فجعلناها[٤] عبرة ، كما قال اللَّه[٥] عن فرعون : ﴿ **فأخذه اللَّه نكال الآخرة والأولى** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **لما بين يديها وما خلفها** ﴾ . أي : من القرىٰ ، [قال ابن عباس : يعني جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى][٦] . كما قال تعالى : ﴿ **ولقد أهلكنا ماحولكم من القرىٰ وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون** ﴾ . ومنه قوله تعالى : ﴿ **أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ . الآية . على أحد الأقوال ، فالمراد : لما بين يديها وما خلفها في[٧] المكان ، كما قال محمد بن إسحاق : عن داود بن الحصين(٤٥٧) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : لما بين يديها من القرىٰ وما خلفها من القرىٰ ، وكذا قال سعيد بن جبير : ﴿ **لما بين يديها وما خلفها** ﴾ . قال[٨] : من بحضرتها من

---

(٤٥٧) - منكر ، وهو عند ابن جرير برقم (١١٥٦) ، وابن أبي حاتم برقم (٦٨١) .

---

[١] - في ز : تسوروا .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « فجعلناهم » .
[٥] - في خ : « تعالى » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز . خ : « من » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

الناس يومئذ .

ورُوي عن إسماعيل بن أبي خالد وقتادة وعطية العوفي ﴿ **فجعلناها نكالاً لما بين يديها** ﴾ . قال : ما كان[١] قبلها من الماضين في شأن السبت .

وقال أبو العالية والربيع وعطية : ﴿ **وما خلفها** ﴾ لمن[٢] بقي بعدهم من الناس من بني إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم . وكان هؤلاء يقولون : المراد لما[٣] بين يديها وما خلفها في الزمان .

وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس أن يكون أهل تلك القرية عبرة لهم ، وأمّا بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن تكون عبرة لمن سبقهم ؟ و[٤] هذا لعل أحدًا من الناس لايقوله بعد تصوره ؛ فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان ، وهو ماحولها من القرى ، كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ، والله أعلم .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع [بن أنس][٥] ، عن أبي العالية ﴿ **فجعلناها نكالا لما بين يديها [وما خلفها]**[٦] ﴾ . [ ][٧] أي : عقوبة لما خلا من ذنوبهم[٨] .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عكرمة ومجاهد ، والسدي [والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك] [٩] [وحكى القرطبي عن ابن عباس والسدي] [والفراء ، وابن عطية : ﴿ **لما بين يديها** ﴾ . من ذنوب القوم ، ﴿ **وما خلفها** ﴾ . لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب . وحكى الرازي ثلاثة أقوال ؛ أحدها : أن المراد لما بين يديها وما خلفها من تقدّمها من القرىٰ بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدمة ومن بعدها] .

[والثاني : المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم . والثالث : أنه تعالى جعلها عقوبة لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده ، وهو قول الحسن .

(**قلت**) : وأرجح الأقوال : المراد بما بين يديها وما خلفها ، من بحضرتها من القرىٰ ، التي يبلغهم خبرها وما حل بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى** ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة** ﴾ . الآية . وقال تعالى : ﴿ **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ . فجعلهم عبرة ونكالاً لمن في زمانهم ، وموعظة لمن

---

[١] - زيادة من : ز ، خ.
[٢] - في ت : « لما » .
[٣] - في ز ، خ : « بما » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز : في المكان ، وما حولها من القرى
[٨] - في ز ، خ : « دونهم » .
[٩] - زيادة من ز .

يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ، ولهذا قال : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾][١] : وقوله تعالى : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ : الذين من بعدهم إلى يوم القيامة(٤٥٨) .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ بعدهم ، فيتقون[٢] نقمة الله ، ويحذرونها.

وقال السدي وعطية العوفي : ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(قلت) : المراد بالموعظة هاهنا الزاجر ، أي : جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل ؛ فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم ، كما قال الإمام أبو عبد الله [ابن بطة][٣] : حدّثنا أحمد بن محمد بن مسلم[٤] ، حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا محمد بن عمرو ، [عن أبي سلمة] عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **لا ترتكبوا[٥] ما ارتكب اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل** »(٤٥٩) .

وهذا إسناد جيد ، وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثّقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى : واذكروا - يا بني إسرائيل - نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة ، وبيان القاتل من هو بسببها ، وإحياء الله المقتول ، ونصه على من قتله منهم .

[مسألة

(٤٥٨) - ابن جرير برقم (١١٦٦) ، وابن أبي حاتم برقم (٦٨٩) .

(٤٥٩) - أحمد بن محمد مسلم - أو سلم كما ورد اسمه في غير ما موضع من الإبانة - لم نقف على ترجمته . والحديث في جزء الخلع وإبطال الحيل لابن بطة (ص ٢٤) . وجود إسناده ابن القيم في إغاثة اللهفان (٥١٣/١) ، وحسنه في تهذيب السنن (١٠٣/٥) ، ومن قبله ابن تيمية في الفتاوى (٢٩/٢٩) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « فيتقوا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - كذا في الأصلين وفي الإبانة : سلم .

[٥] - في ز ، خ : « تركبوا » .

الإبلُ تنحر ، والغنم تذبح ، واختلفوا في البقر ، فقيل : تذبح ، وقيل : تنحر ، والذبح أولى لنص القرآن ولقرب منحرها من مذبحها .

قال ابن المنذر : ولا أعلم خلافاً في حل ما ذبح مما ينحر ، أو نحر ما يذبح ، غير أن مالكاً كره ذلك . وقد يكره الإنسانُ ما لا يحرمه .

قال أبو عبد الله وكان نزول قصة البقرة على موسى عليه السلام في أمر القتيل قبل نزول القسامة في التوراة].

[(ذكر بسط القصة)][١]

[كما] [٢] قال ابن أبي حاتم : [ ] [٣] حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا[٤] هشام بن حَسَّان ، عن محمد بن سيرين ، عن عَبِيدة السلماني ، قال : كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لايولد له ، وكان له مال كثير ، وكان ابنُ أخيه وارثَه فقتله ، ثم احتمله ليلًا فوضعه على باب رجل منهم ، ثم أصبحَ يَدعيه عليهم حتى تسلحوا ، وركب بعضهم إلى بعض . فقال ذوو الرأي منهم[٥] والنهى : علام يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى – عليه السلام– فذكروا ذلك له ، فقال : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ . قال : فلو لم [٦] يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شدّدوا فشدد عليهم ، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها ، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها ، فقال : والله لا أنقصها من مِلء جلدها ذهبًا ، فأخذوها بملء جلدها ذهبًا فذبحوها ، فضربوه ببعضها فقام ، فقالوا : من قتلك ؟ فقال : هذا – لابن أخيه – ثم مال ميتًا ، فلم يُعْطَ من ماله شيئًا[٧] ؛ فلم يُوَرَّث قاتل بعد .

ورواه ابن جرير(٤٦٠) من حديث أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، بنحو من ذلك ، والله أعلم .

---

(٤٦٠) – **إسناده صحيح** : والحديث في تفسير عبد الرزاق (٤٨/١) ، وابن حاتم حديث ٦٩٥ – (١/ ٢١٤) ، وتفسير ابن جرير برقم ١١٧٢ – (٣٣٧/١) . ورواه البيهقي في سننه (٢٢٠/٦) من حديث يزيد ابن هارون ، به .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] – زيادة من : ز ، خ .
[٣] – في خ : ثم . [٤] – في خ : «أخبرنا» .
[٥] – سقط من : خ. [٦] – سقط من ز .
[٧] – في ز : شيئ .

ورواه [عبد بن حميد][١] في تفسيره أنبأنا[٢] يزيد بن هارون . به .

ورواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن أبي جعفر - هو الرازي[٣] - عن هشام بن حسان ، به .
وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره : أنبأنا[٤] أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ قال : و[٥] كان رجل من بني إسرائيل ، وكان غنيًّا ، ولم يكن له ولد ، وكان له قريب وكان وارثه ، فقتله ؛ ليرثه ، ثم ألقاه على مجمع الطريق ، وأتى موسى - عليه السلام - فقال له : إن قريبي قُتل ، وأتى إلى أمر عظيم ، وإني لا أجد أحدًا يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله ؛ قال : فنادى موسى في الناس فقال : أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا بينه لنا ، فلم يكن عندهم علم ، فأقبل القاتل على موسى - عليه السلام - فقال له : أنت نبي الله فسل[٦] لنا ربك أن يبين لنا ، فسأل ربه فأوحى الله إليه ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ . فعجبوا من ذلك ، فقالوا : ﴿ **أتتخذنا هزوا**[٧] **قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض** ﴾ .
يعني : لا هَرِمة ﴿ **ولا بكر** ﴾ . يعني : ولا صغيرة ﴿ **عوان بين ذلك** ﴾ . أي : نصفٌ بين البكر والهرمة ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها** ﴾ . [أي : صاف لونها][٨] ﴿ **تسر الناظرين** ﴾ . أي : تعجب الناظرين ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إنّ البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول** ﴾ . أي : لم يذلِّلها[٩] العمل ﴿ **تثير الأرض** ﴾ . يعني : وليست بذلول تثير الأرض ، ﴿ **ولا تسقي الحرث** ﴾ . يعني[١٠] : ولا تعمل في الحرث ﴿ **مسلمة** ﴾ . يعني : مسلمة من العيوب ﴿ **لاشية فيها** ﴾ . يقول : لابياض فيها ﴿ **قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ . قال : ولو أن القوم حين أمروا بذبح[١١] بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إياها ، ولكن[١٢] شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم ، ولولا أنّ القوم استثنوا فقالوا : ﴿ **وإنا إن شاء الله لمهتدون** ﴾ . لما هدوا إليها أبدًا ، فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نعتت لهم إلا عند عجوز و[١٣] عندها يتامى ، وهي القَيِّمَة عليهم ، فلما علمت أنه[١٤] لايزكو[١٥] لهم غيرها ، أضعفت عليهم الثمن ، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة ، وأنها سألتهم أضعاف

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « عنه » .
[٢] - في خ : « أبا » .
[٣] - في خ : الرزي .
[٤] - في خ : « حدثنا » .
[٥] - زيادة من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « فاسأل » .
[٧] - في ز : هزأ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز ، خ : « يذلها » .
[١٠] - في ز : يقول .
[١١] - في خ : « أن يذبحوا » .
[١٢] - في ز ، خ : « ولكنهم » .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - في خ : « أنهم » .
[١٥] - في خ : « يزنوا » .

ثمنها ، فقال لهم[١] موسى : إن الله قد خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها ، ففعلوا واشتروها فذبحوها ، فأمرهم موسى - عليه السلام - أن يأخذوا عظمًا منها فيضربوا به القتيل ، ففعلوا فرجع إليه روحه فسمى لهم قاتله ، ثم عاد ميتًا كما كان ، فأخذ قاتله - وهو الذي كان أتى موسى عليه السلام فشكا إليه - [فقتله الله][٢] على أسوأ عمله .

وقال محمد بن جرير(٤٦١) : حدثني محمد[٣] بن سعد[٤] ، حدثني أبي ، حدثني عمي ، حدثني أبي ، عن أبيه[٥] عن ابن عباس في قوله في شأن البقرة : وذلك أن شيخًا من بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان مكثرًا من المال ، وكان بنو أخيه فقراء لامال لهم ، وكان الشيخ لا ولد له ، وكان[٦] بنو أخيه ورثته ، فقالوا : ليت عمنا قد مات فورثنا ماله ، وإنه لما تطاول عليهم ألّا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال لهم : هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم ، فترثوا ماله ، وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها دِيَتَهُ ؛ وذلك أنهما كانتا[٧] مدينتين ، كانوا في إحداهما[٨] ، وكان القتيل إذا قتل وطرح[٩] بين المدينتين ، قيس ما بين القتيل والقريتين فأيتهما[١٠] كانت أقرب إليه غَرِمَت الدية ، وأنهم لما سوّل لهم الشيطان ذلك ، وتطاول عليهم ألا يموت عمهم عمدوا إليه فقتلوه ، ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها . فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخي الشيخ ، فقالوا : عمنا قُتل على باب مدينتكم ، فوالله لتغرمنّ لنا دية عمنا . قال أهل المدينة : نقسم بالله ما قتلنا ، ولا علمنا قاتلًا ، ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا .

وإنهم عمدوا إلى موسى - عليه السلام - فلما أتوه ، قال بنو أخي الشيخ : عمنا وجدناه مقتولًا على باب مدينتهم ، وقال أهل المدينة : نقسم بالله ما قتلناه ، ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا ، وإن جبريل جاء بأمرالسميع العليم إلى موسى - عليه السلام - فقال : قل لهم : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ . فتضربوه ببعضها .

وقال السدي(٤٦٢) : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ قال : كان رجل من بني إسرائيل مكثرًا من المال ، وكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاج ، فخطب إليه ابن

---

(٤٦١) - رواه ابن جرير برقم ١١٨٠ - (١٨٨/٢) ، وإسناده مسلسل بالضعفاء ، وقد تقدم هذا الإسناد .

(٤٦٢) - تفسير ابن جرير برقم ١١٧٤ - (١٨٥/٢ - ١٨٧) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : سعيد .
[٥] - في خ : « جده » . وفي ز زيادة : عن جده .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « كانا » .
[٨] - في ز : إحديهما .
[٩] - في ز : فطرح .
[١٠] - في . فأيهما .

أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه فغضب الفتى ، وقال : والله لأقتلن عمي ولآخذن ماله ، ولأنكحن ابنته ، ولآكلنّ ديته ، فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل ، فقال : يا عم ؛ انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم ، لعلي أن أصيب منها[١] ، فإنهم إذا رأوك معي أعطوني ؛ فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه - كأنه لا يدري أين هو - فلم يجده ، فانطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمي فأدّوا إليّ ديته ، فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي : واعماه ، فرفعهم إلى موسى فقضى عليهم بالدية . فقالوا له : يا رسول الله ؛ ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة[٢] فوالله إنّ ديته علينا لهينة ، [ولكن نستحي][٣] أن نعير به . فذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ **وإذ قتلتم نفسًا فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون** ﴾ فقال لهم موسى [عليه السلام] : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ . قالوا : نسألك عن القتيل وعمن قتله ، وتقول : اذبحوا بقرة ، أتهزأ بنا ؟ ﴿ **قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ .

قال ابن عباس (٤٦٣) : فلو اعترضوا[٤] بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شدّدوا ، وتعنتوا على موسى ، فشدد الله عليهم . فقالوا : ﴿ **ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك** ﴾ . والفارض : الهرمة التي لاتلد ، والبكر : التي لم تلد إلا ولدًا واحدًا . والعوان : النَّصَفُ التي بين ذلك ، التي قد ولدت وولد ولدها ﴿ **فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول** [**إنها بقرة صفراء فاقع لونها** ﴾ . قال : نقي لونها ﴿ **تسر الناظرين** ﴾ . قال : تعجب الناظرين ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي إنّ البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول**][٥] **إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها** ﴾ . من بياض ولا سواد ولا حمرة ﴿ **قالوا الآن جئت بالحق** ﴾ . فطلبوها فلم يقدروا عليها . وكان رجل في بني إسرائيل ، من أبر الناس بأبيه ، وإن رجلًا مرّ به معه لؤلؤ يبيعه -وكان أبوه نائمًا تحت رأسه المفتاح - فقال له الرجل : تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفًا ؟ فقال له[٦] الفتى : كما أنت حتى يستيقظ أبي فآخذه منك بثمانين ألفًا ؛ قال[٧] الآخر : أيقظ أباك وهو لك بستين ألفًا ، فجعل التاجر يحط له حتى بلغ[٨] ثلاثين ألفًا ، وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف ، فلما أكثر عليه قال : والله لا أشتريه منك بشيء أبدًا ، وأبىٰ أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة ، فمرت به بنو إسرائيل يطلبون

(٤٦٣) - ابن أبي حاتم برقم (٦٩٨) .

[١] - في ز : فيها .
[٢] - في ز ، خ : « الفرصة » .
[٣] - في ز : ولكنا نستحيي .
[٤] - في خ : « أعرضوا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من ز .

البقرة ، وأبصروا البقرة عنده ، فسألوه أن يبيعهم إياها بقرة ببقرة ، فأبىٰ ، فأعطوه ثنتين فأبى ، فزادوه حتى بلغوا عشرة[١] فأبىٰ[٢] فقالوا : والله لانتركك حتى نأخذها منك . فانطلقوا به إلى موسى عليه السلام فقالوا : يا نبي الله ؛ إنا وجدناها عند هذا ، فأبى أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمنًا ، فقال له موسى : أعطهم بقرتك . فقال[٣] : يارسول الله ، أنا أحق بمالي . فقال : صدقت ، وقال للقوم : أرضوا صاحبكم ، فأعطوه وزنها ذهبًا ، فأبى ، فأضعفوا له مثل ما أعطوه وزنها ، حتى أعطوه وزنها عشر مرات ذهبًا فباعهم إياها وأخذ ثمنها ، فذبحوها . قال : اضربوه ببعضها ، فضربوه بالبَضْعة التي بين الكتفين ، فعاش ، فسألوه[٤] : من قتلك ؟ فقال لهم : ابن أخي قال : أَقْتُلُهُ فآخذ ماله وأنكح ابنته . فأخذوا الغلام فقتلوه .

وقال سنيد(٤٦٤) : حدثنا حجاج - هو ابن محمد - عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وحجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا : إن سبطًا من بني إسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس ، بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس ، فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحدًا منهم خارجًا إلا أدخلوه ، وإذا افتتحوا قام رئيسهم فنظر وأشرف ، فإذا لم ير شيئًا فتح المدينة ، فكانوا مع الناس حتى يمسوا ، قال : وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير ، ولم يكن له وارث غير أخيه ، فطال عليه حياته فقتله ليرثه ، ثم حمله فوضعه على باب المدينة ، ثم كمن في مكان هو وأصحابه ، قال : فأشرف[٥] رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيئًا ففتح الباب ، فلما رأى القتيل ردّ الباب فناداه أخو المقتول وأصحابه : هيهات ! قتلتموه ثم تردّون الباب ! وكان موسى لما رأى القتل كثيرًا في أصحابه - بني إسرائيل - كان إذا رأى القتيل بين ظهراني القوم أخذهم ، فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ، ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ، قالوا : يا موسى[٦] ؛ إن هؤلاء قتلوا قتيلاً ، ثم ردوا الباب . وقال أهل المدينة : يا رسول الله ؛ قد عرفت اعتزالنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت ، نعتزل شرور الناس ، والله[٧] ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً . فأوحى الله تعالى إليه أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ .

وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما ، و[٨] الظاهر أنها

---

(٤٦٤) - ورواه ابن جرير في تفسيره برقم ١١٨٢ - (١٨٨/٢) من طريق سنيد ، واسمه حُسين ، ضُعف مع إمامته ومعرفته ! لكونه كان يلقن شيخه الحجاج بن محمد (التقريب) .

---

[١] - في خ : « عشرا » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - في ز : فسلوه .
[٥] - في خ : « فشرف » .
[٦] - في ز ، خ : « رسول الله » .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - زيادة من : ز ، خ .

مأخوذة من كتب بني إسرائيل ، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدّق ولا تُكَذّب ؛ فلهذا لايعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا ، والله أعلم .

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

أخبر تعالى عن تعنت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم ، ولهذا[١] لما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله[٢] عليهم ، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم ، كما قال ابن عباس وعَبِيدةُ وغير واحد ، ولكنهم شدّدوا فشدّد عليهم فقالوا : ﴿ **ادع لنا ربك يبين لنا ماهي** ﴾ . أي[٣] : ما هذه البقرة ؟ وأي شيء صفتها .

قال ابن جرير(٤٦٥) : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا عَثّام[٤] بن علي ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ، ولكنهم شددوا فشدّد الله عليهم .

إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس ، وكذا قال عبيدة والسدي ، ومجاهد وعكرمة ، وأبو العالية وغير واحد .

وقال ابن جريج : قال لي[٥] عطاء : لو أخذوا أدنى بقرة لكفتهم[٦] .

(٤٦٥) - رواه ابن جرير برقم ١٢٣٥ - (٢٠٤/٢) .

[١] - في ت : «وهذا» .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « عثمان » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : كفتهم .

قال ابن جريج : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إنما أمروا بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شدّدوا على أنفسهم شدّد الله عليهم ، وايم الله ، لو أنهم لم يستثنوا لما[١] بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد** »(٤٦٦) .

﴿ **قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر** ﴾ . أي : لا كبيرة هرمة ولا صغيرة لم يلحقها الفحل ، كما قاله أبو العالية والسدي ، ومجاهد وعكرمة ، وعطية العوفي وعطاء الخراساني ووهب ابن منبه والضحاك والحسن وقتادة ، وقاله ابن عباس أيضًا .

وقال الضحاك عن ابن عباس(٤٦٧) : ﴿ **عوان بين ذلك** ﴾ . [يقول : نَصَفٌ][٢] بين الكبيرة والصغيرة ، وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر وأحسن ما تكون[٣] ، وروي عن عكرمة ومجاهد ، وأبي العالية والربيع بن أنس ، وعطاء الخراساني والضحاك نحو ذلك .

وقال السدي : العوان : النَّصَف التي بين ذلك التي قد[٤] ولدت ، وولد ولدها .

وقال هشيم : عن جويبر(٤٦٨) عن كثير بن زياد ، عن الحسن في البقرة : كانت بقرة وحشية .

وقال ابن جريج : عن عطاء ، عن ابن عباس(٤٦٩) : من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها ؛ وذلك قوله تعالى ﴿ **صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** ﴾ وكذا قال مجاهد ووهب ابن منبه : إنها كانت صفراء .

وعن ابن عمر(٤٧٠) : كانت صفراء الظِّلف . وعن سعيد بن جبير : كانت صفراء القرن والظلف .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧١) : حدّثنا أبي ، حدّثنا نصر بن علي ، حدّثنا نوح[٥] بن قيس ، أنبأنا أبو رجاء ، عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ **بقرة صفراء فاقع لونها** ﴾ . قال : سوداء شديدة السواد .

---

(٤٦٦) - **مرسل** بل معضل رواه ابن جرير في تفسيره برقم ١٢٤٢ - (٢٠٥/٢) .
(٤٦٧) - رواه ابن جرير برقم (١٢١٠) ، وابن أبي حاتم برقم (٧٠٤) وإسناده ضعيف .
(٤٦٨) - جويبر : متروك الحديث ، وهو عند ابن أبي حاتم برقم (٧٠٩) ، وابن جرير برقم (١٢٢١) .
(٤٦٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٧١٠) والطبراني (١٠٦١٢/١٠) .
(٤٧٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٧١٢) .
(٤٧١) - **إسناده صحيح** ، والحديث عند ابن أبي حاتم برقم ٧١٤ - (٢٢٠/١) .

---

[١] - في ز : ما .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يكون » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : فرح .

وهذا غريب ، والصحيح الأوّل ؛ ولهذا أكد صفرتها بأنه ﴿ **فاقع لونها** ﴾ .

وقال عطية العوفي : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . [تكاد تسود][١] من صفرتها .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . قال : صافية اللون . وروي عن أبي العالية والربيع ابن أنس ، والسدّي والحسن وقتادة نحوه .

وقال شريك عن مغراء ، عن ابن عمر : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . قال : صاف [٢] .

وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس : ﴿ **فاقع لونها** ﴾ . شديدة الصفرة ، تكاد من صفرتها تبيض .

وقال السدّي : ﴿ **تسر الناظرين** ﴾ . أي : تعجب الناظرين . وكذا قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس .

وقال وهب بن منبه : إذا نظرت إلى جلدها يُخَيَّل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها .

[وفي التوراة أنها كانت حمراء ، فلعل هذا خطأ في التعريب ، أو كما قال الأول : إنها كانت شديدة الصفرة تضرب إلى حمرة وسواد ، والله أعلم][٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **إنّ البقر تشابه علينا** ﴾ أي[٤] : لكثرتها ، فميّز لنا هذه البقرة وصفها وجلّها لنا ﴿ **وإنا إن شاء الله** ﴾ إذا بينتها لنا ﴿ **لمهتدون** ﴾ إليها .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧٢) : حدّثنا أحمد بن يحيى الأودي الصوفي ، حدّثنا أبو سعيد أحمد ابن داود الحداد ، حدّثنا سرور بن المغيرة الواسطي - ابن أخي منصور بن زاذان - عن عباد بن منصور ، عن الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لولا أنّ بني إسرائيل قالوا : ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ لما[٥] أعطوا ولكن استثنوا** » .

---

(٤٧٢) - **إسناده ضعيف** : عباد بن منصور : ضعفوه وترجمته في الميزان (٣/٣٧٦) . وسرور بن المغيرة ذكره الذهبي في الميزان (٢/١١٦) وقال : ذكره الأزدي وتكلم فيه . وقال أبو حاتم (٤/٣٢٥) : شيخ . وأورده في اللسان (٣/١١) . وابن حبان في الثقات : (٦/٤٣٧) والحديث في تفسير ابن أبي حاتم برقم ٧٢٧ - (١/ ٢٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « يكاد يسود » .
[٢] - في ز : صافي .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « ما » .

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه(٤٧٣) في تفسيره من وجه آخر ، عن سرور بن المغيرة ابن[١] زاذان ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ، عن حديث أبي رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **لولا أنّ بني إسرائيل قالوا ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ ما أعطوا أبدًا ، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم** » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة ، كما تقدم مثله عن السدّي ، والله أعلم .

﴿ **قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث** ﴾ . أي : إنها ليست مذللة بالحراثة ، ولا معدّة للسقي في [السانية] بل هي مكرّمة حسنة[٢] صبيحة ﴿ **مسلمة** ﴾ . صحيحة لا عيب فيها ﴿ **لا شية فيها** ﴾ أي : ليس فيها لون غير لونها .

وقال عبد الرزاق(٤٧٤) عن معمر عن قتادة : ﴿ **مسلمة** ﴾ يقول : لا عيب فيها ، وكذا قال أبو العالية والربيع ، وقال مجاهد : ﴿ **مسلمة** ﴾ من الشية .

وقال عطاء الخراساني : ﴿ **مسلمة** ﴾ القوائم والخلق

﴿ **لا شية فيها** ﴾ قال مجاهد : لا بياض ولا سواد . وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة : ليس فيها بياض . وقال عطاء الخراساني : ﴿ **لا شية فيها** ﴾ قال : لونها واحد بهيم . وروي عن عطية العوفي ، ووهب بن منبه ، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك .

وقال السدّي : ﴿ **لا شية فيها** ﴾ من بياض ولا سواد ولا حمرة ، وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى .

[وقد زعم بعضهم أنّ المعنى في ذلك قوله تعالى : ﴿ **إنها بقرة لا ذلول** ﴾ ليست بمذللة بالعمل ، ثم استأنف فقال ﴿ **تثير الأرض** ﴾ أي : يعمل عليها بالحراثة لكنها لا تسقي الحرث . وهذا ضعيف ؛ لأنه فسر الذلول التي [لم] تذلل بالعمل بأنها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث ، كذا قرره القرطبي وغيره][٣] . ﴿ **قالوا الآن جئت بالحق** ﴾ [ ][٤] قال قتادة : الآن بيّنْتَ لنا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : وقبل ذلك ، والله قد جاءهم الحق .

(٤٧٣) - **إسناده ضعيف** : فيه عباد بن منصور ، وهو ضعيف .

(٤٧٤) - رواه ابن جرير برقم (١٢٥٩) ، وابن أبي حاتم برقم (٧٣٨) .

[١] - في ت : عن . [٢] - في خ : « حسناء » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في خ : و .

﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ . قال الضحاك عن ابن عباس : كادوا ألَّا يفعلوا ، ولم يكن ذلك الذي أرادوا ؛ لأنهم أرادوا ألَّا يذبحوها .

يعني أنهم مع هذا البيان ، وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا ذمٌّ لهم ؛ وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت ؛ فلهذا ما كادوا يذبحونها[١] .

وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس : ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ . لكثرة ثمنها .

وفي هذا نظر ؛ لأن كثرة ثمنها لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل ، كما تقدم من حكاية أبي العالية والسدي ، ورواه العوفي عن ابن عباس . وقال عبيدة ومجاهد ووهب بن منبه وأبو العالية ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنهم اشتروها بمال كثير ، وفيه اختلاف ، ثم قد قيل في ثمنها غير ذلك

وقال عبد الرزاق (٤٧٥) : أنبأنا ابن عيينة ، أخبرني محمد بن سوقة ، عن عكرمة قال : [ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

وهذا إسناد جيد عن عكرمة][٢] ، والظاهر أنه نقله عن أهل الكتاب أيضًا .

و[٣] قال ابن جرير وقال آخرون : لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ، إن اطلع اللَّه على قاتل القتيل الذي اختصموا فيه .

ولم يسنده عن أحد ، ثم اختار أن الصواب في ذلك أنهم لم يكادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها ، وللفضيحة . وفي هذا نظر ؛ بل الصواب - واللَّه أعلم - ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس على ما وجهناه ، وباللَّه التوفيق .

[مسألة

استدل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت أو تم تقييدها بعد الإطلاق على صحة السلم في الحيوان ، كما هو مذهب مالك والأوزاعي ، والليث والشافعي ، وأحمد وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا ؛ بدليل ما ثبت في الصحيحين (٤٧٦) عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « لا

(٤٧٥) - تفسير عبد الرزاق (١/٥٠) .

(٤٧٦) - صحيح البخاري بلفظ : « **لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها إلى زوجها كأنه ينظر إليها** » . من حديث ابن مسعود في كتاب النكاح ، باب : لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها إلى زوجها برقم (٥٢٤١) . ورواه أيضًا

[١] - في ز : يذبحوها .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

تنعت المرأةُ المرأة لزوجها كأنه ينظر إليها » وكما وصف النبي صلى الله عليه وسلم إبل الدية في قتل الخطأ وشبه العمد بالصفات المذكورة بالحديث ، وقال أبو حنيفة والثوري والكوفيون : لا يصح السلم في الحيوان ؛ لأنه لا تنضبط أحواله ، وحُكي مثله عن ابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم][١] .

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

قال البخاري : ﴿ **فادّارأتم فيها** ﴾ . اختلفتم .

وهكذا قال مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم(٤٧٧) ، عن أبيه ، عن أبي حذيفة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ **وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها** ﴾ . اختلفتم .

وقال عطاء الخراساني والضحاك : اختصمتم فيها ، وقال ابن جريج : ﴿ **وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها** ﴾ . قال : قال بعضهم : أنتم قتلتموه . وقال آخرون[٢] : بل أنتم قتلتموه ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

﴿ **والله مخرج ما كنتم تكتمون** ﴾ . قال مجاهد : ما تغيبون .

وقال ابن أبي حاتم(٤٧٨) : حدّثنا عمرو بن سلم[٣] البصري ، حدثنا محمد بن الطفيل العبدي ، حدّثنا صدقة بن رستم ، سمعت المسيب بن رافع يقول : ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله ، وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله ؛ وتصديق ذلك في كلام الله ﴿ **والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها** ﴾ . هذا البعض أيُّ شيء كان

أبو داود في النكاح ، باب : ما يؤمر به من غض البصر (٢١٥٠) والترمذي في الأدب ، باب : كراهية مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة (٢٧٩٢) ، والنسائي في عشرة النساء من الكبرى حديث (٩٢٣١) . وأحمد برقم (٣٦٠٩، ٣٦٦٨) **ولم نقف عليه عند مسلم** .

(٤٧٧) - رواه ابن أبي حاتم ٧٥١ - (٢٢٨/١) .

(٤٧٨) - **صدقة بن رستم** : أورده الذهبي في الميزان وقال : قال أبو حاتم ما به بأس ، صدوق . وقال ابن حبان : يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات وهمًا ، وقال البخاري : لم يصح حديثه . ومحمد بن الطفيل : صدوق . والحديث في تفسير ابن أبي حاتم برقم ٧٥٤ - (٢٢٩/١) . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٩٤٥/٥ هـ) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : الآخرون .

[٣] - في ت : مسلم .

من أعضاء هذه البقرة ، فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن ، وقد كان معينًا في نفس الأمر ، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه اللّٰه تعالى لنا ، ولكنه[١] أبهمه ولم يجيء من طريق صحيح عن معصوم بيانه ، فنحن نبهمه كما أبهمه اللّٰه .

ولهذا قال ابن أبي حاتم(٤٧٩) : حدّثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عفان[٢] بن مسلم ، حدّثنا عبد الواحد بن زياد ، حدّثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له ، وكانت بقرة تعجبه ، قال : فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه [ملء مسكها][٣] دنانير ، فذبحوها فضربوه - يعني القتيل - بعضوٍ منها ، فقام تَشْخُبُ أوداجه دمًا ، فقالوا له : مَنْ قتلك ؟ قال : قتلني فلان .

وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنه ضرب ببعضها .

وفي رواية عن ابن عباس أنهم ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا[٤] معمر قال : قال أيوب عن ابن سيرين ، عن عبيدة : ضربوا القتيل ببعض لحمها ، و[٥] قال معمر : قال قتادة : ضربوه[٦] بلحم فخذها فعاش ، فقال : قتلني فلان(٤٨٠) .

وقال [وكيع بن الجراح في تفسيره][٧] : حدّثنا[٨] النضر بن عربي ، عن عكرمة : ﴿ **فقلنا اضربوه ببعضها** ﴾ : فضرب بفخذها فقام ؛ فقال : قتلني فلان .

قال ابن أبي حاتم : ورُوي عن مجاهد وقتادة وعكرمة[٩] ، نحو ذلك .

وقال السدي : فضربوه بالبَضْعة التي بين الكتفين فعاش ، فسألوه ، فقال : قتلني ابن أخي .

وقال أبو العالية : أمرهم موسى - عليه السلام - أن يأخذوا عظمًا من عظامها ، فيضربوا به

---

(٤٧٩) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٧٥٥ - (٢٢٩/١) . وعبد الواحد بن زياد : قال في التقريب : ثقة ، في حديثه ، عن الأعمش وحده مقال . - قلنا : قد روى الشيخان حديثه عن الأعمش - والمنهال بن عمرو : وثقه ابن معين ، والنسائي والعجلي ، وفي التقريب : صدوق ربما وهم .

(٤٨٠) - تفسير عبد الرزاق (٤٩/١) .

---

[١] - في ز : ولكن .
[٢] - في ز ، خ : « عثمان » .
[٣] - في خ : « مثلها » .
[٤] - في خ : « أخبرنا » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « فضربوه » .
[٧] - في ز ، خ : « أبو أسامة »
[٨] - في ز ، خ : « عن » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

القتيل ، ففعلوا ، فرجع إليه روحه ، فسمى لهم قاتله ، ثم عاد ميتًا كما كان .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : فضربوه ببعض آرابها .

وقيل : بلسانها . [وقيل : بعجب ذنبها][١] . وقوله تعالى : ﴿ **كذلك يحيي الله الموتى** ﴾ أي : فضربوه فحيي ، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل . جعل تبارك وتعالى ذلك الصنع حجة لهم على المعاد ، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والفساد ، والله تعالى قد ذكر في هذه السورة ما[٢] خلقه من[٣] إحياء الموتى في خمسة مواضع ؛ ﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم** ﴾ . وهذه القصة ، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وقصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة .

ونبه[٤] تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأَجسام بعد صيرورتها رميمًا ، كما قال أبو داود الطيالسي(٤٨١) :

حدّثنا شعبة ، أخبرني يعلى بن عطاء قال : سمعت وكيع بن عُدُس يحدث عن أبي رَزين العقيلي رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ كيف يحيي الله الموتى ؟ قال : « **أما مررت بواد مُمحل ، ثم مررت به خَضِرًا ؟** » قال : بلى قال : « **كذلك النشور** » . أو قال : « **كذلك يحيي الله الموتى** » . **وشاهد هذا قوله تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾** .

[مسئلة]

استدل لمذهب الإمام مالك في كون قول الجريح : فلان قتلني لوثًا بهذه القصة ؛ لأن القتيل لما حيي سُئل عمن قتله ، فقال : فلان قتلني ، فكان ذلك مقبولاً منه ، لأنه لايخبر حينئذ إلا بالحق ، ولا يتهم والحالة هذه ، ورجحوا ذلك لحديث أنس : أن يهوديًّا قتل جارية على أوضاح لها ، فرضخ رأسها بين حجرين ، فقيل : من فعل بك هذا ؟ أفلان ؟ أفلان ؟ حتى ذكروا اليهودي ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي ، فلم يزل به حتى اعترف ، فأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يرضخ رأسه بين حجرين(٤٨٢) .

---

(٤٨١) - مسند الطيالسي برقم (١٠٨٩) صـ (١٤٧) .

(٤٨٢) - رواه البخاري في كتاب الخصومات ، باب : ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي برقم (٢٤١٣) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : «مما» .

[٣] - في ز : في .

[٤] - في ز ، خ : « وينبه » .

وعند مالك إذا كان لوثًا حلف أولياء القتيل قسامة ، وخالف الجمهور في ذلك ، ولم يجعلوا قول القتيل في ذلك لوثًا][١] .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

يقول تعالى توبيخًا لبني إسرائيل وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آيات اللَّه تعالى وإحيائه الموتى : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** ﴾ كله ﴿ **فهي كالحجارة** ﴾ . التي لا تلين أبدًا ؛ ولهذا نهى اللَّه المؤمنين عن مثل حالهم فقال : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللَّه وما نزل من الحق ولا يكونوا[٢] كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ .

و[٣] قال العوفي في تفسيره : عن ابن عباس : لما ضُرب المقتول ببعض البقرة جلس أحيا ما كان قط ، فقيل له : من قتلك ؟ قال[٤] : بنو أخي قتلوني ، ثم قبض فقال بنو أخيه حين [قبضه اللَّه][٥] : ما قتلناه ، فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه فقال اللَّه : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك** ﴾ . يعني : بني أخي الشيخ ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية ، بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات ، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها ، أو أشد قسوة من الحجارة ؛ فإن[٦] من الحجارة ما يتفجر[٧] منها العيون [الجارية بالأنهار][٨] ، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جاريًا ، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية اللَّه ، وفيه إدراك لذلك بحسبه[٩] ، كما قال : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا** ﴾ .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : إنه كان يقول : كل حجر يتفجر منه الماء ، أو يتشقق[١٠] عن

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « تكونوا » .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - في ز : فقال .
[٥] - في ز ، خ : « قُبض ، واللَّهِ » .
[٦] - في خ : « فإنه » .
[٧] - في ت : « تتفجر » .
[٨] - في ت : « بالأنهار الجارية » .
[٩] - سقط من : خ . وفي ز : لحسه .
[١٠] - في ز : ينشق .

ماء ، أو يتردى[١] من رأس جبل ، لمن خشية اللّه ، نزل بذلك القرآن .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن أبي محمد(٤٨٣) عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية اللّه** ﴾ . أي : وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عمَّا تدعون إليه من الحق ﴿ **وما اللّه بغافل عما تعملون** ﴾ .

[وقال أبو علي الجبائي في تفسيره ﴿ **وإن منها لما يهبط من خشية اللّه** ﴾ . هو سقوط البرد من السحاب .

قال القاضي الباقلاني : وهذا تأويل بعيد . وتبعه في استبعاده الرازي ، وهو كما قال ؛ فإن هذا خروج عن اللفظ بلا دليل ، واللّه أعلم][٢] .

وقال ابن أبي حاتم(٤٨٤) : حدثنا أبي ، حدّثنا هشام بن عمار ، حدثنا الحكم بن هشام الثقفي ، حدثني يحيى بن أبي طالب - يعني يحيى بن يعقوب - في قوله تعالى : ﴿ **وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار** ﴾ . قال : هو كثرة البكاء ﴿ **وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء** ﴾ . قال : قليل البكاء ﴿ **وإن منها لما يهبط من خشية اللّه** ﴾ قال : بكاء القلب ، من غير دموع العين .

[وقد زعم بعضهم أن هذا من باب المجاز ، وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة ، كما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله : ﴿ **يريد أن ينقض** ﴾ قال الرازي والقرطبي وغيرهما من الأئمة : ولا حاجة إلى هذا ؛ فإن اللّه تعالى يخلق فيها هذه الصفة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها** ﴾ وقال : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن** ﴾ . الآية . وقال : ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾ ﴿ **أو لم يروا إلى ما خلق اللّه من شيء يتفيأ ظلاله** ﴾ الآية ﴿ **قالتا أتينا طائعين** ﴾ ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل** ﴾ الآية ﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا اللّه** ﴾ الآية . وفي الصحيح : « **هذا جبل يحبنا ونحبه** » ، وكحنين الجذع المتواتر خبره ، وفي صحيح مسلم : « **إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن** » وفي صفة الحجر

---

(٤٨٣) - مجهول ، وهو عند ابن أبي حاتم برقم ٧٧٠ - (١/٢٣٣ ، ٢٣٤) ، وإسناده ضعيف . وهو في السيرة (٢/١٨٢) ، وعند ابن جرير (١/٣٦٤ حلبي) .

(٤٨٤) - رواه ابن أبي حاتم ٧٦٥ - (١/٢٣٢) . وإسناده ضعيف . هشام بن عمار : صدوق مكثر له ما ينكر . والحكم بن هشام الثقفي : وثقه ابن معين ، وأبو داود ، والعجلي ، وقال أبو حاتم : لا نحتج به . ويحيى بن يعقوب : قال أبو حاتم : محله الصدق ، وقال البخاري : منكر الحديث .

---

[١] - في ز : تردى . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الأسود أنه يشهد لمن استلمه بحق يوم القيامة ، وغير ذلك مما في معناه][1] .

تنبيه

اختلف علماء العربية في معنى قوله تعالى : ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ بعد الإجماع على استحالة كونها للشك ، فقال بعضهم : « أو » هاهنا بمعنى الواو ، تقديره : فهي كالحجارة وأشدّ قسوة ، كقوله تعالى : ﴿ **ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا** ﴾ ، [﴿ **عذرًا أو نذرًا** ﴾][2] وكما قال النابغة الذبياني[3] :

قالت : ألا ليتما هذا الحمامُ لنا إلى[4] حَمَامتنا أو نِصْفُه فَقَدِ

تريد : ونصفه . قاله ابن جرير . وقال جرير بن عطية :

نال الخِلافَةَ أو كانت له قدرًا كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

قال ابن جرير : يعني نال الخلافة ، وكانت له قدرًا .

وحكى القرطبي قولًا : أنها للتخيير ، أي : مثلاً لهذا وهذا ، وهذا مثل : جَالِسِ الحسنَ أو ابنَ سيرين .

وكذا حكاه الرازي في تفسيره وزاد قولًا آخر : إنها للإبهام بالنسبة إلى المخاطب ، كقول القائل : أكلت خبزًا أو تمرًا ، وهو يعلم أيهما أكل ، وقال آخر : إنها بمعنى قول القائل : [كُلْ] حلوًا أو حامضًا ، أي : لا يخرج عن واحد منهما . أي : وقلوبكم صارت كالحجارة أو أشد قسوة منها ، لا تخرج عن واحد من هذين الشيئين ، والله أعلم][5] .

وقال آخرون : « أو » هاهنا بمعنى " بل " ، تقديره[6] : فهي كالحجارة بل أشدّ قسوة ، وكقوله : ﴿ **إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية** ﴾ ، ﴿ **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون** ﴾ ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنىٰ** ﴾ وقال آخرون : معنى ذلك ﴿ **فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ عندكم ، حكاه ابن جرير .

وقال آخرون : المراد بذلك الإبهام على المخاطب كما قال أبو الأسود :

أحبّ محمَّدًا حُبًّا شديدًا وعبَّاسًا وحمزة والوصيَّا
فإن يك حُبُّهم رشدًا أصبه ولست بمخطيء إن كان غيًّا

قال ابن جرير : قالوا : ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكًّا في أن حب من سمى رَشَدٌ ،

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : « الرماني » .
[٤] - في ز : على .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « فتقديره » .

ولكنه أبهم على من خاطبه ، قال : وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له : شككت ؟ فقال : كلا والله . ثم انتزع[١] بقول[٢] الله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ﴾ فقال : أوَ[٣] كان شاكًا من أخبر بهذا : في الهادي منهم من الضلال ؟ .

[وقال بعضهم : معنى ذلك : فقلوبكم[٤] لا تخرج عن أحد هذين المثلين ؛ إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة ، وإما أن تكون أشد منها قسوة .

قال ابن جرير : ومعنى ذلك][٥] - على هذا التأويل - : فبعضها كالحجارة قسوة ، وبعضها أشدّ قسوة من الحجارة . وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره .

(قلت) : وهذا القول الأخير يبقى[٦] شبيهًا بقوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا** ﴾ مع قوله : ﴿ **أو كصيب من السماء** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة** ﴾ مع قوله : ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** ﴾ . الآية . أي : إن منهم من [هو هكذا][٧] ، ومنهم من [هو هكذا][٨] ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدّثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي الثلج ، حدثنا علي بن حفص ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله ابن حاطب ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي** » .

رواه الترمذي (٤٨٥) في كتاب الزهد من جامعه ، عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج ، صاحب الإمام أحمد ، به .

ومن وجه آخر عن إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب ، به . وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم .

---

(٤٨٥) - **ضعيف** ، والحديث في سنن الترمذي برقم (٢٤١١) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب ، وأورده الإمام مالك في الموطأ (٢/٩٨٦) بلاغًا عن عيسى عليه السلام . وانظره في الضعيفة لشيخنا الألباني حفظه الله تعالى حديث (٩٢٠) وانظر أيضًا (٩٠٨) .

---

[١] - في ز ، خ : «أسرع» .
[٢] - في ز : يقول .
[٣] - في خ: «و» .
[٤] - في ز : فقلوبهم .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز ، خ : « كهذا » .
[٨] - في ز ، خ : « كهذا » .

[وروى البزار(٤٨٦) عن أنس مرفوعًا : « **أربع من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا** »][١] .

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) ﴾

يقول تعالى : ﴿ **أفتطمعون** ﴾ أيها المؤمنون ﴿ **أن يؤمنوا** [٢] **لكم** ﴾ أي : ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود ، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ، ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ﴿ **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام اللّه ثم يحرفونه** ﴾ أي[٣] : يتأوّلونه على غير تأويله ﴿ **من بعدما عقلوه** ﴾ أي : فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه على بصيرة ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله ، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق(٤٨٧) : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : ثم قال اللّه تعالى لنبيه - صلى اللّه عليه وسلم - ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام اللّه** ﴾ وليس

(٤٨٦) - ضعيف ، وهو في كشف الأستار برقم (٣٢٣٠) ، ومختصر زوائد البزار ٢٠٠٣ - (٤٥٦/٢) من طريق هانئ بن المتوكل ، عن عبد اللّه بن سليمان وأبان عن أنس به مرفوعًا ، وقال البزار : « عبد اللّه بن سليمان حدث بأحاديث لم يتابع عليها » ، وقال ابن حجر : وهانئ ضعيف . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٢٦) : « وفيه هانئ بن المتوكل ، وهو ضعيف » . وقال ابن حبان : هانئ بن المتوكل : كثرت المناكير في روايته ولا يجوز الاحتجاج به . وأورد الحديث ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن الجوزي : وعبد اللّه بن سليمان مجهول .

والحديث في الحلية (١٧٥/٦) من طريق صالح المري ، عن يزيد الرقاشي عن أنس . وإسناده ضعيف لضعف صالح المري ، ويزيد : متروك .

(٤٨٧) - السيرة (١٨٢/٢) ، وابن أبي حاتم ٧٧٣ - (٢٣٤/١) وإسناده ضعيف .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : يؤمن .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

قوله : [يسمعون كلام الله][١] : يسمعون[٢] التوراة . كلهم قد سمعها ، ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها .

قال محمد بن إسحاق فيما حدثني بعض أهل العلم : إنهم قالوا لموسى ، يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله تعالى فأسمعنا كلامه حين يكلمك . فطلب ذلك موسى إلى ربه تعالى ، فقال : نعم مُرْهُم فليتطهروا ، وليطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ،ثم خرج بهم حتى أتوا الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى أن يسجدوا [فوقعوا سجودًا][٣] ، وكلمه ربه تعالى فسمعوا[٤] كلامه يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا عنه ما سمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاءوهم حرّف فريق منهم ما أمرهم به ، [وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله ؛ إنما قال كذا وكذا خلافًا لما قال الله عز وجل لهم][٥] ، فهم الذين عنى الله لرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقال السدي ﴿ **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه** ﴾ قال : هي التوراة ، حرّفوها .

وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق ، وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق ، فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه ، كما سمعه الكليم موسى ابن عمران - عليه الصلاة والسلام- وقد قال الله تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ أي : مُبلَّغًا إليه ؛ ولهذا قال قتادة في قوله : ﴿ **ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ قال : هم اليهود ، و[٦] كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه ووعوه .

وقال مجاهد : الذين يحرّفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم .

وقال أبو العالية : عمدوا إلى ما أنزل الله في [ ][٧] كتابهم ، من نعت محمد صلى الله عليه وسلم، فحرّفوه عن مواضعه ، وقال السدي ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أي : أنهم أذنبوا . وقال ابن وهب: قال ابن زيد في قوله : ﴿ **يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه** ﴾ قال : التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرّفونها ؛ يجعلون الحلال فيها حرامًا [والحرام فيها حلالًا][٨] والحق فيها باطلًا ، والباطل فيها حقًّا ، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ: « سمعوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ: « فلما سمعوا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - زيادة من: ز ، خ.
[٧] - في ز ، خ: « نعت » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ.

برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ، فهو فيه محق ، وإن جاءهم[١] أحد يسألهم شيئًا[٢] ليس فيه حق ، ولا رشوة ، ولا شيء ، أمروه بالحق ، فقال اللَّه لهم : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ .

و[٣] قوله تعالى : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا [آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض][٤]** ﴾ . الآية .

قال محمد بن إسحاق : حدثنا[٥] محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو – سعيد بن جبير – عن ابن عباس ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** ﴾ . أي : بصاحبكم رسول اللَّه ، ولكنه إليكم خاصة ﴿ **وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا** ﴾ . لا تحدثوا العرب بهذا ؛ فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان منهم . فأنزل اللَّه : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدّثونهم بما فتح اللَّه عليكم ليحاجوكم به عند ربكم** ﴾ . أي : تقرّون بأنه نبي ، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم[٦] باتباعه ، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ، ونجد في كتابنا . اجحدوه ولا تقرّوا به . يقول اللَّه تعالى : ﴿ **أو لا يعلمون أن اللَّه يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾ .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : يعني المنافقين من اليهود ، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى اللَّه عليه وسلم قالوا : آمنا .

وقال السدي(٤٨٨) : هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ، وكذا قال الربيع بن أنس وقتادة وغير واحد من السلف والخلف ، حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيما رواه ابن وهب عنه : كان رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قد قال : « **لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن** » فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق : اذهبوا فقولوا : آمنا ، واكفروا إذا رجعتم إلينا ، فكانوا يأتون المدينة بالبكَر[٧] يرجعون إليهم بعد العصر . وقرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون** ﴾ . وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة : نحن مسلمون ؛ ليعلموا خبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأمره ، فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر ، فلما أخبر اللَّه نبيه صلى اللَّه عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون .

(٤٨٨) – رواه ابن جرير في تفسيره ١٣٤٩ – (٢/٢٥٤) عن يونس ، عن ابن وهب ، به . وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ضعيف جدًا .

[١] – في ز ، خ : « جاء » .
[٢] – سقط من : خ .
[٣] – سقط من : خ .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] – في خ : « حدثني » .
[٦] – سقط من : ز ، خ .
[٧] – في ز : بالبُكير .

وكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون ، فيقولون : أليس قد قال الله لكم : كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى . فإذا رجعوا إلى قومهم - [يعني : الرؤساء][١] - قالوا : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . الآية .

وقال أبو العالية : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . يعني : بما أنزل الله[٢] عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الرزاق (٤٨٩) عن معمر عن قتادة : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم** ﴾ . قال : كانوا يقولون : سيكون نبي . فخلا بعضهم [إلى بعض][٣] ، فقالوا :﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ .

قول آخر في المراد بالفتح :

قال ابن جريج : حدثني القاسم بن أبي بَزَّة عن مجاهد(٤٩٠) ، في قوله تعالى : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم ، فقال : « **يا إخوان القردة والخنازير ، ويا عبدة الطاغوت** » . فقالوا : من أخبر بهذا[٤] الأمر محمدًا ؟ ما خرج هذا القول إلا منكم ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ . بما حكم الله للفتح ، ليكون لهم حجة عليكم . قال ابن جريج : عن مجاهد هذا حين أرسل إليهم عليًا ، فآذوا محمدًا صلى الله عليه وسلم .

وقال السدي ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ - من العذاب - ﴿ **ليحاجوكم به عند ربكم** ﴾ . هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ، فكانوا[٥] يحدّثون المؤمنين من العرب بما عُذّبوا به ، فقال بعضهم لبعض : ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ من العذاب ، ليقولوا : نحن أحب إلى الله منكم ، وأكرم على الله منكم .

وقال عطاء الخراساني ﴿ **أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم** ﴾ يعني : بما قضىٰ لكم وعليكم .

وقال الحسن البصري : هؤلاء اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قال بعضهم : لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ؛ فيحاجوكم

---

(٤٨٩) - تفسير عبد الرزاق (١/٥٠) .

(٤٩٠) - مرسل . وهو عتند ابن جرير ١٣٤٧ - (٢/٢٥٢ - ٢٥٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « ببعض » . [٤] - في خ : « هذا » .

[٥] - في ز ، خ : « وكانوا » .

به عند ربكم ، فيخصموكم .

وقوله تعالى : ﴿ أو لا يعلمون أنّ اللّه يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ . قال أبو العالية : يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، وتكذيبهم به ، وهم[١] يجدونه مكتوبًا عندهم . وكذا قال قتادة .

وقال الحسن ﴿ أن اللّه يعلم مايسرون ﴾ . قال : كان ما أسروا أنهم كانوا إذا تولوا عن أصحاب محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، وخلا بعضهم إلى بعض ، تناهوا أن يخبر أحد[٢] منهم أصحاب محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، بما فتح اللّه عليهم مما في كتابهم ، خشية أن يحاجهم أصحاب محمد ، صلى اللّه عليه وسلم ، بما في كتابهم عند ربهم . ﴿ وما يعلنون ﴾ يعني : حين قالوا لأصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم : آمنا . وكذا قال أبو العالية والربيع وقتادة .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى : ﴿ ومنهم أمّيون ﴾ أي : ومن أهل الكتاب . قاله مجاهد . والأمّيون جمع أمّي ، وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة . قاله أبو العالية والربيع ، وقتادة وإبراهيم النخعي ، وغير واحد ، وهو ظاهر في قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ أي : لا يدرون ما فيه ؛ ولهذا في صفات النبي صلى اللّه عليه وسلم : أنه الأمي[٣] ؛ لأنه لم يكن يحسن الكتابة ، كما قال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ . وقال - عليه الصلاة والسلام - : « إنا أمّة أمّية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا » . الحديث ، أي : لا نفتقر في عباداتنا ومواقيتها إلى كتاب ولا حساب . وقال [تبارك] وتعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأمّيين رسولاً منهم ﴾ .

وقال ابن جرير : نسبت العرب من لا يكتب ولا يَخُط من الرجال إلى أمّه في جهله بالكتاب ، دون أبيه . قال : وقد روي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما[٤] قول خلاف هذا ، وهو ما حدثنا به(٤٩١) :

---

(٤٩١) - **هذا إسنادٌ فيه ضعف وانقطاع** - كما تقدم ، والحديث في تفسير ابن جرير ١٣٥٨ - (٢/ ٢٥٨ ، ٢٥٩) . بشر بن عُمارة : ضعفه النسائي ومشاه غيره . وقال البخاري : يعرف وينكر . وقال ابن عدي:=

---

[١] - في ز : وهو .
[٢] - في خ : « واحد » .
[٣] - في خ : « أمى » .
[٤] - في ز ، خ : « عنه » .

أبو كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أمّيون ﴾ قال : الأمّيون قوم لم يصدّقوا رسولاً أرسله الله ، ولا كتابًا أنزله الله ، فكتبوا كتابًا بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة جُهَّال : هذا من عند الله . وقال : قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ، ثم سماهم أمّيين لجحودهم كتب الله ورسله . ثم قال ابن جرير : وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم . وذلك أنّ الأمّي عند العرب الذي لا يكتب .

قلت : ثم في صحة هذا عن ابن عباس بهذا الإسناد نظر ، والله أعلم .

و[١] قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : إلا أماني : إلا أحاديث .

وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ يقول : إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذبًا . وقال مجاهد : إلا كذبًا . وقال سنيد : عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ ومنهم أمّيون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ . قال : أناس من اليهود[٢] لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئًا ، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله ، ويقولون : هو من الكتاب ، أماني يتمنونها . وعن الحسن البصري ، نحوه .

وقال أبو العالية والربيع وقتادة : ﴿ إلا أماني ﴾ يتمنون على الله ما ليس لهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ إلا أماني ﴾ قال : تمنوا فقالوا : نحن من أهل الكتاب . وليسوا منهم .

قال ابن جرير (٤٩٢) : والأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس . وقول[٣] مجاهد : إن الأمّيين الذين وصفهم الله تعالى أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله[٤] الله تعالى على موسى - شيئًا ، ولكنهم يَتَخَرَّصُون[٥] الكذب ، ويَتَخَرَّصُون[٦] الأباطيل كذبًا وزورًا . والتمني[٧] في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه[٨] . ومنه الخبر المروي عن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ما تغنيت ولا تمنيت . يعني : ما تخرصت[٩] الباطل ولا تخلقت[١٠] الكذب .

= حديث بشر بن عمارة عندي إلى الاستقامة أقرب (الميزان ٣٢١/١) . والضحاك لم يسمع من ابن عباس .

(٤٩٢) - تفسير ابن جرير (٢٦٢/٢) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : يهود .
[٣] - في ت : وقال .
[٤] - في ز : أنزل .
[٥] - في خ : « يتحرصون » .
[٦] - في خ : « يتحرصون » .
[٧] - في ز : والمتمني .
[٨] - في خ : « وتحرضه » .
[٩] - في خ : « تحرصت » .
[١٠] - في ت : اختلقت .

[وقيل : المراد بقوله إلا أماني بالتشديد والتخفيف أيضًا أي : إلا تلاوة ، فعلى هذا يكون استثناء منقطعًا ، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **إلا إذا تمنى** ﴾ أي تلا ﴿ **ألقى الشيطان في أمنيته** ﴾ الآية . وقال كعب بن مالك الشاعر :

تمنَّى كتاب اللَّه أوّل ليلِهِ وآخره لاقى حمام المقادر

وقال آخر :

تمنى كتاب اللَّه آخر ليلِهِ تمني داود الكتاب على رسل][١]

وقال محمد بن إسحاق(٤٩٣) : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون** ﴾ . أي[٢] : ولا يدرون ما فيه ، وهم يجحدون[٣] نبوتك بالظن .

وقال مجاهد ﴿ **وإن هم إلا يظنون** ﴾ : يكذبون .

وقال قتادة وأبو العالية والربيع : يظنون باللَّه[٤] الظنون بغير الحق .

وقوله تعالى : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند اللَّه ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلاً** ﴾ . الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود ، وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على اللَّه ، وأكل أموال الناس بالباطل .

[والويل : الهلاك والدمار][٥] ، وهي كلمة مشهورة في اللغة . وقال سفيان الثوري : عن زياد بن فَيَّاض ، سمعت أبا عياض يقول : ويل : صديد في أصل جهنم .

وقال عطاء بن يسار : الويل : واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت .

وقال ابن أبي حاتم(٤٩٤) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن

---

(٤٩٣) - رواه ابن جرير (١٣٦٢) ، وإسناده ضعيف .

(٤٩٤) - **إسناده ضعيف** ، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٨٠٣ - (٢٤٣/١) . ورواه أحمد بزيادة في آخره برقم ١١٧٢٩ - (٧٥/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٢٤) ثنا الحسن بن موسى ، به . ومن طريقه الترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة الأنبياء ، عليهم السلام (٣١٦٤) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣٨٣/٢) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى ، به . وأسد بن موسى في « الزهد » (١٥) حدثنا ابن لهيعة ، به . والبيهقي في « البعث » (٤٨٧) من طريق كامل ، ثنا ابن لهيعة ، به . وقال

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ،خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « يجدون » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

الحارث ، عن درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **ويل : واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره** » .

ورواه الترمذي (٤٩٥) ، عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى ، عن[١] ابن لهيعة ، عن درّاج ، به . وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

(قلت) : لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى ، ولكن الآفة ممن بعده ، وهذا الحديث بهذا الإسناد - مرفوعًا - منكرٌ، واللَّه أعلم .

وقال ابن جرير (٤٩٦) : حدّثنا المثنى ، حدّثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التستري[٢] ، حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي ، عن عثمان بن عفان ، رضي اللَّه عنه ، عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ **فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ . قال : « **الويل : جبل في النار ، وهو الذي أنزل في اليهود ؛ لأنهم حرّفوا التوراة ، زادوا فيها ما أحبوا ، ومحوا منها ما يكرهون ، ومحوا اسم محمد صلى اللَّه عليه وسلم من التوراة ولذلك غضب اللَّه عليهم فرفع بعض التوراة ؛ فقال تعالى : ﴿ فويل**

الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة . قلنا : لم ينفرد برفعه ابن لهيعة كما قال الترمذي بل تابعه عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به . كما في حديثنا هذا ، وكما عند الطبري في « تفسيره » (٣٧٨/١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٤٦٧/١٦) ، وهو في « الموارد » (٢٦١٠/٨) . من طريق عبد اللَّه بن وهب عنه ، به .

وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (٥٩٦/٤) ، والبيهقي في « البعث » (٤٦٥) . من طريقين عن ابن وهب ، به مطولًا ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وتابع ابن وهب ، رشدين بن سعد ، عن عمرو ، به مطولًا . أخرجه نعيم بن حماد في « زوائد الزهد لابن المبارك » (٣٣٤) ومن طريق ابن المبارك رواه البغوي في « شرح السنة » (٤٤٠٩/١٥) . وعلى ذلك فالآفة ليست من ابن لهيعة ، وإنما من رواية دراج ، عن أبي الهيثم .

وقد جاء موقوفًا من نفس طريق المرفوع أخرجه الحاكم (٥٣٤/٢) ، ومن طريقه البيهقي (٤٦٤) بلفظ : « **الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا ، قبل أن يفرغ من حساب الناس** » . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (١٥٩/١) إلى ابن أبي الدنيا في « صفة النار » وابن مردويه .

(٤٩٥) - **ضعيف** ، وهو في سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة الأنبياء ، برقم (٣١٦٤) . وانظر التعليق السابق .

(٤٩٦) - تفسير ابن جرير ١٣٦٨ ، ١٣٩٥ - (٢٦٨/٢ ، ٢٧١) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : العشيري ، والمثبت من ابن جرير .

لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ » .

وهذا غريب أيضًا جدًّا .

[وعن ابن عباس : الويل : المشقة من العذاب . وقال الخليل بن أحمد : الويل شدّة الشر . وقال سيبويه : ويل لمن وقع في الهلكة ، وويح لمن أشرف عليها . وقال الأصمعي : الويل تفجع ، والويل ترحم . وقال غيره : الويل الحزن . وقال الخليل : وفي معنى ويل ويح وويش وويه وويك وويب ، ومنهم من فرّق بينها .

وقال بعض النحاة : إنما جاز الابتداء بها وهي نكرة ؛ لأن فيها معنى الدعاء ، ومنهم من جوّز نصبها بمعنى ألزمهم ويلًا . (قلت) : لكن لم يقرأ بذلك أحد][١] .

وعن عكرمة عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، **﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾** قال : هم أحبار اليهود . وكذا قال سعيد : عن قتادة : هم اليهود .

وقال سفيان الثوري : عن عبد الرحمن بن علقمة سألت ابن عباس ، رضي الله عنه ، عن قوله تعالى : **﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾** قال : نزلت في المشركين وأهل الكتاب .

وقال السديُّ : كان ناس من اليهود كتبوا كتابًا من عندهم ، يبيعونه من العرب ، ويحدثونهم أنه[٢] من عند الله ، ليأخذوا[٣] به ثمنًا قليلًا .

وقال الزهري : أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال : يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، [وكتاب الله][٤] الذي أنزله[٥] على نبيه أحدث أخبار الله تقرءونه[٦] غضًّا لم يَشِب ؟ ، وقد حَدَّثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُسَاءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم .

رواه البخاري من طرق ، عن الزهري(٤٩٧) .

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري : الثمن القليل : الدنيا بحذافيرها .

---

(٤٩٧) - صحيح البخاري في الشهادات ، باب : لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها برقم (٢٦٨٥) وانظر (٧٣٦٣ ، ٧٥٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ،خ .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : فيأخذوا .

[٤] - في ز : وكتابكم .

[٥] - في ز : أنزل الله .

[٦] - في خ : « تعرفونه » .

وقوله تعالى : ﴿ **فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ . أي : فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء ، وويل لهم مما أكلوا به من السحت ، كما قال الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ **فويل لهم** ﴾ يقول : فالعذاب عليهم ، من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب ﴿ **وويل لهم مما يكسبون** ﴾ يقول : مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم .

وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى إخبارًا عن اليهود فيما نقلوه وادّعوه لأنفسهم ، من أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة ، ثم ينجون منها ، فردّ الله عليهم ذلك بقوله تعالى : ﴿ **قل أتخذتم عند الله عهدًا** ﴾ . أي : بذلك ، فإن كان قد وقع عهد[١] فهو لا يُخلف عهده ، ولكن هذا ما جرى ولا كان ؛ ولهذا أتى « بأم » التي بمعنى : بل ، أي : بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه .

قال محمد بن إسحاق ، عن سيف بن سليمان ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، إنّ اليهود كانوا يقولون : إنّ[٢] هذه الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نُعَذَّبُ بكل ألف سنة يومًا في النار ، وإنما هي سبعة أيام معدودة[٣] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **خالدون** ﴾ .

ثم رواه عن محمد(٤٩٨) ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه[٤] .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ : اليهود قالوا : لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة(٤٩٩) .

[زاد غيره : وهي مدة عبادتهم العجل . وحكاه القرطبي عن ابن عباس وقتادة][٥] . وقال الضحاك : قال ابن عباس : زعمت اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبًا أنّ ما بين طرفي جهنم

---

(٤٩٨) - رواه ابن أبي حاتم برقم (٨١٨) .

(٤٩٩) - ابن جرير برقم (١٤٠٥) وسنده ضعيف جدًّا .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : معدودات .

[٤] - في خ : « نحوه » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم ، التي هي نابتة[١] في أصل الجحيم ، وقال أعداء[٢] الله : إنما نُعذَّب حتى ننتهي إلى شجرة الزقوم ، فتذهب جهنم وتهلك[٣] . فذلك قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٥٠٠) : عن معمر عن قتادة : ﴿ **وقالوا : لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ يعني : الأيام التي عبدنا فيها العجل .

وقال عكرمة : خاصمت اليهود رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : لن ندخل النار إلا أربعين ليلة ، وسيخلفنا فيها[٤] قوم آخرون - يعنون[٥] محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، رضي الله عنهم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيده على رءوسهم : « بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم إليها أحد » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة** ﴾ . الآية .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه - رحمه الله - : حدّثنا عبد الله بن جعفر ، حدّثنا محمد بن محمد بن صخر ، حدّثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا ليث بن سعد ، حدّثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سُم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **اجمعوا لي من كان من اليهود هاهنا** » . فقال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **من أبوكم ؟** » قالوا : فلان . قال : « **كذبتم؛ بل أبوكم فلان** » . فقالوا : صدقت وبَرِرت .

ثم قال لهم : « **هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟** » . قالوا : نعم ، يا أبا القاسم؛ وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أهل النار ؟** » . فقالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها . فقال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **اِخسَئُوا ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا** » . ثم قال لهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟** » . قالوا : نعم ، يا أبا القاسم؛ قال[٦] : « **هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا ؟** » فقالوا : نعم . قال : « **فما[٧] حملكم على ذلك ؟** » . فقالوا : أردنا ؛ إن كنت كاذبًا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

---

(٥٠٠) - تفسير عبد الرزاق (٥١/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « ثابتة » .
[٢] - في خ : « عهد » .
[٣] - في خ : « لعلك » .
[٤] - في ز ، خ : « إليها » .
[٥] - في ز ، خ : « يعني » .
[٦] - في ز : فقال .
[٧] - في ز : ما .

ورواه الإمام[١] أحمد والبخاري والنسائي من حديث الليث بن سعد بنحوه(٥٠١) .

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

يقول تعالى : ليس الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون ؛ بل الأمر أنه مَنْ عمل سيئة وأحاطت به خطيئته ، وهو من وافى يوم القيامة وليست[٢] له حسنة ؛ بل جميع أعماله[٣] سيئات ؛ فهذا من أهل النار [﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾][٤] [أي[٥] : آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا الصالحات][٦] من العمل الموافق للشريعة فهم[٧] من أهل الجنة ، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يُجْزَ به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق(٥٠٢) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد - أو عكرمة - عن ابن عباس ﴿ **بلى من كسب سيئة** ﴾ . أي : عمل مثل[٨] أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، حتى يحيط به كفره ، فما له من حسنة .

وفي رواية عن ابن عباس ، قال : الشرك(٥٠٣) .

قال ابن أبي حاتم(٥٠٤) : وروي عن أبي وائل وأبي العالية ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن وقتادة

(٥٠١) - المسند ٩٨٢٦ - (٢/٤٥١) وصحيح البخاري في الجزية والموادعة ، باب : إذا غدر المشركون بالمسلمين ، هل يعفى عنهم برقم (٣١٦٩) ، وأطرافه (٤٢٤٩ ، ٥٧٧٧) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥٥) .

(٥٠٢) - رواه ابن أبي حاتم ٨٢٧ - (١/٢٥٠) . و٨٣٠ - (١/٢٥٢) وابن جرير ١٤٢٠ - (٢/٢٨٠) .

(٥٠٣) - رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف إلى ابن عباس برقم ٨٢ - (١/٢٥١) .

(٥٠٤) - ابن أبي حاتم (١/٢٥١) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : وليس .
[٣] - في ز ، خ : « عمله » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : والذين .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٧] - في ز : فهو .
[٨] - في ز ، خ : « بمثل » .

والربيع بن أنس ، نحوه .

وقال الحسن أيضًا والسدي : السيئة : الكبيرة من الكبائر(٥٠٥) .

وقال ابن جريج عن مجاهد ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ . قال : بقلبه .

وقال أبو هريرة وأبو وائل وعطاء والحسن : ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ . قالوا[١] : أحاط به شركه .

وقال الأعمش ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خُثَيم ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ قال : الذي يموت على خطايا[٢] من قبل أن يتوب . وعن السدي وأبي رزين . نحوه .

وقال أبو العالية ومجاهد والحسن في رواية عنهما ، وقتادة والربيع بن أنس : ﴿ **وأحاطت به خطيئته** ﴾ الكبيرة الموجبة ، وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى ، والله أعلم . ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال(٥٠٦) :

حدّثنا سليمان بن داود ، حدّثنا [عمران عن قتادة][٣] ، عن عبد ربه ، عن أبي عياض ، [ ][٤] عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : أنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه** » . وإنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضرب لهنّ مثلًا ، كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتى جمعوا سوادًا ، وأججوا نارًا ، فأنضجوا ما قذفوا فيها .

---

(٥٠٥) - رواه ابن أبي حاتم بإسناده ٨٢٨ - (٢٥١/١) .

(٥٠٦) - المسند ٣٨١٨ - (٤٠٢/١) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٩/١٠) وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داور القطان وقد وثق . وهو تساهل من الحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى ؛ فإن عبد ربه - وهو ابن أبي يزيد - قال ابن المديني : مجهول - لم يرو له شيء في الصحيحين . وأبو عياض تفرد بالرواية عنه عبد ربه ، ولم يرو له إلا أبو داود والكسائي .

ورواه أحمد من حديث سهل بن سعد ٢٢٩١٤ - (٣٣١/٥) . ثنا أنس بن عياض ، حدثني أبوحازم - لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد - قال : قال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد ، فجاء ذا بِعُودٍ ، وجاء ذا بعود ، حتى أنضجوا خُبْزَتَهم ، وإن محقراتِ الذنوب متى يؤخذ بها صاحبُها تهلكه** » . أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٦٥، ١٦٦/رقم: ٥٨٧٢). وفي الصغير (٢/ ٣٢٧/رقم: ٨٨٧). وفي الأوسط كما في =

---

[١] - في ز : قال . [٢] - في خ : « خطاياه » .

[٣] - في ز : عمر بن قتادة ، وفي خ : عمرو بن قتادة .

[٤] - في خ زيادة : عن عبد ربه .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد ، عن سعيد - أو عكرمة - عن ابن عباس ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ أي : من آمن بما كفرتم به[١] . وعمل بما[٢] تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها . يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله [لا انقطاع له أبدًا][٣] .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

يُذكِّر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر ، وأخذه ميثاقهم على ذلك ، وأنهم تولوا عن ذلك كله ، وأعرضوا قصدًا وعمدًا ، وهم يعرفونه ويذكرونه ، فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا . وبهذا أمر جميع خلقه ؛ ولذلك خلقهم ، كما قال تعالى : [﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ وقال تعالى][٤] : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت** ﴾ وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها ، وهو حق اللّه تبارك وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له ، ثم بعده حق المخلوقين ، وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ؛ ولهذا يقرن [تبارك و][٥] تعالى [كثيراً][٦] بين حقه وحق الوالدين ، كما قال تعالى : ﴿ **أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير** ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ الآية . إلى أن قال : ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** ﴾

وفي الصحيحين(٥٠٧) ، عن ابن مسعود ، قلت : يا رسول اللّه ؛ أيُّ العمل أفضل ؟ قال :

= مجمع البحرين (٨/ ٢٦١، ٢٦٢/رقم: ٥٠٨٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٠) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم، وهو ثقة.

ورواه من حديث عائشة (٦/ ٧٠ ، ١٥١) .

(٥٠٧) - صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب : فضل الصلاة لوقتها برقم (٥٢٧) وأطرافه (٥٩٧٠، ٧٥٣٤) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم ١٣٧ - (٨٥) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : ما .

[٣] - في ز ، خ : «أبدًا لا انقطاع له» .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز : اللّه .

[٦] - زيادة من ز .

« **الصلاة على وقتها** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **بر الوالدين** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله** » ولهذا جاء في الحديث الصحيح(٥٠٨) : أنّ رجلا قال : يا رسول الله ؛ من أَبَرُّ ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **أباك ، ثم أدناك ثم**[١] **أدناك** ».

[وقوله تعالى : ﴿ **لا تعبدون إلا الله** ﴾ قال الزمخشري : خبر بمعنى الطلب وهو آكد، وقيل : كان أصله : أن لا تعبدوا إلا الله ،كما قرأها من قرأها من السلف فحذفت أن فارتفع ، وحكى عن أبي ، وابن مسعود أنهما قرآها : (لا تعبدوا إلا الله) ونقل هذا التوجيه القرطبي في تفسيره عن سيبويه . قال : واختاره الكسائي والفراء][٢]

قال ﴿ **واليتامى** ﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء : ﴿ **والمساكين** ﴾ الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم ، وسيأتي الكلام على هذه الأصناف عند آية النساء ، التي أمرنا الله تعالى بها صريحًا في قوله : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا** ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾ أي : كلموهم طيّبًا ولينُوا لهم جانبًا ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف ، كما قال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ **وقولوا للناس حسنًا** ﴾ فالحُسْن من القول : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحلم ويعفو ويصفح ، ويقول للناس حسنًا كما قال الله ، وهو كل خُلُقٍ حسن رضيه الله .

وقال الإمام أحمد(٥٠٩) : حدّثنا روح ، حدّثنا أبو عامر الخَزَّاز ، عن أبي عمران الجَوْني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **لا**

---

(٥٠٨) – جاء ذلك من حديث معاوية بن حيدة ، أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في بر الوالدين برقم (٥١٣٩) . والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في بر الوالدين برقم (١٨٩٧) . وأحمد ٢٠٠٧٦ – (٣/٥) .كلهم من طريق بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، به . وقال الترمذي : وهذا حديث حسن . ومن حديث كليب بن منفعة ، عن أبيه ، عن جده ، رواه أبو داود في السنن برقم (٥١٤٠) ومن طريقه ذكره البخاري في تاريخه معلقًا . وأخرج البخاري في صحيحه (٥٩٧١) من حديث أبي زرعة بن جرير ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **ثم أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **ثم أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **ثم أبوك** » . ورواه مسلم ٤٠٣ – (٢٥٤٨) وابن ماجه (٢٧٠٦) بنحوه وفي حديثهما : « **ثم أمك** » مرتين .

(٥٠٩) – المسند ٢١٦٠٢ – (١٧٣/٥) ، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (رقم : ٢٦٢٦) . والترمذي في كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في إكثار ماء المرقة (رقم : ١٨٣٣) . كلاهما من طريق صالح ابن رستم ، به .

---

[١] – سقط من ز . [٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

تحقرن من المعروف شيئًا ، وإن لم تجد فَالْقَ أخاك بوجه منطلق[١] » .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، والترمذي [وصححه][٢] من حديث [أبي عامر الخزَّاز][٣] ، واسمه صالح بن رستم ، به .

وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنًا ، بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل ؛ فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي ، ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمعيّن من ذلك ، وهو الصلاة والزكاة ، فقال : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ وأخبر أنهم تولوا[٤] عن ذلك كله ، أي : تركوه وراء ظهورهم ، وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به ، إلا القليل منهم . وقد أمر اللَّه تعالى هذه الأمة بنظير ذلك في سورة النساء، بقوله : ﴿ **واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن اللَّه لا يحب من كان مختالاً فخورًا** ﴾ فقامت هذه الأمة[٥] من ذلك بما لم تقم به أمة من الأمم قبلها ولله الحمد والمنة .

ومن النقول الغريبة هاهنا ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره(٥١٠) : حدثنا أبي ، حدّثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدّثنا عبد اللَّه بن يوسف [- يعني التنيسي -][٦] حدثنا خالد ابن صبيح ، عن حميد بن عقبة ، عن أسد بن وداعة أنه كان يخرج من منزله فلا يلقى يهوديًا ولا نصرانيًا إلا سلم عليه فقيل له : ما شأنك تسلم على اليهودي والنصراني ؟ فقال : إن اللَّه تعالى يقول : ﴿**وقولوا للناس حسنًا** ﴾ وهو السلام . قال : وروي عن عطاء الخراساني ، نحوه .

(قلت) : وقد [ثبت في][٧] السنة أنهم لا يبدءون بالسلام واللَّه أعلم(٥١١) .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ

(٥١٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٨٥٢ - (١/٢٥٩) .

(٥١١) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام برقم ١٣ - (٢١٦٧) عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قال : « **لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه** » .

[١] - في المسند : طلق .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « أبي عمران الجوني » .
[٤] - في ز ، خ : « نزلوا » .
[٥] - في خ : « الآية » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ز : ثبتت .

﴿فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

يقول اللَّه تبارك وتعالى ، منكرًا على اليهود الذين كانوا في زمان رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم بالمدينة ، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج ، وذلك أن الأوس والخزرج - وهم الأنصار - كانوا في الجاهلية عُبَّاد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل : بنو قينقاع ، وبنو النضير حلفاء الخزرج ، وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه ، فيقتل اليهودي أعداءه ، وقد يقتل اليهودي الآخر من[١] الفريق الآخر ، وذلك حرام عليه في دينه ونص كتابه ، ويخرجونهم من بيوتهم ، وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب ، عملًا بحكم التوراة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم** ﴾ أي : لا يقتل بعضكم بعضًا ، ولا يخرجه من منزله ، ولا يظاهر عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم [ذلكم خير لكم عند بارئكم]**[٢] ﴾ وذلك أنّ أهل [الملة الواحدة] [٣] بمنزلة النفس الواحدة ، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : « **مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسهر** » .

[وقوله تعالى] : ﴿ **ثم أقررتم وأنتم تشهدون** ﴾ أي : ثم أقررتم بمعرفة[٤] هذا الميثاق وصحته ، وأنتم تشهدون به .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : البلد الواحد .

[٤] - في ز : لمعرفة .

﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم [تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارىٰ تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم][١] ﴾ الآية .

و[٢] قال محمد بن إسحاق بن يسار ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير - أو عكرمة - عن ابن عباس **﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾** الآية . قال : أنبَّهم اللَّه بذلك[٣] من فعلهم ، وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم ، فكانوا فريقين : طائفة منهم بنو قينقاع - وهم[٤] حلفاء الخزرج ، والنضير ، وقريظةش، وهم[٥] حلفاء الأوس - فكانوا[٦] إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس ، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم . والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، و[٧] لا يعرفون جنة ولا نارًا ، ولا بعثًا ولا قيامة ، ولا كتابًا ، ولا حلالًا ولا حرامًا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم ، تصديقًا لما في التوراة ، وأخذًا به - بعضهم من بعض - يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس ، ويفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلون(٥١٢) ما أصابوا من دمائهم[٨] ، وقتلى[٩] من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم .

يقول اللَّه - تعالى ذكره - [حيث أنَّبهم][١٠] بذلك **﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾** أي : تفادونهم[١١] بحكم التوراة ، وتقتلونهم[١٢] ، وفي حكم التوراة أن لا يقتل[١٣] ، ولا[١٤] يخرج[١٥] من داره ، ولا[١٦] يظاهر عليه من يُشْرك باللَّه ، ويعبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عرض الدنيا . ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج - فيما بلغني - نزلت هذه القصة(٥١٣) .

---

(٥١٢) - طلَّ دمه : أبطله ، وأهدره .

(٥١٣) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١٨٨/٢) وتفسير ابن جرير برقم ١٤٧١ - (٣٠٥/٢) .

---

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - زيادة من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : وأنهم .
[٥] - في ز ، خ : « وأنهم » .
[٦] - في خ : « وكانوا » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « الدماء » .
[٩] - في ز : وقتلوا .
[١٠] - في ز : حين أنبأهم .
[١١] - في ز ، خ : « يفادونهم » .
[١٢] - في ز ، خ : « ويقتله » .
[١٣] - في ز ، خ : « يفعل » .
[١٤] - سقط من : ز ، خ .
[١٥] - في ز ، خ : « يخرجه » .
[١٦] - سقط من : خ .

وقال أسباط ، عن السدي : كانت قريظة حلفاء الأوس ، وكانت النضير حلفاء الخزرج ، فكانوا يقتتلون في حرب سُمَير ، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءهم ، وكانت النضيرُ تقاتل قريظة وحلفاءها ، ويغلبونهم[١] فيخرّبون ديارهم ويخرجونهم منها ، فإذا أسر رجل من الفريقين كليهما[٢] جمعوا له حتى يفدوه . فتعيرهم العرب بذلك ويقولون : كيف تقاتلونهم وتفدونهم ؟ قالوا : إنا أمرنا أن نفديهم ، وحرّم علينا قتالهم : قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحي[٣] أن تُستَذلَ[٤] حلفاؤنا[٥] . فذلك حين عيرهم الله تبارك وتعالى ، فقال تعالى : ﴿ **ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم** ﴾ الآية .

وقال شعبة ، عن السدي : نزلت هذه الآية في قيس بن الخَطِيم[٦] : ﴿ **ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان** ﴾ الآية . وقال أسباط ، عن السدي ، عن عبد خير[٧] ، قال : غزونا مع سلمان بن ربيعة الباهلي بَلَنْجَر فحاصرنا أهلها ففتحنا المدينة ، وأصبنا سبايا ، واشترى عبد الله بن سلام يهودية بسبعمائة ، فلما مرَّ برأس الجالوت ، نزل به فقال له عبد الله : يا رأس الجالوت ؛ هل لك في عجوز هاهنا من أهل دينك تشتريها مني ؟ قال : نعم ، قال : أخذتها بسبعمائة درهم . قال : فإني أربحك سبعمائة أخرى . قال : فإني قد حلفت أن لا أنقصها من أربعة آلاف . قال : لا حاجة لي فيها . قال : والله لتشترينها[٨] مني أو لتكفُرَنَّ بدينك الذي أنت عليه . قال : ادن مني ، فدنا منه ، فقرأ في أذنه التي في التوراة : إنك لا تجد مملوكًا من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته ﴿ **وإن يأتوكم أسارى تفادوهم**[٩] **وهو محرم عليكم إخراجهم** ﴾ قال : أنت عبد الله بن سلام ؟ قال : نعم . قال : فجاء بأربعة آلاف ، فأخذ عبد الله ألفين ، وردّ عليه ألفين .

وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره : حدثنا أبو جعفر - يعني الرازي - حدثنا الربيع بن أنس(٥١٤) ، أخبرنا أبو العالية : أنّ عبد الله بن سلام مَرَّ على رأس الجالوت بالكوفة ، وهو يفادي من النساء من لم يقع عليها العرب ، ولا يفادي من وقع عليها العرب ، فقال عبد الله بن سلام : أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن تفاديهنّ كلهنّ .

والذي[١٠] أرشدت إليه الآية الكريمة ، وهذا السياق ذمُّ اليهود في قيامهم بأمر التوراة التي

---

(٥١٤) - رواه ابن جرير برقم (١٤٨٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « ويلعنونهم » .
[٢] - في ز ، خ : « كلاهما » .
[٣] - في ز : نستحيي .
[٤] - في خ : « يستدل » .
[٥] - في ز : بحلفائنا .
[٦] - في ز ، خ : « الحطيم » .
[٧] - في خ : « جبر » .
[٨] - في ز ، خ : لتشتريها » .
[٩] - في ز : تفدوهم .
[١٠] - في ز ، خ : « والتي » .

يعتقدون صحتها ، ومخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم له بالصحة ؛ فلهذا لا يؤتمنون على ما فيها ، ولا على نقلها ، ولا يصدقون فيما يكتمونه من صفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ونعته ، ومبعثه ومخرجه ، ومهاجره ، وغير ذلك من شئونه ، التي قد[١] أخبرت بها الأنبياء قبله [عليهم الصلاة والسلام][٢] .

واليهود عليهم لعائن اللّه يتكاتمونه بينهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا** ﴾ أي : بسبب مخالفتهم شرع اللّه وأمره ﴿ **ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب** ﴾ جزاء على ما كتموه من كتاب اللّه الذي بأيديهم ﴿ **وما اللّه بغافل عما تعملون**[٣] **أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة** ﴾ أي : استحبوها على الآخرة واختاروها ﴿ **فلا يخفف عنهم العذاب** ﴾ ، أي : لا يفتر عنهم ساعة واحدة ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ أي : وليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي ، ولا يجيرهم[٤] منه .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتوّ والعناد والمخالفة والاستكبار على الأنبياء ، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم ، فذكر تعالى أنه آتى موسى[٥] الكتاب - وهو التوراة - فحرفوها وبدلوها ، وخالفوا أوامرها وأولوها ، وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللّه وكانوا عليه شهداء** ﴾ الآية . ولهذا قال تعالى : ﴿ **وقفينا من بعده بالرسل** ﴾ قال السدي ، عن أبي مالك : أتبعنا . وقال غيره : أردفنا . والكل قريب ، كما قال تعالى : ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترى** ﴾ حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم ، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام ؛ ولهذا أعطاه اللّه تعالى من البينات ، وهي : المعجزات . قال ابن عباس : من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا[٦] بإذن اللّه ، وإبرائه الأسقام ، وإخباره بالغيوب ، وتأييده[٧] بروح القدس -وهو جبريل عليه السلام - ما يدلهم [به][٨] على صدقه فيما جاءهم به . فاشتد تكذيب بني إسرائيل له ،

[١] - زيادة من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « يعملون » .
[٤] - في ز ، خ : « يجزيهم » .
[٥] - في ز ، خ : « بني إسرائيل » .
[٦] - في ز : طائراً .
[٧] - في ز ، خ : « والتأييد » .
[٨] - زيادة من ز .

وحسدُهم وعنادُهم لمخالفته التوراة في البعض ، كما قال تعالى إخبارًا عن عيسى : ﴿ **ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم** ﴾ الآية . فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة ؛ [ففريقًا يكذبون ، وفريقًا يكذبونه و] يقتلونه ، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم ، وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها ؛ فلهذا كان [ذلك يشق][١] عليهم فيكذبونهم ، وربما قتلوا بعضهم ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون** ﴾.

والدليل على أن روح القدس هو جبريل - كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية ، وتابعه على ذلك [ابن عباس][٢] ومحمد بن كعب القرظى[٣] وإسماعيل بن أبي[٤] خالد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وعطية العوفي ، وقتادة مع قوله تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ - ما[٥] قال البخاري : وقال ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عُروة ، عن عائشة : إن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، وضع لحسان بن ثابت مِنْبرًا في المسجد ، فكان ينافح عن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : « **اللَّهُمَّ ؛ أَيِّدْ حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك**[٦] » . وهذا[٧] من البخاري تعليق(٥١٥) .

وقد رواه أبو داود في سننه ، [عن لُوَين][٨] ، والترمذي ، عن علي بن حجر ، وإسماعيل بن موسى الفزاري ، ثلاثتهم ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، وهشام بن عروة ، كلاهما عن عروة ، عن عائشة به(٥١٦) . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهو حديث أبي الزناد .

---

(٥١٥) - وكذا عزاه المزى في تحفة الأشراف (١٠/١٢) للبخاري ، وقال الحافظ ابن حجر في « النكت الظراف » : « لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري ، وقد وصله أحمد والطبراني ٣٥٨٠ - (٣٧/٤) وصححه الحاكم » . وعبد الرحمن بن أبي الزناد : ضعيف ، ضعفه يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وابن مهدي ، وعلي بن المديني ، والنسائي ، وابن عدي ، وابن حبان .

(٥١٦) - رواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : ما جاء في الشعر برقم (٥٠١٥) ، والترمذي في الأدب ، باب : ما جاء في إنشاد الشعر برقم (٢٨٤٦) . ورواه الطبراني (٣٧/٤) رقم (٣٥٨٠) من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة ، وأحمد ٢٤٤٨١ - (٧٢/٦) ، والحاكم (٥٥٤/٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « يشق ذلك » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - زيادة من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « كما » .
[٦] - في ز ، خ : « نبيه » .
[٧] - في ت : « فهذا » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وفي الصحيحين(٥١٧) : من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أن عمر بن الخطاب مر بحسان ، وهو ينشد الشعر في المسجد ، فلحظ إليه[١] ، فقال : قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال : أنشدك اللَّه ، أسمعتَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « **أجب عني ، اللَّهُمَّ ، أيده بروح القدس** » ؟ فقال : اللَّهُمَّ نعم .

وفي بعض الروايات : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال لحسان : « **اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك** » .

[وفي شعر حسان قوله :

وجبريل رسول اللَّه فينا ... وروح القدس ليس به خفاء][٢]

وقال محمد بن إسحاق : حدثني [عبد اللَّه بن][٣] عبد الرحمن بن أبي حسين المكي ، عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرًا من اليهود سألوا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح . فقال : « **أنشدكم باللَّه وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل وهو الذي يأتيني** ؟ » قالوا : نعم(٥١٨) .

[وفي صحيح ابن حبان ، عن ابن مسعود أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « **إن روح القدس نفث في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا اللَّه وأجملوا في الطلب**][٤] »(٥١٩) .

---

(٥١٧) - صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، صلوات اللَّه عليهم ، برقم (٣٢١٢) وصحيح مسلم فضائل الصحابة برقم ١٥١ - (٢٤٨٥) .

(٥١٨) - **مرسل** ، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٤٨٩ - (٣٢٠/٢) من طريق ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، به ، وشهر بن حوشب كثير الإرسال ، والأوهام ، ضعفه يحيى بن سعيد ، وشعبة ، والجوزجاني ، موسى بن هارون ، وأبو حاتم الرازي ، وابن حبان ، وابن عدي ، ووثقه أحمد ، وابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وروى له مسلم مقرونًا ، وحسن له أحمد ما روى عبد الحميد بن بهرام ، عنه .

(٥١٩) - **إسناده ضعيف** ، رواه البغوي في شرح السنة برقم ٤١١١ ، ٤١١٢ ، ٤١١٣ - (٣٠٣/١٤ - ٣٠٥) من طرق ، عن زبيد اليامي ، عن ابن مسعود - أو عمن أخبره عن ابن مسعود ، عن ابن مسعود ، به مرفوعًا . ورواه القضاعي في مسند الشهاب حديث ١١٥١ (١٨٥/٢) من طريق زبيد اليامي ، عمن أخبره ، عن ابن مسعود ، به ، ورواه الحاكم (٤/٢) من حديث ابن أبي بكير ، عن الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن سعيد بن أبي أمية الثقفي ، عن يونس بن بكير ، عن ابن مسعود ولفظه « .... **إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا اللَّه أيها الناس وأجملوا في الطلب** » .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - زيادة من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أقوال أخر

قال ابن أبي حاتم(٥٢٠) : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا منجاب[١] بن الحارث ، حدّثنا بشر ، عن أبي روق عن الضحاك ، عن ابن عباس ﴿ وأيدناه[٢] بروح القدس ﴾ قال : هو الاسم الأعظم[٣] الذي كان عيسى يُحيي به الموتى .

وقال ابن جرير(٥٢١) : حدثت[٤] عن المنجاب ... فذكره .

و[٥] قال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك .

[ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضًا قال : وهو الاسم الأعظم][٦] . وقال [ابن أبي نجيح][٧] : الروح هو حفظة على الملائكة .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : القدس هو الرب تبارك وتعالى . وهو قول كعب ، [وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصري أنهما قالا : القدس هو اللّه تعالى ، وروحه جبريل . فعلى هذا يكون القول الأوّل][٨] . وقال السدي : القدس البركة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : القدس الطهر .

وقال ابن جرير(٥٢٢) : حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا[٩] ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ قال : أيد اللّه عيسى بالإنجيل روحًا ، كما جعل القرآن روحًا كلاهما روح من اللّه ، كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ﴾ .

ثم قال ابن جرير : وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قولُ من قال : الروح في هذا الموضع جبريل ؛ لأن اللّه - عز وجل - أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر في قوله تعالى : ﴿ إذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلًا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ الآية . فذكر أنه أيده به ، فلو كان

---

(٥٢٠) - **إسناده فيه ضعف وانقطاع** - تقدم بيانه ، والحديث عند ابن أبي حاتم ٨٩٢ - (١/٢٧٠) .

(٥٢١) - تفسير ابن جرير برقم ١٤٩١ - (٣/٣٢١) .

(٥٢٢) - تفسير ابن جرير برقم ١٤٩٠ - (٣/٣٢١) .

---

[١] - في خ : « سنجاب » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « حديث » .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « ابن أبي حاتم » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - في خ : « أخبرنا » .

الروح الذي أيده به هو الإنجيل ، لكان قوله : ﴿ **إذ أيدتك بروح القدس** ﴾ ، ﴿ **وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾ تكرير قول لا معنى له ، والله [سبحانه وتعالى] أعز وأجل[١] أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به[٢] .

(قلت) : ومن الدليل على أنه جبريل ما تقدم في أول السياق ، ولله الحمد . [وقال الزمخشري : ﴿ **بروح القدس** ﴾ بالروح المقدسة كما تقول : حاتم الجود ، ورجل صدق ، ووصفها بالقدس كما قال : ﴿ **وروح منه** ﴾ فوصفه بالاختصاص والتقريب تكرمة . وقيل : لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث ، وقيل : بجبريل ، وقيل : بالإنجيل ، كما قال في القرآن : ﴿ **روحًا من أمرنا** ﴾ وقيل : باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره ، فتضمن كلامه قولًا آخر ، وهو أنَّ المراد روح عيسى نفسه المقدّسة المطهرة . وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ **فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون** ﴾ إنما لم يقل : وفريقًا قتلتم ؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضًا ؛ لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسُّمِّ والسحر ، وقد قال عليه السلام في مرض موته : « **ما زالت أكلة خيبر تعاودني ، فهذا أوان انقطاع أبهري** » .

(قلت) : وهذا الحديث في صحيح البخاري(٥٢٣) وغيره][٣] .

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قال محمد بن إسحاق(٥٢٤) ، حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ أي : في أكنة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ أي : لا تفقه .

---

(٥٢٣) - رواه البخاري تعليقًا في المغازي ، باب : مرض النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ووفاته برقم (٤٤٢٨) بلفظ : « **يا عائشة : ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم** » . وهذا الحديث بهذا اللفظ - الذي أورده ابن كثير ، وفيه زيادة : « **كل عام** » - رواه ابن عدي في كامله (١٢٣٩/٣) ، والذهبي في الميزان (١٥٦/٢) . وأبو نعيم وابن السني - كلاهما في الطب النبوي . ورواه البيهقي (١١/١٠) وأورده في فيض القدير (٤٤٨/٥) . وفي إسناد هذا الخبر سعيد بن محمد الوراق : قال ابن معين : ليس بشيء . وقال ابن سعد وغيره : ضعيف . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال الدارقطني : متروك . وقال ابن عدي : يتبين الضعف على رواياته . وروى عنه أحمد بن حنبل وعلي بن حرب وجماعة .

(٥٢٤) - رواه ابن جرير برقم ١٤٩٨ - (٣٢٥/٢) ، وإسناده ضعيف .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال العوفي(٥٢٥) ، عن ابن عباس ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ هي : القلوب المطبوع عليها .

وقال مجاهد : ﴿ **وقالوا : قلوبنا غلف** ﴾ : عليها غشاوة .

وقال عكرمة : عليها طابع ، وقال أبو العالية : أي لا تفقه[١] ، وقال السدي : يقولون عليها غلاف ، وهو الغطاء .

وقال عبد الرزاق : عن مَعْمَر ، عن قتادة [فلا تعي ولا تفقه ، قاله مجاهد وقتادة .

وقرأ ابن عباس : ﴿ **غُلُف** ﴾ بضم اللام ، وهو جمع غلاف ، أي : قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاءٍ .

﴿ **بل لعنهم الله بكفرهم** ﴾ أي : طردهم الله وأبعدهم من كل خير .

﴿ **فقليلًا ما يؤمنون** ﴾ قال قتادة : معناه لا يؤمن منهم إلا القليل][٢] ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ هو كقوله ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه** ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **غلف** ﴾ قال : تقول[٣] : قلبي في غلاف فلا يخلص إليه مما[٤] تقول[٥] شيء[٦] ، وقرأ : ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه** ﴾ .

وهذا هو[٧] الذي رجحه ابن جرير ، واستشهد بما رُوي من حديث عمرو بن مرّة الجملي[٨] ، عن أبي البختري ، عن حذيفة قال : « **القلوب أربعة** »(٥٢٦) فذكر منها : « **وقلب أغلف**

(٥٢٥) - رواه ابن جرير برقم ١٥٠٠ - (٣٢٦/٢) وإسناده ضعيف .

(٥٢٦) - رواه ابن جرير برقم ١٤٩٧ - (٣٢٤/٣) وإسناده منقطع . فقد نص في التهذيب على أن أبا البختري لم يدرك حذيفة . وقد رُوي مرفوعًا من حديث أبي سعيد . رواه أحمد بن حنبل - (١٧/٣) والطبراني في الصغير (١٠٩/٢ - ١١٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/٤) . من حديث ليث بن أبي سليم عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد - وإسناده ضعيف لعلتين : الأولى : الإرسال ؛ فإن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد ، قاله أبو داود ، عقب إخراج حديث له عن أبي سعيد - كتاب الزكاة ، باب : ما تجب فيه الزكاة ، حديث ١٥٥٩ - : « وأبو البختري لم يسمع من أبي سعيد » . ونقله عنه ابن حجر في التهذيب . وأبو البختري ، اسمه سعيد بن فيروز بن أبي عمران الطائي الكوفي . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه - في المراسيل - : لم يدرك أبا ذر ، ولا أبا سعيد . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : سعيد بن

[١] - في ز : نفقه .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « يقول » .

[٤] - في ز ، خ : « ما » .

[٥] - في خ : « يقول » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - زيادة من : ز ، خ .

[٨] - في ز : الحملي .

مغضوب عليه ، وذاك قلب الكافر » .

وقال ابن أبي حاتم(٥٢٧) : حدّثنا محمد بن عبد الرحمن العَرْزَميّ ، أنبأنا[١] أبي ، عن جدّي ، عن قتادة ، عن الحسن في قوله : ﴿ **قلوبنا غلف** ﴾ قال : لم تختن .

وهذا القول يرجع معناه إلى ما تقدّم من عدم طهارة قلوبهم وأنها بعيدة من الخير .

قول آخر : قال الضحاك عن ابن عباس(٥٢٨) [في قوله][٢] ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ قال : يقولون[٣] : قلوبنا غلف[٤] مملوءة علمًا لا تحتاج[٥] إلى علم محمد ، ولا غيره .

وقال عطية العوفي [ ][٦] ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف** ﴾ : أي : أوعية[٧] للعلم .

وعلى هذا المعنى جاءت قراءة بعض الأنصار فيما حكاه ابن جرير ﴿ **وقالوا قلوبنا غلُف** ﴾ بضم اللام ، [نقلها الزمخشري][٨] أي : جمع غلاف ، أي : أوعية ، بمعنى أنهم ادّعوا أن قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر ، كما كانوا يَمُنُّون بعلم التوراة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون** ﴾ . أي : ليس الأمر كما ادّعوا ؛ بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها ، كما قال في سورة النساء : ﴿ **وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا** ﴾ .

وقد اختلفوا في معنى قوله تعالى : ﴿ **فقليلًا ما يؤمنون** ﴾ وقوله : ﴿ **فلا يؤمنون إلا قليلًا** ﴾ .

فيروز ، ويقال : سعيد بن عمران ، وقيل غير ذلك ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ، يرسل حديثه ، ويروي عن الصحابة ، ولم يسمع من كثير أحد ، فما كان من حديثه سماعًا فهو حسن ، وما كان غيره فهو ضعيف . وقال عنه في التقريب : ثقة ثبت ، فيه تشيع قليل ، كثير الإرسال . والعلة الثانية : هي أنه من طريق ليث وهو ابن أبي سليم ، واسم أبيه أيمن ، وقيل : أنس ، وقيل غير ذلك ، وهو صدوق اختلط جدًّا ، ولم يتميز حديثه ، فتُرك ، قاله ابن حجر . وقال الذهبي : فيه ضعف يسير من سوء حفظه ، كان ذا صلاة وصيام ، وعلم كثير ، وبعضهم احتج به . روى له مسلم مقرونًا . وأما عمرو بن مرة ، فهو ثقة . وقال أيضًا الحافظ ابن كثير في تفسيره - سورة النور آية ٢٠ - : إسناده جيد ولم يخرجوه . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣/١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الصغير ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم .

(٥٢٧) - **إسناده ضعيف** ، والحديث عند ابن أبي حاتم برقم ٩٠٢ - (٢٧٣/١) .

(٥٢٨) - ابن جرير برقم ١٥١٣ - (٣٢٧/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « حدثنا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « قالوا » .

[٤] - في ت : عن ابن عباس ، والمثبت موافق لما في الطبري (٣٢٧/٢) ، والأصلين - ز ، خ .

[٥] - في ز : نحتاج .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في خ : « أواعية » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

فقال بعضهم : فقليل من يؤمن منهم . وقيل فقليل إيمانهم ، بمعني أنهم يؤمنون بما جاءهم به موسى من أمر المعاد والثواب والعقاب ، ولكنه إيمان[١] لا ينفعهم ؛ لأنه مغمور[٢] بما كفروا به من الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : إنما[٣] كانوا غير مؤمنين بشيء ، وإنما قال : ﴿ **فقليلاً ما يؤمنون** ﴾ وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : قلما[٤] رأيت مثل هذا قط . تريد : ما رأيت مثل هذا قط .

[وقال الكسائي : تقول العرب : من زنى بأرض قلما تنبت . أي : لا تنبت شيئًا][٥] حكاه[٦] ابن جرير ، رحمه الله ، والله أعلم .

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ﴿ **ولما جاءهم** ﴾ يعني : اليهود . ﴿ **كتاب من عند الله** ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - مصدّق لما معهم ، يعني : من التوراة وقوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . أي : وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ، يقولون : إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم .

كما قال محمد بن إسحاق (٥٢٩) ، عن عاصم بن[٧] عمر بن قتادة ، [عن قتادة][٨] الأنصاري ، عن أشياخ منهم قال : قالوا[٩] : فينا والله وفيهم ، يعني : في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم ، نزلت هذه القصة ، يعني : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ . قالوا[١٠] : كنا قد علوناهم قهرًا[١١] دهرًا في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ،

(٥٢٩) - رواه ابن جرير برقم ١٥١٩ - (٢/٣٣٢) ، والسيرة (٢/١٩٠) .

[١] - في ز ، خ : « إنما » .
[٢] - في ز : معمور .
[٣] - في ز ، خ : « إنهم » .
[٤] - في خ : « قط » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « حكاها » .
[٧] - في خ : « عن » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في خ : « قال » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

فكانوا يقولون : إن نبيًا يُبعث الآن نتبعه ، قد أظل زمانه فنقتلكم[١] معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث اللَّه رسوله من قريش واتبعناه[٢] كفروا به ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللَّه على الكافرين** ﴾ .

وقال الضحاك عن ابن عباس(٥٣٠) في قوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . قال : يستظهرون ، يقولون : نحن نعين محمدًا عليهم ، وليسوا كذلك[٣] بل[٤] يكذبون .

وقال محمد بن إسحاق (٥٣١) : أخبرني محمد بن أبي محمد ، أخبرني عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس أن يهودًا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، قبل مبعثه ، فلما بعثه اللَّه من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن مَعْرُور ، [أخو بني][٥] سلمة : يا معشر يهود ؛ اتقوا اللَّه وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، صلى اللَّه عليه وسلم ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا[٦] بأنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فقال سَلاَم بن مِشْكم[٧] أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم . فأنزل اللَّه في ذلك من قولهم : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند اللَّه مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللَّه على الكافرين** ﴾ . الآية[٨] .

وقال العوفي(٥٣٢) : عن ابن عباس : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . يقول : يستنصرون بخروج محمد ، صلى اللَّه عليه وسلم ، [على مشركي العرب ، يعني بذلك أهل الكتاب ، فلما بعث محمد ، صلى اللَّه عليه وسلم][٩] ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه .

(٥٣٠) - رواه ابن جرير برقم (١٥٣٢) ، وسنده ضعيف .
(٥٣١) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١٩٦/٢) وتفسير ابن جرير ١٥٢٠ - (٢٣٣/٢ - ٢٣٤) .
(٥٣٢) - رواه ابن جرير برقم ١٥٢٢ - (٣٣٤/٢) ، وسنده ضعيف .

[١] - في ز ، خ : « نقتلكم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « لذلك » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « وداود بن ..» .
[٦] - في ز : وتخبرونا .
[٧] - في خ : « مسلم » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، على مشركي العرب ، يقولون : اللّٰهُمَّ ، ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث اللّٰه محمدًا ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، ورأوا أنه من غيرهم ، كفروا به حسدًا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقال اللّٰه تعالى : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللّٰه على الكافرين** ﴾ .

وقال قتادة : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ . قال : وكانوا يقولون : إنه سيأتي نبي ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾ .

وقال مجاهد : ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة اللّٰه على الكافرين** ﴾ [قال : هم اليهود][١] .

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

قال مجاهد : ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم** ﴾ يهود شروا الحق بالباطل ، وكتمانَ ما جاءَ به مُحَمَّد - صلى اللّٰه عليه وسلم ، بأن يبينوه .

وقال السدي : ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم** ﴾ يقول : باعوا به أنفسهم . يعني : بئسما اعتاضوا لأنفسهم فَرَضُوا[٢] به ، [وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل اللّٰه على محمد - صلى اللّٰه عليه وسلم - عن تصديقه وموازرته ونصرته][٣] ، وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية ﴿ **أن[٤] ينزل اللّٰه من فضله على من يشاء من عباده** ﴾ . ولا حسد أعظم من هذا .

و[٥] قال ابن إسحاق : عن محمد عن عكرمة - أو سعيد - عن ابن عباس : ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل اللّٰه بغيًا أن ينزل اللّٰه من فضله على من يشاء من عباده** ﴾ . أي : أن اللّٰه جعله من غيرهم ﴿ **فباءوا بغضب على غضب** ﴾ . قال ابن عباس : فالغضب على الغضب ، فغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم ، وغضب عليهم[٦] بكفرهم بهذا النبي الذي بعث[٧] اللّٰه إليهم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : ورضوا .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : لأن .
[٥] - زيادة من : خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « أحدث » .

(قلت) : ومعني باءوا : أي[١] استوجبوا واستحقوا واستقروا بغضب على غضب ، وقال أبو العالية : غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى ، ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبالقرآن[٢] .

و[عن عكرمة وقتادة مثله][٣] . قال السدي : أما الغضب الأول فهو حين غضب عليهم في العِجْل ، وأما الغضب[٤] الثاني فغَضِب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

[وعن ابن عباس مثله][٥] . وقوله تعالى : ﴿ **وللكافرين عذاب مهين** ﴾ . لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ . [أي : صاغرين حقيرين ذليلين راغمين][٦] .

وقد قال الإمام أحمد(٥٣٣) : [حدثنا يحيى][٧] ، حدثنا ابن عجلان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور[٨] الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم ، يقال له : بُولَسُ ، تعلوهم[٩] نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال : عُصارةِ أهل النار** » .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾

(٥٣٣) - المسند ٦٦٧٧ - (١٧٩/٢) . وهو عند الترمذي برقم (٢٤٩٢) وفي الرقائق من الكبرى للنسائي ، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٧) ، والحميدي ٥٩٨ - (٢٧٤/٢) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول ٢٢٣) .

[١] - زيادة من ز .
[٢] - في ز ، خ : « والقرآن عليهما السلام » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - زيادة من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « صورة » .
[٩] - في ز : فتعلوهم .

يقول تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾ أي : لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب : ﴿ **آمنوا بما أنزل الله** ﴾ [أي][١] على محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدقوه واتبعوه ﴿ **قالوا نؤمن بما أنزل علينا** ﴾ أي : يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة والإنجيل ، ولا نقر إلا بذلك ﴿ **ويكفرون بما وراءه** ﴾ يعني بما بعد[٢] بعده ﴿ **وهو الحق مصدقًا لما معهم** ﴾ أي : وهم يعلمون أن ما أنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الحق ﴿ **مصدقًا** ﴾ منصوب[٣] على الحال ، أي : في حال تصديقه[٤] لما معهم من التوراة والإنجيل ، فالحجة قائمة عليهم بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ . ثم[٥] قال تعالى : ﴿ **فلم تقتلون أنبياء الله من قبل [إن كنتم مؤمنين]**[٦] ﴾ أي : إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم فَلِمَ قتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم ، والحكم بها وعدم نسخها ، وأنتم تعلمون صدقهم ؟ قتلتموهم بغيًا وعنادًا واستكبارًا على رسل الله ، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهي ، كما قال تعالى : ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون** ﴾ .

وقال السدي في هذه الآية : يعيرهم الله تبارك وتعالى ﴿ **قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وقال أبو جعفر بن جرير : قل يا محمد ، ليهود بني إسرائيل الذين[٧] إذا قلت لهم : آمنوا بما أنزل الله قالوا : نؤمن بما أنزل علينا : لم تقتلون - إن كنتم يا معشر يهود[٨] ، مؤمنين بما أنزل الله عليكم - [أنبياء الله][٩] ؟ وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم[١٠] ؛ بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم ، وذلك من الله تكذيب لهم في قولهم : نؤمن بما أنزل علينا ، وتعييرٌ لهم .

﴿ **ولقد جاءكم موسى بالبينات** ﴾ أي : بالآيات الواضحات[١١] ، والدلائل القاطعات[١٢] على أنه رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، و[الآيات][١٣] البينات هي : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، وفرق البحر ، وتظليلهم بالغمام ، والمن ،

---

[١] - زيادة من ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في خ : « تصديقهم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : اليهود .
[٩] - في ز ، خ : « أنبياءه » .
[١٠] - في خ : « قبلهم » .
[١١] - في ز ، خ : « الواضحة » .
[١٢] - في ز : القاطعة .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .

والسلوى ، والحجر وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها ، ﴿ **ثم اتخذتم العجل** ﴾ أي : معبودًا من دون اللَّه في زمان موسى وأيامه[١] ، وقوله : ﴿ **من بعده** ﴾ أي : من بعد ما ذهب عنكم إلى الطور لمناجاة اللَّه -عز وجل- كما قال تعالى : ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسدًا له خوار** ﴾ . ﴿ **وأنتم ظالمون** ﴾ [أي وأنتم ظالمون][٢] في هذا الصنيع الذي صنعتموه من عبادتكم العجل ، وأنتم تعلمون أنه لا إله إلا اللَّه ، كما قال تعالى : ﴿ **ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

يعدد سبحانه[٣] وتعالى عليهم خطأهم ، ومخالفتهم للميثاق وعتوهم وإعراضهم[٤] عنه ، حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه ، ثم خالفوه ؛ ولهذا قال[٥] : ﴿ **قالوا سمعنا وعصينا** ﴾ . وقد تقدّم تفسير ذلك .

﴿ **وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** ﴾ . قال عبد الرزاق : عن معمر عن قتادة ﴿ **وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**[٦] ﴾ . قال : أُشربوا [في قلوبهم][٧] حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم . وكذا قال أبو العالية والربيع بن أنس .

وقال الإمام أحمد(٥٣٤) : حدثنا عصام بن خالد ، حدثني[٨] أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم الغساني ، عن خالد بن محمد الثقفي ، عن بلال بن أبي الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم : قال « **حبك الشيء يُعْمي وَيُصِمّ** » .

(٥٣٤) - **إسناده ضعيف** من أجل أبي بكر بن أبي مريم ، وبلال بن أبي الدرداء : ثقة روى له أبو داود . وخالد بن محمد الثقفي : ثقة ، روى له أبو داود . والحديث في المسند ٢١٧٨٣ ، ٢١٧٨٤ - (٥/١٩٤) وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الهوى (رقم : ٥١٣٠) ، ورواه أحمد ٢٧٥٨٨ - (٦/ ٤٥٠) ، وعبد بن حميد (٢٠٥) والقضاعي في مسند الشهاب ٢١٩ - (١/١٥٧) ، والطبراني في مسند الشاميين ١٤٥٤ - (٢/٣٤٠) ، ١٤٦٨ - (٢/٣٤٦) .

[١] - في ز ، خ : « وآياته » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : « تبارك » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - زيادة من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « حدثنا » .

ورواه أبو داود ، عن حيوة بن شريح ، عن بقية ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، به .

وقال السدي : أخذ موسى - عليه السلام - العجلَ فذبحه [ثم حرقه][١] بالمبرد ، ثم ذراه[٢] في البحر ، فلم يبق بحر يجري يومئذ إلا وقع فيه شيء منه[٣] ثم قال لهم موسى : اشربوا منه . فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب ؛ فذلك حين يقول الله[٤] تعالى : ﴿ **وأشربوا في قلوبهم العجل** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٥٣٥) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا[٥] إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمارة بن عبدٍ[٦] وأبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : عمد موسى إلى العجل ، فوضع عليه المبارد[٧](٥٣٦) ، فبرده[٨] بها[٩] وهو على شاطىء نهر ، فما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفرّ وجهه مثل الذهب .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ **وأشربوا في قلوبهم العجل** ﴾ . [قال : لما أحرق العجل][١٠] بُرِد ، ثم نسف ، فحسوا الماء حتى عادت وجوههم كالزعفران .

[وحكى القرطبي عن كتاب القشيري أنه ما شرب أحد منه ممن عبد العجل إلا جنّ ، ثم قال القرطبي : وهذا شيء غير ما هاهنا ؛ لأن المقصود من هذا السياق أنه ظهر على شفاههم ووجوههم ، والمذكور هاهنا أنهم أشربوا في قلوبهم العجل ، يعني في حال عبادتهم له ، ثم أنشد قول النابغة في زوجه عثمة :

تغلغل حُبُّ عَثْمَةَ في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسيرُ
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

(٥٣٥) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ٩٣٦ - (٢٨٢/١) ، وعمارة بن عبدٍ : قال أحمد : مستقيم الحديث ، لا يرو عنه غير أبي إسحاق ، وقال أبو حاتم : شيخ مجهول ، لا يحتج بحديثه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، روى له النسائي حديثًا واحدًا (تهذيب الكمال ٢٥٢/٢١) ، وهو متابع بأبي عبد الرحمن السلمي ، وهو ثقة كثير الحديث ، قال البخاري : سمع عليًا ، وقال ابن أبي حاتم : ليس تثبت روايته عن علي (جامع التحصيل ص ٢٠٨) .

(٥٣٦) - المبارد : جمع مبرد ، وهو ما يحك به الحديد حتى يذوبه . الصحاح (٢٤٦/٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « ذر » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « أخبرنا » ، وفي ز : أنبأنا .
[٦] - في ز ، خ : « عبد الله » . وفي ت : عمير ، وكلاهما خطأ .
[٧] - في خ : « النار » .
[٨] - في ز ، خ : « فبرد » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أكاد إذا ذكرتُ العهد منها أطير لو أن إنسانًا يطيرُ][١]

وقوله[٢] : ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ . أي : بئسما تعتمدونه في قديم الدهر وحديثه من كفركم بآيات اللّه ، ومخالفتكم الأنبياء ، ثم اعتمادكم في كفركم بمحمد صلى اللّه عليه وسلم وهذا أكبر ذنوبكم وأشد الأمور عليكم ؛ إذ كفرتم بخاتم الرسل وسيد الأنبياء والمرسلين المبعوث إلى الناس أجمعين ، فكيف تدعون لأنفسكم الإيمان ، وقد فعلتم هذه الأفاعيل القبيحة ؛ من نقضكم المواثيق ، وكفركم بآيات اللّه ، وعبادتكم العجل [من دون اللّه][٣] ؟ !

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

قال محمد بن إسحاق(٥٣٧) : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة – أو سعيد بن جبير – عن ابن عباس رضي اللّه عنه : يقول اللّه تعالى لنبيه محمد[٤] صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند اللّه خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** ﴾ . أي : ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب ، فأبوا ذلك على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ﴿ **ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم واللّه عليم بالظالمين** ﴾ . أي : بِعِلْمِهِمْ[٥] بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك ، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات .

وقال الضحاك(٥٣٨) : عن ابن عباس : ﴿ **فتمنوا الموت** ﴾ : فسلوا[٦] الموت .

وقال عبد الرزاق(٥٣٩) : عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، قوله : ﴿ **فتمنوا**

---

(٥٣٧) – **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن جرير ١٥٧١ – (٢/٥٤٦) ، وابن أبي حاتم (٩٤٢) .

(٥٣٨) – **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن جرير (١٥٦٨).

(٥٣٩) – **إسناده صحيح** ، وهو عند ابن أبي حاتم ٩٤٣ – (١/٢٨٥) .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] – في خ : « وقال » .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] – سقط من : ز ، خ .

[٥] – في ز : يَعْلمُهم .

[٦] – في خ : « فسألوا » .

الموت إن كنتم صادقين ﴾ قال : قال ابن عباس : لو تمنى اليهود[١] الموت لماتوا .

وقال ابن أبي حاتم(٥٤٠) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا عثام ، سمعت الأعمش قال : لا أظنه إلا عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه .

وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس .

وقال ابن جرير في تفسيره : وبلغنا أنّ النبي[٢] صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **لو أنّ اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، لرجعوا لا يجدون أهلاً ، ولا مالاً** » .

حدّثنا بذلك أبو كريب ، حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد اللّٰه بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم .

ورواه الإمام أحمد(٥٤١) ، عن إسماعيل بن يزيد الرقي ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم ، به .

وقال ابن أبي حاتم(٥٤٢) : حدثنا الحسن بن أحمد ، حدثنا إبراهيم بن عبد اللّٰه بن بشار ، حدثنا سرور بن المغيرة ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ؛ قال : قول اللّٰه ما كانوا ليتمنوه[٣] أبدًا[٤] بما قدّمت أيديهم . قلت : أرأيتك لو أنهم أحبوا الموت حين قيل لهم ﴿ **تمنوا الموت**[٥] ﴾ أتراهم كانوا ميتين ؟ قال : لا واللّٰه ، ما كانوا ليموتوا لو تمنوا الموت ، وما كانوا ليتمنوه وقد قال اللّٰه - ما سمعتَ - : ﴿ **ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم واللّٰه عليم بالظالمين** ﴾ .

وهذا غريب عن الحسن . ثم هذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين ، وهو الدعاء على

(٥٤٠) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٤١ - (١/٢٨٤) .

(٥٤١) - تفسير ابن جرير برقم ١٥٦٦ - (٢/٣٦٢) ، والمسند ٢٢٢٥ - (١/٢٤٨) . ورواه أبو يعلى رقم ٢٦٠٤ - (٤/٤٧١) ، والنسائي في الكبرى ١١٠٦١ - (٦/٣٠٨) . وإسماعيل بن يزيد الرقي : قال الحسيني : فيه جهالة . وقال في التعجيل : بل هو معروف وهو مترجم في التهذيب (التعجيل (١/٣١٢) . وقد رجح الشيخ شاكر رحمه اللّٰه تعالى أنهما اثنان . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٢٨) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

(٥٤٢) - رواه ابن أبي حاتم ٩٤٦ - (١/٢٨٥) . وإسناده ضعيف ؛ لضعف عباد بن منصور .

[١] - في خ : « اليهودي » .

[٢] - في خ : « الرسول » .

[٣] - في خ : « يتمنوه » .

[٤] - زيادة من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

أي الفريقين أكذب منهم ، أو من المسلمين على وجه المباهلة ، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم اللّه تعالى !

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة : **﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء للّه من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم واللّه عليم بالظالمين قل إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملاقيكم ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾** . فهم - عليهم لعائن اللّه تعالى ! - لما زعموا أنهم أبناء اللّه وأحباؤه ، وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارىٰ ، دعوا إلى المباهلة ، والدعاء على أكذب الطائفتين منهم ، أو من المسلمين .

فلما نكلوا[١] عن ذلك عَلِم كل أحد أنهم ظالمون ؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا علم كذبهم ، وهذا كما دعا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة ، وعتوهم وعنادهم - إلى المباهلة ، فقال اللّه تعالى : **﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّه على الكاذبين ﴾** .

فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض : واللّه لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تَطْرِفُ ، فعند ذلك [جنحوا للسلم][٢] وبذلوا[٣] الجزية عن يد ، وهم صاغرون ، فضربها عليهم ، وبعث معهم أبا[٤] عبيدة بن الجراح - رضي اللّه عنه - أمينًا . ومثل هذا المعنى ، أو قريب منه [قول اللّه][٥] تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلم أن يقول للمشركين : **﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾** . أي : من كان في الضلالة منا أو منكم ، فزاده اللّه مما هو فيه ، ومدّ له ، واستدرجه ، كما سيأتي تقريره في موضعه ، إن شاء اللّه تعالى .

فأما من فسر الآية على معنى **﴿ [قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند اللّه خالصة من دون الناس فتمنوا الموت][٦] إن كنتم صادقين ﴾** . أي : [إن كنتم صادقين][٧] في دعواكم فتمنوا الآن الموت ، ولم يتعرض هؤلاءِ للمباهلة ، كما قرره[٨] طائفة من المتكلمين وغيرهم ، ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول ؛ فإنه قال(٥٤٣) : القول في تأويل[٩] قوله تعالى : **﴿ قل إن**

(٥٤٣) - تفسير ابن جرير برقم (٢/٣٦٢ ، ٣٦٣) .

---

[١] - في ز ، خ : « تكلموا » .

[٢] - في خ : « جنحوا إلى السلم » .

[٣] - في ز : بذل .

[٤] - في خ : « أبو » .

[٥] - في خ : « قوله » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - زيادة من : خ .

[٨] - في خ : « قدره » .

[٩] - في ز ، خ : « تفسير » .

كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ .
الآية[١] . فهذه[٢] الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه به صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مُهَاجَره ، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم [أن يدعوهم][٣] إلى قضية عادلة بينه وبينهم ، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف ، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر[٤] من النصارى إذ خالفوه في عيسى [ابن مريم][٥] - عليه السلام - وجادلوه فيه ، إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة . فقال لفريق اليهود : إن كنتم محقين فتمنوا الموت ؛ فإنّ ذلك غير ضارّ بكم إن كنتم محقين ، فيما تدعون من الإيمان ، وقرب المنزلة من الله ، بل أعطيكم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم ، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها ، وكدر عيشها ، والفوز بجوار الله في جناته ، إن كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا ، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ، ونحن المحقون في دعوانا ، وانكشف أمرنا وأمركم لهم[٦] ؛ فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها[٧] أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها ، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها ، كما امتنع فريق النصارى [الذين جادلوا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في عيسى - إذ دعوا للمباهلة - من المباهلة][٨] .

فهذا الكلام منه أوله حسن ، وأما آخره ففيه نظر ، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل ؛ إذ يقال : إنه[٩] لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون[١٠] في دعواهم أن يتمنوا الموت ، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت ، وكم من صالح لا يتمنى الموت ؛ بل يودّ أن يعمر ليزداد[١١] خيرًا ، وترتفع درجته في الجنة ، كما جاء [في الحديث][١٢] : « **خيركم من طال عمره ، وحسن عمله** »(٥٤٤) .

(٥٤٤) - جاء من حديث عبد الله بن بسر ، وأبي بكرة ، وأبي هريرة وجابر رضي الله عنهم ، فأما حديث عبد الله بن بسر ، فرواه الترمذي في الزهد ، باب : ما جاء في طول العمر للمؤمن ، برقم (٢٣٢٩) وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » ، وأما حديث أبي بكرة ، فرواه الترمذي في باب :شر الناس من طال عمره وساء عمله برقم (٢٣٣٠) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأما حديث أبي هريرة ، فرواه أحمد في المسند ٧٢١١ - (٢/٢٣٥) . وحديث جابر رواه عبد بن حميد (١٠٨٦) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « وهذه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « آخر » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « لعلمهم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في خ : « صادقين » .
[١١] - في ز : ليزاد .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا : فها أنتم تعتقدون أيها[١] المسلمون ؛ أنكم أصحاب الجنة ، وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت[٢] ، فكيف تلزموننا[٣] بما لا يلزمكم[٤] ؟!

وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى ، فأما على تفسير ابن عباس ، فلا يلزم عليه[٥] شيء من ذلك ؛ بل قيل لهم كلام نَصَفٌ : إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله[٦] من دون الناس ، وأنكم أبناء الله وأحباؤه ، وأنكم من[٧] أهل الجنة ، ومن عداكم من[٨] أهل النار ، فباهلوا على ذلك ، وادعوا على الكاذبين منكم ، أو من غيركم ، واعلموا أنّ المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة .

فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه ، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم ، وكتمانهم الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويتحققونه . فعلم كل أحد باطلهم ، وخزيهم ، وضلالهم ، وعنادهم ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة !!

[وسميت هذه المباهلة تمنّيًا ؛ لأنّ كل محق يودّ لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره ، وكانت المباهلة بالموت ؛ لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة ؛ لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت][٩] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولن يتمنوه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ﴾ . أي : على طول عُمْر ، لما يعلمون من مآلهم السيىء ، وعاقبتهم عند الله الخاسرة ؛ لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، وما [يحاذرون منه][١٠] واقع بهم لا محالة ، حتى وَهُمْ أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم ، وهذا من باب عطف [الخاص على العام][١١] .

قال ابن أبي حاتم(٥٤٥) : حدّثنا أحمد بن سنان ، حدّثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ **ومن الذين أشركوا** ﴾ قال : الأعاجم .

---

(٥٤٥) - تفسر ابن أبي حاتم برقم ٩٥١ - (٢٨٦/١) ، والمستدرك (٢٦٣/٢) .

---

[١] - مكررة في خ.
[٢] - سقط من : خ.
[٣] - في ز : تلزمونا .
[٤] - في ز : نلزمكم .
[٥] - سقط من : ز ، خ.
[٦] - في خ : «لله».
[٧] - سقط من : ز ، خ.
[٨] - سقط من : ز ، خ.
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : «يحذرون» .
[١١] - في خ : «العام على الخاص».

وكذا[١] رواه الحاكم في مستدركه من حديث الثوري ، وقال : صحيح على شرطهما ، ولم يخرجاه . قال : وقد اتفقا على سند تفسير الصحابي .

وقال الحسن البصري : ﴿ **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ﴾ . قال : المنافق أحرص الناس على حياة ، وهو أحرص على الحياة من المشرك ﴿ **يودّ أحدهم** ﴾ . أي : يودّ[٢] أحد اليهود ، كما يدل عليه نظم السياق .

وقال أبو العالية : ﴿ **يودّ أحدهم** ﴾ أي[٣] : أحد[٤] المجوس ، وهو يرجع إلى الأوّل ﴿ **لو يعمر ألف سنة** ﴾ . قال الأعمش : عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ . قال[٥] : هو كقول الفارسي « زه هزارسال » يقول : عشرة آلاف[٦] سنة ، وكذا روي عن سعيد بن جبير نفسه أيضًا .

وقال ابن جرير(٥٤٦) : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال[٧] : سمعت أبي [عليًا][٨] يقول : حدثنا[٩] أبو حمزة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ قال : هو قول الأعاجم : « [**هزار سال نوروز مهرجان**][١٠] » .

وقال مجاهد : ﴿ **يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ قال : حَبِّبَتْ [إليهم الخطيئةُ طولَ العمر][١١] .

وقال محمد[١٢] بن إسحاق(٥٤٧) ، عن محمد [بن أبي محمد][١٣] عن[١٤] سعيد - أو عكرمة - عن ابن عباس ﴿ **وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر** ﴾ أي : و[١٥] ما هو بمنجيه من

(٥٤٦) - ابن جرير ١٥٩١ - (٣٧٢/٢) .

(٥٤٧) - **إسناده ضعيف** ، وهو عند ابن أبي حاتم (٩٥٥) ، وفي السيرة النبوية (١٩١/٢) .

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : « يعني » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في ز ، خ : « ألف » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - في ز ، خ : « أخبرنا » .

[١٠] - في الطبري : « سال زه نوروز مهرجان حر » .

[١١] - في خ : إليهم طول الخطيئة وطول العمر .

[١٢] - في ت : « مجاهد » .

[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٤] - في خ : « بن » .

[١٥] - سقط من : خ .

العذاب ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثًا بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودي لو[١] عرف مآله في الآخرة من الخزي ما[٢] ضيع ما عنده من العلم .

وقال العوفي(٥٤٨) : عن ابن عباس : ﴿ **وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر** ﴾ قال : هم الذين عادوا جبريل . وقال أبو العالية وابن عمر : فما ذاك بمغيثه من العذاب ، ولا منجيه منه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [في هذه الآية][٣] : يهود أحرص على الحياة من هؤلاء ، وقد ود هؤلاء لو[٤] يعمر أحدهم ألف سنة ، وليس ذلك بمزحزحه من العذاب لو عُمِّرَ ، كما أنّ عمر إبليس لم ينفعه ، إذ كان كافرًا . ﴿ **والله بصير بما يعملون** ﴾ أي : خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر ، وسيجازي كل عامل بعمله .

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا ، أنّ هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدوّ لهم ، وأن ميكائيل وليٌّ لهم ، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك . فقال بعضهم : إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في[٥] أمر نبوّته .

(ذكر من قال ذلك)

حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن عبد الحميد بن بَهرام ، عن شهر بن حَوشب ، عن ابن عباس أنه قال : حضرت عصابةٌ من اليهود إلى[٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، حدِّثْنا عن خلال نسألك عنهن ، لا يعلمهنّ إلا نبي ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **سلوا عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله ، وما أخذ يعقوب على بنيه ، لئن أنا حدثتكم [عن شيء][٧] فعرفتموه لتتابعني[٨] على الإسلام** » فقالوا : ذلك لك . فقال رسول

(٥٤٨) - رواه ابن جرير ١٦٠٣ - (٢/٣٧٦) ، وإسناده ضعيف جدًّا .

[١] - في ز ، خ : « قد » .
[٢] - في ز ، خ : « بما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « أن » .
[٥] - في ز : من .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « شيئًا » .
[٨] - في ز ، خ : « لتبايعني » .

اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **سلوني عما شئتم** » فقالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهنّ : أخبرنا أيّ الطعام[١] حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن[٢] وليُّه من الملائكة ؟ فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم : « **عليكم عهد اللَّه لئن أنا أنبأتكم لتتابعني[٣] ؟** » فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق ، فقال : « **نشدتكم بالذي أنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا ، فطال سقمه منه ، فنذر للَّه نذرًا ؛ لئن عافاه اللَّه من سقمه ليُحَرِّمَنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحوم[٤] الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها** » فقالوا : اللَّهم نعم . فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **اللَّهم اشهد عليهم ، وأنشدكم باللَّه الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل [غليظ أبيض] وأن ماء المرأة [رقيق أصفر] ، فأيهما علا كان له الولد ، والشبه بإذن اللَّه [عز وجل] ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرًا بإذن اللَّه ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن اللَّه [عز وجل]** ». قالوا : اللَّهم نعم . قال : « **اللَّهم اشهد – قال : – وأنشدكم [باللَّه الذي][٥] أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟** » قالوا : اللَّهم نعم ، قال : « **اللَّهم اشهد** » قالوا : أنت الآن ، فحدثنا من وليك من الملائكة ، فعندها نجامعك أو نفارقك . قال : « **فإن وليي جبريل ، ولم يبعث اللَّه نبيًا قط إلا وهو وليه** » قالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك . قال : « **فما يمنعكم[٦] أن تصدقوه ؟** » قالوا : إنه عدوُّنا ؛ فأنزل اللَّه – عز وجل – : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل [فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه مصدقًا لما بين يديه]** ﴾ إلى قوله : ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ فعندها باءوا بغضب على غضب(٥٤٩) .

وقد رواه الإمام أحمد في مسنده(٥٥٠) ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، وعبد بن حميد في تفسيره ، عن أحمد بن يونس كلاهما ، عن عبد الحميد بن بَهرام به .

ورواه الإمام أحمد أيضًا(٥٥١) ، عن الحسين بن محمد المروزي ، عن عبد الحميد به[٧] ،

---

(٥٤٩) – **إسناده حسن** وهو في تفسير ابن جرير ١٦٠٥ – (٣٧٧/٢ – ٣٨٠) .
(٥٥٠) – **إسناده حسن** ، وهو في المسند ٢٥١٤ – (٢٧٨/١) . ورواه ابن سعد (١١٢/١/١ – ١١٦) .
(٥٥١) – **إسناده حسن** ، وهو في المسند ٢٤٧١ – (٢٧٣/١) .

---

[١] – في خ : « طعام » .
[٢] – سقط من : ز ، خ .
[٣] – في خ : « لتبايعني » .
[٤] – في ز ، خ : « لحمان » .
[٥] – سقط من : ز ، خ .
[٦] – في ز ، خ : « منعكم » .
[٧] – زيادة من : ز ، خ .

بنحوه.

وقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، فذكره مرسلاً(٥٥٢)، وزاد فيه. قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: «**أنشدكم بالله وبآياته عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل، وهو الذي يأتيني؟**» قالوا: اللهم[١] نعم، ولكنه [عدو لنا]، وهو مَلَكٌ إنما يأتي بالشدة، وسفك الدماء، فلولا ذلك لاتبعناك[٢]؛ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ **قل**[٣] **من كان عدوًّا لجبريل [فإنه نزله على قلبك بإذن الله]**[٤] ﴾ إلى قوله ﴿ **كأنهم**[٥] **لا يعلمون** ﴾.

وقال الإمام أحمد(٥٥٣): حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي، عن بكير ابن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا[٦]: يا أبا القاسم، إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهنّ عرفنا أنك نبي، واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال: ﴿ **والله على ما نقول وكيل** ﴾، قال: «**هاتوا**» قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «**تنام عيناه ولا ينام قلبه**». قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل؟ قال: «**يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة؛ أذكرت**[٧]، **وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل، أنثت**» قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «**كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا**» - قال أحمد: قال بعضهم: يعني: الإبل؛ فحرم لحومها - قالوا: صدقت. قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «**مَلَك من ملائكة**[٨] **الله - عز وجل - موكل بالسحاب، بيديه - أو في [يديه - مِخْراق]**[٩] **من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله - عز وجل -**» قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال[١٠]: «**صوته**» قالوا: صدقت. قالوا[١١]: إنما بقيت واحدة، وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها[١٢]، إنه ليس من نبي إلا و[١٣] له مَلَك يأتيه بالخبر فأخبرنا من

(٥٥٢) - رواه ابن جرير برقم (١٦٠٦)، وإسناده إلى ابن إسحاق ضعيف.

(٥٥٣) - **إسناده صحيح** وهو في المسند ٢٤٨٣ - (١/٢٧٤) ورواه الترمذي في تفسير القرآن، باب: سورة الرعد برقم (٣١١٧) ورواه النسائي في الكبرى برقم (٩٠٧٢). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز، خ: «اتبعناك».

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ز، خ.

[٥] - زيادة من: ز، خ.

[٦] - في ز، خ: «قالوا».

[٧] - في ز: ذكرت.

[٨] - في خ: «الملائكة».

[٩] - في ز، خ: «يده محراق».

[١٠] - في خ: «قالوا».

[١١] - سقط من: ز، خ.

[١٢] - سقط من: ز، خ.

[١٣] - سقط من: ز، خ.

صاحبك ؟ قال : « **جبريل عليه السلام** » قالوا : جبريل ذاك الذي[١] ينزل بالحرب ، والقتال ، والعذاب عدونا ، لو قلتَ ميكائيل الذي ينزل بالرحمة ، [والقطر والنبات] لكان ؛ فأنزل اللّه تعالى : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل [فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه]** ﴾ إلى آخر الآية.

ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد اللّه بن الوليد به ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال سنيد(٥٥٤) في تفسيره عن حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، أخبرني القاسم بن أبي بزة[٢] : **أن يهود سألوا النبي صلى اللّه عليه وسلم عن[٣] صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي قال : « جبريل »** قالوا : فإنه لنا عدو ، ولا يأتي إلا بالشدة ، والحرب ، والقتال ؛ فنزلت[٤] : ﴿ **قل[٥] من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ الآية ، قال ابن جريج : و[٦] قال مجاهد : **قالت يهود** : يا محمد ، ما ينزل جبريل إلا بشدة وحرب وقتال ؛ فإنه لنا عدوّ ؛ فنزل : ﴿ **قل[٧] من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ الآية .

وقال البخاري(٥٥٥) : قوله تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ الآية[٨] ، قال عكرمة : جبر ، وميك[٩] وإسراف : عبد ، وإيل : اللّه .

حدثنا عبد اللّه بن مُنير[١٠] ، سمع عبد اللّه بن بكر ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس بن مالك قال : سمع عبد اللّه بن سلام بمقدم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وهو في أرض يخترف[١١] [- يجتني - الثمر][١٢] فأتى النبيَّ ، صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلا نبي ؛ ما أوّل أشراط الساعة ؟ وما أوّل طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « **أخبرني بهن جبريل آنفًا** » قال : جبريل ؟ قال : « **نعم** » قال : ذاك عدوّ اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك** ﴾ ، « و[١٣] **أمّا أوّل أشراط الساعة : فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأمّا أوّل طعام يأكله أهل الجنة :**

---

(٥٥٤) - رواه ابن جرير ١٦٠٧ - (٣٨٠/٢) وإسناده ضعيف .

(٥٥٥) - رواه البخاري في التفسير ، باب : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ برقم (٤٤٨٠) .

---

[١] - في خ : « عز وجل » .
[٢] - في ز : مرة . في خ : « برة » .
[٣] - في ز : من .
[٤] - في ز : فنزل .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - زيادة من : خ .
[٩] - في ز : ميل .
[١٠] - في ز ، خ : « نمير » .
[١١] - في خ : « يحترق » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .

فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق [ماء الرجل][١] ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعت أنثى[٢] » قال : أشهد ألّا إله إلا اللّه ، وأشهد أنك رسول اللّه . يا رسول اللّه ، إنّ اليهود قوم بُهتٌ ، وإنهم [ ][٣] إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال [لهم النبي صلى اللّه عليه وسلم][٤] : « **أي رجل عبد اللّه بن سلام فيكم ؟** » قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا قال : « **أرأيتم إن أسلم عبد اللّه بن سلام ؟** » فقالوا : أعاذه اللّه من ذلك ! فخرج عبد اللّه فقال : أشهد ألّا إله إلا اللّه ، وأشهد[٥] أن محمدًا رسول اللّه ، فقالوا : هو[٦] شرُّنا وابنُ شرِّنا ؛ فانتقصوه فقال[٧] : هذا الذي كنت أخاف يا رسول اللّه .

انفرد به البخاري من هذا الوجه ،

وقد أخرجه[٨] (٥٥٦) من وجه آخر عن أنس بنحوه .

وفي صحيح مسلم(٥٥٧) ، عن ثوبان مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، قريب من هذا السياق ، كما سيأتي في موضعه . [إن شاء اللّه تعالى][٩] وحكاية البخاري [كما تقدم][١٠] عن عكرمة هو المشهور أن « إيل » هو اللّه . وقد رواه سفيان الثوري ، عن خصيف ، عن عكرمة.

[ورواه عبد بن حميد ، عن إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه عن عكرمة][١١] ورواه ابن جرير(٥٥٨) ، عن الحسين بن يزيد الطحان ، عن إسحاق بن منصور ، عن قيس بن[١٢] عاصم ، عن عكرمة أنه قال : إن[١٣] جبريل اسمه عبد اللّه ، وميكائيل : اسمه[١٤] عبيد اللّه ، إيل : اللّه .

ورواه يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله سواء . كذا قال غير واحد من السلف

---

(٥٥٦) - صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : خلق آدم وذريته برقم (٣٣٢٩) من طريق مروان بن معاوية عن حميد ، عن أنس ، وصحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٥١) برقم (٣٩٣٨) من طريق بشر بن المفضل ، عن حميد ، عن أنس .

(٥٥٧) - صحيح مسلم ، كتاب الحيض برقم ٣٤ - (٣١٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكررة في خ .

[٢] - زيادة من : خ .

[٣] - في خ : قبل .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « قال » .

[٨] - في ز ، خ : « أخرجاه » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٠] - في ز ، خ : ما تقدم .

[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٢] - في ز : عن .

[١٣] - سقط من ز .

[١٤] - سقط من : خ .

- كما سيأتي قريبًا - ومن الناس من يقول : « إيل » عبارة عن عبد ، والكلمة الأخرى هي اسم اللَّه؛ لأن كلمة إيل لا تتغير في الجميع ، فوزانه : عبد اللَّه ، عبد الرحمن ، عبد الملك ، عبد القدوس ، عبد السلام ، عبد الكافي ، عبد الجليل ، فعبدٌ موجودة[١] في هذا كله ، واختلفت الأسماء المضاف إليها ، وكذلك جبريل ، وميكائيل ، [وعزرائيل ، وإسرافيل] ونحو ذلك ، وفي كلام غير العرب يقدمون المضاف إليه على المضاف ، واللَّه أعلم .

ثم قال ابن جرير : وقال آخرون : بل كان سبب قيلهم ذلك؛ من أجل مناظرة جرت بين عمر ابن الخطاب ، رضي اللَّه عنه ، وبينهم ، في أمر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - .

(ذكر من قال ذلك)

حدثني محمد بن المثنى(٥٥٩) حدثني رِبْعِي بن عُلَيّة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : نزل عمر الروحاء ، فرأى رجالاً يبتدرون أحجارًا يصلون إليها ، فقال : ما بال[٢] هؤلاء ؟ قالوا : يزعمون أن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، صلى هاهنا ، قال : فكره ذلك ، وقال : إيما[٣] رسول اللَّه ، صلى اللَّه تعالى عليه وسلم ، أدركته الصلاة بواد فصلاها ، ثم ارتحل فتركه ، ثم أنشأ يحدثهم فقال : كنت أشهد اليهود يوم مِدْراسهم ، فأعجب من التوراة و[٤] كيف تصدق الفرقان؟ ومن القرآن[٥] كيف يصدق التوراة؟ فبينما[٦] أنا عندهم ذات يوم قالوا : يا ابن الخطاب؛ ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك .

قلت : ولم ذلك ؟ قالوا : لأنك[٧] تغشانا وتأتينا ، قلت : إني آتيكم ، فأعجب من الفرقان[٨] كيف يصدق التوراة؟ ومن التوراة كيف تصدق[٩] الفرقان ؟ قال : وَمَرَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقالوا : يا ابن الخطاب؛ ذاك صاحبكم، فَالْحَقْ به .

قال[١٠] : فقلت[١١] لهم عند ذلك : نشدتكم باللَّه الذي لا إله إلا هو ، وما استرعاكم من

---

(٥٥٨) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٢١ - (٣/٣٩٠) .

(٥٥٩) - مرسل ، وهو تفسير ابن جرير ١٦٠٨ - (٢/ ٣٨١ - ٣٨٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « فعند من جوزه » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : إنما ، والمثبت من ابن جرير .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ز : الفرقان .
[٦] - في ز ، خ : « فبينا » .
[٧] - في ز : أنك .
[٨] - في ز ، خ : « القرآن » .
[٩] - في خ : « يصدق » .
[١٠] - في خ : « فقال » .
[١١] - في خ : « قلت » .

حقه ، وما[١] استودعكم من كتابه ، أتعلمون أنه رسول اللّه ؟ قال : فسكتوا ، فقال لهم عالمهم وكبيرهم : إنه قد غلظ عليكم فأجيبوه ، [قالوا : فأنت][٢] عالمنا ، وكبيرنا فأجبه أنت . قال : أما إذ نشدتنا بما نشدتنا به ؛ فإنا نعلم أنه رسول اللّه .

قال[٣] : قلت : ويحكم فأنّى هلكتم ، قالوا : إنا[٤] لم نهلك . قال[٥] : قلت : كيف ذلك[٦] ، وأنتم تعلمون أنه رسول اللّه ، و[٧] لا تتبعونه ، ولا تصدقونه ؟ قالوا : إن لنا عدوًّا من الملائكة وَسِلْمًا من الملائكة ، وإنه قرن بنبوّته عدوّنا من الملائكة .

قال : قلت : ومن عدوّكم ؟ ومن سلمكم ؟ قالوا : عدوّنا جبريل ، وسلمنا ميكائيل . [قال : قلت : وفيم عاديتم جبريل ، وفيم سالمتم ميكائيل ؟][٨] قالوا : إن جبريل ملك الفظاظة والغلظة ، والإعسار ، والتشديد ، والعذاب ، ونحو هذا ، وإن ميكائيل ملك الرحمة ، والرأفة ، والتخفيف ، ونحو هذا .

قال : قلت : وما منزلتهما من ربهما عز وجل ؟ قالوا : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره . قال : قلت : فواللّهِ[٩] الذي لا إله إلا هو ، إنهما والذي بينهما لعدوّ لمن عاداهما ، وسلم لمن سالمهما ، و[١٠] ما ينبغي لجبريل أن يسالم عدوّ ميكائيل ، وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدوّ جبريل ، قال : ثم قمت فاتبعت النبي صلى اللّه عليه وسلم فلحقته ، وهو خارج من خَوْخة[١١] [- باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب -][١٢] لبني فلان ، فقال : يا ابن الخطاب ؛ ألا أقرئك آيات نزلن قبل ، فقرأ عليَّ : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه** ﴾ حتى قرأ هذه[١٣] الآيات ، قال : قلت : بأبي وأمي أنت[١٤] يا رسول اللّه ؛ والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا [أريد أن][١٥] أخبرك ، فأسمع[١٦] اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « فقالوا : أنت » .

[٣] - زيادة من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - زيادة من ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « ذاك » .

[٧] - في ز ، خ : « ثم » .

[٨] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

[٩] - زيادة من : خ .

[١٠] - سقط من : ز ، خ .

[١١] - كذا في ز ، خ ، وعند ابن جرير : مخرفة ، وهو الصواب ، والمخرفة : البستان ، أو سكة بين صفين من النخل .

[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٣] - زيادة من : ز ، خ .

[١٤] - سقط من : ز ، خ .

[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[١٦] - في ز : وأسمع .

وقال ابن أبي حاتم (٥٦٠) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، أنبأنا[١] عامر قال : انطلق عمر بن الخطاب إلى اليهود فقال : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون محمدًا في كتبكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما يمنعكم أن تتبعوه ؟ قالوا : إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له من الملائكة كفلاً ، وإن جبريل كفل محمدًا ، وهو الذي يأتيه ، وهو عدوّنا من الملائكة ، وميكائيل سلمنا ، لو كان ميكائيل هو الذي يأتيه أسلمنا ، قال : فإني أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، ما منزلتهما من رب العالمين ؟ قالوا : جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله .

قال عمر : وإني أشهد ما ينزلان إلا بإذن الله ، وما كان ميكائيل ليسالم عدوّ جبريل ، وما كان جبرائيل ليسالم عدوّ ميكائيل ، فبينما[٢] هو عندهم إذ مرّ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : هذا صاحبك يا بن الخطاب ؛ فقام إليه عمر ، فأتاه ، وقد أنزل الله - عز وجل - عليه : ﴿ **من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوّ للكافرين** ﴾ .

وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدّث به عن عمر ، ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر ؛ فإنه لم يدرك وفاته ، والله أعلم .

وقال ابن جرير (٥٦١) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن[٣] قتادة قال : ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود ، فلما أبصروه[٤] رحبوا به ؛ فقال لهم عمر : أما والله ما جئتكم لحبكم ، ولا لرغبة[٥] فيكم ، ولكن جئت لأسمع منكم ، فسألهم وسألوه ، فقالوا ، مَنْ صاحبُ صاحبِك ؟ فقال لهم : جبريل ، فقالوا : ذاك عدوّنا من أهل السماء ، يُطلِعُ محمدًا على سرنا ، وإذا جاء جاء بالحرب[٦] والسَّنَة[٧] ، ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل ، وكان إذا جاء جاء الخصب والسلم ، فقال لهم عمر : هل[٨] تعرفون جبريل ، وتنكرون محمدًا صلى الله عليه وسلم ؟ ففارقهم عمر عند ذلك ، وتوجه نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليحدّثه حديثهم فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾ الآيات .

---

(٥٦٠) - الحديث في تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٩٠) . وفي إسناده ضعف ، وانقطاع .

---

[١] - في ز ، خ : « أبا » .
[٢] - في ز ، خ : « فبينا » .
[٣] - في خ : « بن » .
[٤] - في خ : « انصرفوا » ، وفي ز : انصرف .
[٥] - في ز ، خ : « للرغبة » .
[٦] - في ز ، خ : الحرب ، والمثبت من ابن جرير .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

ثم قال : حدثني المثنى(٥٦٢) ، حدثنا آدم ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : بلغنا أن عمر أقبل إلى[١] اليهود يومًا ، فذكر نحوه ، وهذا [ ][٢] أيضا منقطع ، وكذلك رواه أسباط ، عن السدّي ، عن عمر مثل هذا أو نحوه ، وهو منقطع أيضًا .

وقال ابن أبي حاتم (٥٦٣) : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن [يعني الدَّشْتَكي][٣] ، حدثنا[٤] أبو جعفر ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أن يهوديًّا لقي[٥] عمر بن الخطاب فقال : إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدوّ لنا . فقال عمر : ﴿ **من كان عدوًّا للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن اللّه عدوّ للكافرين** ﴾ قال : فنزلت على لسان عمر ، رضي اللّه عنه .

[ورواه عبد بن حميد ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر هو الرازي][٦]

وقال ابن جرير(٥٦٤) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين بن[٧] عبد الرحمن ، عن ابن أبي ليلى في قوله تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ قال : قالت اليهود للمسلمين : لو أن ميكائيل كان هو[٨] الذي ينزل عليكم لتبعناكم ؛ فإنه ينزل بالرحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة ، فإنه [عدوّ لنا][٩] ، قال : فنزلت هذه الآية .

[حدثني(٥٦٥) يعقوب ، قال][١٠] : حدثنا هشيم ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء بنحوه .

وقال عبد الرزاق(٥٦٦) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ قال : قالت اليهود : إن جبريل [عدوّ لنا][١١] ؛ لأنه ينزل بالشدة والسَّنَة ، وإن ميكائيل ينزل

---

(٥٦١) – رواه ابن جرير ١٦١٠ – (٣٨٣/٢) ، وإسناده منقطع بين قتادة ، وعمر .

(٥٦٢) – تفسير ابن جرير ١٦١١– (٣٨٣/٢) ، وإسناده منقطع بين قتادة ، وعمر .

(٥٦٣) – تفسير ابن أبي حاتم ٩٦٧ – (٢٩١/١) ، وهذا منقطع ، ابن أبي ليلى لم يدرك عمر .

(٥٦٤) – تفسير ابن جرير برقم ١٦١٥ – (٣٨٦/٣) .

(٥٦٥) – تفسير ابن جرير برقم ١٦١٦ – (٣٨٦/٣) .

(٥٦٦) – تفسير عبد الرزاق (٥٣/١) .

---

[١] – في خ : « على » .

[٢] – في ت : [في تفسير آدم وهو]

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] – في ز ، خ : « أخبرنا » .

[٥] – في ز : أتى .

[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] – في خ : « عن » .

[٨] – سقط من : ز ، خ .

[٩] – ما بين المعكوفتين في خ : « لنا عدو » .

[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١١] – في خ : « عدونا » .

بالرخاء والعافية والخصب ، فجبريل عدونا ، فقال اللَّه تعالى : [﴿ **من كان عدوًّا لجبريل** ﴾ . الآية .

وأما تفسير الآية فقوله تعالى][١] : ﴿ **قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه** ﴾ **أي** : من عادى جبريل ؛ فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم ، على قلبك من اللَّه بإذنه له في ذلك ، فهو رسول من رسل اللَّه مَلكي ، ومن عادى رسولاً ، فقد عادى جميع الرسل ، [كما أنّ من آمن برسول ، فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل][٢] ، وكما أنّ من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل ، كما قال تعالى : ﴿ **إنّ الذين يكفرون باللَّه ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين اللَّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾ . الآيتين . فحكم عليهم بالكفر المحقق إذ آمنوا ببعض الرسل ، وكفروا ببعضهم ، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدوّ للَّه ؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه ، وإنما ينزل بأمر ربه ، كما قال : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًّا** ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ .

وقد روى البخاري في صحيحه (٥٦٧) ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالحرب** » ؛ ولهذا غضب اللَّه لجبريل على من عاداه ، فقال تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه مصدّقًا لما بين يديه** ﴾ أي : من الكتب المتقدّمة ﴿ **وهدى وبشرى للمؤمنين** ﴾ أي : هدى لقلوبهم ، وبشرى لهم بالجنة ، وليس ذلك إلا للمؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ . الآية . وقال تعالى : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ . الآية .

ثم قال تعالى : ﴿ **من كان عدوًّا للَّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن اللَّه عدو للكافرين** ﴾ . يقول تعالى : من عاداني وملائكتي ورسلي - ورسله تشمل[٣] رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى : ﴿[ ][٤] **اللَّه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس** ﴾ .

﴿ **وجبريل وميكال**[٥] ﴾ ، وهذا من باب عطف الخاص على العام ، فإنهما دخلا في الملائكة ،ثم عموم الرسل ، ثم خُصِّصَا[٦] بالذكر ؛ لأن السياق في الانتصار لجبريل ، وهو السفير

---

(٥٦٧) - صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : التواضع برقم (٦٥٠٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « يشمل » .
[٤] - في خ : إن .
[٥] - في خ : « ميكائيل » .
[٦] - في خ : « خصصنا » .

بين اللَّه وأنبيائه ، وقرن معه[١] ميكائيل في اللفظ ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوّهم وميكائيل وليهم[٢] ، فأعلمهم [اللَّه تعالى][٣] أن[٤] من عادى واحدًا منهما ؛ فقد عادى الآخر ، وعادى اللَّه أيضًا ؛ لأنه أيضًا ينزل على [أنبياء اللَّه][٥] بعض الأحيان ، كما قرن برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في ابتداء الأمر ، ولكن جبريل أكثر ، وهي وظيفته ، وميكائيل موكل بالنبات والقطر ، هذاك بالهدى ، وهذا بالرزق ، كما أن إسرافيل موكل [بالنفخ في الصور للبعث][٦] يوم[٧] القيامة ؛ ولهذا جاء في الصحيح(٥٦٨) : أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم كان إذا قام من الليل يقول : « **اللَّهم رب جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك ، فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** » ، وقد تقدّم ما حكاه البخاري ، ورواه ابن جرير ، عن عكرمة ، وغيره[٨] أنه قال : جبر[٩] وميك وإسراف : عبيد[١٠] ، وإيل : اللَّه .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦٩) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، [عن ابن عباس][١١] قال : إنما كان قوله جبريل كقوله : عبد اللَّه ، وعبد الرحمن ، وقيل[١٢] جبر : عبد ، وإيل : اللَّه .

وقال محمد بن إسحاق(٥٧٠) : عن الزهري ، عن علي بن الحسين قال : أتدرون[١٣] ما اسم جبريل من أسمائكم ؟ قلنا : لا . قال : اسمه عبد[١٤] اللَّه ، قال : فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم ؟ قلنا لا . قال اسمه عبيد[١٥] اللَّه ، وكل اسم مرجعه إلى إيل فهو إلى اللَّه [- عز وجل -] .

قال ابن أبي حاتم(٥٧١) : وروي عن [عكرمة ، ومجاهد] والضحاك ، ويحيى بن يعمر نحو

---

(٥٦٨) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٧١ - (١/٢٩٢) .
(٥٧١) - ابن أبي حاتم (١/٢٩٣) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « عدوهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « أنه » .
[٥] - في ز ، خ : « الأنبياء » .
[٦] - في ز ، خ : بالصور للنفخ للبعث .
[٧] - في ز : ليوم .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز ، خ : « جر » .
[١٠] - في ز ، خ : « عبد » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في ز ، خ : « وقال » .
[١٣] - في ز ، خ : « تدرون » .
[١٤] - في خ : « عبيد » .
[١٥] - في خ : « عبد » .

ذلك ، ثم [ ] [١] قال حدثني[٢] أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحَوَاري ، حدثني عبد العزيز بن عمير قال : اسم جبريل في الملائكة خادم اللَّه ، قال : فحدَّثتُ به أبا سليمان الداراني فانتفض ، وقال : لَهَذا الحديثُ أحبُّ إليَّ من كلِ شيءٍ في دفتر كان بين يديه .

وفي جبريل وميكائيل لغات وقراءات ، تذكر في كتب اللغة والقراءات ، [ولم نطول][٣] كتابنا هذا بسرد ذلك ، إلا أن يدور فهم المعنى عليه ، أو يرجع الحكم في ذلك إليه ، وباللَّه الثقة ، وهو المستعان .

وقوله تعالى : ﴿ **فإن اللَّه[٤] عدوّ للكافرين** ﴾ فيه إيقاع المُظْهَر مكان المضمر حيث لم يقل : فإنه عدوّ للكافرين ؛ بل قال : ﴿ **فإن اللَّه عدوّ للكافرين** ﴾ كما قال الشاعر :

لا أرى الموتَ يسبِقُ الموتَ شيء[٥] نغص[٦] الموتُ ذا[٧] الغنى والفقيرا

وقال الآخر[٨] :

ليتَ الغرابَ غداةَ ينعَبُ دائبًا كـان الـغـرابُ مُـقَـطَّـعَ الأوداج

وإنما أظهر [اللَّه هذا][٩] الاسم هاهنا ؛ لتقرير[١٠] هذا المعنى وإظهاره ، وإعلامهم أن من عادى وليًا[١١] للَّه فقد عادى اللَّه ، ومن عادى اللَّه فإن اللَّه عدوّ له ، ومن كان اللَّه عدوّه ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، كما تقدّم الحديث : « **من عادى لي وليًا فقد بارزني بالحرب** » (٥٧٢) ، وفي الحديث الآخر : « **إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحَرِبُ** » . وفي الحديث[١٢] الصحيح : « **وَمَنْ كنتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُه** » .

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ

(٥٧٢) - رواه البخاري (٦٥٠٢) في تاب الرقاق ، باب : التواضع .

[١] - في خ : " و " .
[٢] - في خ : « حدثنا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « شيئًا » .
[٦] - في ز ، خ : « سبق » .
[٧] - في ز ، خ : « و » .
[٨] - في ز : للآخر .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : لتقدير .
[١١] - في ز ،خ : « أولياء » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .

أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ
ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ
هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟
لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٥٧٣) في قوله تعالى : ﴿ **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات** ﴾ . الآية[١] . أي : أنزلنا إليك يا محمد ؛ علامات واضحات دالات[٢] على نبوّتك ، وتلك الآيات هي ما حواه[٣] كتاب الله من خفايا علوم اليهود ، ومكنونات سرائر أخبارهم ، وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل ، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارُهم وعلماؤهم ، وما حرّفه أوائلهم وأواخرهم ، وبدّلوه من أحكامهم ، التي كانت في التوراة .

فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه ، ولم يدعه[٤] إلى هلاكها الحسد والبغي ؛ إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من الآيات البينات التي وَصَفَ من غير تَعَلُّمٍ تعلّمه من بشر[٥] ، ولا أخذ شيئًا منه عن آدمي .

كما قال الضحاك : عن ابن عباس(٥٧٤) : ﴿ **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات** ﴾ يقول : فأنت

(٥٧٣) - ابن جرير (٢/٣٩٧) .

(٥٧٤) - رواه ابن جرير برقم ١٦٣٠ - (٢/٣٩٧) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « دلالات » .

[٣] - في ز ، خ : « حكاه » .

[٤] - في ز : يدعها .

[٥] - في خ : « بشرى » .

تتلوه عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية ، وبين ذلك ، وأنت عندهم أمّي لا[١] تقرأ كتابًا ، وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه ، يقول اللَّه تعالى [لهم في ذلك][٢] عبرة وبيان ، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون .

وقال محمد بن إسحاق (٥٧٥) : حدّثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة - أو سعيد بن جبير - عن ابن عباس ؛ قال : قال ابن صوريا الفطيُوني[٣] لرسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - : يا محمد ؛ ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل اللَّه عليك من آية بينة فنتبعك . فأنزل اللَّه في ذلك من قوله : ﴿ **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر[٤] بها إلا الفاسقون** ﴾ .

وقال مالك بن الصيف[٥] (٥٧٦) - حين بُعث رسولُ اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - وذكَّرهم ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عهد إليهم في محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - : واللَّه ما عَهِد إلينا في محمد [صلى اللَّه عليه وسلم] ولا أخذ علينا ميثاقًا ؛ فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ **أوَ كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم** ﴾ .

وقال الحسن البصري : في قوله : ﴿ **بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾ . قال : نعم ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه ، يعاهدون اليوم وينقضون غدًا .

وقال السدي : لا يؤمنون بما جاء به محمد صلى اللَّه عليه وسلم . وقال قتادة : نبذه فريق منهم ، أي نقضه فريق منهم .

وقال ابن جرير(٥٧٧) : أصل النبذ الطرح والإلقاء ، ومنه سُمي اللقيط منبوذًا ، ومنه سُمي النبيذ وهو التمر والزبيب إذا طرحا في الماء . قال أبو الأسود الدؤلي :

نظرتَ إلى عنوانه فنبذْتَه كنبذك نعلًا أخْلَقَتْ من نعالكا

قلت : فالقوم ذمهم اللَّه بنبذهم العهود التي تقدم اللَّه إليهم في التمسك بها والقيام بحقها ؛ ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم ، وإلى الناس كافة ، الذي في كتبهم نعتُه ، وصفتُه وأخباره ، وقد أُمروا فيها باتباعه ، ومؤازرته ، ومناصرته ، كما قال تعالى : ﴿ **الذين يتبعون**

(٥٧٥) - رواه ابن جرير برقم ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ - (٢/٣٩٨) ، والسيرة (٢/١٩٦) .
(٥٧٦) - رواه ابن جرير برقم ١٦٣٩ - (٢/٤٠٠) ، والسيرة لابن هشام (٢/١٩٦) .
(٥٧٧) - تفسير ابن جرير (٢/٤٠١) .

[١] - في خ : لم .
[٢] - في ز ، خ : « في ذلك لهم » .
[٣] - في ز ، خ : « النطيوني » .
[٤] - في ز ، خ : « يجحد » .
[٥] - في ز ، خ : « الضيف » .

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ الآية . وقال هاهنا ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** ﴾ . الآية . أي : طرح[١] طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ، أي : تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها ، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه ، ولهذا أرادوا كيدًا برسول[٢] الله صلى الله عليه وسلم وسحروه في مُشْط ومُشَاقة وجُفّ طلعة ذَكَر تحت راعوثة[٣](٥٧٨) ببئر[٤] ذي أروان ،وكان الذي تولى ذلك منهم رجل يقال له : لبيد بن الأعصم – لعنه الله وقبحه[٥] فأطلع[٦] الله على ذلك رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وشفاه منه وأنقذه ، كما ثبت ذلك مبسوطًا في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – كما سيأتي بيانه .

و[٧] قال السدي : ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم** ﴾ قال : لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها ، فاتفقت التوراة والقرآن ، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف ، وسحر هاروت وماروت ، فلم يوافق القرآن فذلك قوله : ﴿ **كأنهم لا يعلمون** ﴾ .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **كأنهم لا يعلمون** ﴾ قال : إن القوم كانوا يعلمون ولكنهم نبذوا علمهم، وكتموه، وجحدوا به .

وقال العوفي في تفسيره : عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ الآية . وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام[٨] (٥٧٩) من الجن والإنس واتبعوا الشهوات ، فلما أرجع[٩] الله إلى سليمان مُلْكه ، وقام الناس على الدين كما كان ، أو أن سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه ، وتوفي سليمان عليه السلام حِدْثَان ذلك ، فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا : هذا كتاب من الله نزل على سليمان وأخفاه عنا[١٠] فأخذوا به فجعلوه دينًا ؛ فأنزل الله تعالى ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم**

---

(٥٧٨) – الراعوثة : حجر في أعلى البئر ، يقف عليه المستقي .

(٥٧٩) – الفئام : الجماعة من الناس .

---

[١] – في خ : «أطرح» .

[٢] – في ز : لرسول .

[٣] – في ز : راعونة .

[٤] – في ز : بئر .

[٥] – سقط من: ز ، خ .

[٦] – في خ : « فأطلعه » .

[٧] – زيادة من: خ .

[٨] – في خ : « قيام » .

[٩] – في ز ، خ: «رجع» .

[١٠] – في ز ، خ: « منا » .

لا يعلمون ﴾. الآية . واتبعوا الشهوات التي كانت [تتلو الشياطين][١] ، وهي المعازف ، واللعب ، وكل شيء يصد عن ذكر الله .

وقال ابن أبي حاتم(٥٨٠) : حدّثنا أبو سعيد الأشج ، حدّثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان[٢] آصف كاتب سليمان ، وكان يَعْلَمُ الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ، ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته[٣] الشياطين ، فكتبوا بين كل سطرين سحرًا وكفرًا ، وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل بها .

قال[٤] : فأكفره[٥] جُهَّالُ الناس وَسَبُّوه ، ووقف [علماء الناس][٦] ، فلم يزل [جهال الناس] [٧] يسبونه حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .

وقال ابن جرير(٥٨١) : حدّثني أبو السائب سلم[٨] بن جنادة السُّوائي ، حدّثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان سليمان - عليه السلام - إذا أراد أن يدخل الخلاء ، أو يأتي شيئًا من نسائه أعطى الجرادة - وهي امرأته[٩] - خاتمه ، فلما أراد الله أن يبتلي سليمان - عليه السلام - بالذي ابتلاه به ، أعطى الجرادة ذات يوم خاتَمه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي ، فأخذه فلبسه ، فلما لبسه دانت له الشياطين ، والجن ، والإنس .

قال : فجاءها سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي . فقالت : كذبت ، لست سليمان ، قال : فعرف سليمان أنه بلاء ابْتُلي به . قال : فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر ، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أخرجوها وقرءوها[١٠] على الناس ، وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ، قال فبرئَ الناس من سليمان ، وأكفروه حتى بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه : ﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .

---

(٥٨٠) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ٩٨٨ - (٢٩٧/١) .

(٥٨١) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٦٠ - (٤١٤/٢)

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « قال » .

[٣] - في ز ، خ : « أخرجه » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز ، خ : « فألفوه » .

[٦] - في ز : علماؤهم .

[٧] - في ز : جهالهم .

[٨] - في ز : مسلم .

[٩] - في ز : امرأة .

[١٠] - في ز ، خ : « فقرءوها » .

ثم قال ابن جرير (٥٨٢) : حدّثنا ابن حميد ، حدّثنا جرير عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران – وهو ابن الحارث – قال : بينما[١] نحن عند ابن عباس – رضي اللّٰه عنهما – إذ جاء رجل فقال له : من أين جئت ؟ قال : من العراق . قال : من أيّه ؟قال : من الكوفة قال : فما الخبر؟ قال : تركتهم يتحدثون أن عليًا خارج إليهم ، ففزع ثم قال : ما تقول لا أبالك ؟ لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ، أما إني سأحدثكم عن ذلك ، إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء ، فيجيء أحدهم بكلمة حق قد سمعها ، فإذا جُرِّب منه وصُدق كذب معها سبعين كذبة . قال : فَتَشْرَبُها قلوب الناس ، قال : فأطلع اللّٰه عليها سليمان – عليه السلام – فدفنها تحت كرسيه ، فلما توفي سليمان – عليه السلام – قام شيطانُ الطريق فقال : أفلا أدلكم على كنزه[٢] المُمَنَّع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي . فأخرجوه ، فقالوا : هذا سحره[٣] فتناسخها الأمم – حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق – فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ . الآية .

وروى الحاكم في مستدركه ، عن أبي زكريا العَنْبري ، عن محمد بن عبد السلام ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن جرير ، به(٥٨٣) .

وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ أي : على عهد سليمان ، قال : كانت الشياطين تصعد إلى السماء ، فتقعد منها مقاعد للسمع ، فيستمعون من كلام الملائكة ما[٤] يكون في الأرض من موت ، أو غيب ، أو أمر ، فيأتون الكهنة ، فيخبرونهم ، فتُحَدِّثُ الكهنةُ الناسَ ، فيجدونه كما قالوا ، فلما[٥] أمنتهم الكهنة كذبوا لهم ؛ وأدخلوا فيه غيره ، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة ، فاكتتب الناسُ ذلك الحديث في الكتب ، وفشا ذلك[٦] في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب ، فبعث سليمانُ في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ، ثم دفنها تحت كرسيه ، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق . وقال : لا أسمع أحدًا يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربتُ عنقه .

فلما مات سليمان ، عليه السلام ، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ، وخلف من بعد ذلك خَلْف – تمثل الشيطان[٧] في صورة إنسان ، ثم أتى نفرًا من بني اسرائيل ، فقال لهم :

(٥٨٢) – تفسير ابن جرير برقم ١٦٦٢ – (٢/٤١٥) .
(٥٨٣) – المستدرك (٢/٢٦٥) .

[١] – في ز ، خ : « بينا » .
[٢] – في خ : « كنز » .
[٣] – في ز ، خ : « سحر » .
[٤] – في ز : مما .
[٥] – في ز : حتى إذا .
[٦] – سقط من ز .
[٧] – في ز : شيطان .

هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدًا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفروا تحت الكرسي ، وذهب[١] معهم ، وأراهم[٢] المكان وقام ناحية ، فقالوا له[٣] فادنُ . فقال[٤] : لا ، ولكنني[٥] هاهنا في أيديكم ، فإن لم تجدوه فاقتلوني ، فحفروا فوجدوا تلك الكتب ؛ فلما أخرجوها قال الشيطان : إن سليمان إنما كان يضبط الإنس ، والشياطين ، والطير بهذا السحر . ثم طار وذهب .

وفشا في الناس أن سليمان إنما[٦] كان ساحرًا ، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب ، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها ، فذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .

وقال الربيع بن أنس : إن اليهود سألوا محمدًا صلى الله عليه وسلم زمانًا عن أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى عليه[٧] ما سألوه[٨] عنه ، فيخصمهم ، فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا .

وإنهم سألوه عن السحر ، وخاصموه به ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ . وإن الشياطين عمدوا إلى كتابٍ فكتبوا فيه السحر ، والكهانة ، وما شاء الله من ذلك ، فدفنوه تحت كرسي[٩] مجلس سليمان ، وكان سليمان[١٠] - عليه السلام - لا يعلم الغيب .

فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر ، وخدعوا الناس ، وقالوا : هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسده[١١] الناس عليه ، فأخبرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذا الحديث فرجعوا من عنده ، وقد حزنوا[١٢] [وقد][١٣] أدحض الله حجتهم .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **واتبعو ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** ﴾ قال : كانت الشياطين تستمع[١٤] الوحي ، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها . فأرسل سليمان ، عليه السلام ، إلى ما كتبوا من ذلك ، فلما توفي سليمان وجدته[١٥] الشياطين وعلمته[١٦] الناس ، وهو

---

[١] - مكرر في : خ .
[٢] - في ز ، خ : « فأراهم » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز : ولكني .
[٦] - زيادة من : خ .
[٧] - زيادة من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « سألوا » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - زيادة من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ . « يحسد » .
[١٢] - في ز ، خ : « خزيوا » .
[١٣] - في خ : « قد » ، وفي : ز [و]
[١٤] - في ز ، خ : « تسمع » .
[١٥] - في ز ، خ : « وحدثته » .
[١٦] - في ز ، خ : « فعلمته » .

السحر .

وقال سعيد بن جبير : كان سليمان - عليه السلام - يتتبع[١] ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم ، فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته ، فلم تقدر[٢] الشياطين أن يصلوا إليه ، فدبت إلى الإنس فقالوا لهم : أتدرون ما[٣] العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا : نعم . قالوا : فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه ، فاستثار به الإنسُ ، واستخرجوه ، [وعملوا به][٤] ، فقال أهل الحجا[٥] : كان سليمان يعمل بهذا ، وهذا سحر . فأنزل اللّه تعالى على لسان[٦] نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم براءة سليمان - عليه السلام - فقال تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود - عليه السلام - فكتبوا أصناف السحر : « من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل[٧] كذا وكذا » ، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ، ثم ختموه[٨] بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا في[٩] عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود [عليهما السلام] من ذخائر كنوز العلم .

ثم دفنوه تحت كرسيه ، واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثروا عليه قالوا : واللّه ما كان ملك[١٠] سليمان [بن داود][١١] إلا بهذا ؛ فأفشوا السحر في الناس ، فتعلموه[١٢] وعلموه[١٣] ، [فليس هو][١٤] في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم اللّه !

فلما ذكر رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - فيما نزل عليه من اللّه - سليمان بن داود وعدَّه فيمن عدّ[١٥] من المرسلين . قال من كان بالمدينة من اليهود[١٦] : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن ابن داود كان نبيًا ، واللّه ما كان إلا ساحرًا . وأنزل اللّه في[١٧] ذلك من[١٨] قولهم : ﴿ **واتبعوا**

---

[١] - في ز ، خ : « يتبع » .
[٢] - في ز ، خ : « يقدر » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : فعملوا بها .
[٥] - في خ : « الحجاز » .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .
[٧] - في ز : فليقل .
[٨] - في خ : « ختمو » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز ، خ .
[١٢] - في خ : « وتعلموه » .
[١٣] - في ز : وليس .
[١٤] - في ز : وعملوه .
[١٥] - في ز : عده .
[١٦] - في ز : يهود .
[١٧] - سقط من : ز ، خ .
[١٨] - في ز ، خ : « في » .

ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾. الآية .

وقال ابن جرير(٥٨٤) : حدّثنا القاسم ، حدّثنا حسين حدثنا[١] حجاج عن أبي بكر ، عن شَهْر ابن حَوْشب قال : لما سُلِبَ سليمان عليه السلام ملكه ، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان . فكتبت : « من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس ، وليقل كذا وكذا ؛ ومن أراد أن يفعل كذا وكذا ، فليستدبر الشمس ، وليقل كذا وكذا ؛ فكتبتْه وجعلتْ عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود - عليهما السلام - من ذخائر كنوز العلم » . ثم دفنته تحت كرسيه ، فلما مات سليمان - عليه السلام - قام إبليس لعنه اللّٰه ! خطيبًا ، فقال[٢] : يا أيها الناس ؛ إن سليمان لم يكن نبيًّا ، إنما كان ساحرًا ، فالتمسوا سحره في متاعه ، وبيوته . ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه . فقالوا : واللّٰه لقد كان سليمان ساحرًا ، هذا سحره ، بهذا تَعَبَّدَنا ، وبهذا قهرنا .

فقال[٣] المؤمنون : بل كان نبيًّا مؤمنًا . فلما بعث اللّٰه النبي محمدًا[٤] صلى اللّٰه عليه وسلم [جعل يذكر الأنبياء][٥] حتى[٦] ذكر داود وسليمان فقالت اليهود : انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل . يذكر سليمان مع الأنبياء . إنما كان ساحرًا يركب الريح ، فأنزل اللّٰه تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان [وما كفر سليمان]**[٧] ﴾ . الآية .

وقال[٨] ابن جرير(٥٨٥) : حدّثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان قال : سمعت عمران بن حُدَير[٩] ، عن أبي مِجْلَزَ قال : أخذ سليمان - عليه السلام - من كل دابة عهدًا ، فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد ، خلي عنه ، فزاد[١٠] الناس السجع والسحر ، وقالوا : هذا يعمل به سليمان [بن داود عليهما السلام] ؛ فقال اللّٰه تعالى : ﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٥٨٦) : حدّثنا [عصام بن رَوّاد][١١] ، حدّثنا آدم ، حدّثنا المسعودي ، عن

(٥٨٤) - رواه ابن جرير برقم ١٦٦٦ - (٢/٤١٦) .

(٥٨٥) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٦١ - (٢/٤١٤) .

(٥٨٦) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٨٩ - (١/٢٩٨) .

[١] - في ت : بن

[٢] - في ز ، خ : « قال » .

[٣] - في ز : وقال .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : . خ .

[٦] - في ز ، خ : « حين » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٨] - في خ : « حدثنا » .

[٩] - في ز ، خ : « جرير » .

[١٠] - في الطبري : فرأى . قال محققه رحمه اللّٰه ، والصواب ما في الطبري .

[١١] - في خ : « عاصم بن داود » .

زياد مولى ابن مصعب عن الحسن ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين** ﴾ . قال : ثلث الشعر ، وثلث السحر ، وثلث الكهانة .

وقال(٥٨٧) : حدثنا الحسن بن أحمد ، حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي ، حدّثني شرور[١] بن المغيرة ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ وتبعته[٢] اليهود على ملكه . وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها ، ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان .

فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ، ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها ، وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب الفَهِم ، والله الهادي .

وقوله تعالى : ﴿ **واتبعو ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** ﴾ أي : واتبعت اليهود الذين أوتوا الكتاب من[٣] بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم ومخالفتهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما تتلوه[٤] الشياطين ، أي : [ما ترويه وتخبر به][٥] وتحدثه الشياطين على ملك سليمان . وعدّاه ب « على » ؛ لأنه ضمن « تتلو » « تكذب » .

وقال ابن جرير : « على » هاهنا بمعنى « في » ، أي : تتلو في ملك سليمان . ونقله عن ابن جُرَيج ، وابن إسحاق (قلت) : والتضمين أحسن وأولى ، والله أعلم .

وقول الحسن البصري - رحمه الله - : « و[٦] قد كان السحر قبل زمان[٧] سليمان بن داود » صحيح لا شك فيه ؛ لأنّ السحرة كانوا في زمان موسى - عليه السلام - وسليمان بن داود بعده ، كما قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** ﴾ . الآية . ثم ذكر[٨] القصة بعدها ، وفيها : ﴿ **وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة** ﴾ . وقال قوم صالح - وهم قبل إبراهيم الخليل عليه السلام - لنبيهم صالح : ﴿ **إنما أنت من المسَحَّرِين** ﴾ [أي : المسحورين على المشهور][٩] .

و[١٠] قوله تعالى : ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى**

---

(٥٨٧) - رواه ابن أبي حاتم برقم ٩٩٢ - (٢٩٩/١) . وفيه عباد بن منصور ، وهو ضعيف .

---

[١] - في ز : مسرور .
[٢] - في ز : واتبعته .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « تتلوا » .
[٥] - في ز ، خ : « ما ترونه وتخبرونه » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : زمن .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - زيادة من : ز ، خ .

يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ . اختلف الناس في هذا المقام ؛ فذهب بعضهم إلى أنّ « ما » نافية ، أعني : التي في قوله : ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾

[قال القرطبي : ما نافية ، ومعطوف في قوله : ﴿ **وما كفر سليمان** ﴾ ثم قال : ﴿ **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين** ﴾ وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل ، وميكائيل ؛ فأكذبهم اللَّه ، وجعل قوله : ﴿ **هاروت وماروت** ﴾ بدلًا من الشياطين .

قال : وصح ذلك ؛ إما لأنّ الجمع يطلق على الاثنين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فإن كان له إخوة** ﴾ ، أو لكونهما لهما أتباع ، أو ذُكرا من بينهم لتمردهما . تقدير الكلام عنده : يعلمون الناس السحر ببابل وهاروت ، وماروت . ثم قال : وهذا أولى ما حملت عليه الآية ، وأصح ، ولا يلتفت إلى ما سواه][١] .

وروى ابن جرير بإسناده(٥٨٨) ، من طريق العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ﴾ الآية . يقول : لم ينزل اللَّه السحر . وبإسناده عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ قال : ما أنزل اللَّه عليهما السحر .

قال ابن جرير : فتأويل الآية على هذا ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ من السحر ، وما كفر سليمان ، ولا أنزل اللَّه السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر [وما أنزل على الملكين][٢] ببابل هاروت ، وماروت .

فيكون قوله :﴿ **ببابل هاروت وماروت** ﴾ من المؤخر الذي معناه المقدَّم . قال : فإن قال لنا قائل : كيف[٣] وجه تقديم ذلك ؟ قيل : وجه تقديمه أن يقال : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ﴾ [من السحر][٤] ، وما كفر سليمان ، وما أنزل اللَّه السحر [٥] على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، فيكون معنيًا بالملكين جبريل وميكائيل - عليهما السلام - لأنّ سحرة[٦] اليهود فيما ذكر كانت تزعم : أن اللَّه أنزل السحر على لسان جبريل ، وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم اللَّه بذلك ، وأخبر نبيه محمدًا ، صلى اللَّه عليه وسلم أن جبريل ، وميكائيل لم ينزلا بسحر ، وبرّأ سليمان - عليه السلام - مما

(٥٨٨) - رواه ابن جرير برقم ١٦٧٠ - (٢/٤١٩) ، وسنده ضعيف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .
[٣] - في ز : وكيف .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - زيادة من : ز ، خ .

نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين ، وأنها تعلم الناس ذلك ببابل ، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان : اسم أحدهما هاروت ، واسم الآخر ماروت ، فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس ، وردًّا عليهم .

هذا لفظه بحروفه(٥٨٩) .

وقد قال ابن أبي حاتم(٥٩٠) : حدثت[١] عن عُبَيد الله بن موسى ، أخبرنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ قال : ما أنزل الله[٢] على جبريل ، وميكائيل السحر .

[قال ابن أبي حاتم(٥٩١)][٣] : وحدثنا الفضل[٤] بن شاذان ، حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا [معلى] - يعني ابن أسد - حدثنا بكر - يعني ابن مصعب - حدثنا الحسن بن أبي جعفر : أن عبد الرحمن بن أبزى كان يقرؤها : « **وما أنزل على الملكين داود وسليمان** » .

وقال أبو العالية : لم ينزل عليهما السحر ، يقول[٥] : عَلِما الإيمان والكفر ، فالسحر من الكفر ، فهما ينهيان عنه أشدّ النهي . رواه ابن أبي حاتم .

ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول ، وأن (ما) بمعنى الذي ، وأطال القول في ذلك ، وادَّعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض ، وأذن لهما في تعليم السحر ؛ اختبارًا لعباده ؛ وامتحانًا ، بعد أن بيَّن لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل ، وادعى : أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك ؛ لأنهما امتثلا ما أمرا به .

وهذا الذي سلكه غريب جدًّا ، وأغرب منه قول من زعم : أن هاروت وماروت قبيلان من الجن [كما زعمه ابن حزم][٦] .

وروى ابن أبي حاتم(٥٩٢) بإسناده ، عن الضحاك بن مزاحم : أنه كان يقرؤها ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ ويقول : هما علجان من أهل بابل .

وَوَجَّه أصحاب هذا القول الإنزالَ بمعنى الخَلْق ، لا بمعنى الإيحاء ، في قوله تعالى : ﴿ **وما**

(٥٨٩) - تفسير ابن جرير (٤١٩/٢، ٤٢٠) .
(٥٩٠) - **إسناده ضعيف** ، والحديث عند ابن أبي حاتم برقم ١٠٠٦ - (٣٠٢/١) .
(٥٩١) - رواه ابن حاتم ١٠٠٧ - (٣٠٢/١) .

[١] - في ز ، خ : « حديث » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « الفضيل » .
[٥] - في ز : بقول .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

أنزل على الملكين ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ﴾ ، ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** ﴾ ، ﴿ **وينزل**[١] **لكم من السماء رزقًا** ﴾ . وفي الحديث : « **ما أنزل اللّه داء إلا أنزل له دواء** »(٥٩٣) ، وكما يقال : « أنزل اللّه الخير والشر » .

[وحكى القرطبي عن ابن عباس ، وابن أبزى ، والحسن البصري : أنهم قرءوا ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ بكسر اللام ، وقال ابن أبزى : وهما داود وسليمان . قال القرطبي : فعلى هذا تكون ما نافية أيضًا][٢] .

وذهب آخرون إلى الوقف على قوله : ﴿ **يعلمون الناس السحر** ﴾ [وما : نافية][٣] قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا الليث ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد : وسأله رجل عن قول اللّه تعالى ﴿ **يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ﴾ قال الرجل : يعلمان الناس السحر ، و[٤] ما أنزل عليهما ، أو يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ فقال القاسم : ما أبالي أيتهما كانت(٥٩٤) .

ثم روى عن يونس ، عن أنس بن عياض ، عن بعض أصحابه : أن القاسم قال في هذه القصة : لا أبالي أي ذلك كان ، إني آمنت به(٥٩٥) .

وذهب كثيرون من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء ، وأنهما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع ، رواه الإمام أحمد في مسنده - رحمه اللّه - كما سنورده إن شاء اللّه تعالى ، وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا ، وبين ما ورد[٥] من الدلائل على عصمة الملائكة - أنّ هذين سبق في علم اللّه لهما هذا ، فيكون تخصيصًا لهما ، فلا تعارض حينئذ ، كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق ، وفي قول : إنه كان من الملائكة : لقوله تعالى : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبىٰ** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ، مع أنّ شأن هاروت وماروت على

(٥٩٢) - إسناده ضعيف ، فيه شعيب بن كيسان : ذكره البخاري في الضعفاء ، ولينه العقيلي ، والأثر عند ابن أبي حاتم ١٠٠٩ - (٣٠٣/١) . ، وفيه أيضًا ثابت بن جابان : مستور الحال .

(٥٩٣) - رواه البخاري (٥٦٧٨) والنسائي في الطب وابن ماجه (٣٤٣٩) من حديث أبي هريرة .
ورواه النسائي في الوليمة والطب وابن ماجه من حديث ابن مسعود (٣٤٣٨) .

(٥٩٤) - رواه ابن جرير برقم ١٦٧٨ - (٤٢٣/٢) .

(٥٩٥) - رواه ابن جرير برقم ١٦٧٩ - (٤٢٣/٢ ، ٤٢٤) .

[١] - في خ : « وتنزل » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز ، خ : « ثبت » .

ما ذكر، أخف مما وقع من إبليس لعنه اللّٰه تعالى !

[وقد حكاه القرطبي، عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وكعب الأحبار، والسدي، والكلبي][١] .

(ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه)

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه اللّٰه تعالى- في مسنده(٥٩٦) : حدثنا يحيى بن أبي بكير[٢] ، حدثنا زهير بن محمد ، عن موسى بن جبير ، عن نافع ، عن عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما أنه سمع نبي اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - يقول : « إن آدم - عليه السلام - لما أهبطه اللّٰه إلى الأرض ، قالت الملائكة : أي رب ، ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ . قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بني آدم . قال اللّٰه تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض [فننظر كيف يعملان . قالوا : ربنا هاروت وماروت . فأهبطا إلى الأرض][٣] ومثلت لهما الزهرة ، امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا واللّٰه حتى تتكلما[٤] بهذه الكلمة من الإشراك ، فقالا : واللّٰه لا نشرك باللّٰه شيئًا أبدًا . فذهبت عنهما ، ثم رجعت بصبي تحمله ؛ فسألاها نفسها ، فقالت : لا واللّٰه حتى تقتلا هذا الصبي . فقالا : لا[٥] ، واللّٰه لا نقتله أبدًا ، فذهبت ثم[٦] رجعت[٧] بقدح خمر تحمله ، فسألاها نفسها . فقالت : لا ، واللّٰه حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا فسكرا فوقعا عليها ، وقتلا الصبي ، فلما أفاقا قالت المرأة : واللّٰه ما تركتما شيئًا أبيتماه عليّ إلا قد فعلتماه حين سكرتما . فخُيرا بين عذاب الدنيا ، وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ؛ وهكذا رواه أبو حاتم [ ][٨] ابن حبان في صحيحه عن الحسن بن سفيان ، عن أبي بكر ابن أبي شيبة ، عن يحيى بن أبي بُكير ، به .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين ، إلا موسى ابن جبير هذا ، وهو الأنصاري السلمي مولاهم المديني الحذاء ، روى عن ابن عباس ، وأبي أمامة ابن سهل بن حنيف ، ونافع ، وعبد اللّٰه بن كعب[٩] بن مالك ، رَوَى عنه ابنه عبد السلام ، وبكر

(٥٩٦) - **ضعيف** ، والحديث في المسند ٦١٧٨ - (١٣٤/٢) ، وابن حبان برقم (١٧١٧) « موارد » وقال أبو حاتم في العلل (٦٩/٢) : « هذا حديث منكر » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « بكر » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : تكلما .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في خ : « فرجعت » .
[٨] - في خ : [و]
[٩] - في خ : « سعد » .

ابن مضر، وزهير بن محمد، وسعيد بن سلمة، وعبد الله بن لهيعة، وعمرو بن الحارث، ويحيى ابن أيوب. وروى له أبو داود، وابن ماجة، وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئًا[١] من هذا، ولا هذا فهو مستور الحال(٥٩٧)، وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. وروي له متابع من وجه آخر، عن نافع كما قال ابن مردويه:

حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا هشام [بن علي بن هشام][٢]، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس[٣]، عن نافع، عن ابن عمر، سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول... فذكره بطوله.

وقال أبو جعفر بن جرير - رحمه الله -(٥٩٨): حدثنا القاسم، حدثنا الحسين - وهو سنيد بن داود صاحب التفسير - حدثنا الفرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل، قال: يا نافع؛ انظر، طلعت الحمراء؟ قلت لا - مرتين أو ثلاثًا - ثم قلت: قد طلعت، قال: لا مرحبًا بها ولا أهلًا.

قلت: سبحان الله! نجم مسخر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أو قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: «إن الملائكة قالت: يارب؛ كيف صبرك على بني آدم في الخطايا[٤] والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم. قال[٥]: فلم يألوا جهدًا أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت، وهذان أيضًا غريبان جدًّا.

وأقرب ما يكون[٦] في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، كما قال عبد الرزاق في تفسيره، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار[٧] قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم، وما يأتون من الذنوب، فقيل لهم: اختاروا منكم اثنين؛ فاختاروا هاروت وماروت، فقال[٨] لهما: إني أرسل

(٥٩٧) - الجرح والتعديل (١٣٩/٨) وذكره ابن حبان في الثقات (٤٥١/٧) وقال: «يخطىء ويخالف».

(٥٩٨) - **ضعيف**، والحديث في تفسير ابن جرير ١٦٨٨ - (٤٣٣/٢). الفرج بن فضالة: قال البخاري: منكر الحديث.

[١] - زيادة من: ز، خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.

[٣] - في خ: «سرخس».

[٤] - في ز، خ: «الخطأ».

[٥] - في ز: قالوا.

[٦] - سقط من: ز، خ.

[٧] - سقط من: ز، خ.

[٨] - في ز، خ: «فقيل».

إلى بني آدم رسلًا ، ليس[١] بيني وبينكم رسول ، انزلا لا تشركا بي شيئًا ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمر . قال كعب : فو اللَّه ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نُهيا عنه .

ورواه ابن جرير من طريقين(٥٩٩) ، عن عبد الرزاق ، به .

وروراه ابن أبي حاتم(٦٠٠) ، عن أحمد بن عصام ، عن مؤمّل ، عن سفيان الثوري ، به .

ورواه ابن جرير أيضًا(٦٠١) : حدثني المثنى ، حدثنا المعلى - وهو ابن أسد - حدثنا عبد العزيز ابن المختار ، عن موسى بن عقبة ، حدثني سالم أنه سمع عبد اللَّه يحدث عن كعب الأحبار ، فذكره .

فهذا أصح وأثبت إلى عبد اللَّه بن عمر من الإسنادين المتقدمين ، وسالم أثبت في[٢] أبيه من[٣] مولاه نافع . فدار الحديث ، ورجع إلى نقل كعب الأحبار ، عن كتب بني إسرائيل ، واللَّه أعلم .

ذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين رضي اللَّه عنهم أجمعين

قال ابن جرير(٦٠٢) : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، عن عمير بن سعيد ، قال : سمعت عليًا - رضي اللَّه عنه - يقول : كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس ، وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت ، فراوداها عن نفسها ، فأبت عليهما إلا أن يعلماها الكلام الذي إذا تكلم به أحدٌ[٤] يعرج به إلى السماء ، فعلماها فتكلمت به[٥] فعرجت إلى السماء ، فمسخت كوكبًا .

وهذا الإسناد رجاله ثقات ، وهو غريب جدًّا .

وقال ابن أبي حاتم(٦٠٣) : حدثنا الفضل بن شاذان ، حدثنا محمد بن عيسىٰ ، حدثنا

---

(٥٩٩) - تفسير عبد الرزاق (١/٥٣) ، وتفسير ابن جرير ١٦٨٤ - (٢/٤٢٩) .

(٦٠٠) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٣ - (١/٣٠٦) .

(٦٠١) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٨٥ - (٢/٤٣٠) .

(٦٠٢) - رواه ابن جرير ١٦٨٣ - (٢/٤٢٩) ، ورواه الحاكم مطولًا (٢/٢٦٥ - ٢٦٦) .

(٦٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم ١٠٠٨ - (١/٣٠٣) . ورواه الحاكم (٢/٢٦٥) .

---

[١] - في ز ، خ : «فليس» .
[٢] - في خ : «من» .
[٣] - في خ : «في» .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .

إبراهيم بن موسى ، أخبرنا[١] أبو معاوية ، عن [ابن أبي خالد] [٢] ، عن عمير بن سعيد ، عن علي - رضي اللَّه عنه - قال : هما ملكان[٣] من ملائكة السماء . يعني : ﴿ **وما أنزل على الملكين** ﴾ .

ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بسنده ، عن مغيث ، عن مولاه جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي - مرفوعًا ، وهذا لا يثبت من هذا الوجه .

ثم رواه من طريقين آخرين ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن علي - رضي اللَّه عنه -قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لعن اللَّه الزهرة ؛ فإنها هي التي فتنت[٤] الملكين هاروت وماروت** » . وهذا أيضًا لا يصح(٦٠٤) ، وهو منكر جدًّا ، واللَّه أعلم .

وقال ابن جرير(٦٠٥) : حدّثني المثنى بن إبراهيم ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن مسعود ، وابن عباس أنهما قالا جميعًا : لما كثر بنو آدم وعصوا ، دعت الملائكة عليهم والأرض والجبال : ربنا لا [تمهلهم][٥] تهلكهم[٦] فأوحى اللَّه إلى الملائكة : إني [أزلت[٧] الشهوة والشيطان من قلوبكم][٨] [وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم][٩] ، ولو نزلتم لفعلتم أيضًا .

قال : فحدّثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا ، فأوحى اللَّه إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم ، فاختاروا هاروت وماروت ، فأهُبطا إلى الأرض ، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس [يسمونها بيذخت][١٠] ، قال[١١] : فوقعا بالخطيئة ، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما** ﴾ فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ﴿ **ألا إن اللَّه هو الغفور الرحيم** ﴾ فخُيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا .

---

(٦٠٤) - ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٥٤) من طريق عيسى بن يونس ، عن أخيه إسرائيل عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن علي ، به .

(٦٠٥) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٨٢- (٤٢٨/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « حدثنا » . [٢] - في ز ، خ : خالد .

[٣] - في ز ، خ : « ملكين » . [٤] - في ز ، خ : « قتلت » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - في حاشية ز ، وابن جرير : لعله : ألا تهلكهم .

[٧] - في ز : أنزلت .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٩] - سقط من ز .

[١٠] - سقط من : ز ، خ. [١١] - في ز : قالا .

وقال ابن أبي حاتم(٦٠٦) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّه بن جعفر الرقي ، أخبرنا[١] عبيد اللّه – يعني ابن عمرو – عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بن عمرو ، ويونس بن خباب ، عن مجاهد قال : كنت نازلًا على عبد اللّه بن عمر في سفر ، فلما كان ذات ليلة قال لغلامه : انظر ! هل[٢] طلعت الحمراء ؟ لا مرحبًا بها ولا أهلًا ، ولا حياها اللّه ، هي صاحبة الملَكين ، قالت الملائكة : يارب[٣] ؛ كيف تَدَعُ عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام ، وينتهكون محارمك ، ويفسدون في الأرض ؟

قال : إني قد ابتليتهم ، فلعل[٤] إن[٥] ابتليتكم[٦] بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون . قالوا : لا . قال : فاختاروا من خياركم اثنين ، فاختاروا هاروت وماروت ، فقال لهما : إني مهبطكما إلى الأرض ، وعاهد إليكما ألّا تشركا ، ولا تزنيا ، ولا تخونا ، فأهبطا إلى الأرض وألقى عليهما الشهوة[٧] ، وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة ، فتعرّضت لهما ، فراوداها [٨] عن نفسها .

فقالت : إني على دين لا يصح[٩] لأحد أن يأتيني إلا من كان على مثله . قالا : وما دينك . قالت : المجوسية ، قالا : الشرك ! هذا شيء لا نقرّ به ، فمكثت عنهما ما شاء اللّه تعالى ، ثم تعرّضت لهما فراوداها [١٠] عن [١١] نفسها . فقالت : ما شئتما ، غير أن لي زوجًا ، وأنا أكره أن يطّلع على هذا مني فأفتضح ، فإن أقررتما لي بديني ، وشرطتما لي أن تصعدا بي إلى السماء فعلت . فأقرّا لها بدينها وأتياها فيما يريان ، ثم صعدا بها إلى السماء ، فلما انتهيا بها إلى السماء اختُطِفَتْ منهما ، وقطعت أجنحتهما ، فوقعا خائفين نادمين يبكيان ، وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعتين ، فإذا كان يوم الجمعة أجيب . فقالا : لو أتينا فلانًا فسألناه فطلب لنا التوبة ! ، فأتياه ، فقال : رحمكما اللّه ، كيف يطلب التوبة[١٢] أهلِ الأرض لأهل السماء ؟ ! قالا : إنا قد ابتُلِينا ، قال : ائتياني يوم الجمعة . فأتياه ، فقال : ما أجِبْتُ فيكما بشيء ، ائتياني في الجمعة الثانية ،

---

(٦٠٦) – تفسير ابن أبي حاتم ١٠١٤ – (٣٠٦/١، ٣٠٧) . ويونس بن خباب : منكر الحديث ، وهو متابع بالمنهال بن عمرو .

---

[١] – في خ : « ثنا » .
[٢] – سقط من :ز
[٣] – في ز : رب .
[٤] – في ز : فعل ، وفي خ : قبل .
[٥] – في خ : « أن » .
[٦] – في خ : « أبتليكم » .
[٧] – في ز ، خ : « الشبق » .
[٨] – في ز : فأراداها .
[٩] – في خ : « يصلح » .
[١٠] – في ز : فأراداها .
[١١] – في ز : على .
[١٢] – سقط من: ز ، خ .

فأتياه ، فقال : اختارا فقد خيرتما ؛ إن احببتما[١] معافاة الدنيا وعذاب الآخرة ، وإن أحببتما فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم اللَّه ، فقال أحدهما : إن الدنيا لم يمض منها إلا قليل[٢] . وقال الآخر ويحك ! إني قد أطعتك في الأمر الأوّل ، فأطعني الآن ، إن عذابًا يفنى ليس كعذاب يبقى . فقال[٣] : و[٤] إننا يوم القيامة على حكم اللَّه ، فأخاف أن يعذبنا ، قال : لا ، إني أرجو إن علم اللَّه أنّا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة أن لا يجمعهما علينا . قال : فاختارا عذاب الدنيا ، فجعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة من نار ، عاليهما سافلهما . وهذا إسناد جيد إلى عبد اللَّه بن عمر . وقد تقدّم في رواية ابن جرير من حديث معاوية ابن صالح ، عن نافع ، عنه ، رفعه . وهذا أثبت وأصح إسنادًا . ثم هو - واللَّه أعلم - من رواية ابن عمر . عن كعب . كما تقدّم بيانه [من رواية][٥] سالم ، عن أبيه . وقوله إن الزهرة نزلت على[٦] صورة امرأة حسناء ، وكذا في المروي عن علي ، فيه غرابة جدًّا .

وأقرب ماورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم(٦٠٧) ، حدثنا عصام بن رواد[٧] ، حدثنا آدم ، أخبرنا[٨] أبو جعفر ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : لما وقع الناس من بعد آدم - عليه السلام - فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر باللَّه ، قالت الملائكة في السماء : يارب ؛ هذا العالم الذي إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك ، [ ][٩] قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وركبوا الكفر ، وقتل النفس ، وأكل المال الحرام ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر . فجعلوا يدعون عليهم ، ولا يعذرونهم ، فقيل : إنهم في غيب فلم يعذروهم . فقيل لهم : اختاروا منكم من أفضلكم مَلَكين ، آمرهما وأنهاهما . فاختاروا هاروت وماروت ، فأُهبطا إلى الأرض ، وجعل لهما شهوات بني آدم ، وأمرهما اللَّه أن يعبداه ولا يشركا به شيئًا ، ونُهيا عن قتل النفس الحرام ، وأكل المال الحرام ، وعن الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر . فلبثا في الأرض زمانًا يحكمان بين الناس بالحق ، وذلك في زمن[١٠] إدريس - عليه السلام - وفي ذلك الزمان امرأة حُسْنُها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب ، وأنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول ، وأراداها[١١] على نفسها ، فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها ، فسألاها[١٢] عن دينها ، فأخرجت لهما صنمًا . فقالت : هذا أعبده . فقالا : لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا

(٦٠٧) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٢ - (٣٠٥/١) .

[١] - في ت : « خيرتما » .
[٢] - في خ : « القليل » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - زيادة من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « عن » .
[٦] - في ت : « في » .
[٧] - في خ : « داود » .
[٨] - في خ : « حدثنا » .
[٩] - في خ : " و "
[١٠] - في خ : « زمان » .
[١١] - في خ : « وراوداها » .
[١٢] - في خ : « فسألا » .

[فغبرا ما شاء اللَّه][١] ، ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها ، [ففعلت مثل ذلك][٢] . فذهبا ، ثم أتيا عليها فراوداها على نفسها ، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم قالت لهما : اختارا أحد الخلال الثلاث : إما أن تعبدا هذا الصنم ، [وإما أن تقتلا هذه النفس][٣] وإما أن تشربا هذه الخمر . فقالا : كل هذا لا ينبغي ، وأهون هذا شرب الخمر . فشربا الخمر . [فأخذت فيهما][٤] فواقعا المرأة ، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه ، فلما ذهب عنهما السكر ، وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة ، أرادا أن يصعدا إلى السماء ، فلم يستطيعا ، وحيل بينهما وبين ذلك ، وكُشِفَ الغطاء فيما بينهما ، وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه ، فعجبوا كل العجب ، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض ، فنزل في ذلك : ﴿ **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض** ﴾ . فقيل لهما : اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة . فقالا : أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب ، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له ، فاختارا عذاب الدنيا ، فجُعِلا ، ببابل فهما يعذبان .

وقد رواه الحاكم في مستدركه مطوَّلًا عن أبي زكريا العنبري ، عن محمد بن عبد السلام ، عن إسحاق بن راهويه ، عن حكام بن سلم الرازي[٥] - وكان ثقة - عن أبي جعفر الرازي ، به ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة ، واللَّه أعلم(٦٠٨) .

وقال ابن أبي حاتم(٦٠٩) : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم[٦] حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني[٧] ، حدثنا يزيد - يعني الفارسي - عن ابن عباس قال[٨] : إن أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم يعملون المعاصي ، فقالوا : يارب ؛ أهل الأرض كانوا[٩] يعملون بالمعاصي . فقال اللَّه : أنتم معي ، وهم في[١٠] غيب عني . فقيل لهم : اختاروا منكم ثلاثة ، فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض ، على أن يحكموا بين أهل الأرض ، وجعل فيهم شهوة الآدميين ، فأمروا أن لا يشربوا خمرًا ، ولا يقتلوا نفسًا ، ولا يزنوا ، ولا يسجدوا لوثن . فاستقال منهم واحد فأقيل ، فأهبط اثنان إلى الأرض ، فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها : مناهية .

---

(٦٠٨) - وقد أبطل الإمام ابن حزم قصة هاروت وماروت ورد على من ادعى شربهما الخمر وارتكابهما الزنا والقتل في كتابه الفصل (٣/٣٠٣-٣٠٨)، (٤/٦١-٦٥) .

(٦٠٩) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٥ - (١/٣٠٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - مكررة في خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : الدارزي .
[٦] - في ز ، خ : « سالم ».
[٧] - في ز ، خ : « الحراني ».
[٨] - زيادة من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ.
[١٠] - سقط من : ز ، خ .

فهوياها جميعًا ، ثم أتيا منزلها ، فاجتمعا عندها ، فأراداها فقالت لهما : لا ، حتى تشربا خمري ، وتقتلا ابن جاري ، وتسجدا لوثني . فقالا : لانسجد . ثم شربا من الخمر ، ثم قتلا ، ثم سجدا . فأشرف أهل السماء عليهما . فقالت لهما : أخبراني بالكلمة التي[١] إذا قلتماها طِرْتُما ؟ . فأخبراها . فطارت ، فمسخت جمرة ، وهي هذه الزهرة ، وأما هما فأرسل إليهما سليمان بن داود فَخَيَّرَهُما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فاختارا عذاب الدنيا . فهما مناطان بين السماء والأرض .

وهذا السياق فيه زيادات كثيرة، وإغراب ونكارة . واللَّه أعلم بالصواب .

وقال عبد الرزاق(٦١٠) : قال معمر : قال قتادة والزهري : عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** ﴾ : كانا ملكين من الملائكة ، فأهبطا ليحكما بين الناس . وذلك أن الملائكة سخروا من حكام بني آدم ، فحاكمت إليهما امرأة ، فحافا لها . ثم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك ، ثم[٢] خُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا . وقال معمر : قال قتادة : فكانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلما[٣] أحدًا حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وقال أسباط : عن السدى أنه قال : كان[٤] من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض فى أحكامهم فقيل لهما : إنى أعطيت بني أدم عشرًا من الشهوات فبها يعصونني ، قال هاروت وماروت : ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل ، فقال لهما : انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر ، فاحكما بين الناس ، فنزلا ببابل دنياوند[٥] فكانا يحكمان ، حتى إذا أمسيا عرجا ، فإذا أصبحا هبطا ، فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها ، فأعجبهما [ ][٦] حسنها واسمها بالعربية زهرة[٧] ، وبالنبطية[٨] بيذخت[٩] وبالفارسية أناهيد[١٠] . فقال أحدهما لصاحبه : إنها لتعجبني ، قال الآخر : قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك ، فقال الآخر ، هل لك أن أذكرها لنفسها ؟ قال نعم ، ولكن كيف لنا بعذاب اللَّه ؟ قال الآخر : إنا لنرجو رحمة اللَّه .

---

(٦١٠) – تفسير عبد الرزاق (٥٣/١) .

---

[١] – في خ : « الذي » .
[٢] – في ز : و .
[٣] – في ت : « يعلمان » .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – في ت : « دنباوند » .
[٦] – في ز : من .
[٧] – في ز : الزهرة .
[٨] – في ز : بالقبطية .
[٩] – في ز ، خ: « بيدخت » .
[١٠] – في ز : أتاهيذ .

فلما جاءت تخاصم زوجها ذكر إليها نفسها، فقالت : لا، حتى تقضيا لي على زوجي، فقضيا لها على زوجها، ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها، فأتياها لذلك، فلما أراد الذى يواقعها قالت : ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأى كلام تصعدان إلى السماء، وبأي كلام تنزلان منها؛ فأخبراها فتكلمت، فصعدت، فأنساها اللّه - تعالى - ما تنزل[١] به فثبتت[٢] مكانها وجعلها اللّه كوكبًا؛ فكان عبد اللّه بن عمر كلما رآها لعنها وقال[٣] هذه التي فتنت هاروت وماروت، فلما كان الليل أرادا أن يصعدا فلم يطيقا، فعرفا الهلكة، فخيرا بين[٤] عذاب الدنيا و[٥] عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد : أما شأن هاروت وماروت، فإن الملائكة عجبت من ظلم بني، آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات، فقال لهم ربهم - تعالى - : اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان فى الأرض [بين بنى آدم][٦]، فاختاروا فلم يألوا هاروت وماروت، فقال لهما حين أنزلهما : أعجبتما[٧] من بني آدم من ظلمهم و[ ][٨] معصيتهم وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء، وأنتما ليس بينى وبينكما رسول، فافعلا كذا وكذا، ودعا كذا و[٩] كذا، فأمرهما بأمر ونهاهماشم[١٠] نزلا على ذلك ليس أحد أطوع لله منهما، فحكما فعدلا. فكانا يحكمان النهار بين بنى آدم، فإذا أمسيا عرجا، فكانا مع الملائكة، وينزلان حين يصبحان، فيحكمان فيعدلان، حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم، فقضيا عليها، فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه، فقال أحدهما لصاحبه : وجدت مثل الذى وجدت؟ قال : نعم. فبعثا إليها أن ائتنا نقض لك. فلما رجعت قالا وقضيا لها، فأتتهما، فتكشفا لها عن عورتهما، وإنما كانت شهوتهما[١١] في أنفسهما، ولم يكونا كبنى آدم في شهوة النساء ولذتها. فلما بلغا ذلك، واستحلا افتتنا، فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت. فلما أمسيا عرجا فزُجرا فلم يؤذن لهما، ولم تحملهما أجنحتهما، فاستغاثا برجل من بنى آدم، فأتياه. فقالا : ادع لنا ربك. فقال : كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا : سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء. فوعدهما يوما، وغدا يدعو لهما فدعا لهما، فاستجيب له، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فنظر أحدهما إلى صاحبه. فقال : ألا تعلم أن أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد، وفي الدنيا تسع مرات مثلها؟ فأمرا أن ينزلا ببابل، فثم عذابهما. وزعم أنهما معلقان في

---

[١] - في ز : تنزل.
[٢] - في ز، خ : «فبقيت».
[٣] - في ز : فقال.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - في ز : من.
[٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز، خ.
[٧] - في ز، خ : «أعجبتم».
[٨] - في ز : من.
[٩] - زيادة من : خ.
[١٠] - في ز، خ : «ونهاهما ثم».
[١١] - في ز : سوءتهما.

الحديد مطويان، يصفقان بأجنحتهما.

وقد روى في قصة[١] هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد، والسدى، والحسن، وقتادة، وأبي العالية، والزهرى، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان[٢]، وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله - تعالى - والله أعلم بحقيقة الحال.

وقد ورد [في ذلك][٣] أثر غريب، وسياق عجيب في ذلك؛ أحببنا أن ننبه عليه. قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٦١١) - رحمه اللَّه تعالى -: حدثنا الربيع بن سليمان، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، حدّثني هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة زوج النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، أنها قالت: قدمت [عليّ امرأة][٤] من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، بعد موته حداثة ذلك، تسأله [ ][٥] أشياء دخلت فيه من أمر السحر، ولم تعمل به قالت عائشة، رضي اللَّه عنها، لعروة: يا ابن أختي؛ فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، فيشفيها، فكانت[٦] تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج فغاب عني، فدخلت على عجوز، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك، فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وَرَكِبَتْ الآخر، فلم يكن كشيء[٧] حتى وقفنا ببابلَ، وإذا برجلين معلقين بأرجلهما. فقالا: ما جاء بك؟ فقلت[٨]: أتعلم[٩] السحر؟ فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري، فارجعي، فأبيت، وقلت[١٠]: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه. فذهبت ففزعت ولم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا: أفعلت؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئًا؟ فقلت: لم أرى[١١] شيئًا. فقالا: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك، ولا تكفري فَأَرْبَبْتُ[١٢]، وأبيت فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. [فذهبت فاقشعررت، وخفت، ثم رجعت إليهما وقلت: قد

(٦١١) - تفسير ابن جرير برقم ١٦٩٥ - (٢/٤٣٩-٤٤١). وابن أبي الزناد ضعيف.

---

[١] - في ز: قضية.
[٢] - في خ: «مقاتل».
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في ز، خ: «امرأة على».
[٥] - في ز: عن.
[٦] - في ز: كانت ز.
[٧] - في ز: لشيء.
[٨] - في ز، خ: «فقلنا».
[٩] - في ز، خ: «نتعلم».
[١٠] - في ز: فقلت.
[١١] - في خ: «أر».
[١٢] - في ز، خ: «فأربت».

فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ فقلت : لم أرِ شيئًا . فقالا : كذبت ؛ لم تفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري ؛ فإنك على رأس أمرك ، فَأَرْبَبْتُ وأبيت . فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه][١] فذهبت إليه فبلت[٢] فيه ، فرأيت فارسًا مقنعًا بحديد [خرج مني][٣] ، فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه ، فجئتهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ قلت : رأيت فارسًا مقنعًا خرج[٤] مني[٥] فذهب في السماء حتى ما أراه . فقالا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك . اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئًا ، وما قالا لي شيئًا . فقالت : بلى لم تريدي شيئًا إلا كان : خذي هذا القمح فابذر[٦] ؛ فبذرت ، وقلت : اطلعي فأطلعت[٧] ، وقلت : [احقلي فأحقلت][٨] ثم قلت : افركي ، فأفركت ، ثم قلت : أيبسي فأيبست ، ثم قلت : اطحني فأطحنت ، ثم قلت : اخبزي فأخبزت ، فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان ، سُقِطَ في يدي ، وندمت ، - والله - يا أم المؤمنين ؛ والله[٩] ما فعلت شيئًا قط ، ولا أفعله أبدًا .

ورواه ابن أبي حاتم(٦١٢) عن الربيع بن سليمان ، به[١٠] مطولًا كما تقدم . وزاد بعد قولها : ولا أفعله أبدًا : فسألت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، حداثة وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يومئذ متوافرون ، فما دَرَوْا ما يقولون لها ، وكلهم هاب ، وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه ، إلا أنه قد قال لها ابن عباس - أو بعض من كان عنده لو كان أبواك حيين أو أحدهما ؟ .

قال هشام : فلو جاءتنا أفتيناها بالضمان . قال ابن أبي الزناد : وكان هشام يقول : إنهم كانوا من أهل الورع والخشية [١١] من الله . ثم يقول هشام : لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نَوْكَى ، أهل حمق وتكلف بغير علم .

فهذا إسناد جيد إلى عائشة - رضي الله عنها - .

وقد استدل بهذا الأثر من ذهب إلى أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان ؛ لأن هذه المرأة بذرت ، واستغلت في الحال .

(٦١٢) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠٢٩ - (٣١٢/١) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٧/٨) من طريق الربيع بن سليمان به مطولًا .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فبالت » .
[٣] - في ز ، خ : فخرج
[٤] - في خ : منه .
[٥] - في ز ، خ : « منه » .
[٦] - في خ : « فاندري » .
[٧] - في خ : « فطلقت » .
[٨] - في ز ، خ : « اجعلى فأجعلت » .
[٩] - سقط من ز .
[١٠] - سقط من : خ .
[١١] - في ز : وخشية .

وقال آخرون : بل ليس له القدرة[١] إلا على التخييل ، كما قال تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ . واستدل به على أن بابل المذكورة في القرآن هي بابل العراق ، لا بابل دُنباوند[٢] كما قاله السدي وغيره ، ثم إن الدليل على أنها بابل العراق ما قال ابن أبي حاتم(٦١٣) :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدّثني ابن وهب ، حدّثني ابن لهيعة ، ويحيى بن أزهر ، عن عمار بن سعد المرادي ، عن أبي صالح الغفاري[٣] : أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - [مرّ ببابل وهو يسير ، فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر ، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة ، فلما فرغ][٤] قال : إن حبيبي - صلى الله عليه وسلم - نهاني أن أصلي [بأرض المقبرة ، ونهاني أن أصلي][٥] ببابل فإنها ملعونة .

وقال أبو داود(٦١٤) : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني ابن لهيعة ، ويحيى ابن أزهر ، عن عمار بن سعد المرادي ، عن أبي صالح الغفاري[٦] : أن عليًا مر ببابل ، وهو يسير ، فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر ، فلما برز منها أمر المؤذن ، فأقام الصلاة ، فلما فرغ قال : إن حبيبي ، صلى الله عليه وسلم ، نهاني : أن أصلي في المقبرة ، ونهاني : أن أصلي بأرض بابل ، فإنها ملعونة .

حدّثنا أحمد بن صالح ، حدّثنا ابن وهب ، أخبرني يحيى بن أزهر، وابن لهيعة ، عن حجاج[٧] بن شداد ، عن أبي صالح الغفاري[٨] ، عن علي ، بمعنى حديث سليمان بن داود قال : فلما « خرج » مكان « برز » .

وهذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود ، لأنه رواه ، وسكت عليه[٩] ، ففيه من الفقه كراهيةُ الصلاة بأرض بابل ، كما تكره بديار ثمود الذين نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الدخول إلى منازلهم ، إلا أن يكونوا باكين .

---

(٦١٣) - تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٠١٠ - (٣٠٤/١) . وأبو صالح الغفاري - سعيد بن عبد الرحمن - عن علي مرسل - العلائي ص ١٨٢ -

(٦١٤) - سنن أبي داود برقم (٤٩٠،٤٩١) .

---

[١] - في ز : قدرة .

[٢] - في ز ، خ : « دنياوند » .

[٣] - في خ : « النقاري » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « النقاري » .

[٧] - في ز ، خ : « الحجاج » .

[٨] - في خ : « الغفاري » .

[٩] - في ز ، خ : « عنه » .

قال أصحاب الهيئة : وبعد ما بين بابل ، وهي من إقليم العراق ، عن البحر المحيط الغربي ، [ويقال له][١] « أوقيانوس[٢] » سبعون درجة .

ويسمون هذا طولاً ، وأمّا عرضها ، وهو بعد[٣] ما بينها وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب وهو المسامت لخط الاستواء ، اثنان[٤] وثلاثون درجة ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿**وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾ قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس قال : فإذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشدّ النهي ، وقالا له : إنما نحن فتنة فلا تكفر ، وذلك أنهما علما الخير والشر ، والكفر والإيمان ، فعرفا أن السحر من الكفر . قال[٥] : فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا ، فإذا أتاه عاين الشيطانَ فعلّمه ، فإذا تعلم خرج منه النور ، فنظر إليه ساطعًا في السماء فيقول : يا حسرتاه يا ويله[٦] ماذا أصنع ؟ .

وعن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذة الآية : نعم أُنزل الملكان بالسحر ، ليعلما[٧] الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس ، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحدًا حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر . رواه ابن أبي حاتم .

وقال قتادة : كان أخذ عليهما أن لايعلما أحدًا حتى يقولا : إنما نحن فتنة - أي : بلاء ابتلينا به فلا تكفر . وقال السدّي : إذا أتاهما إنسان يريد السحر ، وعظاه ، وقالا له : لا تكفر ، إنما نحن فتنة . فإذا أبىٰ قالا له : ائت هذا الرماد ، فَبُلْ عليه . فإذا بال عليه ، خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء ، وذلك الإيمان .

وأقبل شيء أسودُ كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه[٨] وكلِّ شيء . وذلك غضب الله . فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر ؛ فذلك قول الله تعالى : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ . الآية .

وقال سُنيد : عن حجاج عن ابن جريج في هذه الآية : لا يجترىء على السحر إلا كافر .

---

[١] - في ز : ويقابله .
[٢] - في ز ، خ : « أولياوس » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز ، خ : « ثنتان » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « ويلاه » .
[٧] - في خ : « ليعلم » .
[٨] - في خ : « السماع » .

وأما الفتنة: فهي المحنة، والاختبار، ومنه قول الشاعر:

وقد فُتِنَ النَّاسُ في دينهم وخلَّى ابنُ عفان شرًّا طويلا

وكذلك[١] قوله تعالى، إخبارًا عن موسى - عليه السلام - حيث قال: ﴿ **إن هي إلا فتنتك** ﴾ أي: ابتلاؤك، واختبارك، وامتحانك ﴿ **تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** ﴾ الآية[٢].

وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر، ويُستَشْهَدُ له بالحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار(٦١٥)، حدّثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام، عن عبد اللَّه قال: « **من أتى كاهنًا، أو ساحرًا فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى اللَّه عليه وسلم** ». **وهذا إسناد جيد، وله شواهد أخر.**

وقوله تعالى: ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه** ﴾. أي: فيتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ما يتصرفون به فيما يتصرفون فيه من الأفاعيل المذمومة؛ ما إنهم ليفرّقون به بين الزوجين مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف.

وهذا من صنيع الشياطين، كما رواه مسلم في صحيحه(٦١٦)، من حديث الأعمش، عن أبي سفيان طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه، عن النبي، صلى اللَّه عليه وسلم، قال: « **إن الشيطان ليضع**[٣] **عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم**[٤] **عنده منزلةً أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركتُه وهو يقول كذا وكذا. فيقول إبليس: لا واللَّه ما صنعت شيئًا، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركتُه حتى فرّقت بينه، وبين أهله قال: فيُقَرِّبُه ويدنيه، ويلتزمه، ويقول: نعم أنت** ».

وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر، ما يخيل إلى الرجل، أو المرأة من الآخر من سوء منظر، أو خلق، أو نحو ذلك، أو عقد، أو بغضة، أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة، والمرء عبارة عن الرجل، وتأنيثه امرأة، ويثنَّى كل منهما ولا يجمعان، واللَّه أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ **وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن اللَّه** ﴾. قال سفيان الثوري: إلا بقضاء اللَّه. وقال محمد بن إسحاق: إلا بتخلية اللَّه بينه وبين ما أراد. وقال الحسن البصري: ﴿ **وما**

---

(٦١٥) -

(٦١٦) - صحيح مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٨١٣).

---

[١] - في ز: وكذا.

[٢] - زيادة من: ز، خ.

[٣] - في ز، خ: «يضع».

[٤] - في خ: «أقلهم».

هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ قال : نعم ، من شاء الله سلطهم عليه ، ومن لم يشإِ الله[١] لم يسلط ، ولا يستطيعون ضر أحد إلا بإذن الله ، كما قال الله تعالى . وفي رواية عن الحسن أنه قال : لا يضرُّ هذا السحر إلا من دخل فيه .

وقوله تعالى : ﴿ **ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** ﴾ أي : يضرهم في دينهم ، وليس له نفع يوازي ضرره .

﴿ **ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق** ﴾ . أي : ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول[٢] صلى الله عليه وسلم لمن فعل فعلهم ؛ ذلك أنه ما له في الآخرة من خلاق .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدّي : من نصيب ، [وقال عبد الرازق : عن معمر ، عن قتادة : ما له في الآخرة من جهة عند الله ، وقال عبد الرازق ، وقال الحسن : ليس له دين][٣] .

وقال سعد[٤] : عن قتادة : ﴿ **ما له في الآخرة من خلاق** ﴾ . قال : ولقد[٥] علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم ؛ أن الساحر لا خلاق له في الآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ **ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون** ﴾ ، ﴿ **ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون** ﴾ . يقول تعالى : ﴿ **ولبئس** ﴾ البديل : ما استبدلوا به من السحر عوضًا عن الإيمان ، ومتابعة الرسل ، لو كان لهم[٦] علم بما وعظوا به . ﴿ **ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير** ﴾ . أي : ولو أنهم آمنوا بالله ورسله[٧] ، واتقوا المحارم ، لكان مثوبةُ الله على ذلك خيرًا لهم ، مما[٨] استخاروا لأنفسهم ورضُوا به ، كما قال تعالى : ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ .

وقد يستدل بقوله : ﴿ **ولو أنهم آمنوا واتقوا** ﴾ من ذهب إلى تكفير الساحر ، كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل(٦١٧) ، وقول طائفة من السلف . وقيل : بل لا يكفر ، ولكن حدُّه ضربُ عنقِه ، لما رواه الشافعي ، وأحمد بن حنبل رحمهما الله قال[٩] : أخبرنا سفيان [- هو ابن

(٦١٧) - رواه عبد الله بن أحمد في مسائل أبيه ، ط . المكتب الإسلامي برقم (١٠٤٢) عن أبيه عن سفيان به .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « الرسل » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « سعيد » .
[٥] - في ز : وقد .
[٦] - في خ : « له » .
[٧] - في ز : بما .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

عيينة -][١] عن عمرو بن دينار أنه سمع بجَالَةَ بن عَبَدَةَ يقول : كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : أن اقتلوا كلَّ ساحر، وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر . وقد أخرجه البخاري(٦١٨) في صحيحه أيضًا . وهكذا صحَّ أن حفصة أمَّ المؤمنين سحرتها جاريةٌ لها ، فأمرت بها فقتلت(٦١٩) . قال الإمام أحمد بن حنبلٍ :[صح عن][٢] ثلاثة[٣] من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قتل الساحر .

وروى الترمذي(٦٢٠) من حديث إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن جندب الأزدي أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : « **حدّ الساحر ضربه بالسيف** » .

ثم قال : لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه ، وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث ، والصحيح عن الحسن ، عن جندب موقوفًا .

قلت : قد رواه الطبراني(٦٢١) من وجه آخر، عن الحسن ، عن جندب مرفوعًا ، والله أعلم.

وقد روي من طرق متعددة أنّ الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه ، فكان يضرب رأس الرجل ، ثم يصيح به فيردّ إليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله يحيي الموتى ! ورآه رجل من صالحي المهاجرين ، فلما كان الغد جاء مشتملًا على سيفه ، وذهب يلعب لعبه ذلك ، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر ، وقال : إن كان صادقًا[٤] فَلْيحيي نفسَهُ . وتلا قوله تعالى : ﴿ **أفتأتون السحر وأنتم تبصرون** ﴾ فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك ؛ فسجنه ثم أطلقه(٦٢٢) ، والله أعلم .

و[٥] قال الإمام[٦] أبو بكر الخلال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدّثني أبي ، حدثنا

---

(٦١٨) - رواه أحمد (١٦٥٧) ، والشافعي في الرسالة (١١٨٣) ، وفي الأم (٦/٩٦) ، والطيالسي مختصراً (٢٢٥) ، والبخاري مطولاً (٦/١٨٤ - ١٨٥) ، والبيهقي في الكبرى (٨/٢٤٧ - ٢٤٨) .

(٦١٩) - رواه عبد الله بن أحمد في مسائل أبيه ، ط . المكتب الإسلامي برقم (١٥٤٣) عن أبيه عن يحيى ابن سعيد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن حفصة سحرتها جاريتها ، فذكره .

(٦٢٠) - سنن الترمذي برقم (١٤٦٠) .

(٦٢١) - الكبير (٢/١٦١) من طريق محمد بن الحسن بن سيار ، عن خالد العبد عن الحسن عن سمرة به .

(٦٢٢) - الرجل الذي قتله هو جندب بن كعب ، انظر القصة في : أسد الغابة لابن الأثير في ترجمة جندب ابن كعب (١/٣٦١) وفي الإصابة للحافظ ابن حجر (١/٢٥١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « فثلاثة » .

[٤] - في ز ، خ : « ساحرًا » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

يحيىٰ بن سعيد ، حدّثني أبو إسحاق ، عن حارثة ، قال : كان[١] عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملاً على سيفه فقتله ، قال[٢] : أراه كان ساحرًا .

وحمل الشافعي – رحمه اللَّه – قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركًا ، واللَّه أعلم .

(فصل)

حكى أبو عبد اللَّه الرازي في " تفسيره " عن المعتزلة ؛ أنهم أنكروا وجود السحر ، قال : وربما كَفَّروا من اعتقد وجوده ، قال : وأمّا أهلُ السنة فقد جوّزوا أن يقدر الساحر أن يطير في الهواء ، ويقلب الإنسان حمارًا[٣] والحمار إنسانًا ؛ إلا أنهم قالوا : إن اللَّه يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقىٰ والكلمات المعينة ، فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك ، والنجوم ، فلا ، خلافًا للفلاسفة ، والمنجمين ، والصابئة ، ثم استدل على وقوع السحر ، وأنه بخلق اللَّه تعالى ، بقوله تعالى : ﴿ **وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن اللَّه** ﴾ ومن الأخبار : بأن رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، سُحِرَ ، وأن السحر عمل فيه ، وبقصة تلك المرأة مع عائشة – رضي اللَّه عنها – وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابلَ ، وتعلمها السحر .

قال : وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة ، ثم قال بعد هذا[٤] :

(**المسألة الخامسة**) في أنّ العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور : اتفق المحققون على ذلك ، لأنّ العلم لذاته شريف ، وأيضًا لعموم قوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ . ولأنّ[٥] السحر لو لم يكن[٦] يُعْلَم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة ، والعلم بكون المعجز[٧] معجزًا واجب ، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب ، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبًا ومايكون واجبًا ، فكيف[٨] يكون حرامًا وقبيحًا ؟ ! .

هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة ، وهذا الكلام فيه نظر من وجوه :

أحدها[٩] قوله : العلم بالسحر ليس بقبيح شرعًا[١٠] ، [إن عنىٰ به ليس بقبيح عقلًا][١١] ، فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا ، وإن عنى أنه ليس بقبيح شرعًا ، ففي هذه الآية الكريمة تبشيع

---

[١] – سقط من : ز ، خ .
[٢] – في ز ، خ : « فقال » .
[٣] – في خ : « أو » .
[٤] – في خ : « هذه » .
[٥] – مكررة في خ : بلفظ « ولئن » .
[٦] – سقط من ز .
[٧] – في ز ، خ : « المعجزة » .
[٨] – في ز : كيف .
[٩] – في ت : « أحدهما » .
[١٠] – زيادة من : خ .
[١١] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

لتعلم السحر ، [وفي الصحيح(٦٢٣) : « **من أتى عرافًا أو**[١] **كاهنًا فقد كفر بما أنزل على محمد** »][٢] . وفي السنن(٦٢٤) : « **من عقد عقدة ، ونفث فيها فقد سحر** » . وقوله : « ولا محظور[٣] - اتفق المحققون على ذلك » . كيف لايكون [محظورًا مع][٤] ما[٥] ذكرناه من الآية والحديث ؟ ! واتفاقُ المحققين يقتضي أن يكون قد[٦] نصَّ على هذه المسألة أئمة العلماء ، أو أكثرهم ، وأين نصوصهم على ذلك ؟ ثم إدخاله علم[٧] السحر في عموم قوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ . فيه نظر ؛ لأنّ هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين بالعلم الشرعي ، وَلِم قُلْتَ إن هذا منه ؟ ثم[٨] ترقيه[٩] إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل العلم

(٦٢٣) - **صحيح** ، رواه أحمد ٩٥٣٢ - (٤٢٩/٢) من حديث عوف ، عن خلاس ، عن أبي هريرة ، والحسن عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بلفظ : « **من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** . ورواه الحاكم (٨/١) وعنه البيهقي في الكبرى (١٣٥/١) من حديث روح ، عن عوف ، عن خلاس ومحمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا من حديث محمد بن سيرين ولم يخرجاه ، وحدَّث البخاري ، عن إسحاق ، عن روح ، عن عوف ، عن خلاس ومحمد ، عن أبي هريرة قصة موسى أنه آدر .

ورواه أبو يعلى الموصلي (٥٤٠٨/٩) من حديث عبد الرحمن بن سلام ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن بريم ، عن عبد اللّٰه بن مسعود - موقوفًا - ولفظه : « **من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا فسأله فصدقه بما يقول - فقد كفر بما أنزل على محمد** » . ورواه أبو داود الطيالسي حديث ٣٨٢ (صـ ٥٠) : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن يريم ، عن عبد اللّٰه - موقوفًا - قال : « **من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** » . ورواه البزار ٢٠٦٧ - (٤٤٣/٢) . وقال البزار : ورواه غير واحد عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ، عن عبد اللّٰه . وذكره الهيثمي (١١٨/٥) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، خلا هبيرة بن يريم ، وهو ثقة .

وهو عند مسلم برقم ١٣٥ - (٢٢٣٠) من حديث بعض أزواج النبي ، صلى اللّٰه عليه وسلم - مرفوعًا - بلفظ : **من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة** . ورواه أحمد أيضًا برقم ١٦٦٩٣ - (٦٨/٤) ، و ٢٣٣٢٨ - (٣٨٠/٥) . ورواه البيهقي في الكبرى (١٣٨/٨) .

(٦٢٤) - **إسناده ضعيف منقطع** ، رواه النسائي في كتاب : تحريم الدم ، باب : « الحكم في السحرة » (٧/ ١١٢) ثنا عمرو بن علي ، ثنا أبو داود ، ثنا عباد بن ميسرة المِنْقَرِيّ ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعًا . والحسن لم يسمع من أبي هريرة عند الجمهور - كما قال المنذري في « الترغيب والترهيب » [٣٢/٤] وانظر جامع التحصيل صـ ١٦٤ - وعبّاد بن ميسرة لين الحديث عابد ، وأورده الذهبي في الميزان (٣٧٨/٢) وقال : هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه . وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٤١/٤) : وهو

[١] - في ز : و .

[٢] - ما بين المعكوفتين مكررة في خ .

[٣] - في ز ، خ : « محظورًا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « فما » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من : خ .

[٩] - في خ : « ترقية » .

بالمعجز إلا به ، ضعيف بل فاسد ؛ لأن أعظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم ، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . ثم إن[١] العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلًا ، ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين وعامتهم ، كانوا يعلمون المعجز ، ويفرّقون بينه وبين غيره ، ولم يكونوا يعلمون السحر ، ولا تعلموه ولا علّموه ، واللَّه أعلم .

ثم قد ذكر أبو عبد اللَّه الرازي أن[٢] أنواع السحر ثمانية -(الأول) : سحر الكلدانيين والكشدانيين ، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة[٣] المتحيرة ، وهي السيارة ، وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم ، وأنها تأتي بالخير والشر ، وهم الذين بعث اللَّه[٤] إليهم إبراهيم الخليل ، صلى اللَّه عليه وسلم ، مبطلًا لمقالتهم ، ورادًّا[٥] لمذهبهم[٦] ، وقد استقصى في (كتاب السر المكتوم ، في مخاطبة الشمس والنجوم) المنسوب إليه ، كما[٧] ذكره[٨] القاضي ابن خلكان وغيره ، ويقال : إنه تاب منه ، وقيل : بل[٩] صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد . وهذا هو المظنون به ، إلا أنه ذكر فيه طرائقهم[١٠] في مخاطبة كلٍّ من هذه الكواكب السبعة ، وكيفية ما يفعلون وما يلبسونه وما يتنسكون[١١] به .

قال : (والنوع الثاني) - سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية[١٢] ، ثم استدل على أن الوهمَ له تأثير ، بأن الإنسان يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض ، ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدودًا على نهر أو نحوه ، قال : وكما أجمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر ، والمصروع إلى[١٣] الأشياء القوية اللمعان أو الدوران ، وما ذلك[١٤] إلا لأن النفوس خلقت مطيعةً[١٥] للأوهام .

قال : ولقد[١٦] اتفق العقلاء على أن الإصابة بالعين حق .

ضعيف . وأورده الألباني في ضعيف الجامع حديث (٥٧٠٢) . وقد استنكر له - يعني : عباد - الحافظ ابن عدي هذا الحديث ، فأورده في « الكامل » [١٦٤٨/٤] .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ت : وردًا .
[٦] - في ز : لمذاهبهم .
[٧] - في ز ، خ : « فيما » .
[٨] - في ت : ذكرها .
[٩] - في ز ، خ : « أنه » .
[١٠] - في ت : طريقهم .
[١١] - في ت : « يتمسكون » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - في خ : « على » .
[١٤] - في خ : « ذاك » .
[١٥] - في ز ، خ : « منطبعة » .
[١٦] - في ز ، خ : « وقد » .

وله أن يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح (٦٢٥) : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين** » .

قال : فإذا عرفت هذا فنقول : النفس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قوية جدًّا ، فتستغني في هذه الأفاعيل[١] عن الاستعانة بالآلات والأدوات ، وقد تكون ضعيفة ؛ فتحتاج إلى الاستعانة بهذة الآلات .

وتحقيقُه أن النفس إذا كانت [مستعلية على][٢] البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات ، صارت كأنها روح من الأرواح السماوية ؛ فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم ، وإذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذة الذات[٣] البدنية ، فحينئذ لايكون لها تصرفٌ ألبتة إلا في هذا البدن . ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء ، والانقطاع عن [الناس][٤] [والرياضة][٥] .

(**قلت**) : وهذا الذي يشير إليه هو التصرف بالحال ، وهو على قسمين : تارة تكون[٦] حالًا صحيحة شرعية يتصرف [بها فيما][٧] أمر الله ورسوله [صلى الله عليه وسلم] ، ويترك[٨] ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فهذه[٩] الأحوال مواهبُ من الله تعالى ؛ وكراماتٌ للصالحين من هذه الأمة ، ولا يسمى هذا سحرًا في الشرع .

وتارة تكون الحالة فاسدة لا يمتثل صاحبها ما أمر الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا يتصرف بها في ذلك . فهذه حال الأشقياء المخالفين للشريعة ، ولا يدل إعطاء الله إياهم هذه الأحوال على محبته لهم ، كما أن الدجال - لعنه الله - له من[١٠] الخوارق للعادات ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة مع أنه مذموم شرعًا لعنه الله ! . وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وبسط هذا يطول جدًّا ؛ وليس هذا موضعه .

قال : (والنوع الثالث) من السحر : الاستعانة [بالأرواح[١١] الأرضية][١٢] ؛ وهم الجن خلافًا للفلاسفة والمعتزلة : وهم على قسمين : مؤمنين[١٣] ، وكفار وهم الشياطين .

---

(٦٢٥) - رواه مسلم في كتاب السلام برقم ٤٢ - (٢١٨٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

---

[١] - في ز ، خ : « الأفعال » .

[٢] - في ز ، خ : مشتغلة عن » .

[٣] - في ز ، خ : « اللذات » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « النظر »

[٥] - في ن : والرياء » .

[٦] - في ز : يكون .

[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : فيها » .

[٨] - في ز ، خ : « وترك » .

[٩] - في ز ، خ : « وهذه » .

[١٠] - في ت: «مع » .

[١١] - سقط من : خ .

[١٢] - في ز : بالأرضية .

[١٣] - في ز ، خ : « مؤمنون » .

قال : واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، لما بينهما من المناسبة والقرب ، ثم إن أصحاب الصنعة ، وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقىٰ والدخن[١] والتجريد . وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير[٢] .

(النوع الرابع) من السحر : التخييلات[٣] والأخذ بالعيون والشعبذة ، ومبناه على[٤] أن البصر قد يخطىء ، ويشتغل بالشيء المعين دون غيره ؛ ألا ترىٰ أن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم إليه ، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق و[٥] نحوه ، عمل شيئًا آخر عملًا بسرعة شديدة ، وحينئذ يُظهر لهم شيئًا[٦] آخر غير ما انتظروه ، فيتعجبون منه جدًّا ، ولو أنه سكت [ولم تكلم][٧] بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله ، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله .

(قال) : وكلما كانت الأحوال التي تفيد حسن البصر نوعًا من أنواع الخلل أشدَّ ، كان العملُ أحسن ، مثل أن يجلس[٨] المشعبذ في موضع مضيء جدًّا - أو مظلم - فلا تقف القوة الناظرة[٩] على أحوالها بكلالها ، والحالة هذه .

(قلت) : وقد قال بعض المفسرين : إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ قالوا : ولم تكن تسعى في نفس الأمر . والله أعلم .

(النوع الخامس من السحر) : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة من النسب الهندسية ؛ كفارس على فرس في يده بوق ، كلما مضت[١٠] ساعة من النهار ضرب بالبوق ، من غير أن يمسه أحد ، ومنها الصور التي تصورها الروم والهند ، حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان ، حتى يصوروها[١١] ضاحكة وباكية .

إلى أن قال : فهذه الوجوه من لطيف أمور المخاييل .

---

[١] - في ز ، خ : « الدخل » .
[٢] - في ز : تسخير .
[٣] - في خ : التخيلات .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في خ : « شيء » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « وما يتكلم » .
[٨] - في خ : « يحبس » .
[٩] - في خ : « الباطنة » .
[١٠] - في خ : « مضت » .
[١١] - في خ : « يصورونها » .

قال : وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل .

(**قلت**) : يعني ما قاله بعض المفسرين : إنهم عمدوا إلى تلك الحبال ، والعصي ، فحشوها زئبقًا ، فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق ، فيخيل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها .

قال الرازي : ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جَرِّ الأثقال بالآلات الخفيفة .

قال : وهذا في الحقيقة لاينبغي أن يعد من باب السحر ، لأن لها أسبابًا معلومة يقينية من اطَّلع عليها قدر عليها .

(**قلت**) : ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم ، بما يرونهم إياه من الأنوار ؛ كقضية قمامة الكنيسة التي لهم ببيت المقدس ، وما يحتالون به من إدخال النار خفيةً إلى الكنيسة ، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على العوام منهم ، وأما الخواص فهم معترفون بذلك ، ولكن يتأولون : أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم ، فيرون ذلك سائغًا لهم ، وفيه شبهة للجهلة الأغبياء من متعبدي الكرّامية ، الذين يرون جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب ، فيدخلون في عداد من قال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – فيهم : « **من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** »(٦٢٦) وقوله : « **حدثوا عني ولا تكذبوا علي ؛ فإنه من يكذب عليَّ يلج النار** »(٦٢٧) .

ثم ذكر هاهنا حكاية عن بعض الرهبان ، وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ، ضعيف الحركة ، فإذا سمعته الطيور ترقُّ له ، فتذهب فتلقي في وكره من ثمر الزيتون ليتبلغ به ، فعمد هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكله ، وتوصّل إلى أن جعله أجوفَ ، فإذا دخلته الريح يُسمع له صوتٌ كصوت ذلك الطائر ، وانقطع في صومعة ابتناها ، وزعم أنها على قبر بعض صالحيهم ، وعلق ذلك الطائر في مكان منها ، فإذا كان زمان الزيتون فتح بابًا من ناحيته فيدخل الريح إلى داخل هذه الصورة ، فيسمع صوتَها كُلُّ طائر في شكله أيضًا ، فتأتي الطيور ، فتحمل من الزيتون شيئًا كثيرًا ، فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون في هذه الصومعة ، ولا يدرون ما سببه ، ففتنهم

(٦٢٦) – هذا الحديث من الأحاديث المتواترة رواه جمع من الصحابة عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، عدَّهم الإمام الطبراني في جزء له فزادوا على الستين ، وانظره في : صحيح البخاري في كتاب العلم ، باب : إثم من كذب على النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم برقم (١٠٧) من حديث الزبير ، وحديث (١١٠) من حديث أبي هريرة ، رضي اللَّه عنهما ، وفي مقدمة صحيح مسلم برقم ٢ ، ٣ ، ٤ – (٢ ، ٣، ٤) من حديث أنس وأبي هريرة والمغيرة رضي اللَّه عنهم .

(٦٢٧) – رواه البخاري برقم (١٠٦) – دون قوله : « **حدثوا عني** » – وكذا رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم ١ – (١) كلاهما من حديث علي رضي اللَّه عنه .

بذلك ، وأوهم أن هذا من كرامات صاحب هذا القبر ، عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة .

قال الرازي : (النوع السادس من السحر) : الاستعانة بخواص الأدوية ؛ يعني في الأطعمة والدهانات ، قال : واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص ؛ فإن تأثير المغناطيس مشاهد .

(**قلت**) : يدخل في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ، ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص ، مدعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران ، ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات .

قال : (النوع السابع من السحر) تعليق القلب ، وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم ، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن يكون السامع لذلك ضعيف العقل ، قليل التمييز ؛ اعتقد أنه حق ، وتعلق قلبه بذلك ، وحصل في نفسه نوع من الرعب ، والمخافة ، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ؛ فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء .

(قلت) : هذا النمط يقال له : التنبلة ، وإنما يروج على ضعفاء العقول من بني آدم ، وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه ، فإذا كان المتنبل حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره .

قال : (النوع الثامن من السحر) السعي بالنميمة ، والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة ، وذلك شائع في الناس .

(**قلت**) : النميمة على قسمين : تارة تكون على وجه التحريش بين الناس ، وتفريق قلوب المؤمنين ، فهذا حرام متفق عليه ، فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين الناس ، وائتلاف كلمة المسلمين ، كما جاء في الحديث : « **ليس بالكذاب من ينم خيرًا** »(٦٢٨) ، أو يكون على وجه التخزيل والتفريق بين جموع الكفرة ؛ فهذا أمر مطلوب ، كما جاء في الحديث : « **الحرب خدعة** »(٦٢٩) ، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب ، وبين قريظة ، وجاء إلى هؤلاء ، فنمى إليهم عن هؤلاء كلامًا ، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئًا آخر ، ثم لأم بين ذلك ، فتناكرت النفوس وافترقت . وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة ، والله المستعان .

---

(٦٢٨) – **متفق عليه** من حديث أم كلثوم بنت عقبة بلفظ : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا** » رواه البخاري في الصلح ، باب : ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس حديث ٢٦٩٢. ورواه مسلم في البر حديث ١٠١ – (٢٦٠٥) .

(٦٢٩) – **متفق عليه** من حديث جابر بن عبد الله ، رواه البخاري في الجهاد والسير ، باب : الحرب خدعة ، حديث ٣٠٣٠ ، ومسلم ١٧ – (١٧٣٩) ، ورواه أبو داود ٢٦٣٦ ، والترمذي ١٦٧٥ ، والنسائي في السير من الكبرى . وقد رُوي من حديث علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وكعب بن مالك ، وأبي هريرة وعائشة .

ثم قال الرازي : فهذه جملة الكلام في أقسام السحر ، وشرح أنواعه ، وأصنافه .

(**قلت**) : وإنما أدخل كثيرًا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر ، للطافة مداركها ؛ لأن السحر في اللغة : عبارة عمَّا لطف وخفي سببه . ولهذا جاء في الحديث : « **إن من البيان لسحرًا** »[٦٣٠] . وسمي السحور لكونه يقع خفيًّا آخر الليل . والسَّحْرُ : الرئة ، وهي محل الغذاء ، وسميت بذلك ؛ لخفائها ؛ ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن ، وغضونه ، كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة : انتفخ سَحْرك أي : انتفخت رئته من الخوف . وقالت عائشة – رضي الله عنها – : توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين سحري ونحري[٦٣١] . وقال تعالى : ﴿ **سحروا أعين الناس** ﴾ ، أي أخفوا عنهم عملهم ، والله أعلم .

وقال أبو عبد الله القرطبي : وعندنا أن السحر حق ، وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافًا للمعتزلة ، وأبي إسحاق الإسفرايني من الشافعية ، حيث قالوا : إنه تمويه ، وتخييل . قال : ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة ، والشعوذي : البريد ؛ لخفة سيره .

قال ابن فارس : وليست هذه الكلمة من كلام البادية .

قال القرطبي : ومنه ما يكون كلامًا يحفظ ، ورقىً من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ، ويكون أدوية ، وأدخنة ، وغير ذلك . قال : وقوله عليه السلام : « **إن من البيان لسحرًا** » يحتمل أن يكون مدحًا كما تقوله طائفة ، ويحتمل أن يكون ذمًّا للبلاغة قال : وهذا أصح . قال : لأنها تصوب الباطل حتى توهم السامع أنه حق ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « **فلعل بعضكم أن يكون ألحنَ بحجته من بعض فأقضي له** »[٦٣٢] الحديث .

(٦٣٠) – **صحيح** ، رواه البخاري من حديث ابن عمر في النكاح ، باب الخطبة ، حديث ٥١٤٦ . وفي الطب باب : وإن من البيان لسحرًا حديث ٥٧٦٧ ، ورواه الترمذي في البر ، باب : ما جاء في أن من البيان سحرًا حديث ٢٠٢٩ . ورواه أبو داود في الأدب ، باب : المتشدق بالكلام ، حديث ٥٠٠٧ . ورواه مسلم من حديث عمار في الجمعة برقم ٤٧ – (٨٦٩) . وقد رُوي من حديث عبد الله بن عباس ، رواه أبو داود حديث ٥٠١١ ، والترمذي ٢٨٤٥ ، وابن ماجه ٣٧٥٦. ورواه أبو داود من حديث بريدة بن الحصيب حديث ٥٠١٢ .

(٦٣١) – رواه البخاري في المغازي ، باب : مرض النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ووفاته برقم ٤٤٥١ . ورواه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٨٤ – (٢٤٤٣) ، وأحمد حديث ٢٤٣٢٧ – (٤٨/٦) .

(٦٣٢) – **متفق عليه من حديث أم سلمة** ، رواه البخاري في الشهادات حديث (٢٦٨٠) ، وفي الأحكام حديث (٧١٦٩) ، وفي الحيل حديث (٦٩٦٧) . ورواه مسلم في الأقضية حديث (١٧١٣) . وهو عند الترمذي في الأحكام حديث (١٣٣٩) ، وعند أبي داود في الأقضية برقم (٣٥٨٣) ، وعند النسائي في أدب القضاة حديث (٥٤٠١) . وعند ابن ماجه في الأحكام حديث (٢٣١٧) ، وعند أحمد ٢٦٦٠١ – (٢٩٠/٦) .

وهو عند أحمد من حديث أبي هريرة .

(فصل)

وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ، رحمه الله ، في كتابه (الإشراف على مذاهب الأشراف) بابًا في السحر ؛ فقال : أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة ، فإنه قال : لاحقيقة له عنده .

واختلفوا فيمن يتعلم السحر، ويستعمله ، فقال أبو حنيفة ، ومالك ، وأحمد : يكفر بذلك .

ومن أصحاب أبي حنيفة من قال : إنْ تعلمه ليتقيه ، أو ليجتنبه فلا يكفر ، ومن تعلمه معتقدًا جوازه ، أو أنه ينفعه كفر .

وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر .

وقال الشافعي رحمه الله : إذا تعلم السحر ؛ قلنا له : صف لنا سحرك . فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر .

قال ابن هبيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله ؟ فقال مالك وأحمد[١] : نعم . وقال الشافعي ، وأبو حنيفة : لا . فأمّا إن قتل بسحره إنسانًا فإنه يقتل عند مالك ، والشافعي ، وأحمد .

وقال أبو حنيفة : لا يقتل ، حتى يتكرر منه ذلك ، أو يقر بذلك في حق شخص معين . وإذا قتل ، فإنه يقتل حدًّا عندهم ، إلا الشافعي ، فإنه قال : يقتل والحالة هذه قصاصًا .

قال : وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته ؟ فقال مالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد في المشهور عنهم[٢] : لا تقبل . وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى : تقبل .

وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة فإنه يقتل ، كما يقتل الساحر المسلم .

وقال مالك ، [وأحمد والشافعي]: لايقتل . يعني لقصة لبيد بن الأعصم .

واختلفوا في المسلمة الساحرة ، فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ، ولكن تحبس . وقال الثلاثة : حكمها حكم الرجل ، والله أعلم .

وقال أبو بكر الخلال(٦٣٣) : أخبرنا أبو بكر المروزي ، قال : قُرِئَ على أبي عبد الله - يعني

---

(٦٣٣) - عمر بن هارون هو البلخي : قال يحيى بن معين : كذاب خبيث ، ورواه أبو بكر الخلال في كتابه " الجامع " " أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض " ص ٥٣٢ حديث ١٣٥٦ .

---

[١] - سقط من : خ. [٢] - في خ : « عنهما ».

أحمد بن حنبل - : عمر بن هارون ، حدثنا يونس ، عن الزهري قال : يقتل ساحر المسلمين ، ولا يقتل ساحر المشركين ؛ لأن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها .

[وقد نقل القرطبي ، عن مالك رحمه اللَّه أنه قال في الذمي إذا سحر : يقتل إن قتل سِحْرُهُ ، وحكى ابن خويز منداد ، عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر :

إحداهما : أنه يستتاب فإن أسلم ، وإلا قتل

والثانية : أنه يُقْتَل وإن أسلم .

وأمّا الساحر المسلم ، فإن تضمّن كفرًا ؛ كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، لقوله تعالى : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ ، لكن قال مالك : إذا ظُهِرَ عليه لم تقبل توبته ؛ لأنه كالزنديق ، فإن تاب قبل أن يُظهر عليه وجاءنا][1] [تائبًا قبلناه ، فإن قَتَلَ سِحْرُهُ قُتِلَ.

قال الشافعي : فإن قال : لم أتعمد القتل فهو مخطيء تجب عليه الدية .

(**مسألة**) وهل يُسْأَلُ الساحرُ حلًّا لسحره ؟ فأجازه سعيد بن المسيب ، فيما نقله نقلًا عنه البخاري ، وقال عامر الشعبي : لا بأس بالنشرة(٦٣٤) . وكره ذلك الحسن البصري ، وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت : يا رسول اللَّه ! هلا تنشرت ؟ فقال : « **أمّا اللَّه فقد شفاني ، وخشيت أن أفتح على الناس شرًا** »(٦٣٥) ، وحكى القرطبي عن وهب أنه قال : يؤخذ سبع ورقات من سدر ، فتدق بين حجرين ، ثم تضرب بالماء ، ويقرأ عليها آية الكرسي ، ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ، ثم يغتسل بباقيه ، فإنه يذهب مابه ، وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته

(**قلت**) : أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل اللَّه على رسوله في إذهاب ذلك وهو المعوذتان ، وفي الحديث : « **لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما** »(٦٣٦) وكذلك قراءة آية الكرسي ؛ فإنها مطردة للشيطان][2] .

(٦٣٤) - النُشرة ؛ بالضم : ضرب من الرقية ، والعلاج ، يعالج به من كان ظن أن به مَسًّا من الجن . النهاية (٥/٥٤) ، وقيل : هي حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان ، أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، والثاني : النشرة ؛ الرقية ، والتعوذات ، والأدوية ، والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

(٦٣٥) - **متفق عليه** ، رواه البخاري في كتاب الطب ، باب : السحر برقم (٥٧٦٦) ، ومسلم في كتاب السلام برقم ٤٣ - (٢١٨٩) .

(٦٣٦) - رواه النسائي في السنن (٨/٢٥١) من حديث عقبة بن عامر ، رضي اللَّه عنه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	
مقدمة المؤلف	٣
فضائل القرآن	٢١
تفسير سورة الفاتحة	١٥١
ذكر ما ورد في فضل الفاتحة	١٥٦
تفسير الاستعاذة وأحكامها	١٦٨
الكلام على البسملة	١٧٧
فصل في فضلها	١٨٤
ذكر أقوال السلف في الحمد	٢٠٢
تفسير سورة البقرة	٢٣٥
ذكر ما ورد في فضلها	٢٣٥
ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران	٢٤١
ذك ما ورد في فضل السبع الطوال	٢٤٥
ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه	٢٩٧
صفة الكافرين	٢٧٦
صفة المنافقين	٢٨١
الأمر بعبادة الله والتذكير بنعمه	٣٠٦
تنبيه ينبغي الوقوف عليه	٣١٩
خلق السمٰوات والأرض	٣٣٢
كلام الله عز وجل للملائكة	٣٣٦
تعليم الله الأسماء لآدم	٣٤٦
مسكن آدم وزوجته الجنة	٣٦٢
تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم	٣٧٣
تعنت بني إسرائيل على سيدنا موسى	٤٠٣
استسقاء موسى لقومه	٤٢٣
ضرب الذلة والمسكنة على بني إسرائيل	٤٢٨
رفع الطور فوقهم	٤٣٤
اعتداء أصحاب السبت	٤٣٥

أمر بني إسرائيل بذبح البقرة ٤٤٢
ذكر بسط القصة ٤٤٣
الفهرس ٥٤٩

انتهى بحمد اللَّه وتوفيقه الجزء الأول

ويليه إن شاء اللَّه تعالى الجزء الثاني وأوله تفسير قوله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ
وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾